



كتاب تجار الإسلام

لابي علي أحمد بن محمد
المعروف بمسكويه

الجزء الثاني

(يحتوي على حوادث أربعين سنة) (من ٣٢٩ إلى ٣٦٩ هجرية)

الناشر
دار الكتاب الإسلامي
القاهرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(خلافة المتقي لله أبي اسحق ابراهيم بن المقتدر بالله)

لما مات الراضى بالله بقى الامر فى الخلافة موقوفاً انتظاراً لقدم أبي عبد الله الكوفى من واسط وأحيط على دار السلطان وانتظر أمر بحكم فيمن يُنصب للخلافة فورد كتابه على أبي عبد الله الكوفى يأمر فيه أن يجتمع مع الوزير الذى كان يزور الراضى بالله وهو أبو القاسم سليمان بن الحسن وكل من تقلد الوزارة مع أصحاب الدواوين والقضاة والمدول والفقهاء والعلماء^(٢١) والعباسيين ووجوه البلد وشاورهم فيمن يُنصب للخلافة ممن يرضى مذاهبه وتحمده طرائقه فمن وُجدت فيه هذه الاحوال عُقدت له الخلافة . فلما اجتمعوا ذكر بعضهم ابراهيم بن المقتدر ففرق الناس عن هذا ذلك اليوم من غير تقرير لامر . فلما كان اليوم الثانى دُفع كتاب بحكم الى كاتب فقام وقراه على الناس وذكر ابراهيم : فقال محمد بن الحسن بن عبدالعزيز الهاشمى : هذا الرجل من ولد المقتدر فقل لنا هذا الرجل المذكور فى الكتاب يجب ان يكون من ولد المقتدر أو من غيرهم ؟ فقال أبو عبد الله الكوفى : من كانت فيه هذه الاوصاف نُصب فى الخلافة كأئمتنا من كان . فقال له : يحتاج ان

يكون الخطاب في هذا سراً . فقام أبو عبد الله فدخل الى بيت وأقبل يدخل اليه الناس اثنان اثنان ويقول لهما : قد وُصف لنا ابراهيم بن المقتدر فأي شيء تقولون ؟ فاذا سمعوا ذلك لم يشكوا في انه شيء قد تقرر وورد فيه أمر بحكم فيقولون : هو موضع لما أهّل له . وكلاما في هذا المعنى فلما استوفى كلام الجماعة تقدم بحمله ليعقد له الامر في دار بحكم ثم يحمل الى دار السلطان . وانحدر أبو عبد الله الكوفي وعرضت الالقاب على المتقي لله فاختار منها هذا اللقب وأخذت البيعة على الناس ^(١) وأنفذ الخلمة واللواء الى بحكم مع أبي العباس أحمد بن عبد الله الاصبهاني الى واسط فأنحدر بها وخلص عليه وأخذ البيعة عليه للمتقي لله ^(٢)

وأطلق بحكم لاصحابه صلة البيعة نصف رزقه أو دون ذلك ولم يُطابق للكتاب ولا للنفباء وأشباههم شيئاً . ووجه بحكم قبل استخلاف المتقي فخلع من دار السلطان فرسا كان استحسنته وآلات كان اشتهاها . وخلص المتقي لله على سلامة الطولوني وتلده حبيبته وأقر سليمان بن الحسن على وزارته وانما كان له من الوزارة الاسم فقط والتدبير الى أبي عبد الله الكوفي وفيها ورد الخبر بدخول أبي علي ابن محتاج في جيش خراسان الى الري وقتله ما كان الديلمي وهزيمته لوشمكير الى طبرستان

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان ما كان مستقراً بكرمان من قبل صاحب خراسان حتى بلغه قتل

(١) وفي تاريخ الاسلام رواية عن أبي بكر الصولي ان الحسين بن الفضل بن النامون بعث الى الكوفي بعشرة آلاف دينار له وبارعين ألف دينار لفرقة في الجند ان ولاء الخلافة فلم ينفع . وله أيضا ان المتقي لم يسر على جاريته التي له وكان كثير الصوم والتبهد لم يشرب نبيذا قط وكان يقول : لا أريد نديسا غير المصحف

مرداويج فاجتمع عليه استئمان رجاله الى عماد الدولة على بن بويه ومجاورته
 اياه وطمعه في معاودة أعماله الاولى من جرجان وطبرستان فصار الى خراسان
 واستغنى من ولاية كرمان وسأل ولاية جرجان فولياها وسار اليها وفيها بانقسم
 ابن بالحسن من قبل وشمكير . فقدم ما كان كتابا الي وشمكير يُداريه فيه
 ويستنزله عن أعماله التي كانت ^(٣١) في يده ويستعيدة الى حال المودة
 والوادة . وكان الاجماع قد وقع من الجيل والديلم انه لم ير فيهم أشجع ولا
 أنجده ولا أفرس من ما كان وأقر له بذلك كل شجاع مذكور وكل متقدم
 مشهور فصادت رسالته من وشمكير ضمف قلبه بقتل أخيه مرداويج وقرب
 عهدہ بالمصيدة واشفاقه من صاحب خراسان ومن جهة عماد الدولة على بن بويه
 فاستجاب له الى النزول عن جرجان وكتب الى صاحبه بانقسم بن بالحسن
 بتسليمها اليه . فلما مضت له مدة استنزله ما كان أيضا عن سارية فنزل له أيضا
 عنها فتأكدت الحال بينهما واستحكمت المودة واستوحش صاحب
 خراسان من تضافرهما وآل الامر الى ان خلع ما كان طاعة وأسقط خطبته .
 فسار حينئذ أبو على ابن محتاج الى جرجان لمواقفته في عسكر كشيء أمدّه به
 صاحب خراسان وكتب ما كان الى وشمكير بالصورة واستنجدّه فأنجده
 بعسكر قوى ثم اتبعه أيضا بعسكر ثمان مع شيرج بن ايلي . وحاصر ابن محتاج
 ما كان واشتد به الحصار الى أن أكل أصحابه لحوم الجمال والبغال

فانهز هذه الفرصة ركن الدولة الحسن بن بويه واغتم شغل وشمكير
 بما كان فطمع في الري وكتب أبا على ابن محتاج صاحب جيش خراسان ^(٣٢)
 وأشار عليه بمناجزة القوم ووعدّه بالمعاونة وكذلك فعل عماد الدولة كاتبه
 وأشار عليه بالمناجزة ووعدّه بان يسير أجاهه الى الري في عسكر قوى

وعرف وشمكير الخبير وكتب الى ما كان بالصورة وأشار عليه بتسليم جرجان الى الخراسانية وكتب الى شيرج والى سائر عسكره بالانصراف ففعل ما كان ذلك وعاد الجيش باجمعه الى الري وحصل ما كان بسارية وتمكن ابن محتاج من جرجان . واتصلت المكتبة بينه وبين عماد الدولة نوركن الدولة واستحكت المودة بينهم واتفقوا على حرب وشمكير حين اختلط عسكرهما وصاروا عسكرا واحدا واشتملت عدة العساكر على سبعة آلاف من الديلم والجيل سبوى الاتراك والعرب وأظهر من السلاح والجن والآلات والدواب أمرا عظيما . فترافدا في التذير لان وشمكير كان منفردا باطلاق النفقات والاموال واقامة الانزال والعلوفات وتفقد القواد والرجال لان الري وأعمالها كانت في يده فاما ما كان فانه تفرد بمباشرة الحرب وترتب منها في القلب

فسار ابن محتاج على طريق الدامغان حتى قرب منها وأقام الديلم والجيل مصافها وبات الفريقان على أهبة لما كرة الحرب والناجزة^(٣٣) وكان وشمكير ضرب عدة خراكهات للمصاف ونصب المطارد والاعلام وأحضر الطعام للناس وأجلس ما كان في الصدر يأكل ويطعم ويجلس من يرى ووشمكير قائم متردد على رسمهم في ذلك ؟ فكان ما كان يقول : يا با طاهر لم لاتأكل معناتم تنوفر على النظر بمد ذلك ؟ فيقول : يا با منصور نحن بازاء أمر قد قرب انفصاله فان كان لنا فسوف نأكل معاً ونظم وان كان لغيرنا فسوف ياكل ويظم . (وكانا يتعاملان معاملة النظراء ويتخاطبان بالكنى ويتساويان في جميع أحوالهما) فما استموا طعامهم حتى وزد عليهم الخبر بان ابن محتاج رحل عن موضعهم عادلا عن ستمهم الى اسحاقاباذ ليجمع معه العدد الذي

أنفذه ركن الدولة لانه كان سار على طريق قُم وقاشان فارتحلا جميعا في الوقت الى هذه القرية وأعاد المصاف بها ووافى ابن محتاج وقد عبى جيشه كراديس ﴿ ذكر حيلة في الحرب تفرق بها الجيش المجتمعون ودخل ﴾

﴿ بينهم الغدر فزال تمبئتهم وهزمهم ﴾

تقدم ابن محتاج الى أصحابه أن يطرخوا القلب ويلجوا عليه وكان فيه ما كان وجمرة العساكر وان يتطاردوا لهم ويستجروهم . ثم وصى الكراديس التي بازاء الميمنة^(٣٤) والميسرة ان يناوشهم مناوشة خفيفة بمقدار ما يشغلهم عن ان يصيروا مددًا لمن في القلب ولا يطلبوا المناجزة بل يقفوا بازائهم على هذا السبيل ففعلوا ذلك وألجوا على القلب ثم تطاردوا لهم كاللهزمين فطمع ما كان وأصحابه الذين كانوا في القلب فيهم فاتبعوهم وفارقوا مصافهم وبعثوا عن ميسرتهم وميسرتهم وصار بينهم فضاء كثير . فحينئذ أمر ابن محتاج الكراديس التي بازاء الميمنة والميسرة أن يتركوا من بازائهم ويدخلوا في القضاء الذي اتسع لهم وراء القلب وأمر الذين كانوا بازاء الحرب ان يحملوا ويحفظوا عليه مواجهين له فانكسر الديلم وحصلوا بين الكراديس ولم يكن لهم مهرب فقتلهم كما شاؤا . وكان ما كان قد ترجل وأبلى بلاء حسنا وظهرت منه آثار لم ير مثلهما فوافاه سهم عائر وقع في جبينه فنفذ الخوذة والتراس حتى طلع من قفاه وسقط ميتا وأثنت وشمكير وقوم من أصحاب الخيل الى سارية وأسر الباقون وقتلوا باجمعهم

وملك ابن محتاج الري وأخذ رأس ما كان بخوذة والسهم فيه وحمل على هيئته وحالته الى خراسان مع الاسارى ورؤس القتلى وكانوا عدداً جماً يقال انهم نحو ستة آلاف .^(٣٥) ثم حمل بعد ذلك رأس ما كان الى بغداد بعد

مقتل بجكم لان بجكم ينتسب الى ما كان ويزعم انه ترييته وقد كان أظهر حزنا
وغما شديدا لما سمع بقتله وجلس للعزاء . فلما قتل بجكم ورد أبو الفضل العباس
ابن شقيق المرسوم كان بالترسل بين ولاية خراسان وبين السلطان ومعه رأس
ما كان وفيه السهم وعليه الخوذة وذلك في سنة ٣٢٩

﴿ ذكر غلطة وقعت من ابن محتاج في استنمته الى جيش ﴾

﴿ غريب حتى قتل خلق من أصحابه وانهب ﴾

﴿ سواده ونجا بنفسه ﴾

كان الحسن بن الفيرزان ابن عمّ ما كان وصنيته وكان قريبا منه في
الشجاعة الا انه كان شرسا متهورا زعيم الاخلاق فلما قتل ما كان التمس منه
وشمكير ان يدخل في طاعته وينحاز اليه فلم يفعل ثم لم يقتصر على التثاقل عنه
حتى أطلق لسانه فيه وقال : هو الذي أسلم ما كان الى القتل وخذله ونجا
بنفسه . فافسد ما بينه وبين وشمكير بهذا الضرب من الكلام والوقعة فيه
فقصده وشمكير وهو يومئذ بسارية فانصرف عن سارية وصار الى ابن محتاج
داخلا في طاعته ومستهضا له على وشمكير فقبله ابن محتاج وأحسن اليه وساعده
على قصد وشمكير . فلقية بظاهر سارية واتصلت الحرب بينهما أياما الى أن
ورد الخبر ^(٣٦) على ابن محتاج بوفاة نصر بن أحمد صاحب خراسان فصالح
وشمكير وأخذ ابنا له يقال له سالار رهينة ووافقه على أمور تقررت بينهما
وانصرف الى جرجان وجذب الحسن بن الفيرزان معه وهو غير طيب النفس
بما فعله وأراد منه أن يتم الحرب ثم يستخلف الحسن ويمتدّ بعد ذلك الى
خراسان فلما لم يفعل ابن محتاج ذلك انجذب الحسن بن الفيرزان معه على هذا
الحقد ودبر أن يطالب غيرته في طريقه ويفتك به فلما صار الى الحد بين أعمال

جرجان وخراسان وثب الحسن على ابن محتاج وأوقع بمسكره ليقتله فافلت منه وقتل حاجبه وانتهب سواده واسترجع رهينة وشمكير أعنى ابنه سالار وعاد الى جرجان فاستولى عليها وعلى أعمال الدامغان وسمنان والقلعة التي كان يعتصم بها . وكان وشمكير صار الي الري فملكها فلما فعل الحسن بابن محتاج ما فعل عاد الى مواصلة وشمكير وبدأه بالمجاملة وردّ عليه ابنه الذي كان رهينة عند ابن محتاج وأراد بذلك ان يستظهر على الخراسانية به ان عاودوا حربته فقتل وشمكير ابنه وحاجزه في الجواب ولم يصرّح له بما ينقض شرائط ابن محتاج عليه

ثم ان ركن الدولة قصد الري وحارب وشمكير^(٣٧) فانهزم وشمكير واستأمن أكثر رجاله الى ركن الدولة وصار الى طبرستان : فانغتم الحسن ابن الفيرزان ضعف وشمكير فسار اليه واستأمن الى الحسن بقية أصحابه وانهزم وشمكير الى خراسان على طريق جبل شهربار . فلما حصل وشمكير بخراسان رأى الحسن بن الفيرزان ان يواصل أباه على ركن الدولة وينحاز اليه فراسله ورغب في مواصلة فاجابه الي ذلك وتمت المصاهرة بينهما بوالدة الامير على ابن ركن الدولة أعنى نغر الدولة وهي بنت الحسن بن الفيرزان وفي هذه السنة فرغ من مسجد برانا وجمع فيه

وفيها اشتد الغلاء ببغداد وبلغ الكرك من الدقيق مائة وثلاثين ديناراً وأكل الناس الحشيش وكثر الموت حتى كان يدفن في قبر واحد جماعة من غير غسل ولا صلوة وظهر من قوم ديانة وصدقة وتسكين ومن آخرين فجور وغضب وهم إلا أكثر^(١)

(١) زاد صاحب التكملة : وكان على بن عيسى وانفري يكفيان الناس على أبواب دورهما

وفيها انبثق نهر الرُّفيل ونهر بوق^(١) فلم يقع عناية بتلافيهما حتى خربت
بادُوريا بهذين البقيتين بضعة عشر سنة
وفيها قتل بجكم

(ذكر سبب قتله)

كان ورد جيش البريدي الى المذار وأنفذ بجكم نوشتكين^(٢) وتوزون في جيش
لقائه فكانت بينهما وقعة^(٣٨) عظيمة كانت أولا على أصحاب بجكم فكتبنا
الى بجكم يسألانه ان يلحق بهما تفرج بجكم من داره بواسط يوم الاربعاء لاربع
عشرة خلت من رجب للمسير الى المذار ليحلق عسكره وأصحابه . فورد كتاب
توزون ونوشتكين بظفرهما وهزيمة جيش البريدي وانه قد استغنى عن اترعاجه
فأنفذ بجكم بالكتاب الى بغداد وكتب به كتاب هناك قرىء على المنابر

وهم بجكم بالرجوع من حيث وصل اليه الكتاب بالخبر وكانت
خزائنه قد سارت فاشار عليه أبوزكرياء السوسى بان لا يرجع وقال له : تمضى
وتتصيد . فعمل على ذلك^(٣) فلما بلغ نهر جور عرف ان هناك قوما من

وسقطت القبة الحضراء التي هي قبة المنصور المعروفة بقبة الشعراء . ونكب الكوفي
هرون اليهودى جهيز ابن شيرزاد وبقي عليه من مصادره ستون ألف دينار فاخذت
داره وكانت قديما لابراهيم بن أحمد المادرائى را كبة دجلة والصراف وفيها بستان
أبي الفضل الشيرازى ودار المرتضى وحمل هذا اليهودى الى بجكم بواسط فضرب بين يديه
بالدبابيس حتى مات

(١) وفي الاصل : نهر بو . وفي التكملة : نهر بوا . (٢) وفي تايخ الاسلام هو :
كورتكين (٣) وقال صاحب كتاب الديون في ترجمة سنة ٣٢٨ : فيها خرج بجكم الى الصيد
بمرج البنديجين فاوغل في طلب الصيد وأنقطع عن أصحابه فلم يشعر الاوقد أحاط به من
الاعراب جماعة فبهم رجل يقال له حججاج مروف بالصماكة (وهو قطع الطريق وقتل

الاكراد مياسير فشره الى أوالهم وقصدهم متهاونا بهم في عدد يسير من غلمانهم وعليه قباء بلاجبة فهرب الاكراد من بين يديه وتفرقوا . ورمى واحدا منهم فاخطأ ورمى آخر فاخطأ واستدار من خلفه غلام من الاكراد وهو لا يعرفه فطعنه بالرمح في خاصرته فقتله وذلك بين الطيب والمذار يوم الاربعاء لتسع بقين من رجب . واضطرب عسكره جدا ومضى ديلمه خاصة

النفس) وكان تحت بجمكم فرس كان عليه سرج مسوره من ذهب وحليته بلور فلما نظر الى الخيل قد أحاطت به رجل وخطى لهم فرسه وحسى نفسه فلم يكن لهم فيه حيلة وقتلوا بالفرس ولم يزل يمشى الى ان قصد قصرا خرابا من قصور الاكاسرة فصد الى أعلاه وأرق بسيفه فلهفته عسكره وسأله عن خبره فذكر ان فرسه تقطر به وغاب عنه ولم يدر أين أخذ . ثم بقي يتعجب من حسن القصر ومن صورة فيه من صور الاكاسرة فسأل عن أهله وأمر ان يجمع له مجارى الموضع فسألهم فقالوا : مابق من أهل هذا الذى بنى القصر وهو الهرمزان الاقوم بناحية نهر مرة من حذاء البصرة . فوجه اليهم محضرم فاحضر اليه منهم بضعة عشر رجلا فسألهم فلم يجد فيهم الامولى لهم وقد بعدت معرفتهم بخبر القصر ووجد رجلا آخر خيرا فقال لهم : لم انتقل سلفكم من هذا الموضع الحسن الطيب ؟ فقال الرجل : بلغنا ان سبب انتقالهم طاعون ظهر فرحل الخلق عن مواضعهم وكل قصر تراه خرابا أو بهرا مطبورا فهذا سبب انتقال أهله عنه . فسأل وقال : أرى صورة ملك وأسد بازائه قد النتم يد الملك الواحدة الى مرفقه وبسط يده الاخرى كأنه يومى الى موضع من المواضع وكأنه رافع ونجيه نحو السماء يستغيث بالله . فقال له الرجل أما أقباله نحو الاسد فانه الموضع الذى يزول ملكه منه وبذلك عدوه وهو نحو الحجاز لما كانوا يتوقعونه من ظهور النبي صلعم وزوال ملكهم وهو الاسد الذى قد التهم يده واما ليمأوه الى موضع آخر فيجوز ان يكون يومى الى موضع فيه ذخيرة له : فيقال ان بجمكم قاس الموضع الذى يومى اليه المصور وأمر بحفره واستنصحي الحفر فوجد مالا عظيما كسرويا واثيمة وجواهر في الموضع فصدق من المثال عشره على آل أبى طاب وغيرهم وقال : سبب سياقة الله عز وجل الى بكا كان من الاعراب واشراقي على النصر وما وقع في نفسى الاستنصاء والمسئلة عن الصورة . وعمر مواضع كثيرة في تلك الناحية وأنشأها وأجرى اليها الانهار وغرس بها غروشا

الى البريدي وكانوا ألف وخمسمائة رجل فقبلهم وأضعف أرباقهم في دفعة واحدة وكان بنو البريدي^(٣٩) عملوا على الهرب وقد ضاقت عليهم البصرة لمراسلة بجكم أهلها بما سكن نفوسهم فكانوا مجتمعين ببطارا فلما بلغ بني البريدي قتل بجكم فرج عنهم ونفس خناقهم . وعاد أراك بجكم الى واسط وسار تكينك بهم الى بغداد ونزلوا في النجى وأظهروا طاعة المتقي لله وصار أحمد بن ميمون كاتب المتقي لله قديما هو المدبر للامور وصار أبو عبد الله الكوفي من قبله فكانت مدة تقلد أبي عبد الله الكوفي كتابة بجكم وتديره المملكة خمسة أشهر وثمانية عشر يوما ومدة اماره بجكم سنتين وثمانية أشهر وتسعة أيام

ووجه المتقي بجماعة من حجابهم فوكلمهم بدار بجكم ولم يتعرض لشيء مما فيها حذرا من أن يرد خبر لبجكم يهطل الخبر الاول فلما صبح عنده قتله أحضر يكاف صاحب تكينك فاثبت الموضع التي فيها المال مدفونا فستل عن سبب معرفته بها فذكر انه كان يخرج من الخزانة ويستدل على انه لدفين ثم يتبع الاثر سرا فلما عرف البيت الذي فيه الدفين والموضع المظنون فيه المال طالب له ثقة وضم الى نجاح خادم المتقي فاستخرج شيء كثير في قدور كبار منها عين ومنها ورق فلما فرغ مما وجد بذل للحفارين أن يأخذوا التراب باجرتهم فامتنعوا^(٤٠) فأطلق لهم ألفي درهم ثم تقدم بغسل التراب فغسل وأخرج منه ستة وثلاثون ألف درهم . وكان بجكم قد دفن في الصحارى ولم يقتصر على ما دفنه في البيوت فكان الناس يتحدثون انه اذا دفن في الصحراء شيئا ومعه من يداونه قتله لئلا يدل على ما يدفنه في وقت آخر فبلغ بجكم ما يقوله الناس فعجب منه

فحكى سنان بن ثابت قال : قال لي بجكم : فكرت فيما دفنته في داري من المال وقت : قديجوز ان يحال بيني وبين الدار بمحوادث تحدث فلا أصل اليها فيتلف مالي وروحي اذ كان . مثلي لا يجوز ان يعيش بغير مال دفنت في الصحراء وعلمت انه لا يحال بيني وبين الصحراء . فبلغني ان الناس يشنعون على باني اقتل من يكون معي ولا والله ماقتلت أحداً على هذه السبيل وأنا أحدئك كيف كنتُ أعمل . كنت اذا أردت الخروج للدفن أخضرت بغالا عليها صناديقُ فرَّغُ الى داري فاحمل في بعضها المال وأقبل عليها وأدخل من أريد أن يكون معي من الرجال الى باقي الصناديق التي على ظهور البغال وأطبق عليهم وأقفل وأسير بالبغال . ثم آخذ أنا مقود القطار وأسير الى حيث أريد وأرُدُّ من يخدم البغال وأنفرد وحدي في وسط الصحراء ثم أفتح عن الرجال ^(١) فيخرجون ولا يدرون أين هم من أرض الله وأخرج المال فيدفن بحضرتي وأجعل لِنَفْسِي علامات ثم أرد الرجال الى الصناديق وأطبقها عليهم وأقفلها وأقود البغال الى حيث أريد وأخرج الرجال فلا يدرون الى أين . مضوا ولا من أين رجعوا واستغنى عن القتل ^(١)

واستوزر المتقي لله أبا الحسين أحمد بن محمد بن ميمون وخلع عليه واستخلف أبا عبد الله الكوفي . وطلب تكيكك فاستتر .
وقديم الترجمان من واسط فاقره المتقي لله على الشرطة ببغداد وفيها أصعد البريديون من البصرة بعد قتل بجكم
﴿ ذكر الخبر عن اصمادهم وما آلت اليه أمورهم ﴾
لما قُتل بجكم اختلف أهل عسكره فاما الديلم فمعدوا الرياسة ليلسوار

ابن مالك بن مسافر الكنكري فهجم عليه الاتراك وقتلوه . فانهدر الديلم بأسرهم الى البصرة مستأمنين الى أبي عبد الله البريدي وكانوا ألفا وخمسمائة رجل مختارين متجيين ليس فيهم حشوفقوى البريدي بهم وعظمت شوكته واستظهر بهم على السلطان وانضاف عسكرهم اليهم فبلغوا سبعة آلاف رجل فاصعد البريديون من البصرة الى واسط فراسلهم المتقي لله وأمرهم ألا^(١٢) يضعمدوا وان يقيموا بواسط فارسلوا : أنا محتاجون الى مال الرجال فانفذ الينا مايرضهم به ونحن نقيم . فوجه المتقي لله أبا جعفر بن شيرزاد بعد ان رد^١ عليه ضيعته مع عبد الله بن يونس صاحب بيت المال وانهدر في جملة تكينك سرا من المتقي لله .

وقال الاتراك البجكية والجنكاكي الذي كان استأمن من جهة البريدي للمتقي لله : نحن نقاتل بني البريدي ان جاؤا فاطلق انا مالا وانصب لنا رئيسا . فانفق فيهم وفي رجال الحضرة القداماء أربعمائة ألف دينار من المال الذي وجد لبجكم وجعل الرئيس عليهم سلامة الطولوني الحاجب وبرزوا مع المتقي لله الى نهر دياي . وعاد عبد الله بن يونس بجواب الرسالة من البريديين ياتمسون المال فحمل اليهم معه من مال بجكم أيضا مائة وخمسين ألف دينار فاخذها وقال : أنا أحتاج الى خمسمائة ألف دينار للديلم فان حملت الي^١ والا فان الديلم لا يمهلونني وعلى كل حال أنا سائر فان تلقاني المال انصرفت والا دخلت الحضرة فقال المتقي لله لما أذيت رسالته : أنا قد أنققت في الاتراك أربعمائة وخمسين ألف دينار وفي غيرهم جملة فمن أين أعطيه ماطلب ؟ دعه يرد الحضرة ويعمل ماشاء فاني أرجو ان أكفي أمره . وسار أبو عبد الله البريدي^(١٣) من واسط نحو الحضرة فلما قرب منها اضطرب الاتراك البجكية وقتلوا

خيمهم واستأن من بعضهم الى البريدي وسار بعضهم الى الجسكاكي الى الموصل ودخل سلامة بغداد واستتر أبو عبد الله السكوني وسلامه الحاجب ومحمد بن ينال الترجمان وتقاد الشرطة مكان الترجمان أحمد بن خاقان وتأسف الوزير أبو الحسين على أربعمائة ألف دينار ذهبت ضياعا . ورهب الناس البريدي رهبة عظيمة لفسقه وتهوره وطمعه فهم أرباب النعم بالانتقال .

فتحدث بعض المحتصين بابي الحسن علي بن عيسى قال : كنت بين يديه أنا وأولاده وأخوه وخواصه في تلك الايام ونحن نتحدث بامر البريدي وموافاته الخصرة وتجارى جراته وإقدامه وقلة اكترائه وأنه يفعل الناس بعمال الدواب وأشار الجماعة عليه بالألّا يقيم ببغداد وان يخرج هو وعياله الى الموصل الى أبي محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان وفزعناه وهو لنا عليه وهو لا يصني الي رأينا فلما اكثرنا عليه ترجيح رايه . ثم أطلق لي مائتي دينار على ان أبكر وأكترى له بها زواريق يصعد هو فيها وعياله الى الموصل فباكرني رسوله مع السحر يأمرني بالمصير اليه^(١) وجئت وسألني فعرفته اني ما مكنت من امثال أمره بمباكرة رسوله واستدعاه اياي فقال : ويحك لفكرت البارحة فيما أشرت به فوجدته خارجا عن الصواب مفسدا للدين أهرب مخلوق الى مخلوق ؟ اصرف تلك الى وجوه الصدقة فاني مقيم . فرددتها الى خزائنه وأقام فلما قرب البريدي انحدر اليه وتلقاه فأكرمه أبو عبد الله غاية الاكرام ووفاه حقه وأعظمه ومنه من أن يخرج من طياره وانتقل هو اليه وشكر برّه وخاطبه بنهاية الاكرام والتعظيم^(٢)

ودخل أبو عبد الله البريدي بغداد ومعه أخوه أبو الحسين وابنه أبو القاسم

(١) وردت هذه الحكاية في كتاب الوزراء ص ٣٥٨ وفي ارشاد الاربيب ٥ : ٢٨٠

وأبو جعفر ابن شيرزاد يوم الثلاثاء ليلتين خلتا من شهر رمضان فنزلوا البستان الشفيجي ولقاه الوزير أبو الحسين ابن ميمون والكتّاب والعمال والقضاة والوجوه وكان معه من الشذات والطيارات والحديدات والزبازب ما لا يحصى كثرة . فوجه المتقي اليه يمرّ به أنسه بقربه وحمل له الطعام والشراب والالطاف عدة ليل وكان يخدم في ذلك كله خدمة الخلافة . وظهر محمد بن نبال الترجمان وكان الناس يخاطبون أبا عبد الله البريدي بالوزارة ويخاطبون أبا الحسين ابن ميمون أيضا بالوزارة ويضير ^(١) أبو الحسين اليه بسيف وبخطبة وقباء ويخاطب كل واحد منهما صاحبه بالوزارة . ثم لبس أبو الحسين الدراعة وأزال عن نفسه اسم الوزارة بمواطاة الخليفة وذلك استخلصون من شهر رمضان فكانت مدته فيها ثلاثة وثلاثين يوما وتفرد أبو عبد الله البريدي باسم الوزارة .

فلما كان يوم الاربعاء لعشر خلون من شهر رمضان حضر أبو الحسين ابن ميمون ومعه ابنه أبو الفضل مجلس الوزير أبي عبد الله وكان الوزير قد واطأ القواد ان أحضر أبو الحسين مجلسه ان يجتمعوا ويكلموه ويتوكلوا عليه ويتهددوه بالقتل ويقولوا انه « يضرب علينا الخليفة ويُفسد علينا رايه » ففعل الديلم ذلك في هذا اليوم فما زال الوزير يسكنهم ويمرّ فيهم كذب ما يلزمهم عنه ثم قال لابي الحسين وابنه : قوما ادخلا الرواق . يوهما انه يريد ان يخلصهما من القتل فدخلا الرواق ووكل بهما وانصرف القواد وحضلا في قبضه . ثم قال لهما بعد أيام : يا أبا الحسين قد قلدتكم الإشراف على واسط وأجريت لك ألف دينار في كل شهر فامض الى عمالك مع اينك . فحالا الى واسط ومنها الى البصرة ولما قبض عليه استكتب المتقي لله على خاص أمره أبا العباس أحمد

ابن عبد الله الاصهباني واعتل أبو الحسين بعد مدة^(١٦) بالبصرة ومات بها . ولم يلق الوزير أبو عبد الله طول مقامه ببغداد المتقي لله ولا دخل دار السلطان وذهب اليه الامير أبو منصور ابن المتقي لله وهو في النجفي ليسلم عليه فلبس أبو عبد الله البريدي قباء أسود وعمامة سوداء وتلقاه في أحسن زي وأوفر عذة وثر عليه دنائير ودرهم . وراسل الوزير أبو عبد الله البريدي المتقي لله على يد القاضي أحمد بن عبد الله بن اسحق الخرق^(١٧) وأبى العباس الاصهباني يطالبه بحمل مال فحمل اليه مائة وخمسين الف دينار فاخذها وراسله بأنه لابد من خمسمائة الف دينار فالتوى المتقي لله فقال للقاضي : انصحك وقل له « أما سمعت خبير المعتز بالله والمهتدي بالله والمتوكل على الله ؟ والله لئن خيبتك والاولياء لتطلين نفسك فلا تجديها وأنت أبصر إنما الديلم وافوا لاجل المال الذي أخذته لا الى بغداد وعندهم انهم أحق به منك ولا يعرفون البيعة ولا ممن لك في رقابهم » وكان الجواب عن هذه الرسالة الانعام وحمل اليه خمسمائة ألف دينار فاستوفاهما عن آخرها في سلخ رمضان وذهب للقاضي الخرق منها خمسة آلاف دينار . ولما حصلت الاموال عند البريديين انصرفت أطماع الجند كلهم اليه وكان البريدي^(١٧) يبعث الجند على طلب

(١) وفي تاريخ الاسلام هو أبو الحسن تقلد القضاء بواسطته بمصر والمغرب ثم ولي قضاء بغداد سنة ٣٠ وكان هو وأبوه وعمومته من التجار يشهدون علي القضاء وكان المتقي لله يرعى له خدمته فلما أفضت الخلافة له أحب أن ينوه باسمه ويأمنه الى حال لم يلقها أحد من أهله تقلده القضاء ولم يكن له خدمة للعلم ولا مجالسة لاهله فتعجب الناس لسكن ظهرت منه وجلة وكفاءة وعفة ونزاهة . واقطع خبره في هذا العام (يعني سنة ٣٣٤) لانه ترحل الى الشام ومات هناك . وفي السلك ان في هذه السنة تقلد القاضي القضاء بمصر والحرمين وخلع عليه

الاموال من الخليفة ويحملهم على الشغب فلما استصفى مال السلطان رجعت المكيدة عليه وتشغب الجند عليه . وكان الديلم قد اجتمعوا يوم الاحد لليلتين بقيتا من شهر رمضان فرأسوا على أنفسهم كورنكيچ بن الفاراضى الديلمى فرأس الاثرالك على أنفسهم تكيينك غلام بجكم وانحاز الديلم باجمعهم الى دار السلطان وأحرقوا دار أبى الحسين البريدى التي كان ينزلها .

ونفر الجيش عن أبى عبد الله البريدى وصار تكيينك الى الديلم وتضاغروا وكان سبب ذلك ان تكيينك لم يكن كبيرا في نفوس الاثرالك فارسل اليه كورنكيچ وخدعه وقال له : ان تفر دكل واحد منا عن صاحبه ضعف وأرى أن نجتمع وتصير أيديا واحدة . فالتخدع له وصار اليه فاجتمعوا فلما تمكن منه عاجله بالقبض عليه الا انه استعان به في العاجل لما اجتمعوا ووافقه على قصد البريدى ونهب ما حصل عنده فاتفقوا على ذلك وقصدوا باجمعهم النجى وعاونهم العامة . فقطع الوزير أبو عبد الله الجسر ووقعت الحرب في الماء ووثبت العامة في الجانب الغربى باسباب أبى عبد الله البريدى وقُتل نعمة القرمطى فهرب الوزير أبو عبد الله البريدى وأخوه وابنه وانحدروا الى واسط في^(٤٨) الماء ونهبت داره في النجى ودُور قواده ونهب بعض المال الذي كان حمله اليه انتقي في ذلك اليوم لان هربه كان يوم الاثنين سلخ رمضان وآخر ما حمل اليه من بقية المال في ذلك اليوم . واستتر أبو جعفر ابن شيرزاد ونهبت داره وظهر سلامة الطولونى وبدر الخرشنى . فكانت مدة وقوع اسم الوزارة عليه أربعة وعشرين يوما . ولما هرب البريدى حصلت الامارة لكورنكيچ يوم الاربعاء لليلتين خلتا من شوال

﴿ ذكر إمارة كورنكيچ ﴾

فلما كان يوم الخميس اثلاث خلون منه لقي كورنكيچ المتقي لله فقلده
إمارة الامراء وعقد له لواء وخلع عليه. وكان يكتب له رجل من أهل أصفهان
يُعرف بابي الفرج ابن عبد الرحمن واستدعى المتقي لله أبا الحسن علي بن عيسى
وأخاه عبد الرحمن فدير الامر عبد الرحمن من غير تسمية بوزارة. وقبض
الإمير أبو شجاع كورنكيچ على تسكينك يوم السبت لحسن خلون من شوال
وغرقه ليلا. وفي يوم الجمعة اجتمعت العامة في الجامع من دار السلطان وضجوا
وتظلموا من الديلم ونزولهم في دورهم بغير أجره وتعديهم عليهم في معاملاتهم
فلم يقع انكار لذلك فمنعت العامة الامام من الصلاة وكسرت المنبر. وشغب
الجند فمنهم الديلم من ذلك^(١) فقتل بين الفريقين جماعة
واستوزر أبو اسحق محمد بن أحمد الاسكافي المعروف بالقراريطي للمتقي
لله فكانت مدة نظر علي بن عيسى وأخيه عبد الرحمن تسعة أيام

﴿ ذكر السبب في وزارة القراريطي ﴾

حكى أبو أحمد الفضل بن عبد الرحمن الشيرازي قال : كنت بحضرة
كورنكيچ مع كاتبه أبي الفرج وفي مجلسه علي بن عيسى وعبد الرحمن أخوه
والقراريطي فطالب كورنكيچ أبا الحسن علي بن عيسى بالمال وعرفه حاجته
اليه لإعطاء الرجال فبلح هو وأخوه وذكر ان المال قد استنظف من
النواحي وانه لا وجه له (قال) فقال القراريطي ونحن في المجلس ؟ فيما بيني
وبينه : ان رد الامر الي أقت^(١) به واستخرجت ما يدفع الى الرجال
ويفضل بعده جملة وافرة . فاجتمعت مع أبي الفرج كاتب كورنكيچ

وعرفته ما خاطبني به فالتمس ان يصير اليه في خلوة ليسمع كلامه فاحضرته في غد فاعاد عليه ما قاله لي وأراه وجوها لجللة من المال . فذهب الى صاحبه كورنكيچ فعرفه ان علي بن عيسى وأخاه قد بلّغا وان القراريطي قد حضر وذكر انه يقوم بالامر ويخرج غلّ الرجال حتى لا يقع إخلال بشي يحتاج اليه فاستروح كورنكيچ الى ذلك وأمره باحضاره ليلا فاحضره وخلا به وبكاتبه وجعله على ثقة من القيام ^(١) بكل ما يحتاج اليه ولم يبرح حتى انقذله الامر ووقف المتقي لله عليه

وأخرج اصبهان الديلمي الى واسط من قبل الامير أبي شجاع كورنكيچ لمحاربة البريدي وكان أبو يوسف قد أصدع من البصرة الى واسط فلما سمعوا بالانحدار اصبهان الديلمي انحدر البريديون الى البصرة . وظهر ابن سنجلا وسائعه على بن يعقوب من استتارهما وصارا الى دار الوزير أبي اسحق القراريطي لیسأما عليه فقبض عليهما من داره قبل ان يصلا اليه وحملهما الى دار السلطان وكتب فيهما رقعة الى المتقي لله وأمر بحبسهما ونالهما مكروه غليظ بالضرب والتعليق وصودرا على مائة وخمسين الف دينار

وفي هذه السنة سار محمد بن رائق من الشام الى مدينة السلام لما بلغه قتل بجكم

﴿ ذكر الخبير عن مسير ابن رائق من الشام ﴾

﴿ ودخوله بغداد وما آل اليه أمره ﴾

كان الاتراك البجكية مثل توزون وخجج ونوشكين وصيفون وكبارهم لما انصرفوا من بغداد بعد قتل بجكم وإصعاد البريدي صاروا الى الموصل فناد عنهم أبو محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان ورايه في إطلاق نفقاتهم فاطلق لهم ربع رزقة فتقدموا الى ابن رائق بالشام . فصح عنده قتل بجكم

بصير الاتراك اليه وكتب اليه المتقي يخبره بقتل بجكم ويخاطبه^(٥١) بخطاب جميل ويستدعيه الى الحضرة فسار من دمشق فلما قرُب من الموصل كتب كورنكيچ الى اصبهان الديلمي بان يصعد من واسط فاصعد ودخل بغداد وخرج لؤلؤ الى واسط متقلدا لها ولم يتم أمره ورجع من الطريق . ولما وصل ابن رائق الى الموصل حاد عنه أبو محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان وجرت بينهما مراسلة تقرر فيها ان يحمل أبو محمد الى ابن رائق مائة الف دينار فاخذها وانحدر الى بغداد وعاد أبو محمد بن حمدان الى الموصل ولما كان يوم الاحد لخمس بقين من ذى القعدة قبض كورنكيچ على القراريطي فكانت مدة وزارته ثلاثة وأربعين يوما وقلد الوزارة أبا جعفر محمد بن القاسم السكرخي ولقى المتقي لله في هذا اليوم وخُلع عليه وورد الخبر بدخول بني البريدي واسط لما انصرف عنها اصبهان الديلمي وخطبوا بواسط والبصرة لابن رائق وكتبوا اسمه على أعلامهم وفيها دخل ابن رائق بغداد وانهمز كورنكيچ واستتر ﴿ ذكر الخبر عن هزيمة كورنكيچ واستتاره باتفاق وحرب ﴾ لما قرب ابن رائق من بغداد خرج كورنكيچ منها وانتهى الى عكبرا وقلد لؤلؤ الشرطة ببغداد وخُلع عليه وانتهى ابن رائق الى كورنكيچ وابتدأت الحرب واتصلت أياما متتابعة كانت^(٥٢) على ابن رائق . فلما كان يوم الثلاثاء لاحدى عشرة ليلة بقيت من ذى الحجة دخل ابن مقاتل ببغداد ومعه قطعة من جيش ابن رائق وفي ليلة الخميس لتسع بقين منه دخل ابن رائق بجميع جيشه من الجانب الغربي ونزل في النجى وعبر في غداة غد هذا اليوم الى دار السلطان ولقى المتقي لله وسلم عليه واستركبه فركب معه

في دجلة الى زقة الشماسية وانحدرا من وقتهما الى دار السلطان فصعد المذقي لله
اليها وعبر ابن رائق الى النجى . ولما كان بعد الظهر من هذا اليوم وافى
كورنكيچ في بيته من عكبرا على الظهر بغداد هو وأصحابه وهم في نهاية
التهاون بابن رائق ومن معه وكانوا ينهرون ويقولون « أين نزلت هذه
القافلة الواردة من الشام » ولما وصل كورنكيچ الى دار السلطان دُفع عنها
وكان فيها لؤلؤ وبدر الخرشني فانصرف كورنكيچ ونزل في الجزيرة التي بين
يدى اصطبل مربط الجمال وخزانة القرش ويعرف اليوم بدار الفيل

فتحدث أبو بكر ابن رائق بعد ذلك انه كان عمل على الانصراف
والرجوع الى الشام لما دخل كورنكيچ بغداد وانه حمل ثقله وابتدأ بالسير
قال : ثم قلت في نفسي « أنصرف وأسلم هذا الامر » فلم تطب نفسي وقلت
لقاتلك حاجي : استوقف الناس . فاستوقفهم فلم يقفوا حتى بادر الى بغل من
بغال النقل فعرقبه ^(١٣) فوقف حينئذ الناس . وعبرت نحو من مائة رجل من
أصحابي مع محمد بن جعفر النقيب على الظهر الى الجانب الشرق وعبرت أنا
في سُميرية ومعي سبائي الخادم التركي ونحو من عشرين سُميرية فيها غلمان
وانفق مجيئي مجيء أصحابي على الظهر في وقت واحد فلما رشقنا الديلم
بالنشاب سمعوا من ورائهم الزعقات من أصحابي ومن العامة فاضطربوا
ونجبت قلوبهم وقدروا ان الجيش قد وافاهم من خلفهم وانهم قد اسكوا
ظهورهم فانهمزوا وأخذهم الرحمة من العامة وطُرحت الستر عليهم ^(١٤) وهرب
كورنكيچ واستتر وقيل ما عرف أصحابه أي طريق أخذوا وثبت أمرنا
﴿ ذكر الخبر عن قتل الديلم وامارة ابن رائق ﴾

(١) وفي التنكة : وراهم العامة بالستر والاجر

لما استتر كورنكيچ وتقطع جيشه وبطل أمره ظهر أبو عبد الله أحمد بن علي السكوفي لابن رائق وعاد الى خدمته . وأمر ابن رائق ببقية الديلم المستأمنة بطرح أسلحتهم وأنفذ خاتمه الى جماعة منهم كانوا تحصنوا في حصن بالقرب من جسر النهر وان فرجموا ودخلوا الدار المعروفة بدار الفيل فكانوا نحو أربع مائة رجل لم يجسروا ان يتفرقوا . فلما كان يوم الاثنين لحس بقين من ذى الحجة وجه ابن رائق برجاله السودا الى دار الفيل ووضعوا السيف فيمن اجتمع هناك من الديلم فقطعوه فلم يسلم منهم^(١٤) الا رجل يقال له خدا كرد وقع بين القتلى وحمل في جملة المقتولين في الجولات الى دجلة ورمي به مع غمرة فعاش مدة طويلة بعد ذلك . وكان ابن رائق استأمر من قواد الديلم بضمة عشر قائداً فوجه بهم الى دار فاتك حاجبه وأمره بضرب أعناقهم فضربت أعناقهم صبرا في داره . وكان من المهزمين من الديلم قوم مضوا في الهزيمة الى طريق خراسان فلما تجاوزوا جسر النهر وان باتوا في بعض الخانات فسقط عليهم الخان بالليل فمات أكثرهم

ولما كان يوم الثلاثاء لاربعة بقين من ذى الحجة خلع المتقي لله على ابن رائق وطوقه وسوره بطوق وسوار مرصعين بالجواهر وعقد له لواء وقطعه امرأة الامراء وألزم أبو جعفر السكرخني بيته وكانت وزارته هذه ثلاثة وخمسين يوما . ودبر الامور أبو عبد الله أحمد بن علي السكوفي كاتب الامير أبي بكر ابن رائق من غير تسمية بوزارة وأطلق أبو اسحق القراريطي الى منزله ووجد كورنكيچ فأخذ وحمل ابى دار السلطان
(ودخلت سنة ثلاثين وثلاثمائة)

واستوحش ابن رائق من بنى البريدي لانهم ما حملوا شيئا من مال

واسط والبصرة فلما كان يوم الثلاثاء لعشر خلون من المحرم انحدر ابن رائق
وهرب البريديون الى البصرة . وسفر بينهم ^(٥٥) الكوفي الى أن ضمن
البريدي البقايا بواسط بمائة وسبعين ألف دينار ثم بستائة الف دينار في كل
سنة مستأنفة وأصعد ابن رائق الي بغداد .

وفيهما دخل العباس بن شقيق ومعه رأس ما كان بن كالي الديلمي مع
هدايا صاحب خراسان الى المتقي لله من غلمان أتراك وطيب وشهاني وشهر
رأس ما كان في شذا آة وكان على الرأس خوذة وفيه سهم قد نفذ في الخوذة
والرأس ؟ ومر من الجانب الآخر من الخوذة

وفيهما شغب الأتراك على ابن رائق وخرجوا الى المصلى ومعه تودرون
ونوشتكين وأخذوا في طريق التجنى عليه ورحلوا سحر يوم الأحد لخمس
خلون من شهر ربيع الآخر الى البريدي بواسط فلما وصلوا اليه قوى بهم
جانبه واحتاج ابن رائق الى مداراته

﴿ ذكر وزارة أبي عبدالله البريدي ﴾

فكاتب أبا عبدالله البريدي بالوزارة للنصف من شهر ربيع الآخر
وأفقد اليه الخلع مع الطيب ابن سوسن واستخلف له أبا جعفر ابن شيرزاد
بالخضرة وأوصله الى المتقي لله الآن المدير للامور كلها أبو عبدالله الكوفي
ووردت الاخبار بعزم البريدي على الاصماد الي بغداد فزال ابن رائق عنه
اسم الوزارة وعزله بابي اسحق القراريطي ولزم أبو جعفر ^(٥٦) ابن شيرزاد
منزله واستتر . وركب المتقي على الظهر ومعه ابنه أبو منصور وابن رائق
والوزير أبو اسحق القراريطي والجيش وساروا على الظهر وبين أيديهم
المصاحف المنشورة والقراء واستنفر العامة لقتال البريديين ثم انحدروا الى داره

في دجلة من باب الشمسية . واجتمع خلق^(١) من العيارين بالسكاكين المجرّدة في جميع محال الشرق من بغداد وفي يوم الجمعة لعين بنو البريدي على المنابر في المساجد الجامعة ببغداد

(ذكر أبي الحسين البريدي في اصماده الى بغداد)

خرج أبو الحسين من واسط مصعداً في الجيش الى بغداد ومعه غلمان أخيه أبي عبد الله والأتراك والديلم فلما قرّب من بغداد استأن من كل من كان معه من القرامطة الى ابن رائق . واستعد ابن رائق للقتال وعمل على ان يتحصن في دار السلطان فسدأ أكثر أبواب دار السلطان والثلم في سورها ونصب الرّادات والمنجنيقات على السور وعلى شاطئ دجلة في فناء الدار وطرح حول الدار الحـك والحديد واستنفض العامة وفرض بعضهم فصار ذلك سبباً لتوزّع المصبيات بينهم واتصال الحروب . وافتتن الجانب الغربي وأحرق نهر طابق مما يلي دار البطيخ واتصلت الكسبات بالليل والنهار على قوم ذوى أموال واستنفر الناس نهاراً وليلاً وقتل بعضهم^(٥٧) بعضاً قتلاً ظاهراً وفتح الحبس ودامت الفتنة . وبرزت يخيم السلطان الى نهر دىالى وخرج ابن رائق الى الحلبه والقواد معه . فلما كان يوم الاثنين لـلنصف من جمادى الآخرة تهر أصحاب أبي الحسين البريدي نهر دىالى وكان أولو مقبلاً على شاطئ النجى وبدر الخرشنى بالدُّلى وما زالت الحرب بين البريدي وابن رائق الى وقت الظهر وما زالت الحرب في الماء منذ ذلك اليوم الى يوم السبت لـتسم يقين من جمادى الآخرة فاشتدت الحرب على الظاهر وفي الماء وأوقع الديلم بالعامه الذين فرضوا ودخل الديلم من أصحاب البريدي

(١) وفي تاريخ الإسلام: واجتمع الخلق على كرسي الجسر فقتلهم وانخسف ففرق خلق

دار السلطان من جهة المساء وملاكو الدار . فخرج المتقى وابنه منها هاربين في نحو عشرين فارسا نفرجا الى باب الشمسية ولحق بهما ابن رائق وجيشه ولؤلؤ ومضوا الى الموصل . واستتر القراريطى الوزير فكانت مدة وزارته احد وأربعين يوما . وقتل الديلم من وجدوا في دار السلطان ونهبوها نهباً قبيحاً ودخل الديلم دور الحرم وأقام البريدي أبو الحسين في حديدية أياما على باب الخاصة ووُجد في دار السلطان ابن سنجلا وعلى بن يعقوب فاطماتا وأما كورنكيچ فقيده وحضره الى أخيه أبي عبد الله فكان آخر العهد به ووُجد القاهر في محبسه فأقرّ فيه من دار السلطان^(١)

فلما كان بعد أيام صمد أبو الحسين البريدي^(٢) ونزل في دار مونس وهى التى كان ينزلها ابن رائق وقلدأبا الوفاء توزون الشرطة في الجانب الشرقى ونوشتكين الشرطة في الجانب الغربى . وأخذ الديلم في النهب والسلب وكُبت الدور وأخرج أهلها ونزلات ولم يزل الناس على ذلك الى ان تقلد توزون ونوشتكين الشرطة فان الفتنة سكنت قليلا . وأخذ أبو الحسين البريدي حُرْم توزون وابنيه وعيالات أكثر القواد والأتراك وأنفذهم الى أخيه ليكونوا رهائن في يده

وغات الاسعار يفسداد وظالم البريدي الظلم المعروف لهم وافتتح الخراج في اذار فخبط التناؤ حتى تهاووا وافتتح الجوالى^(٣) وخبط أهل اللزمة وأخذ الاقوياء بالضمفاء ووظف على كرم من الحنطة سبعين درهما وعلى

(١) قال فيه صاحب التكملة : وكان القاهر محبوسا فتركه الموكون نفرج فرثى وهو يتصدق بسوق الثلاثاء فباع ذلك البريدي فأخذ بمن أقامه وأجرى له في كل يوم خمسة دراهم

(٢) وفي التكملة : وافتتح الجزية

سائر المكيلات وعلى الزيت وقبض على نحو خمسمائة كراً كان للتجار ورد من الكوفة وادعى انه للحسن بن هرون المتقلد كان للناحية وهرب خججيج الى المتقي لله وكان أخرج الى بزرج وسابور والراذانيين . وكان توزون ونوشتكين والاتراك تحالفوا على كبس أبي الحسين البريدي فقدر نوشتكين بتوزون ونفي الخبر الى أبي الحسين البريدي فخرّز وأحضر الديلم داره واستظهر بهم وقصد توزون دار أبي الحسين فحاربه من كان فيها من الديلم وغلقت الابواب دونه . وانكشف لتوزون غدر نوشتكين^(٥٩) فلعنه وانصرف ضحوة يوم الثلاثاء ومضى مع قطعة وافرة من الاتراك الى الموصل واضطرب العامة وقتلوا البريدي .

ولما صار توزون وخججيج والاتراك الى الموصل وقوى بهم ابن حمدان عمل على ان ينحدر مع المتقي لله الى بغداد وبلغ ذلك أبا الحسين البريدي . وكتب الى أخيه يستمدّه فامدّه بجماعة من القواد والديلم . وأخرج أبو الحسين مضربه الى باب الشماسية وأظهر انه يحارب ابن حمدان ان وافى وذلك كله بعد ان قتل أبو محمد بن حمدان ابن رائق وسنشرح خبره على أثر هذا الحديث . فلما قرّب المتقي وأبو محمد بن حمدان من بغداد انحدر أبو الحسين هارباً وجميع جيشه وأخذ معه من كان معتقلاً في يده يطالبه مثل ابن قرابة وأبي عبد الله بن عبد الوهاب وعلي بن عثمان بن النفاط ومن أشبههم فاضطربت العامة ببغداد زيادة اضطراب ونهبت الدور وتسليح الناس في الطرقات ليلاً ونهاراً . وكانت مدّة أبي الحسين البريدي ببغداد ثلاثة أشهر وعشرين يوماً

ولما وصل المتقي لله وابناه ومحمد بن رائق ومن معهم الى تكريت

وجدوا هناك وهم مصعدون الى الموصل بعد ابا الحسن على بن عبد الله بن حمدان وذلك ان ابن رائق لما قرب البريدى من بغداد كتب الى ابي محمد ابن حمدان يستلهم مدداً ومعاونة على قتاله فانفذ أبو محمد أخاه فلم يلحقهم الا بتكرير^(٦٠) وقد انهزموا وأخذوا طريق الموصل . فلما التقوا أقام على بن حمدان للمتمقي لله وابنه وابن رائق والقواد كل ما يحتاجون اليه من الميرة والسياب والفرش والدرهم وما قصر في أمرهم وساروا باجمعهم الى الموصل . فلما وصلوا اليها حاد عنها أبو محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان وعبر الى الجانب الشرقي ومضى الى نواحي مائنايا فإزالت الرسل تردد بينه وبين محمد بن رائق الى ان توثق بعضهم من بعض بالايمن والعهود والمواثيق حتى أنس أبو محمد وعاد فنزل في الشرقي بازاء الموصل

ذكر الخبر عن مقتل ابن رائق

فمهر اليه الامير أبو منصور ابن المتقي لله ومعه أبو بكر ابن رائق يوم الاثنين لتسع بقين من رجب ايسموا عليه فلقبهم أجمل لقاء وثر على الامير أبو منصور الدنانير والدرهم . فلما أراد الانصراف من عنده ركب الامير أبو منصور ثم قديم فرس ابن رائق ايركب من داخل المضرب فامسك أبو محمد بن حمدان كفه وقال له : نقيم اليوم عندي ليتحدث فان بيننا ما تجاراه . فقال له ابن رائق : اليوم لا يجوز لاني أريد ان أرجع مع الامير ولكن يكون يوماً آخر . فالح عليه ابن حمدان الحاجة استراب به ابن رائق فجذب كفه من يده حتى تحرق وكان رجله في الركاب فشب به الفرس فوق^(٦١) وقام ليركب فصاح أبو محمد بناماته وأمرهم بالايقاع به وقال : وبكم لا يفوتكم .

فوضوا عليه السيوف وقتلوه^(١) وأرسل أبو محمد ابن حمدان الى المتقي لله
انه وقف على ان ابن رائق أراد أن يقتله ويوقع به فجري في أمره ماجري
فرد المتقي عليه الجواب يعرفه انه الموثوق به ومن لا يشك فيه وبأمره
بالمصير اليه فعبه ولقيه

{ ذكر اماره أبي محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان }

فخلع عليه المتقي وعقد له لواء ولقبه ناصر الدولة وجعله أمير الامراء
وكناه وكان ذلك مستهل شعبان وخلع على أخيه علي وعلى أبي عبد الله
الحسين بن سعيد بن حمدان وكتب الى القرائطي بتقليده الوزارة وذلك
في شوال وجلس في داره وقلد وعزل وأمر ونهى وضبط الامر الى ان
وافى المتقي وناصر الدولة أبو محمد

{ خبر تخاربه البريدي مع ابن حمدان }

دخل المتقي بغداد مع ناصر الدولة أبي محمد وأخيه علي وجميع الجيوش
وعمت لهم العامة القباب^(٢) ونزل ناصر الدولة وأخوه في البستان الشفيعي
ولقى الوزير القرائطي المتقي لله وناصر الدولة وتلد أبو الوفاء توزون

(١) زاد فيه صاحب تاريخ الاسلام : فاضطربت أصحابه خارج الخيم وجاء مطر فتفرقوا
فدفن وعفي قبره . ونهبت داره التي بالموصل فقتل ابن الحسن التتوخي (وهو أبو القاسم
على وترجمته في ارشاد الاربيب ٥ : ٣٠٦) عن عبد الواحد بن محمد الموصل قال حدثني
رجل ان الناس : نهبوا دار ابن رائق فدخلت فأجد كيسا فيه ألف دينار أو أكثر فقلت
« إن خرجت به أخذه مني الجند » فطقت في الدار فمررت بالمطبخ فاخذت قدر سكباج
ملاى فرميت فيها الكيس وحملتها على رأسي فكل من رأى بيظن أني جائع فذهبت
بها الى منزلي (٢) زاد فيه صاحب تاريخ الاسلام : وقد انتفى بدرا الحرشي طريق
الغمرات فصار إليها ثم سار الى مصر فأكرمه الاخشيذ واستعمله على دمشق فسات بها .

الشرطة في جانبي بغداد وخلع المتقي على الوزير أبي اسحق القراريطي^(٦٢)
 خلع الوزارة يوم الاثنين لليلتين خلنا من ذى القعدة وفي يوم الخميس خلع
 المتقي لله على ناصر الدولة وأخيه وطوقا وسورا بطوقين وطوقين وأربعة
 أسورة ذهباً وعلى أبي عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان وطوق بطوق
 واحد وسوارين ذهباً

وورد الخبر بان أبا الحسين على بن محمد البريدي قد أصعد من واسط
 يريد الحضرة فاضطرب الناس ببغداد وعبر المتقي الى الزبديّة ليكون مع
 ناصر الدولة وقدم حُرّمه الى سر من رأى وهرب جماعة من وجوه أهل
 بغداد وعبر جيش ناصر الدولة من الجانب الشرقى الى الجانب الغربى منها
 وسار أبو الحسن على بن عبد الله بن حمدان في الجيش . وكان مع أبي الحسين
 البريدي لما أصعد من واسط أبو جعفر ابن شيرزاد وأبو بكر ابن قرابة
 والديلم وجيش عظيم فكانت الوقعة بين أبي الحسن على بن حمدان وبين
 البريدي يوم الثلاثاء انسلاخ ذى القعدة ويوم الاربعاء مستهلّ ذى الحجة
 ويوم الخميس ويوم الجمعة لثلاث وأربع خلون من ذى الحجة في القرية
 المعروفة بكيل أسفل المدائن بفرسخين . ومع ابن حمدان توزون وخجج
 والأتراك فكانت أولاً على بن عبد الله بن حمدان وانهمز أصحابه فردّهم
 ناصر الدولة وكان ناصر الدولة بالمدائن ثم صارت على أبي الحسين البريدي^(٦٣)
 فانهزم واستوسر من أصحابه يانس غلام البريدي أبي عبد الله وأبو الفتح ابن
 أبي طاهر ومحمد بن عبد الصمد ومذكر البريدي والفرج كاتب جيش
 البريدي واستأمن الى ابن حمدان محمد بن ينال الترجمان وإبراهيم بن أحمد
 الخراساني وحصل له جمع الديلم الذين كانوا في عسكر البريدي . وقبل جماعة

من قواد البريدي وعاد البريدي الى واسط مهزوما منلولا ولم يبق في على
ابن حمدان وأصحابه فضل لاتباعه لعظيم ما مرت بهم وللكثرة الجراح فيهم
واسبع خلون من ذي الحجة عاد المتقي لله من الزبيدية الى دار
الخلافة على ثلاث ساعات ونصف وعاد الحرم من سر من رأى ومن كان
هرب اليها من بغداد. ودخل ناصر الدولة يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة بقيت
من ذي الحجة بغداد وبين يديه يانس غلام البريدي وأبو الفتح بن أبي طاهر
والذكر البريدي مشهرين على جمالي وعلى رؤسهم برانس^(١) وكُتب عن
المتقي كتاب الفتح الى الدنيا ولقب المتقي لله أبا الحسن على بن عبد الله بن
حمدان لما فتح هذا الفتح سيف الدولة وأنفذ اليه خلعاً وكُتب فيه كتاباً
وانحدر سيف الدولة الى واسط فوجد البريديين قد أعدموا منها الى البصرة
وأقام بها ومعه الأتراك والديلم وسائر الجيش

﴿ ذكر حيلة ابن مقاتل على ناصر الدولة^(١) ﴾

وراسل أبو بكر محمد بن علي بن مقاتل ناصر الدولة على يد أبي زكريا
السوي فآخذ له أماناً من ناصر الدولة واشترط فيه ابن مقاتل ان يستقر
بينه وبين ناصر الدولة مصادرة ينرض بها ويطيّب نفسه لها أقام على ظهوره
وان لم يستقر عاد الى استناره فلما ظهر تباعد ما بينهما فقال له ناصر الدولة :
عد الى استنارك. فقال ابن مقاتل : لم أجد الي ذلك حداً فاذا شئت فقلت :
فضيح ناصر الدولة من ذلك لأنه مضطّر الى الوفاء بهده وعلم ان الحيلة قد
تمت عليه فاضطر الى ان فصل أمره على مائة وثلاثين ألف دينار

(١) زاد فيه صاحب التكملة : وسار في الجانب الغربي الى دار عمه أبي الوليد سليمان
ابن حمدان وهو بالقرب من الجسر

ونظر فاحصر الدولة في أمر النقد والعيار فامر بتصفية العين والورق
وضرب دنانير سماها البريزية^(١) من أجود عيار وكتب في ذلك كتابا
وفي هذه السنة استولى الديلم على آذربيجان

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

ان ديسم بن ابراهيم لما تمكن من آذربيجان وقد كتبنا خبره فيما
تقدم كان معظم جيشه الاكراد الا طائفة يسيرة من بقية عسكر وشمكير
اختاروا المقام معه حين رد عسكر وشمكير اليه فتبسط عليه الاكراد وزاد
أمرهم في الادلال والتحكم الى ان صاروا يتغلبون على حدود أعماله . فنظر
في أمره فلم يجد من يستظهر عليهم بهم الا الديلم فاجتذب جماعة من أكابرهم^(٢)
منهم صعلوك بن محمد بن مسافر وأسفار بن سياكولي ؟ وجماعة من أمثالهم
وصار اليه جماعة من الموصل وفيهم رجل كان من قواد بجكم (فنفاه بجكم من
عسكره لشيء أنكره منه) يقال له على بن الفضل الصولي فافضل عليه ديسم
ومولاه وعظم محله فاجتذب الديلم اليه فلما قويت شوكة ديسم بهم انتزع من
يد الاكراد ما كانوا تغلبوا عليه وقبض على جماعة من رؤسائهم وازداد من
عدة الديلم واستظهر بهم . وكان متولي وزارته أبو القاسم علي بن جعفر
وكان من كتاب آذربيجان وكثرت سعاية أعدائه به فاخافه ديسم وأوحشه
حتى هرب منه الى الطرم ليعتصم بمحمد بن مسافر فوافق وصوله اليه
الوقت الذي استوحش فيه ابنه منه وهسودان والمرزبان وملكا عليه قلة
المروفة بسيران . وكان السبب في وحشتها قبح سيرته وسوء معاملته لاهل

(١) زاد فيه صاحب النكتة : ويح الدينار منها بثلاثة عشر درهما بعد أن كان
عشرة وكتب ابن ثوابة عن المتني بذلك كتابا

بيته وقبضه عليهم لغير ذنب كبير وذلك اشهر كان في طبعه . وكان استوحش منه وهسودان فصار الى أخيه المرزبان وكان في قلعة من قلاع آية بالطرم فلمحمد بن مسافر انه لا يتمكن من القبض عليه الا بعد أن يفرق بينه وبين أخيه فكتب الى المرزبان يستدعيه فقال وهسودان له : اني لا أقيم في القلعة بمدك . وأعلمه انه ان^(٦٦) فارقه تمكن منه وقبض عليه فقال له المرزبان : فاخرج مني . فلما صاروا في بعض الطريق ظفرا برسول لا يهما كان أغذه سرا الى المقيمين في القلعة يأمرهم اذا خرج المرزبان أن يقبضوا على وهسودان والاحتياط عليه وعلى القلعة فمجبيا من ذلك وجمهما الاستيحاء من أبيهما فوصلا الى قلعة أبيهما وقد خرج أبوهما الى قلعة أخرى فمرّفا أمهما خراسويه ما كتب أبوهما فيهما وكانت أمهما هذه جزلة فساءدتها على القلعة وفيها ذخائر محمد بن مسافر وأمواله فالتوليا عليها وتمكنا منها فلما عرف محمد بن مسافر ذلك تحير في أمره وحصل في القلعة التي كان قصدها وحيدا قد فرق بينه وبين نعمته . فلما وصل على بن جعفر كاتب ديسم الى هذه الصورة اعتمهم بالمرزبان وأطعمه في آذربيجان فضمن له ان يملكه اياها فيوصله الى أموال جلييلة من ارتفاعها من وجوه يعرفها فنق عليه وقرب من قلبه وقلده وزارته . وانفقا مع ذلك على عصبة في الدين وذلك ان على ابن جعفر كان من دعة الباطنية وكان المرزبان معهودا فيهم فأذن له المرزبان أن يدعو الى هذا المذهب ظاهرا فاجتمع له كل ما أراد . وكاتب عسكر ديسم وكان يعرف من استوحش من ديسم^(٦٧) ومن هو غير راض عنه وهن لا يرضى مذهب ديسم لان ديسما كان يرى رأى الشراة وكذلك كان أبوه وكان يصحب هرون الشاري^(٦٨) اعنى أباه فلما قتل

(٦١) ظفر به الحسين بن حمدان في سنة ٢٨٣ (طبري ٣ : ٢١٤٩)

هرب الى آذربيجان وتزوج الى رئيس من أكرادها فولد ديسم فاصطنعه ابن أبي الساج وارثي معه الى ما ارتقى اليه .

ولم يزل علي بن جعفر يصمم أركانه ويفسد قلوب أصحابه وخاصة الديلم الى أن استجاب له أكثر أصحابه وكاتبوه وقالوا : ان صار الينا المرزبان فارقنا ديسما بأجمعنا . فلما وثق المرزبان بذلك من ثبات أصحاب ديسم سار الى آذربيجان وسار اليه ديسم فلما صافه الحرب قلب الديلم تراسهم في وجهه وصاروا الى المرزبان وكانوا يحو التي رجل واستأمن معهم كثير من الاكراد وحمل عليه المرزبان ففرق عنه من بقي معه وانهمزوا وهرب في طائفة بسيرة الى أرمينية واعتصم بجاجيق بن الديراني ليوذة كانت بينهما فأحسن ضيافته وحمل اليه ما يحمل الى مثله . فاستأنف ديسم يألف الاكراد وعرف خطاه في الاستكثار من الديلم وكان أشار عليه بعض النصحاء الفضلاء ان لا يرتبط من الديلم أكثر من خمسمائة رجل بمصاه . وملك المرزبان آذربيجان وجرى أمره على سداد بتدبير كاتبه علي بن جعفر الى ان أفسد ما بينه وبينه ^(٦٨)

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان له كاتب يعرف بابي سعيد عيسى بن موسى وبهرق بيسكويه فسمي عليه وأطعم المرزبان في ماله وكان علي بن جعفر قد أوحش جماعة من حاشية المرزبان فضافوا اليه وعارضوه في تدبيره وأحس علي بن جعفر بذلك فاحتال على المرزبان بان أطعمه في أموال عظيمة يثيرها له من بلد تبريز وتبريز هذه مدينة جالية وعليها سور حصين وحواليها غياض وأشجار مشرفة وهي حصينة وأهلها ذو بأس ونجدة ويسار . فضم اليه المرزبان جستان بن

شره زن ومحمد بن ابراهيم ودليز بن أورشنة والحااجب الحسن بن محمد المهلبى^(١) فى جماعة من ثقاته فسار على بن جعفر الى تبريز . فلما تمكن بها استمال أهل البلد وكتب الى ديسم يتلافاه ويستدعيه ويعدده من نفسه ان يقتل الديلم ويوازره حتى يعود الى مملكته . فأجابه ديسم بأنه لا يثق به الا بعد أن يوقع بالديلم فواطأ أهل البلد على الايقاع بهم وأعلمهم انه انما حضر لطمع المرزبان فيهم وان الديلم لا يساعدونه على صلاح أمرهم وهم لا يرضون الا باستئصالهم . فواطأ أهل البلد على الوثوب بهم فى يوم ذكره وأحضر القواد المذكورين فى ذلك اليوم فقبض فى داره عليهم وقتل الديلم فصار الى ديسم فى العسكر الذى أجمع له .

وكان المرزبان أساء الى^(٢) الا كراد الذين استأمنوا اليه فوافق ذلك ظهور ديسم بتبريز فصاروا بأجمعهم اليه وانصل بالمرزبان ما جرى على الديلم فقدم على الجاش على بن جعفر واستماع كلام أعدائه فيه واستوزر أبا جعفر أحمد بن عبدالله بن محمود وخلع عليه ولقبه المختار . ثم استعد وسار الى تبريز وقد سبقه ديسم فحرت بينهما حروب وثبت الديلم وانهمز الا كراد فماد ديسم الى تبريز متحصناً بها وحامي أهلها عليه وذلك لما سبق من فعلهم بالديلم وحاصرهم المرزبان . وابتدأ فى استصلاح على بن جعفر ومراسله واعطائه عهد الله وميثاقه والعصمة التى بينهما من الدين على ان يعود له فأجابه على بن جعفر بأنه لا يريد من جميع ما بذله له الا السلامة وانه ما غارق ديسم حين فارقه الأهرابا من المكروه ولا فارقه الآن وعاد اليه الأهرابا من مثل ذلك وان الذى ياتمه منه ان ينفية من العمل ويصونه فى نفسه وحاله ليلزم منزله

(١) هو الوزير وردت ترجمته فى ارشاد الايب ٣ : ١٨٠

ويروح ويقعدو اليه فأجابه الى ذلك وسفر بينهم من اللقات الذين بجمعهم
الدين من وثق له بجميع ما أراد فسكن اليه . واشتد الحصار على ديسم فلم
تلمة في سور المدينة لئلا يخرج منها هو وأصحابه الى أردبيل ولم يحسر
المرزبان على اتباعه في الوقت خوفا من أن يطف عليه في صعا اليكم^(٧٠) ويخرج
من ورائه أهل تبريز فتأخر عنه . وخرج اليه على بن جعفر فوفى له وأقام
أهل تبريز على ممازمتهم

﴿ ذكر ما آل اليه أمر ديسم بعد حصوله باردبيل ﴾
لما عرف المرزبان حصول ديسم باردبيل خلف على تبريز بعض جيشه
وصار في معظم المسكر اليه واستدعى أخاه وهسودان اليه في جماعة من
أطاعه وجد في محاصرة ديسم . وكان ديسم استوزر بعد مفارقة على بن جعفر
أبا عبدالله محمد بن أحمد النعماني فراسله المرزبان وتلف له ووعد ان يستوزره
فاستجاب له وآثره على ديسم وواطاه على التدبير عليه

﴿ ذكر حيلة النعماني على ديسم حتى فارق الحصار وخرج الى المرزبان ﴾
أخذ النعماني في المشورة على ديسم بأن ينفذ الى المرزبان وجوه أردبيل
ليسألوه الصلح ويعاهدوه ويستوثقوا منه بالايمان المؤكدة على ان يومنه
ليدخل في طاعته وخوفه من طول الحصار واستيحاء أهل البلد وأنهم سيواطئون
المرزبان ويسلمونه بأن يفتحوا له الباب وأعلمه انه قد وقف من ذلك على
أمر سيظهر له ان لم يبادر بالصلح . ونظر ديسم في أمره فوجد الصورة قريبة
مما خوفه منه وذلك ان الحصار كان قد اشتد وانقطعت الميرة عنه^(٧١) وعن
جنده وعن أهل البلد فالجميع في شدة والدمدمة كثيرة والناس مستوحشون

وهم على يأس من الصلاح وخوف من زيادة المكروه . وانفذ ديسم اليه وجوه
البلد وأعيانهم ومذكورهم ليتوثقوا له بالايان والمهود حتى أنس بها ويخرج
اليه ففعل القوم ذلك وتوثقوا له نهاية التوثيق . وراسل أبو عبدالله النعمي
المرزبان بأن يحبس هؤلاء الوجوه ولا يردم الى البلد الا بعد خروج ديسم اليه
لثلا يتغير الامر أو يحدث ما ينقض رأيه ولأن أهل البلد اذا حبس عنهم
وجوههم ورؤسائهم اجتمعوا عليه ولم يعملوه وعرفوه انه قد أمن على نفسه
بالايان التي سألها وسكن الى ما ينزل له وليس لتأخره عن الخروج وجه
ويشيد هو أيضاً كلامهم ويؤيده ولا يقنع منه الا بالخروج اليه في أسرع
وقت وأقربه . ففعل المرزبان ذلك واضطرب أهل البلد على ديسم لحصول
رؤسائهم في يد المرزبان فخرج اليه فلما آتاه خبره تلقاه وأكرمه وأعظمه
ووفى له بكل ما وافقه عليه وقلد أبا عبدالله النعمي وزارته وقبض على ابن
محمود وسلمه اليه فصادره وجميع أصحابه وصادر وجوه البلد واستخرج
أهوالا عظيمة . واستقامت أمور المرزبان وخطب له ^(٧٢) على جميع منابر
أذربيجان .

فليتبر الناظر في هذا الكتاب هل أتي هؤلاء الملوك الامن سوء
تحفظهم واشتغالهم عن ضبط أمورهم وتفتدها بلذاتهم وشروعاتهم وإغفالهم
أمر أصحاب الاخبار وتركهم لتعريف نيات وزرائهم وقوادهم وأمور عساكرهم
وتمويلهم على الاتفاقات والدول التي لا يوثق بها وقلة تصفحهم أحوال الملوك
قبلهم ممن استقامت أمورهم كيف كانت سيرتهم وكيف ضبطوا ممالكهم
ونيات أصحابهم بضروب الضبط أولا بالدين الذي يحفظ نظامهم ويملك
سرازمهم ثم بأصحاب الاخبار الثقات والعيون المذكاة على تدبير أمورهم

والتفقد لهم يوما يوما وحالا خلا وترك ابحاشهم ما أمكن ومدارة من تجب
مدارته والبطش بمن لا حيلة في استصلاحه ولا دواء اسيرته . وقد كان
خُصفااء الملوك يخرجون من خزائهم الاموال العظيمة جدا الى أصحاب
الاخبار ولا يستكثرونها في جنب ما ينتفعون به من جهاتهم

فاما ما انتهى اليه أمر ديسم فانه خاف بمد ذلك على نفسه وسأل الرزبان
ان يخرج به الى قلعة بالطرم ليقم فيها مع أهله ويقبض على ارتفاع ضياعه وهو
ثلاثون ألف دينار في السنة وهو دون ما كان يبذله الرزبان له ويتكلمه من
مؤوته^(١) فاجابه الى ذلك وحصل في القلعة مصونا في أهله ونفسه وضياعه
ودخلت سنة احدى وثلاثين وثلاثمائة

وفيهما وافى الامير أبو الحسين أحمد بن بويه الى عسكر أبي جعفر بازاء
البصرة وأظهر ان السلطان كاتبه في حرب البريدي فاقام مدة يحاربهم ثم
استأن جماعة من قواده الى البريديين مثل روستاباش وغيره فاستوحش من
المقام وعاد الى الاهواز بعد ان استأن الى جماعة من عسكر البريدي
وفيهما زوج ناصر الدولة ابنته^(٢) من الامير أبي منصور ابن المتقي ووقع
الاملاك والخطبة بخضرة المتقي ولم يحضر ناصر الدولة وجعل العقد الى أبي
عبد الله محمد بن أبي موسى الهاشمي وكان الخاطب القاضي الخرقى فلحن
في مواضع وجعل الصداق والنحلة واحداً وجعلها صدافا وكان الصداق
بثمانمائة ألف درهم والنحلة مائة ألف دينار ولم يحسن ان يعقد التزويج
فعقده ابن أبي موسى

وفي رجب من هذه السنة عبر الوزير أبو اسحق القرابطي الى ناصر

(١) واسمها عدوية كذا في التكملة

الدولة على رسمه فقبض عليه وعلى جماعة معه فكانت مدّة وزارته ثمانية أشهر وستة عشر يوماً^(١) وجعل اسم الوزارة على أبي العباس أحمد بن عبد الله الاصفهاني وخلع عليه المنتقى لله خلع الوزارة^(٢) في دار السلطان لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب وانصرف بها الى دار الامير ناصر الدولة فكان يلبس القباء والسيف والمنطقة في أيام المواكب والمدير الامور أبو عبدالله الكوفي وصوره القرائطي والكتّاب والمتصرفون

وكان ناصر الدولة ينظر في قصص أصحاب الجنايات من السامة وفيما ينظر فيه صاحب الشرطة وتقام الحدود الواجبة عليهم من ضرب وقطع يد ورجل بحضرتيه وتعرض عليه الايدي والارجل اذا قطعت وتعد بحضرتيه ويستوفي المدد عليهم ثلاثا يرتفق أصحاب الشرطة من الجناة ويطلقوا من غير علمه^(٣).

(١) قال صاحب تاريخ الاسلام في ترجمة سنة ٣٥٧ : هو محمد بن أحمد بن ابراهيم ابن عبد المؤمن أبو اسحق الاسكافي الكاتب المعروف بالقراريطي الوزير كان كاتباً لمحمد ابن رائق الامير ثم وزير ثم صار الى الشام وكتب لسيف الدولة ابن حمدان ثم قدم بغداد في وزارة المهدي فاكرمه ووصله وكان ظالماً عسوقاً توفي في المحرم وله ست وسبعمائة سنة (٢) وزاد صاحب التكملة : وصار عدل حاجب بجك بعد الى ابن رائق وبعد الى ناصر الدولة فقلده الرحبة واستولى عليها وكثر أتباعه . فانفذ ناصر الدولة بدر الخرشني لحربه فلما صار بدر بالدالية توقف عن المسير الى عدل وكاتب الاخشيدي محمد بن طفج وهو بدمشق يستأذنه في المسير اليه فاذن له وأخذ اليه القرب والجمل والروايا فسلك بدر البرية ووصل دمشق فقلده الاخشيدي المعاونة بها . وجعلت الرحبة وأعمال الفرات لعدل وطأه أبو على التومنجق وحصل لعدل من المصادرات التي الف درهم فانسعت يده وكثرت رجاله وأقبل الديلم والأتراك يقصدونه من بغداد في المرقعات فخلع عليهم . وتمت على عدل الحيلة من سهلون كاتب ناصر الدولة لانه أراد المضي الى يانس المولسي بالركة فتمه عدل من ذلك فقال له سهلون : قد كثرت أتباعك ولا يني بمؤنسك ماني يدبك وأنا أكتب عن ناصر

﴿ ذكر ما آل اليه أمر سيف الدولة بواسط مع الاتراك ﴾
﴿ وما اتصل بذلك من خبر ناصر الدولة ببغداد ﴾

كان سيف الدولة أبو الحسن مقيماً بواسط مفكراً في أن يسير بالجيش والأتراك إلى البصرة ليفتحها وكان أخوه ناصر الدولة يداً فمه يحمل المال وبضايق الاتراك خاصة وكان توزون وخبخج^(١) يُسيثان الادب على سيف الدولة بواسط ويتحكمان عليه حتى ضاق ذرعاً بهما . وكان ناصر الدولة قد أنفذ أبا عبد الله الكوفي إلى سيف الدولة أخيه ومعه ألفي ألف درهم وخمسين ألف دينار لينفق في الاتراك فوثب توزون وخبخج به بمحضرة سيف الدولة وأسماء مكروها فضمه^(٧٥) سيف الدولة إلى نفسه ثم ستره في بيت وقال لهما : أما تسمعان مني فتجاملاني في كاتبي ! ثم وافق سيف الدولة كاتب خبخج أن يسير خبخج إلى المذار ويُسوِّغه ارتفاعاً إذا هما ووافق أبا علي المسيحي كاتب توزون على المسير بتوزون إلى الجامدة ويوهب له ارتفاعاً وعليه حمايتها وانتظم هذا التديير وعاد الكوفي إلى مجلسه بمحضرة سيف الدولة ورهب أن يعود إلى منزله وعبر خبخج إلى غربي واسط للمسير واستعد توزون أيضاً للمسير إلى الجامدة . فوافى أبو عمرو المسيحي وقت الظهر ثلاث بقين من شوال هارباً من ناصر الدولة إلى أخيه ابنه على المسيحي

الدولة إلى يائس بنه اسم الرقة اليك . فقبه على ذلك فبلغا الخاوقة فقال له سهلون : الرأي أن أقدمك إليه . فطلب منه رهينة فقال : إن رأيت وقد أخذت رجل فظن (كذا) فتركه فلما حصل بالرقعة مع يائس كاتباً بني نمير . فلما عرف عدل الصورة سار إلى نصيبين فلقبه الحسين بن سعيد بن حمدان فاستأمن أصحاب عدل إلى الحسين فاسره وأبانه وسلمهما وأنفذهما إلى ناصر الدولة وشهرهما على جبلين .

(١) وفي النسخة هو جوجوخ

وكان معه توقيع من ناصر الدولة بخطه اليه يقول فيه : قد انصل طمعك في وانبساطك على وأنا محتمل وأنت مغتر وبغنى ادخالك يدك في وقف فلان ووالله لئن لم تخلصها وتقصير عن فملك المذموم لا قطعن يديك ورجليك . فزعم أبو عمرو المسيحي انه قرأه وانحدر وذكر انه قال له قبل ذلك بايام : يا مسيحي أنت مجتهد في أن تجعل توزون أميراً وعلى رأسك تحنو التراب ان بلغ ما تؤمله له لم يرضك كاتباً لنفسه وطلب ابن شيرزاد أو مثله وشبهه فاستكتبه وأنف منك فصادرك

فتلافى سيف الدولة أبا عمرو ^(٧٦) المسيحي وواراه وراسل توزون وسكنه . وكان سيف الدولة كثيراً يرهد الاتراك في العراق ويحملهم على قصد الشام معه والاستيلاء عليه وعلى مصر ويضرب بينهم وبين أخيه فكانوا يصدقونه في أخيه ويأتون عليه في البعد من العراق وكانوا يتسحبون على سيف الدولة ويطالبونه باستحقاقهم وينصون على ان يوفيههم يوم الستين من أيامهم استحقاقهم ويستصغرونه وأخاه . فلما وافى أبو عمرو المسيحي قالوا له : نحتاج أن تحمل مال قائد قائد ورجاله وتوفينا ذلك بالقبان وزنة واحدة مالا مالا . فاجاب الى ذلك قطعاً بالحجة وساموه ان يكون الوزن بالليل والنهار فصبر على ذلك كله وأذن فيه . وأخرج سيف الدولة أبا عبد الله السكوني ليلا وضم اليه ابن عمه أبا وليد في جماعة من العرب وأصعد معه بنفسه اشفاقا عليه ثم وصي العرب حتى بلغوا به المدائن . فلما كان ليلة الاحد انسلخ شعبان كبس الاتراك سيف الدولة بالليل وهرب من معسكره ولزم نهراً ^(١) بقرب معسكره فاداه الى قرية تعرف ببرقة وازم البرية حتى وافى

بغداد . وأضرَم الأتراك النار في عسكره وقد كان بقي من المال المحمول اليه مع السكوفي من عند أخيه شيء لم يفرق فيهم فهبوه ونهب جميع سواده^(٧٧) فهذا خبر سيف الدولة بواسط

فاما خبر ناصر الدولة ببغداد فان أبا عبدالله السكوفي وصل الى بغداد ولقي ناصر الدولة ووصف له الصورة فبرز ناصر الدولة الى باب الشماسية وركب اليه الممتقي لله في دجلة يسئله التوقف عن الخروج من بغداد فبرز ناصر الدولة غلماؤه الى الجانب الشرقي من بغداد وأكثر جيشه ليوم الأتراك أنه يعبر ويسير في الجانب الشرقي فلما حصل جيشه في الجانب الشرقي قطع الجسر . وسار ناصر الدولة في الجانب الغربي فنهبت داره وأفلت يانس غلام البريدي وأبو الفتح ابن أبي طاهر من الحبس وعادا الى البصرة واستتر أبو عبدالله السكوفي^(١) وخرج من بقي من الديلم ببغداد الى المصلي وعسكروا هناك وضبط الأتراك الذين كانوا ببغداد دار السلطان ورحل الديلم من المصلي ودبر الأمور بالحضرة أبو اسحق القراريطي من غير تسمية بوزارة وانعقدت الرئاسة بواسط لتوزون . فكانت مدة اماره ناصر الدولة أبي محمد ابن حمدان ثلاثة عشر شهرا وثلاثة أيام

﴿ ذكر ماجرى من أمر توزون بواسط مع الأتراك بعد ﴾
﴿ هزيمة سيف الدولة حتى تمت له الامارة ﴾

لما انصرف سيف الدولة من واسط على تلك الصورة وعاد توزون

(١) زاد صاحب التكملة : وابن مقاتل . وفي تاريخ الاسلام في ترجمة سنة ٣٥٠ انه مات في شعبان هذه السنة بمصر وهو متولى ديوان الخراج بها فوجدوا في داره ثلثمائة ألف دينار مدفونة . ولبراجع كتاب الولاة لابن عمر الكندي ص ٢٩٤

وخججج الى معسكرهما وقع الخلاف^(٧٨) بينهما وتنازعا الرئاسة ثم استقرت الحال على ان يكون توزون الامير وجيء بالأس والريحان اليه على رسم المعجم اذا ترأس واحد منهم وعلى ان يكون خجججج صاحب جيش وهو الاسفهلار وأمضى القواد ذلك عليهما بنير رضى جماعة ثم صاهر القواد بينهما وطمع البريدى بواسط فاصعد اليها وتقدم توزون الى خجججج ان ينحدر الى نهر أبان ويراعى من يرد من أحباب البريدى ويطلبه فنفذ . ووافى عيسى بن نصر برسالة البريدى الى توزون يهينه بالامارة ويسأله ان يضمه أعمال واسط ويعرفه عنه ان رأى تعجله الى الحضرة لخراج ابن حمدان عنها فاجابه جوابا جيلا وامتنع من التضمن وقال : اذا استقرت الامور تخاطبنا فى الضمان فاما وأنا بصورتي هذه وأنت تظن انى يطلب خائف من بني حمدان فلا وعسكرى عسكر يحكم الذى قد جربت وخبرت وطائفة منهم تقى بك . وانصرف عيسى بن نصر واتبعه توزون جاسوسا

هو ذكر سبب قبض توزون على خجججج وسلمه اياه .
فماذ اليه الجاسوس وأعلمه انه اجتمع مع خجججج وتخاليا طويلا وان خجججج على الاستئمان الى البريدى . فسار اليه توزون للثاني عشر من رمضان ومعه مائة غلام من الاتراك^(٧٩) ومائة من الخاصة واشكورج وجماعة من الكبار وكبسه فى فراشه فلما أحس به ركب دابة النوبة بقميصه وفى يده اتم ودفع عن نفسه سويعة ثم أخذوه وجاؤا به الى واسط وسلمه توزون^(٨٠) وهدأت نار خججججج

وسعى أبو الحسين على بن محمد بن مقلة فى الوزارة وراسل المتقى لله

(١) زاد صاحب التكملة : فى دار عبد الله بن بونس .

واستصلح قبل ذلك الترجان وضمن له مالا فبعت المتقى اليه : اتى واغبط
فيك مائل اليك محبٌ لتقليدك ولكن ليس يجوز ان أبتدي بذكرك
فاصلح أمرك مع الترجان وقل له يسميك مع جماعة فاني أختارك من بينهم .
فعمل ذلك واتى المتقى لله وقلده وزارته وانصرف الى منزله
وورد الخبر بنزول سيف الدولة المروفة

﴿ ذكر الخبر عن مصير سيف الدولة الى بغداد بعد ﴾

﴿ هزيمته وما انتهت اليه حالته ﴾

لما بلغ سيف الدولة خلاف توزون وخججج بواسط طمع في بغداد
فوافى المروفة وظهر المسترون من أصحابه من الجند وخرجوا اليه . وانحدر
أبو عمرو المسيحي كاتب توزون الى واسط مستترا هاربا الى صاحبه وانحدر
أيضا الترجان . وأرجف الناس بالحدار المتقى واضطرب الناس وأصبحوا على
خوف شديد فامر المتقى لله بالنسداء ببراءة الذمة ممن أرجف بالحدار^(٨٠)
وجاء سيف الدولة في يوم الاثنين لاربعة عشرة ليلة خلت من شهر رمضان
الى باب حرب فنزل في المضارب وعليه وعلى أصحابه أثر الضرر الشديد لما
لحقهم في البرية وخرج اليه أصحابه ومن يريد الاثبات وجرت بينه وبين
المتقى لله رسائل على يد أبي زكرياء السوسي وطالب بان يحمل اليه مالا
ووعده ان يقاتل توزون ان ورد الحضرة . فحمل اليه المتقى أربعمئة ألف
درهم في دفعات وانضم اليه كل من بقي بالحضرة من القواد وما زال يقول
في مجلسه : ما أنصفنا أبو الوفاء توزون حيث كبسنا في الليل ونحن نيام والا
فليحضر نهارا ونحن مستيقظون . ونحو هذا من الكلام .

وخلع المتقى لله على الوزير أبي الحسين بن مقيلة يوم السبت لاثني

عشر بقيت من شهر رمضان

ولما بلغ توزون وصول سيف الدولة الى بغداد خلف بواسط كيبلغ في ثلاثمائة غلام وأصعد مبادرا من واسط الى بغداد ولما اتصل بسيف الدولة خبر اصعاده رحل من باب حرب مع من انضم اليه من قواد الحضرة وفيهم أبو علي الحسن بن هرون ومضى على وجهه . ودخل محمد بن ينال الترجمان أذنا لتوزون الى بغداد لست بقين من شهر رمضان ودخل توزون من الندد ونزل دار مونس^(١) وأغتم البريدي بعد توزون من واسط فوافاه ثلاث بقين من شهر رمضان فنهب وأحرق واحتوى على الغلات وأخذ جميعها . وقبض توزون على أبي عمرو المسيحي كاتبه وقتل كتابته بأباجعفر الكرخي وسليم أبو اسحق القراريطي الى الوزير أبي الحسين ابن مقلة فصادره ﴿ ذكر الخبر عن تقليد توزون امرأة الامراء ﴾

لما حصل توزون ببغداد خلع المتقي عليه وعقد له لواء وقلده امرأة لامراء . وصار أبو جعفر الكرخي كاتب توزون ينظر في الامور كما كان الكوفي ينظر فيها فاما الكوفي فانه لحق بسيف الدولة وهرب معه . فكان مدة نظر الوزير أبي الحسين ابن مقلة في الامور الى ان ينظر فيها أبو جعفر الكرخي نحو شهر وقد كان كيبلغ لما استخلفه توزون بواسط أمره بقتال أبي الحسين البريدي فمجز عنه فاصعد الى بغداد . ولم يمكن توزون المبادرة بالجوع الى واسط الى ان تستقر الامور بالحضرة وتجهز جميع ما يحتاج اليه فاقام مدة شوال وأكثر ذى القعدة الى ان توطأت الامور واستقامت . وكان وقت هزيمة سيف الدولة من واسط أسر غلاما له يقال له نعل

(١) زدنا « مونس » من التسمية

عزيزا على سيف الدولة فاطمة ووهبه لسيف الدولة وأكرمه وأنفذه اليه^(٨٢)
في هذا الوقت لما حصل ببغداد خسن موقع ذلك منه ومن ناصر الدولة حتى
قال بالموصل : توزون صنيعة وقد قلده الحضرة واستخلفته بها . فسكنت
نفس توزون الى ذلك

وكان مغنيا على البريدي إقبح ماعامله به فانحدر توزون الى واسط وخلف
الترجمان ببغداد^(٨٣) وتقدم الى أبي جعفر الكرخي ان ياحق به وضمّن
ضياعه أبا الحسين ابن مقلة برغبة منه اليه بمائة وثلاثين ألف دينار في السنة .
ووافي في هذا الوقت أبو جعفر بن شيرزاد الى توزون هاربا من البريدي
فتلقاه توزون في دجلة وسرّ به وقال له : يا أبا جعفر كملت أمارتي بك وتمت
النعمة عندي لاجلك أنت أبي وهذا خاتمي (فنزعه من يده وأعطاه اليه)
فدبرني وصرّني على رأيك . فقبل أبو جعفر يده وسأله ان يمهله فلم يجبه
وكان أبو الحسن الاسمر واقفا وجماعة فقال الاسمر : بالله ياسيدي أجب
الامير وتصدق بصدقة وانظر في أمره ! فقبل ونظر في أمره وأنفذ طازاد
ابن عيسى آخر ذلك اليوم الى الحضرة لخلافته . فكان مدة كتابة أبي جعفر
الكرخي ونظره نيفا وعشرين يوما

﴿ ذكر سبب مفارقة ابن شيرزاد البريدي ﴾

﴿ والاتفاق الغريب له في ذلك ﴾

(١) زاد فيه صاحب التكملة : وخطب ابن مقلة كتابة توزون لعمه أبي عبد الله
(يعني الحسن بن علي بن مقلة وترجمته في ارشاد الارب ٣ : ١٥٠) وأنفذه اليه هدية
منها عشرون ثوبا ديقيا وعشرون رداء قصب وطيبا وذلك بعد ان استكتب توزون
القراريطي وصرّف التوبختي فلم يجب توزون الى ذلك وقال : لا يحسن بي صرفه بعد
ثلاثة أيام من استخدامي له .

كان يوسف بن وجيه صاحب عمان وافي (في) ذى الحجة في مراكب
وشذات يُريد البصرة يحارب بني البريدي^(٨٣) وكان معه من محارب بقوارير
النار فأحرق شذاتهم وذبذبهم فلك الأبله وضغظهم فحرب في تلك الوهلة
أبو جعفر ابن شيرزاد ومعه طلازاد وغيره . فلما سبب هزيمة يوسف بن
وجيه بعد تمكنه فسنذكره .

(ذكر حيلة تمت على يوسف بن وجيه)

كان قد استظهر استظهارا شديدا وقارب ان يملك البصرة وكان مع
البريدي ملاح يعرف بالزيادي فلما ضغظ يوسف بن وجيه البريديين
وأشرفوا على الهلاك قال هذا الملاح : ان أنا هزمت العدو وأحرقت
مراكبه مات صنع ، فوعده الاحسان اليه ان فعل ذلك ولم يرفه الملاح
ما يريد ان يعمل وكتم أمره ومضى فاخذ بالذهار زورقين وليس يعلم أحد
لماذا يريد هما ولم يأخذ معه أحدا من أسباب البريدي ومضى فلا الزورقين
سمعا (ومثل هذا لا يكرر بالبصرة) وحدرهما في أول الليل (ومثل ذلك
بالبصرة كثير لا يستراب به) وكان رسم مراكب ابن وجيه ان تُشد بعضها
الى بعض بالليل في عرض دجلة فيصير كالجسر فلما كان في الليل ونام الناس
وكان من في المراكب أشعل ذلك الملاح السف وأرسل الزورقين والنار
فيهما فوقما على تلك المراكب والشذات فاشتعلت واحترقت قلوبها
وتقطعت واحترق^(٨٤) من فيها ونهب الناس منها مالا عظيما ، وانقلم يوسف
ابن وجيه ومضى هاربا على وجهه وانكشف وجه البريدي ووفى للملاح
بما وعد له .

(وفيها استوحش المتقى من توزون)

﴿ ذكر السبب في الوحشة بين توزون والمتقى ﴾

﴿ وما آل اليه الامر فيه ﴾

كان الترجان قد نفر من توزون لشيء بلغه عنه وكان أبو الحسين ابن مقله خائفا من توزون لانه خسر في مال ضمانه وأشفق أن يطالبه به وبه أسكه وزاد في نفوره تقلد أبي جعفر ابن شيرزاد كتبه توزون . وما شك أخذ ان أبا جعفر ابن شيرزاد وافى عن موافقة البريدى فطارت نفس ابن مقله خوفا من ابن شيرزاد وان يطالبه بمال ضمانه واقطاع توزون وخاف الترجان وغيره وساءت الظنون . وغلب القنوط على الكافة من أهل الحضرة فوقع التدبير بين أبي الحسين ابن مقله وبين الترجان على مكتابة ناصر الدولة في انفاذ من يُشيع المتقى ويخرجه اليه وقيل للمتقى : ثبت للبريدى بالامس فجرى ما ندمت عليه وأخذ منك خمسمائة الف دينار وخرجت الى ناصر الدولة في دفعته الثانية فاظفرك الله وعُدت موفورا وقد ضمنك بخمسمائة الف دينار أخرى وقال لتوزون « هي باقية في يدك من تركة بجكم » وهذا ابن شيرزاد وارد لتسليمك بعد خلعك . فانزعج واعتبر بما مضى على^(٨٥) مستأنف أمره وأصعد بعد ذلك أبو جعفر ابن شيرزاد الى الحضرة في ثلاثمائة غلام

وفيهما ورد الخبر بموت نصر بن أحمد بخراسان واتصاب نوح ابنه مكانه

(ودخلت سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة ح)

ووافى أبو جعفر ابن شيرزاد الخمس بقين من المحرم فدخل بغداد فلم يشك المتقى لله والجماعة في انه انما وافى لما أرجف به ولقى المتقى لله في اليوم الذي وصل الى بغداد فيه وحمل الوزير أبو الحسين والترجان المتقى لله على القبض عليه فلم يفعل . وبادر أبو جعفر بالانصراف وأمر ونهى وأطلق

القراريطي من الاعتقال ونظر فيما كان ينظر فيه الوزير

ووافي أبو عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان فنزل باب حرب في جيش كبير فخرج اليه المتقي لله وحرمه والوزير أبو الحسين ابن مقله والترجمان^(١) واستتر ابن شيرزاد وخرج وجوه أهل الحضرة وكتائبها . فلما بلغ المتقي تكريت ظهر ابن شيرزاد وطالب الناس وخطبهم

وأنحدر سيف الدولة من الموصل ومعه الجيش وبلغ توزون وهو بواسط ماجرى بالحضرة من خروج المتقي والوزير من بغداد فجرد موسى ابن نسيان في ألف رجل وبأدربه الى بغداد . وامتد موسى الى باب الشمسية وعسكر^(٢) هناك وأقام توزون حتى عقد واسطا على البريدي ثم أصعد ودخل بغداد وقلد الشرطة غلامه صافيا . وأنحدر ناصر الدولة ومعه الجيش^(٣) ووصل الى تكريت فلقاه الخليفة وسار توزون الى عكبرا وعبر من الجانب الشرقي الى قصر الجص بسر من رأى . وصاعد المتقي لله الى الموصل ومعه أبو الحسين الوزير وأبو اسحق القراريطي وأبو زكريا السوسى وسار سيف الدولة للقاء توزون فاشتبكت الحرب بينهما أسفل من تكريت بفرسخين وناصر الدولة بتكريت فدامت الحرب بين سيف الدولة وتوزون يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء فلما كان يوم الخميس انهزم سيف الدولة . وأصعد معه ناصر الدولة ونهب الاعراب بعض سوادها وملك توزون وشغب أصحاب توزون فأنحدر الى بغداد . وتأهب سيف

(١) زاد صاحب النسخة : وسلامة الطولوني وأبو زكريا السوسى وأبو محمد السادراني والقراريطي وأبو عبد الله الموسوى وغيرهم (٢) وفي النسخة : انه أنحدر في بنى نيمر وبنى كلاب وبنى أسد .

الدولة للقاء توزون ثانية فأنحدر الى تكريت وخرج توزون الى باب الشماسية ثم سار الى ناحية أخرى^(١) وواقعه هناك فانهزم سيف الدولة وتبعه توزون . فلما وصل سيف الدولة الى الموصل سار منها وسار ناصر الدولة والمتقى والوزير وسائر من معهم الى نصيبين ودخل توزون الموصل ومعه ابن شيرزاد وأبو عبدالله بن أبي موسى الهاشمي واستخرج^(٨٧) ابن شيرزاد من الموصل نحو مائة ألف دينار

ورحل المتقى وحرّمه ومن معه من نصيبين الى الرقة ولحق بهم سيف الدولة وقد كان توزون عند خروجه من بغداد زوج ابنته من أبي عبد الله البريدي وعقد الإيماء بالشماسية وأنفذ المتقى لله أبا زكرياء السوسي الى توزون في رسالة يقول فيها : اني استوحشت منك لاجل البريديين لقبح ما يفعلونه دفعة بعد دفعة وأبلغت انكما اجتمعتمما وصرتما يدا واحدة فخرجت من الحضرة والآن فقد مضى ما مضى فان آثرت رضائي فصالح ناصر الدولة وارجع الى الحضرة فاني اذا رأيتك مطيعا لي عدت واستقامت لك الامور بي وبرضائي وكان الله عونك . قال أبو زكرياء : فلما وردت حضرة توزون اتهمني وعمّ بقتلي فخلصني ابن شيرزاد وقال : أيها الامير أنا والله سألت أبا زكرياء الخروج مع الخليفة إليه الينا وليكون خليفتنا بحضرتك فان كان متهما فانا منهم . ثم أدت الرسالة فتقبلها ابن شيرزاد وأشار على توزون بالاجابة وسفرت في الصلح الى ان تم^(٢) وصح لابي جعفر ابن شيرزاد قبل الصلح

(١) وهي « جربي » كذا في التكملة (٢) قال فيه صاحب التكملة : فقال ابن سعيد : يا أمير المؤمنين اني أخافه على نفسي . فقال : اذا قصدت الصلاح كفيت . فقلت له : فان لم يتم الصلح أعود الي وطني . قال : قد أذنت لك . فقلت يده . فلما جئت

وبمده زيادة على مائتي الف دينار . وعقد البلد على ناصر الدولة ثلاث سنين
كل سنة بثلاثة آلاف الف وستمائة الف درهم^(٨٨) وانصرف توزون الى بغداد
وتواترت الاخبار بنزول الامير أبي الحسين أحمد بن بويه واسطاً
وكان على وعد من البريديين بمسك الماه فاخلقوه وانحدر اليه توزون بحاربا
له والتقى في الموضع المعروف بقباب حميد وطالت الحرب بينهما بضمة عشر
يوماً على اجتهاد شديد بين الفريقين الا أن توزون كان يتأخر كل يوم ويتقدم
الديلم على سبيل الزحف وعلى عادتهم في مثل ذلك وكثر القتل من الجانبين
الى ان عبر توزون نهر ديبالى يحصل في الجانب الذي يلي بغداد وقطع جسوراً
كان يعمدها عليه . فلما صار بينهما النهر ثبت الاتراك وكان مع توزون زبازب
وخيل في الماه فيها غلمان رماة فكانوا يستولون في كل يوم على قطعة من
خزائن أحمد بن بويه وزواريق عسكره ثم يحولون بين العسكر وبين الماه
فيعطشونهم ودوابهم فرأى من الدولة ان يصعد على ديبالى الى نحو جسر
النهر وان ليعبد عن دجلة ويقرب من الماه ويحتال الميرة فقد كانت ضاقت
عليه وأحس توزون بذلك

﴿ ذكر حيلة تمت على معز الدولة حتى انهزم بعد استظهاره ﴾

وعبر توزون بخمسمائة من الاتراك مع تسكين الشيرزادى والف
فارس من العرب فيهم ابراهيم المطوق وقطينه وأمثالهم من حيث^(٨٩) لم

الموصل هم الاتراك بي وارتاب توزون بوصولي قتل : أيها الامير قد كنت أسفر
بينك وبين ابن رائق وهل عرفتني الامستقيا ؟ قال : صدقت . قتل : انا رجل
سنى وأرى طاعة الخليفة وخرجت معه احتساباً لا أطلب الدنيا وقد أنقذنى رسولا وأنهم
أولادى ورييتكم وأرى الصلح . وأشار عليه ابن شيرزاد بذلك ووردت الاخبار بمجيء
معز الدولة الى واسط فاجب توزون انعام الصلح وحصل لابن شيرزاد الخ

يشعر بهم معز الدولة فلما سار وسار سواده في أثره خرج عليهم القوم فخالوا
بينه وبين السواد ووقعوا في العسكر على غير آمية . وتمجّل توزون فعسير
بجناحة من أصحابه سباحة ولم يزل يقتل ويأسر حتى ملّ . وأفلت معز الدولة
مع الصيمري ^(١) ونفر يسير معه بأسوأ حال وحصل بالسوس واجتمع اليه
نفر من الفلّ بعد أيام وعاد توزون الى بغداد

وفي صفر من هذه السنة ظهر لصّ يقال له ابن حمدي وكان أعمي
السلطان فخلع عليه ابن شيرزاد وأثبتته برسم الجند ووافقه على ان يصحح في
كل شهر خمسة عشر ألف دينار مما يسرقه وأصحابه وأخذ خطه بها فكان
يُستوفى منها ويأخذ البراءات وروزات الجيّد بما يؤدّيه أولاً أولاً
وفي هذه السنة قتل أبو عبد الله البريدي أخاه أبا يوسف

﴿ ذكر السبب في قتل البريدي أخاه وما جرى ﴾

﴿ بعد قتله اياه وعاقبة أمره ﴾

كان أبو عبد الله البريدي لما حاصره سيف الدولة أيام مقامه بواسط احد
عشر شهراً ثم توزون بمعه ضاقت به الامور فاضطربت رجاله وعملوا على
الاستئمان الى أبي يوسف أخيه ليساره . واستقرض من أبي يوسف قرضاً
بعد قرض فكان يعطيه النزر اليسير وذكر تخلفه ^(١٠) وتضييعه وإبه
بالاقبال ثمّ له ما تمّ لا لتدبير ثمّ تدبى ذلك فصار يذكر جنونه وعجلته .
وصح عند أبي عبد الله ان أبا يوسف يريد القبض عليه واعتقاله لان يجري

(١) زاد صاحب التكملة : وأخذ في جملة ابن الاطروش المعروف بالداعي

العلوي (والاطروش هو أبو محمد الحسن بن علي الحسيني من ولد عمر الاشرف) وأبو
بكر ابن قرابة وكان قد وافي مع الديلم فصودر على عشر بن ألف دينار

عليه جناية على نعم فاستوحش كل واحد منهما من صاحبه
فخى اسرائيل الجهمذ وكان خصيصا بابي عبدالله انه استدعاه وشكا
اليه حاله في الاضافة ثم قال : تم الى أبي يوسف أخى (وأوما الى درج بين
يديه وفتحها فاذا فيه حب لؤلؤ وياقوت أحمر وأزرق يهر الناظرين) وقال :
احمل هذا اليه وسله ان يقرض عليه عشرة آلاف دينار . وكان مافى الدرج
قد وهبه بحكم لابنته سارة التى تزوج بها وكان يحكم أخذه من دار الخليفة
فأخذه أبو عبد الله منها قال اسرائيل : فمضيت الى أبي يوسف وحدثته
بجميع ما خاطبني به أخوه وأخرجت الدرج اليه فقال لى : يا أبا الطيب من
سوء تحصيله يرى ولو مدت دجلة مالا لبدده هذا رجل حصل له من
واسط فى كراته التى تولاه ثمانية آلاف الف دينار أما وجب ان يستظهر
بألف ألف دينار . فقلت : ياسيدي ومن أولى به منك على تصرف كل حال ؟
ففضل بما طلب . فقال : انى قد أعطيته الى هذا الوقت ومنذ انصرف من
واسط . خمسين الف دينار وما تلى عينه ابعث الى الجوهرين^(١) واحضرم
حتى يقوموا هذا الجوهر وأعطيه قيمته . فوجه اليهم وحضروا وأخرجه
اليهم فقالوا : لاقيمة له تحدّ واذا حضر ملك يرغب بحكم صاحبه ولوانتهى
فى السوم الى أقصى غاية . فاشتطّ وقال : يا جهال من قال لكم انى مروان
الاموى (فانه كان راغبا فى الجوهر وحضر للابتياح) أو خمارويه بن أحمد
وابن الجصاص ؟ قوموه بما اذا طالبكم به بكرة صحتهم العصر .
فقوموه خمسة آلاف دينار فقال : اعطونى خطوطكم بها . فثبتوا ثم ردوها
الى خمسين الف درهم وضمنوها فقال : هذا أعطيك . فقلت : ياسيدي
اجعلها خمسة آلاف دينار . فقال : قم ودع فى القيمة فضلا لطلبه فانه سيعاود

ويطلب . فانصرفت بخمسين الف درهم الى ابي عبد الله وحديثه الحديث فقال : لا اله الا الله قل له : يا ابا يوسف جنوني الذي ذكرته وقلة تحصيلي أقدمك هذا المقعد وصبرك كمقارون : ثم عدد ما عمله معه وودعت عينه وتبين الشر في وجهه . فلما كان بعد أيام نحو العشرة أقام غلمانه وفيهم يانس واقبال وربيب وملاح يانس في مخترق قد سُقِف بين باب داره (وكانت دار فضلان الساجي) بالابلة وبين الشط . فسكن له هؤلاء ووثبوا عليه بالسكاكين وما زال يصيح « بأخي قتلوني قتلوني » وأبو عبد الله^(١٢) يقول « الى لعنة الله » فخرج أبو الحسين أخوه وكان ينزل في جواره الى روشن دجلة وقال : يا أخي قتلته فقال : يا فاعل خربت اسكت والا ألحقك به . فجمع أبو الحسين نفسه وشغب الجند وظنوه حياً فنبشوا واطهره لهم فسكنوا ثم أعاده الى قبره

وانتقل الى الدار بسماران فساعة مملكتها طلب الجوهر فأحضره قال اسرائيل : دخلت اليه فقال لما رأي : يا غلام هات الدرج . فأحضره اياه فقال لي : يا أبا الطيب أخذنا المال والجوهر ومضى الفاعل بن الفاعل الى لعنة الله . ثم أودع أبو عبد الله هذا الجوهر ابنة أبا القاسم سرّاً وأمره أن يستره فلما توفي أبو عبد الله وملك الامر بعده أخوه أبو الحسين طلب هذا الجوهر طلباً شديداً فلم يجد له أثراً وقيل « أودعه من لا يعرف » ولما خرج ابنة الى هجر أخذته معه فسأله الهجريون ان يُريهم اياهُ ففعل ذلك ووهب لهم منه حبة واحدة فلما حضر مدينة السلام في أيام أبي الحسين معز الدولة طلبه منه ليراه فأحضره عنده ووسط أبا محمد عبد الله بن يحيى ليتاعه منه فامتنع من بيعه ثم رأى الوجه في يمه فاستجاب فقوّم بما قومه تجار البصرة فقال أبو

مخلد : حط منه ثمن الحبة التي أخذها المجرىون . فأعطى ثلاثة آلاف دينار عن قيمة خمسة^(١٣) وأربعمين الف درهم وأحالهُ بذلك على كار الثمر واستوفاهُ

وكان أبو عبد الله البريدى يَهمُّ أبا الحسن ابن أسد بالضررب يَبنه وبين أخيه وقيل له : ان عنده ستة عشر ألف الف درهم . فلما ملك الأمير أخرج اليه دفترٌ فيه ثبت ودائع أبي يوسف بخطه فلم يجد فيه وديعة عند أحد الا ما عند ابن أسد فطالبهُ بها وبسط منه وأقره على ما كان يتولاهُ . فضى الى منزله وحمل اليه الى الف درهم وخمسمائة الف درهم ولم يظهر له وعرفه انه لا وجه للباقي وان أخاه حصل عليه ذلك من عجز بعد عجز لحقه في مدة سنة معه وأخذ خطه بها انها وديعة له عنده . وكان في أسفل الثبث الذي وُجد له عمل الكل سنة عملاً بالضممان وما صحَّ منه بالامانة وما تحصل من العجز الذي أخذ خطه به وجمع ذلك وكان بازاء العجز وهو ثلاثة عشر ألف الف وخمسمائة الف درهم . فقامت قيامة أبي عبد الله وقال : دم أخى في رقية ابن أسد فاني قتلتُه طمعا في المال . فضى ولم يصل اليه ثم آمنه فظهر وقام بحجته شفاها وذكّر ان له بقايا هذه السنة في النواحي زيادة على أربعة آلاف الف وله أصحاب منهم أبوالملاء صاعد بن نابت وأبوه وأخوه وأبو على الانبارى وقد هرب فتوسط أمره القاضي أبو الحسين بن نصرويه^(١٤) وصحّ لابى عبد الله من جميع الوجوه على أحوال قبيحة مع الالفى الالف والخمسمائة الالف الدرهم الموجودة عشرة آلاف الف درهم وتاه الباقي وذهبت نفس أبي يوسف

وفيها قبض أبو العباس اشكورج الديلى وكان توزون قلده الشرطة

يبتعد على ابن حمدي اللص^(١) وضرب وسطه فخف مكرهه اللصوص
عن الناس وانقطع شرهم بعد ان تحارس الناس بالليل بالبوقات وامتنع عنهم
النوم خوفا من كبساته .

وفيهما ورد الخبر بدخول الامير أبي الحسين أحمد بن بويه واسط وانحدر
من كان بها من أصحاب البريدي الى البصرة

وفيهما صار محمد بن يثال الترجمان الى سيف الدولة وهو بالرقعة فمات به
سيف الدولة على أشياء بلغته عنه وكان أنهم بانه عقد الرئاسة لنفسه على المعجم
وواطأ المتقى لله على الايقاع بسيف الدولة فجحد محمد بن يثال ذلك فلما خرج
من حضرته بعد العتاب وثب به غلمان سيف الدولة بسوفهم فقتلوه .

وفيهما ورد الخبر بموت سليمان بن الحسن أبي طاهر القرمطي وانه جدير
ومات وصار الامر لاختوته بعده

﴿ ذكر الخبر عن الاصبهاني الذي احتال لقتل ﴾

﴿ القرامطة بايديهم حتى كاد يفنيهم ﴾

كان ابن سنبر يماذي المعروف بابي حفص الشريك فاحتال في حياة
أبي طاهر بان أحضر رجلاً^(٢) من أهل اصبهان فكشف له أسراراً كان
أبو سعيد الجنابي كسبها له في حياته ولم يكشفها لغيره وعرفه وواضع دفائن
له لم يعلم بها غيره ولم يعلم أبو طاهر ان أباه أبا سعيد كشف ذلك لابن سنبر
فقال ابن سنبر لهذا الرجل الاصبهاني : امض الى أبي طاهر وعرفه انك
الرجل الذي كان أبوه وهو يدعوان اليه فاذا هو سألك عن العلامات

(١) وردت حكاية تاجر مع ابن حمدي هذا في كتاب الفرج بعد الشدة

١٠٨: ٢ وفيه يقال له « ابن حمدون » : وهذا هو غلط .

والدليل أظهرت له هذه الأسرار . وشرط ابن سنبر على هذا الاصبهاني ان يكون اذا تمسكن من الامر قتل أبا حفص الشريك ، فضمن له الاصبهاني ذلك فضى الى أبي طاهر وأعطاه العلامات وحدثه بالاسرار فلم يشك في صحة تلك العلامات فوثب أبو طاهر وقام بين يديه وسلم الامر اليه وقال لاصحابه : هذا هو الذي كنت أدعوكم اليه والامر له . فتمسكن الرجل من الامر وثبت ووفي بما كان ضمنه لابن سنبر وقتل أبا حفص الشريك . ثم كان يأمر أبا طاهر واخوته بقتل من يشاء ويقول « قد مرض » يعني أنه قد شك في الدين فيقتل وأخذ يقتل واحداً واحداً من رؤساء القوم وأهل البصائر منهم والنجدة وأمره بمقتل مطاع لا يخالف الى ان أتى على عدد كثير منهم . وكان اذا أمر الرجل أن يقتل أخاه أو أباه أو ابنه لم يتوقف وبادر الى امتثال أمره فخافه أبو طاهر ^(٩٦) وبلغه انه عمل على قتله فقال لاختوته : قد وقع على غلط وشبهة في أمر هذا الرجل وليس هو صاحب الامر الذي يعرف ضمائر القلوب ولا تخفي عليه الأسرار ويمكنه ان يُريء المريض ويعمل كل ما يريد . وجاءوا الى الرجل فعرّفوه ان والديهم عليه وسألوه ان يدخل اليها ونوموا والديهم على فراش وغطوها بازاء فدخل اليها فلما رآها قال لهم : هذه علة لا يרא صاحبها فطهرها (معناه اقتلواها) . فلما قال لهم ذلك قالوا لامهم : اجاسى . فجلست وقالوا : انها ثقي عافية وأنت كذاب . فقتلوه .

وكان لهم سبعة من الوزراء أكبرهم ابن سنبر وكان أبو طاهر له اخوان أبو القاسم سعيد بن الحسن وأبو العباس الفضل بن الحسن ولهم أخ آخر لا يدخل معهم في أمورهم يقال له أبو يعقوب اسحق مُقبل على التبريد

والقصص وأمر الثلاثة واحد وكلهم واحد لا يخالفون فكانوا إذا أرادوا عقد أمر أو ورد عليهم أمر ركبوا أو أصبحوا واتفقوا على ما يعملون ولا يطعمون أحدا على أمرهم فإذا انصرفوا أو ضروا ما اتفقوا عليه^(١)

(١) وأما أبو طاهر القرمطي فليراجع ما في تاريخ الاسلام في ترجمة سنة ٣٣٢ : هذا تنبيه أخبار أبي طاهر سليمان بن أبي سعيد الحسن بن بهرام الجنابي القرمطي ذكرها المصنف في غير موضعه وأمر أن تلتحق هنا فالحققتها حسب مرسومه قال : كان أبوه يحبه ويرجحه للامر بعده وأوصي « أن حدث بي موت فالامر الى أبي سعيد الى أن يكبر أبو طاهر فيعيد أبو سعيد اليه الامر » وكان أبو سعيد قد عا ومرد وأخاف العباد وهزم الحيوش . وكان قد أسر فيمن أسر خادما فحسنت منزلته عنده حتى صار على طعامه وشرا به وكان الخادم يتطوى على اسلحه فلم ير أبا سعيد يصلي صلاة ولا صام شهر رمضان فأنفضه وأضر قتله . فخلاه وقد دخل حماما في الدار ووثب عليه فزبحه ثم خرج ودعا بعض قواد أبي سعيد فقال له : كام أبا سعيد . فلما حصل ذبحه ثم استدعى آخر ففعل به كذلك حتى فعل ذلك بمجموعة من الكبار وكان شجاعا قويا جدا . ثم استدعى في الآخر رجلا فدخل في أول الحمام فاذا الدماء تجري فادبر مسرعا وصاح فتجمع الناس . وقد مر ذلك في سنة ٣٠٨ وأخذ سعيد ذلك الخادم فنرض لحمه بالمقاريض الى ان مات .

فلما كان في سنة ٣٠٥ سلم سعيد الامر الى أخيه أبي طاهر فاستجاب لابن طاهر خاقا واقتنوا به بسبب أنه دلم على كنوز كان والده أطامه عليها وحده فوقع لهم أنه علم عينا وتخبير موضعا من الصحراء وقال : أريد أن أحفر ههنا عينا . فقيل له : هنا لا ينبع ماء فخالفهم وحفر فنبع الماء فازدادت فتنتهم به ثم استباح البصرة وأخذ الحبيبيج وفعل المظالم وأرعب الخلق وكثرت جوده وتزلزل له الخليفة . وزعم بعض أصحابه أنه إله ومنهم من زعم أنه المسيح ومنهم من قال « هونبي » وقيل « هو المهدي » وقيل « هو المنهد للهدي » وقد هزم حيوش الخليفة المقتدر غير مرة ثم أنه قصد بغداد ليأخذها فدفع الله شره وقد قتل بحرم الله تعالى مقتلة عظيمة لم ينم مثلها قط في الحرم وأخذ الحجر الأسود . ثم لم يممه الله بعد ذلك فلما أشقى على التلف سلم ملكه الى أبي الفضل ابن زكريا الجومسي العجمي .

قال محمد بن علي بن رزام السكوفي : قال لي ابن حمدان الطيب : أفت بالقطيف

وفي هذه السنة مات أبو عبد الله البريدي بحمدى حادثة مكث فيها سبعة أيام فكان بين قتله أخاهُ أبا يوسف وبين موته ثمانية أشهر وثلاثة أيام فتبارك الله رب العالمين .^(٩٧) فتحدث أبو القاسم ابن أبي عبد الله البريدي بعد زوال أمره ومصيره الى بغداد ان أباه لما مات بالبصرة انتصب أخوه

أعاجل مريضاً فقال لي رجل : أنظر ما يقول الناس يقولون ان ربهم قد ظهر . فخرجت فاذا الناس يهرعون الى ان أتينا دار أبي طاهر سليمان القرمطي فاذا بفلام حسن الوجه درى اللون خفيف العارضين له نحو عشرين سنة وعليه عمامة صفراء تعميم العجم وعليه ثوب أصفر وفي وسطه منديل وهو راكب فرسا شهباء اسمه أبو الفضل المجوسي والناس قيام وأبو طاهر القرمطي وأخوته حوله فصاح أبو طاهر باعلا صوته : يا معشر الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فانا أبو طاهر سليمان بن الحسن اعلّموا انا كنا وياكم حير وقد من الله علينا بهذا (وأشار الى الفلام) هذا ربي وربكم والمهي والمهكم وكنا عباده والامر اليه وهو يملكنا كلها . ثم أخذ هو والجماعة التراب ووضعوه على رؤسهم ثم قال أبو طاهر : اعلّموا يا معشر الناس ان الدين قد ظهر وهو دين أينا آدم وكل دين كنا عليه فهو باطل وجميع ما توصلت به الدعاة اليكم فهو باطل وزور من ذكر موسى وعيسى ومحمد أمّا الدين دين آدم الاول وهؤلاء كلهم دجالون محتالون فالعنوهم . فلمنهم الناس وكان أبو الفضل المجوسي (يعني الفلام الامرد) قد سن لهم اللواط ونكاح الاخوات وأمر بقتل الامرد الممتنع وكان أبو طاهر ليطوف هو والناس عراة به ويقولون « الهنا عز وجل »

قال ابن حمدان الطيب : أدخلت على أبي الفضل فوجدت بين يديه أطباقاً عليها رؤس جماعة فسجدت له كعادتهم والناس حوله قيام وفيهم أبو طاهر فقال لابي طاهر : ان الملوك لم يزل تعد الرؤس في خزائنها فسلوم (وأشار الي) كيف الحيلة في بقائها بغير تغيير . فسألني أبو طاهر فقلت : الهنا أعلم ويلم ان هذا الامر ما علمته ولكن أقول على التقدير ان جملة الانسان اذا مات يحتاج الى كذا وكذا صبر وكافور والرأس جزء من الانسان فيؤخذ بحسابه . فقال أبو الفضل : ما أحسن ما قال . قال ابن حمدان : وما زلت اسمع الناس تلك الايام يلعنون ابراهيم وموسى ومحمداً وعليه وأولاده ورأيت المصحف يمدح به الغايط .

أبو الحسين مكانه . وكان لابي عبد الله عسكر مقيم بنهر الامير بازاء الامير
أبي الحسين أحمد بن بويه وعسكر آخر بمطارا وكان ديلم أبي عبد الله
مضمومين الى يانس غلامه وكانوا يعملون اليه وكان بين يانس وبين أبي
الحسين مباينة في الباطن وعداوة ولما تمكن أبو الحسين من الرئاسة أخذ

وقال أبو الفضل لكتابه ابن سنبر : أكتب كتابا الى الخليفة فصل لهم على محمد
وكل لهم من جراب الثروة . قال ابن سنبر والله ما تنبسط يدى لذلك . وكان لابي
طاهر أخت فاقضها أبو الفضل وذبح ابنها لها في حجرها وقتل زوجها ثم عزم على قتل أبي
طاهر . فبلغ ذلك أبا طاهر فاجمع رأيهم ورأى ابن سنبر ووالدة أبي طاهر على ان يمتحنوها
ويقتلوه فاتباه فقال : يالهنا ان فرجة أم أبي طاهر قد ماتت وتشبهى ان تمضى لشق
جوفها ونحشوه جبرا . (وكان قد شرع لهم ذلك) ففضى معها فوجد فرجة مسجاة
قاسر بشق بطنها فقال أبو طاهر : يالهي أشبهى ان تحيها لى . قال : ما تستحق فانها كافرة .
فعاوده مرارا فاستراب وأحسن بتغييرها عليه فقال : لا تمجلا على ودعاني أخدم دوايكا
الى أن يأتى أبي فاني سرقته منه العلامة فيرى في رأيي . فقال له ابن سنبر : وبلك
هتكت استارنا وحرمتنا وكشفت أمرنا ونحن نرتب هذه الدعوة في ستين سنة لا يعلم
ما نحن فيه فانت لو رأيت أبوك على هذه الحالة لقتلك قم يا أبا طاهر فاقتله . قال :
أخشى ان يمسخني . فقام اليه سعيد أخو أبي طاهر فقتله وأخرج كبده فأما كانه أخت
أبي طاهر . ثم جمع ابن سنبر الناس وذكر حقه فيهم لأنه كان شيخهم وقال لهم : ان
هذا السلام ورد بكذب سرقه من معدن حق وعلامة موه بها فاطنناه لذلك وأنا
وجدنا فوقه غلاما يتكحه فقتلناه . وقد كنا نسمع أنه لابد المؤمنين من فتنة عظيمة
يظهر بعدها الحق وهذه هي فارجموا عن نكاح المحرمات واطفؤا بيوت النيران واتركوا
اتخاذ الغلمان وعظموا الانبياء عليهم السلام . فضج الناس بالصياح وقالوا « كل يوم تقولون
لنا قولا » فانفق أبو طاهر أموالا كان جمعها أبو الفضل في أعيان الناس فسكنوا .

قل ابن حمدان الطيب : وبعد قتل أبي الفضل اتصلت بخدمة أبي طاهر فاخرج
الى يوما الحجر الاسود وقال : هذا الذي كان المسلمون يمدونه . قلت : ما كانوا
يمدونه . فقال : بلى . قلت : أنت أعلم . وأخرجه الى يوما وهو ملفوف بثياب ديق وقد
طليه بالمسك فمرقنا انه معظم له . ثم انه جرت بين أبي طاهر وبين المسلمين حروب

في الاستظالة على الديلم والاتراك ويستخف بهم فنفرت قلوبهم منه . وأحس يانس بذلك فضى الى أبي القاسم مولاة وابن مولاة أبي عبد الله فقال له : ان كان عندك مالٌ أصلحت لك قلوب الرجال وعمدت لك الرئاسة . فاعترف له أبو القاسم ان عنده ثلاثمائة الف دينار فاصالح له قلوب الديلم والرجال وواطأهم على الايقاع بابي الحسين وعقد الرئاسة لابني القاسم وضمن لهم عنه الاحسان . فسار الجيش الذي كان ينهر الامير الى سماران وكان أبو الحسين بها فكبسوه وهونأثم فخرج من تحت السكيلة ومضى ماشيا متكررا الى الجعفرية وكاتب المجرى يستجير بهم وقصدهم فقبلوه أحسن قبول وسألهم ان يماونوه على الرجوع الى البصرة وردّه الى أمره فضمنوا له ذلك وأقام عندهم^(٩٨) نحو الشهر وتقررت الرئاسة بالبصرة لابني القاسم ابن أبي عبد الله . ثم سار أبو الحسين من هجر ومعه من اخوة أبي طاهر اثنان وصاروا الى سور البصرة فوجدوا أبا القاسم قد حفظه بالرجال واحترس منه

وأور وضف جانبه فقتل من أصحابه في تلك الومات خاق وقلوا فطلبوا من المسلمين الامان على أن يرد الحجر الاسود وان لا يتعرض للحجاج أبدا وان يأخذ على كل حاج ديناراً ويخفهم فطابت قلوب الناس وحجوا آمين وحصل له أضاف ما كان ينتبه من الحاج . وقد كان هذا الملعون بلاه عظيمها على الاسلام وأهله وطالت أيامه ومنهم من يقول انه هلك عقيب أخذه الحجر الاسود والظاهر خلاف ذلك . فلما ضف أمر الامة ووهت أركان الدولة العباسية وتغلبت القرامطة والمبندعه على الاقاليم قويت همة صاحب الاندلس الامير عبد الرحمن بن محمد الاموي المرواني فقال « أنا أولى الناس بالخلافة » وتسمى بامير المؤمنين وكان خليفاً بذلك فانه صاحب غزو وجهاد وهيبة زائدة استولى على أكثر الأندلس ودانت له أقطار الجزيرة

اتهى ما للحقه المؤلف بخطه من أخبار أبي طاهر القرمطي في غير موضعه فالحفته هنا . ولا قوة الا بالله في كتابه مثل هذا مضى ونسأل الله العفو والسلامة

فلم تسكن لهم حيلة في الوصول الى البلد وطال مقامهم فضجر الهجريون
وكاتبوا أبا القاسم وسفروا بينه وبين عمه في الصلح وسألوه ان يؤمنه ويأذن
له في الدخول الى البصرة واحتاط أبو القاسم في أمره الى أن تأهب واختار
الشخص الى بغداد فأذن له وأطلقه فخرج وصار الى مدينة السلام
ثم طمع يانس في الرئاسة وازالة أبي القاسم عنها فواداً روستاباش فلما
انقعد الامر بينهما تحرك روستاباش والديلم واجتمعوا في دار روستاباش .
وآثر روستاباش الايقاع بيانس والتفرد بالرئاسة فلما خرج يانس من عنده
أتمه بمن يوقع به فتحرك يانس ورماه الديلمي بزوبين ووقع في ظهره
وهرب وصار الى خراب بقرب دار أبي القاسم ولم يعرف له أحد خبراً وكان
ليلا وسار روستاباش الى دار لشكرستان وكان نقيب الديلم والمدير ليانس .
وكان قد جنح أبو القاسم لما عرف الخبر وهم بالجلوس في طيَّاره^(١١)
والخروج عن داره فلما عرف لشكرستان ان روستاباش قد أوقع يانس
وعزم على التفرد بالرئاسة لم يطمعه وصاح الديلم وزبرهم فتفرقوا ومضى
بعضهم في الوقت معتذرا وهرب روستاباش بالليل عند تفرق الناس عنه
واستتر واصبح أبو القاسم وقد استقام أمره . وعرف خبر يانس لحمله الى
داره مكرما ووجد روستاباش فنفاه الى حيدة وعولج يانس الى ان برأ وأبو
القاسم منهم له فلما كان بعد أيام قبض عليه وعلى اشكرستان وصادر يانسا على
مائة الف دينار ثم نفاه الى عُمان فلما حصل على الحديدى لينزل به خرج اليه
بعض غلمان أبي القاسم فقتله وقتل لشكرستان وتمكن أبو القاسم من الرئاسة .
وفيها عرض لتوزون يوما وهو جالس لاسلام والناس وقوف بين يديه
صرع فوَّاب ابن شيرزاد وموسى بن سليمان ومدّا في وجهه رداً كان على

رأس موسى وحجزوا بينه وبين الناس ثلاث يروه على تلك الصورة وصُرف
الناس وقيل لهم ان الامير قد نار المراه به من خمار لحة.

وفي هذه السنة خرج عسكر الامة المعروفة بالروس الى آذربيجان
ومصدوا برذعة وماسكوها وسبوا اهلها^(١٠٠)

هو شرح اخبار الروسية وما آل اليه امرهم

هولاء امة عظيمة لهم خاق عظام ولهم باس شديد لا يعرفون الهزيمة
ولا يولي الرجل منهم حتى يقتل أو يقتل . ومن عادة الواحد منهم أن يحمل
آلة السلاح ويُعلق على نفسه أكثر آلات الصنّاع من الفاس والمنشار
والمطرقة وما أشبهها ويقاتل بالحربة والترس ويتقلد السيف ويُلق عليه
عمودا وآلة كالدهشني ويقاتلون رجالة لاسيما هولاء الوادين . وذلك انهم
ركبوا البحر الذي يلي بلادهم وقطعوه الى نهر عظيم يعرف بالكركر يحمل
من جبال آذربيجان وأرمينية ويصب الى البحر وهو نهر برذعة الذي
يشبهونه بدجلة . فلما وصلوا الى الكركر توجه اليهم صاحب المربان^(١٠١)

وخلفته على برذعة وكان معه ثلاثمائة رجل من الديلم ونحو من عددهم
صعاليق وأكراد واستنفر العامة فخرج معه من المطوعة نحو خمسة آلاف
رجل لجهاد هولاء وكانوا مغترين لا يعرفون شدتهم وحسبوا انهم يجرون
مجرى الارمن والروم . فلما صافوهم الحرب لم تكن الاساءة حتى هلت
الروسية حملة منكورة فهزموا العسكر ووات المطوعة بأسرهم وسائر العسكر
الا الديلم فانهم ثبتوا ساعة فقتلوا كلهم^(١٠١) الا من كان بينهم فارسا واتبعوا
القل الى البلد فهرب كل من كان له مركوب بجملته من الجند والرعية

(١) وفي التمهلة هو المرزبان بن محمد « يعني ابن محمد بن مسافر

وتركوا البلد، فنزلته الروسية وملكوه.

فحدثني أبو العباس ابن نُدَّار وجماعة من المحصلين ان القوم بادروا الى البلد ونادوا فيه وسكنوا الناس وقالوا لهم : لا منازعة بيننا وبينكم في الدين وانما نطلب الملكَ علينا ان نُحسن السيرة وعليكم حُسن الطاعة . ووافقهم العساكر من كل ناحية فكانوا يخرجون اليهم ويهزمونهم وكان أهل برذعة يخرجون معهم فاذا حملوا عليهم المسلمون كبروا ورجوهم بالحجارة فكانت الروسية تتقدم اليهم بان يضبطوا أنفسهم ولا يدخلوا بين الساطان وبينهم فيقبل أهل السلامة منهم خاصة فاما العامة ومُعظم الرعايا فكانوا لا يضبطون أنفسهم ويظهرون ما في نفوسهم ويتمرضون لهم اذا حمل عليهم أصحاب الساطان . فلما طال ذلك عليهم نادى مناديتهم بالا يُقيم في البلد أحد من أهله وأجلوهم ثلاثة أيام من يوم نداءهم فخرج كل من كان له ظهر يحمله ويحمل حرمةً وولده وهم نفر يسير وجاء اليوم الرابع والاكثر مقيمون فوضعت الروسية فيهم سيوفهم فقتلوا خلقاً عظيماً لا يحصى عددهم وأسروا بعد القتل بضعة عشر الف رجل وغلام^(١٠٢) مع حرمهم ونسائهم وبناتهم وجعلوا النساء والصبيان في حصن داخل المدينة وهي شهرستان القوم وكانوا نزلوه وعسكروا به وتحصنوا فيه . ثم جمعوا الرجال الى المسجد الجامع ووكلوا بابوايه وقالوا لهم « اشترُوا أنفسكم »

﴿ ذكر تدبير صواب أشار به بعضهم فلم يقبلوا منه حتى ﴾

﴿ قتلوا باجمهم واستبيحت أموالهم وذرائعهم ﴾

كان بالبلاد كاتب نصراني له رأى سديد يعرف بابن سمعون وكان يسمى في السفارة بينهم ووافق الروسية ان يُبتاع كل رجل منهم بشربين

درهما فتابعه على ذلك حقلاء المسلمين وخالفه الباقون وقالوا : انما يريد ابن سمعون ان ياجت المسلمين بالنصارى في أداء الجزية . فامسك ابن سمعون وتوقف الروسية عن قتل الرجال طمعا في هذا القدر اليسير ان يحصل لهم من جهنم فلما لم يحصل لهم شيء وضعوا فيهم السيوف فقتلوه عن آخرهم الا عددا يسيرا أخرجوا في قناة ضيقة كانت تحمل الماء الى المسجد الجامع والا من اقتنى نفسه بذخيرة كانت له . فربما وافق الواحد من المسلمين الروسي على مال يقتنى به نفسه فحضر معه الى منزله أو خانوته فاذا استخرج ذخيرته وكانت زائدة على مال موافقته لا يمكن صاحبها منها وان كانت^(١٠٣) أضمافا مضاعفة عليه وعطف بالمطالبة حتى يحتاجه فاذا علم انه لم يبق له عين ولا ورق ولا جوهر ولا فرش ولا كسوة أفرج عنه وأعطاه طينا مختوما يأمن به من غيره فاجتمع لهم من البلد شيء عظيم يحل قدره ويمظم خطره وكانوا قد حازوا النساء والصبيان ففجروا بهن وبهم واستعبدوهم .

فلما عظمت المصيبة وتسامع المسلمون في البلدان بنحبرهم تنادوا بالنفير وجمع المرزبان بن محمد عسكره واستنذر الناس وأتاه المطوعة من كل ناحية فسار في ثلاثين ألف رجل فلم يقاوم الروسية مع إجماع هذه العدة ولا أمكنه أن يؤثر فيهم أرا فسكان يناديهم القتال ويرأوحوه وينقلب عنهم مفسولا واتصت الحرب بينهم على هذه الصورة أباما كثيرة فكانت الدبرة أبدا على المسلمين . فلما أعيا المسلمين أمرهم ورأى المرزبان الصورة التبا إلى الحيلة والمكيدة واتفق له ان الروسية لما حصلوا بالمراغة تسبوا في الناكهة وهناك أنواع كثيرة منها فرضوا ووقع فيهم الوبا لان بلادهم شديدة البرد ولا ينبت فيها شجر وانما يحمل اليهم الشيء اليسير من البلاد

الشاسعة عنهم . فلما تحقق عددهم وفكر المرزبان في الحيلة وقع له أن يكمن لهم ليلاً وواطأ عـكره^(١٠٤) أن يُبادروا الحرب فإذا حل عليهم القوم انهزم هو وانهزموا معه وأطعمهم بذلك في العسكر والمسلمين فإذا تجاوزوا موضع الكمين عطف المرزبان ورجاله عليهم وصاحوا بالكمين بشعار اتفقوا عليه فإذا حصل الروسية في الوسط تمكنوا منهم . فلما أصبحوا على هذه المكيدة تقدم المرزبان وأصحابه وبرز الروسية وأميرهم راكب حمار وخرج رجاله واصطفوا للحرب جفروا على عادتهم وانهزم المرزبان والمسلمون واتهمهم الروسية حتى تجاوزوا موضع الكمين واستمر الناس على هزيمتهم . فحكى المرزبان بعد ذلك أنه لما رأى الناس كذلك وصاح بهم واجتهد بهم أن يرجعوا للحرب فلم يفعلوا لما تمكن في قلوبهم من هيتهم علم أنه استمر الناس على هزيمتهم عاد القوم فلم يخف عليهم موضع الكمين ويكون ذلك هلاكهم قال : فرجعت وحدي مع من تبغى من أخى وخاصتى وغلمانى ووضبت في نفسى الشهادة فحينئذ استجيا أكثر الديلم فرجعوا وكررنا عليهم وناديناهم « الكمين » فخرجوا من وراءهم فصدقناهم الحرب وقتلنا منهم سبعمائة نفس فيهم أميرهم وحصل الباقون في الحصن الذي كانوا فيه من البلد وقد كانوا نقلوا اليه غلات كثيرة^(١٠٥) وميراً عظيمة وحصلوا فيه السبي والاموال . فبينما المرزبان في منازلهم وهو لا يتقدر لهم على حيلة سوى المصاهرة اذ ورد عليه الخبر بدخول أبى عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان آذربيجان وانتهائه الى سلماى واجتماعه مع جعفر بن شكويه الكردي في جمهير الهداينية^(١) واضطر الى أن خلف على حرب الروسية

(١) وفي الاصل (الهداينية) والصواب فيما بعد وهم صنف من الاكراد

أحمد قواده في خمسمائة من الديلم والاب وخمسمائة فارس من الاكراد
والأفغن من المطوعة وسار الى أوران ولقي أبا عبد الله فاقتتلا قتالا خفيفا
وسقطت ثلجة عظيمة واضطرب أصحاب أبي عبد الله لان معظمهم اعراب
وساروا عنه فسار بسيرهم الى بعض المدن الحصينة فلقية في طريقه كتاب
من ابن عمه ناصر الدولة يُعلمه فيه وفاة توزون بمدينة السلام واستئمان رجاله
اليه وانه قد عمل على الانحدار معهم الى بغداد ومحاربة معز الدولة لانه كان
دخلا فاستولى عليها بعد اصماد توزون عنها ويأسره بالتخيلة عن أعمال
أذربيجان والانسكفاء اليه فعمل .

فم يزل أصحاب الرزبان عن قتال الروسية وحصارهم الى ان ضجروا
واففق ان زاد الرباء عليهم فكان اذا مات الرجل منهم دفنوا به سلاحه^(١٠٦)
وثيابه وآلته وزوجته أو غيرها من النساء وغلامه ان كان يحبه على سنة لهم
فاستثار المسلمون بعد زوال أمرهم مقابرهم فاستخرجوا منها سيوفًا ينافس
فيها الى اليوم لمضائها وجردتها . فلما قل عدددهم خرجوا ليلا من الحصن
الذي كانوا فيه وحملوا على ظهورهم كل ما أمكنهم من المال والجواهر
والثياب الفاخرة وأحرقوا الباقي وساقوا من النساء والصبيات والصبايا
ما شاؤوا ومضوا الى الكرك وكانت السفن التي خرجوا فيها من بلادهم معدة
فيها مع ملاحهم وثلاثمائة رجل من الروسية كانوا يمدونهم بأقساطهم من
غنائمهم فجاءوا فيها ومضوا وكفى الله المسلمين أمرهم

فسمعت ممن شاهد هؤلاء الروسية حكايات عجيبة من شدتهم وقلة
مبالاتهم بمن يجتمع عليهم من المسلمين فمن ذلك خبر شاع في الناحية وسميته
من غير واحد ان خمسة نفر من الروسية اجتمعوا في بستان برذعة وفيهم

غلام أمرد وضى الوجه من أولاد رؤسائهم ومهم نسوة من السبي وان
المسلمين لما عرفوا خبرهم أحاطوا بالبستان واجتمع عدد كثير من الديلم
وغيرهم على حرب أولئك النفر الخمسة واجتهدوا في ان يحصل لهم أسير واحد
فلم يكن اليه سبيل لانه كان لا يستسلم أحد منهم ولم يكن^(١٠٧) قتالهم حتى قتلوا
من المسلمين أضعافا كثيرة ليدتهم وكان ذلك الامرد آخر من بقي فلما علم
انه يؤخذ أسيرا صعد شجرة كانت بالقرب منه ولم يزل يجرح نفسه بخنجر
معه في مقاتله الى ان سقط ميتا .

وفي هذه السنة ظهر للمتمقي من بنى حمدان ضجرت به وبغائه عندهم
وشهوة لفارقتهم فراسل توزون في الصالح فتلقى توزون ذلك بنهاية الرغبة
فيه والحرص عليه ووردت رسالة المتقى لله الى توزون مع الحسن بن هرون
وأبي عبد الله بن أبي موسى الهاشمي وتوثقا من توزون واستحلفاه ايمانا
مؤكدة للمتمقي وللوزير أبي الحسين ابن مقلة وأحضر توزون القضاة
والمدول والعباسيين والطلبين ومشايخ الكتاب حتى حلف بمحضرتهم
للمتمقي لله وكتب بذلك كتابا وأحكم ووقت فيه الشهادة من جميع من
حضر على توزون .

﴿ ودخلت سنة ثلاث وتلاثين وثمانمائة ﴾

ولما كان يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة خلت من المحرم وصل
الآخشيدي الى حضرة المتقى لله وهو بالرقعة ولقيه بها وأعظمه المتقى بنهاية
الاعظام ووقف الآخشيدي بين يديه وقوف العلمان وفي وسطه سلاح ثم
ركب المتقى وثنى بين يديه الآخشيدي فأمره ان يركب فلم يفعل^(١٠٨) ولم يزل

على تلك الحال محتاطا بالاعلان الى ان نزل من ركوبه^(١) وحمل اليه هدايا ومالا وحمل الى أبي الحسين ابن مقله عشرين الف دينار ولم يدع كتابا ولا حاجبا الأبره . واجتهد بالمتقى لله ان يسير معه الى مصر والشام فيكون بين يديه فلم يجبه الى ذلك وأشار عليه بالمقام مكانه فلم يقبل فلما امتنع عليه من الامرين عدل الى الوزير أبي الحسين وأشار عليه بان يسير معه الى مصر وضمن له إنفاذ أمره وترك الاعتراض عليه في شيء يدبره فخالفه . وكان أبو الحسين بعد ذلك يظهر التندم ويقول « نصحنى الاخشيذ فلم أقبل » وكانت دنائير الاخشيذ في صندوق أبي الحسين الى ان انتهت المساقبض على المتقى لله^(٢)

(١) وقال ابن العديم في تاريخه زبدة الحباب : وكتب الاخشيذ في هذه السفرة الى عبده كافور الخادم الى مصر وقال له : وما يجب ان تقف عليه أطال الله بقاءك ان اغيت أمير المؤمنين بشاطئ الفرات فاكرمني وكناني وقال : كيف أنت يا أبا بكر أعزك الله فرحاً بأنه كناه والخليفة لا يكنى أحداً (٢) وفي خلع المتقى لله قال صاحب كتاب العيون : قال أبو محمد الفرغاني . خدني ذكاً مولى الراضي قال : فلما بلغ المتقى الى الرحبة أقام بها أياماً الى أن هل هلال صفر ثم انحدرنا الى عانة فاستقبلنا الحسين بن المرزبان وهو رجل كان من خزان بيت المال فلقى المتقى فسأله عن أخبار توزون والعجم وما في نفوسهم وما ظهر له من عزمهم في أمره فذكر عنهم طاعة وموالة وسرورا بقدوم السلطان قال ذكاً : وكان الحسين هذا أحد من اصطنعته فخلوت به وقلت : عرفني ما في اعتقاد القوم للسلطان . فذكر أنه يدخل الى دار توزون ويفتش عن سرائرهم فلم يتبين منهم شيئاً يكرهه قال ذكاً : وكان الامر كما ذكرته لم يظهر منهم ذلك ولا كان لهم عزم عليه الى ان قربنا فسمي في القنعة من أفسدها والسبب في ذلك ان حسن الشيرازية لها ابنة متزوجة بابي أحمد الشيرازي وكانت حسن هذه وابنتها امرأتين سوء مشهورتين بشرب الخمر والفاحشة وكانت تدخل الى عبد الله بن المكتفي وتضي الى جماعة من المعجم بحال قبيحة وكانت تستبضع رجلاً منهم يعرف بابن مالك الديلمي

ولما توثق المتقي لله من توزون انحدر من الرقة يُريد بغداد في الفرات
ومعه غلامان من غلمان الاخشيذ ومحمد بن فيروز ونقط فلما وصل الى هيت

نظيف الوجه وكان له عند توزون موضع ومحل وكان ابو عبدالله بن سليمان يكتب لذلك
الدليلى فكانت اذا جاءت اليه تطيل عنده وتكثر السرار معه فقال ابن سليمان الدليلى :
أراك تطيل سرار هذه المرأة فاكشف لي الحال فانك ان تجد مساعدة مثلي . فقال
الدليلى : هذه المرأة تزعم ان هاهنا رجلا يقال له عبد الله بن المكثني يلتزم الحلافة
ويضمن انه يحمل الى توزون اذا قبض على المتقي سبمان ألف دينار على انه يعلم المتقي
وحاشيته وانه يضمن ان يجلبني حاجبه وسألني ان أكون سفيرا بينه وبين توزون . فقال
ابن سليمان : أنا أحكم لك هذه القصة وأبلغ من توزون كلما تحب بعد ان تضمن
لي ان تستكتبني ولا تزليني أنت عن خدمتك . فضمن الدليلى لابن سليمان ما شرطه
واجتمع الدليلى وابن سليمان عند دكلا وكان دكلا متمكنا من توزون يقبل مشوره
ويأخذ برأيه وكشفا لدكلا الحال وسألاه ان يدخل معهم فاعتنق النضية وأوصلهما الى
توزون وسألها عليه أن يقبل قولهما فيما سرياه وان يقبض على المتقي عند وروده فلما
وقف ترزون على ذلك أكرهه وقال : كيف يجوز ان أقبل هذا وقد عاقدا وأشهدت على
نفسي سائر الناس واشتهر هذا عني في البلدان ؟ فقال له : ياسيدنا هؤلاء بني العباس فيهم
قوة الوفاء وقد استوحش هذا الرجل وليس والله تأمن مكره فينبغي أن تهمل الحيلة عليه
قبل ان يختار عليك وتقبل ما أشار به عبدالله بن المكثني وتأخذ منه هذا المال الذي قد
بذله فهو أصلح لك من خدمة رجل لا تأمنه على نفسك (قال ذكا) : وكان توزون
حدث السن فلم يزالوا به حتى أفسدوا زينه ثم شرطوا عليه ان لا يعرف كاتبه ابن شيرزاد
ما وافقوه عليه وقالوا : ما تأمن أن يشير عليك بضد ما قد أشرنا خبنا منه وإليه الى المتقي
ولا تأمن أن ينفذ الى المتقي من يذره فيفلات من يدك . فسمع هذا توزون وكتبه عن
ابن شيرزاد .

وأراد توزون الاجتماع مع عبد الله بن المكثني وكره ان يحضره اليه فيشيع خبره
فعمل على الاصعاد اليه الى دار ابن طاهر وأمر أن لا يظهر أحد في دجلة ولا في المدينة
بعد العشاء الاخرة لئلا يلقاه أحد فيقف على قصده وكان يصعد في زرب ومعه دكلا
وابن مالك وابن سليمان فيسيرون الى جزيرة بازاء دار ابن طاهر ويخرج عبد الله بن
المكثني وينزل اليهم ويتحالفون ويمقدون الرأي والتدبير على المتقي ويضمن عبد الله بن

أقام بها وأنفذ القاضي الحرقى وابن شيرزاد حتى جددا على توزون الايمان واليهود والمواثيق وأكرم المتقى لله توزون ولقبه المظفر وعاد القاضي الى

المسكني لتوزون المال . وكان يبلغ ابن شيرزاد فيظن ان هذا كله تدبير عليه ولما وافى المتقى الى هيت أنفذ القاضي الحرقى وأبا القاسم سلامة أخا نوح الطولوني الى نورون ليشاهد حاله ويكشف عما في نفسه فوصلا الى بغداد ولما توزون فاطمهما سرورا بقرب السلطان وانحدر معهما الى دار فدخلها وأمر بتدبير موضع من القصر وأمر باصلاح ما تشمت من الدار وانصرف الى داره وردهما الى المتقى . وتقدم الى ابن شيرزاد بالخروج الى الانبار لياقي المتقى وجرى قطعة من المعجم وخرج توزون فاقام على البقي على موضع بالسندية على ست فراسخ من بغداد . وأقام المتقى بهت ستة أيام الى ان وافاه رسوله غلاما وسألها عما شاهداه من توزون فوصفا عنه كل جبل وعرفاه انه يجتهد في عمارة الدار وكان يثق بالقاضي الحرقى ثقة تامة فسكن الى ذلك (قال ذكا) : فلما وقف على ذلك رسل من هيت ورحلنا معه فوافينا الانبار ولفيه بها ابن شيرزاد فترجل وقبل الارض بين يديه وأمره بارتكوب فركب . وأخذ يستلثه عن اخبار توزون وهو يصنف له حسن طاعته وخلوص موالاه وشدة سروره وإبهاجه بقدم مولاه (قال) وبتنا بالانبار ثم رحلنا من الدار فريد بغداد وأخذنا على الطريق الاوسط الى ان قربنا من السندية وقد كان قدم له مضربا الى السندية فضرب له بازاء مضرب توزون فلما قرب من السندية وأبطأ عن تلقيه توزون عجب من ذلك ولاننا من عرفنا ان توزون أخذ على طريق الفرات . فعدرا ان السلطان يرافى على شط الفرات ولم يكن لاسر كما حكاه وأبها هو مضى ليخرج وراء المتقى فيتوكل به ويجمع أسبابه ولا يفوته منهم أحد . وقال ابن شيرزاد وقد كان مع المتقى : تأذن مولانا أمضي اليه فاعرفته ان مولانا قد أخذ هذا الطريق لياحق به ؟ فقال له : افعل . فمضى وعاد الى جاني ربيع في وسطه سدره فوقف تحت ظلها ووقفنا بين يديه نحو خمسين غلاما وسبق كل من كان مع السلطان الى المضرب ونزلوا فلم يزل المتقى واقفا ونحن معه حتى لاح لنا غبرة من ورائنا فلما انها موكب توزون وأقبل يسير حتى دنا منا فقال لابنه أبي منصور : امض أنت ومعه الفدان حتى تستقبله . فمضى (قال ذكا) وكنت معه فلما قربنا منه استقبلنا ابن خاقان ورجع معنا حتى وصلنا اليه وهو سائر على تعبى بالسلاج والمدة فقبل على أبي منصور ابن الخليفة وهو راكب ولم يوفه حقبة كما يجب من الترحيل فانكرونا ما رأينا منه (قال ذكا)

هيت وعرف المتقي انه قد أحكم الامر مع توزون . وخرج توزون لليلة بقيت من صفر الى البثق الذي كان بالسندية ونزل الوزير أبو الحسين على

وسمت أنا عليه وكانت بيني وبينه أحوال وكيدة وكان اذا أراني بشر بي فارد على السلام ولارد على أحد وقد كان بلغنا انه طيل ففندونا انه اضمف ناله من الملة وسبقناه الى المتقي وجئت فوقنت بين يديه فلما وافى توزون سمعت المتقي يقول : اذا كان عثلا على هذه الصورة على غير حرب فكيف يكونون في الحرب ؟ ثم قال لا ، خافان : اخرج حتى توصله الي راكبا . فخرج من الحائط وأوصله اليه بعد ان أوما ان ينزل خارج الحائط ودارت دياملة توزون حول الموضع الذي كان المتقي فيه واقفا وكذلك فرسانه وترجل هو وجماعة من القواد وتقدم الى المتقي فقبل الارض ثم قبل يده ورجله وتبسم المتقي اليه وأظهر سرورا به ثم قال : الحمد لله الذي جمع بيننا يا أبا الوفاء وأزال ما كان في القلوب . فقال بالفارسية : الساعة تبصر مولاي أي خدمة أخدمه . ثم قال له المتقي : اركب يا أبا الوفاء فليس يحتمل الوقوف . فركب وسار المتقي وتأخر عونا وقام على تل ونحن لانعلم ما يريد وما يراد منا وقد كان المتقي آخر حرمه والخدم خلفه لئلا تقع عليهم عيون العجم فوجه اليهم توزون بقراطة كانوا معه فوكل بكل من كان وراءنا من الخدم والحرم وغيرهم وسار هو من وراءنا . فوجه اليه المتقي بعبد الواحد بن عثمان الشرائي : قد ركبت عمارة وأنت عليل فبحيانى الاركبت أنت أيضا عمارة . فقال للرسول : ما أقدر على ركوب العمارة أسأل الله أن يطيل بقاء مولانا . فلما قربنا من مضرب السلطان سمعنا صوت الدبابد على باب المضرب ووجه توزون جماعة من الديلم يتوكلون بالمتقي فداروا حوله وأخذوا بغان البذل يقودونه ويسرون سيرا خفيا . وقد كان قبل التوكل به وجه توزون بالحسين بن هرون يستل المتقي ان ينزل في مضرب توزون فراسله : ان معنا حرما وليس يصلح ان ينزلوا الا في مضربنا . وانما أراد توزون ان يوكل به وجميع حاشيته فلا يظلت منهم أحد . ثم وجه باسكورج الديلمي الى المتقي فوكله به فوافى اسكورج وفي يده حربة فصار قدام المتقي (قال ذا) ونحن تقدر انما يعملون هذا خدمة له واكراما لحنه ثم لم يلك المتقي من أمره شيئا وأقذني الى ابن شيرزاد فتمتع توزون من ذلك وانهرني فرجعت اليه وقد أحاطت به الديلم وهم يسلون سجد الكنيسة ويكلمونه بما لا يفهمه الا انه شتم فقال : يا ذكا استعجل محمد بن يحيى (بنى ابن شيرزاد) وهو يقوم ويقعد في الكنيسة : فرجعت الى توزون فسألته ان يوجه باي جعفر الى المتقي فصاح علي وعلى

شاطيء الفرات وبين توزون والتمقي^(١٠٩) نحو فرسخ فلما هم بالانحدار استقبله توزون وترجل له وقبل الارض بين يديه ووكل به وبالوزير والجماعة وأنزل بهم في مضرب نفسه مع حرم المتقي لله وارتجت الدنيا فسمعه وحكى ثابت ان توزون سعله محضرة قهرمانة المستكفي بالله . وانحدر توزون من الغد وفي قبضه الجماعة فكانت مدة وزارة أبي الحسين ابن مقله سنة واحدة وخمسة أشهر واثني عشر يوما .

هو ذكر السبب في القبض على المتقي وخلافة المستكفي بالله
قال ثابت : حدثني أبو العباس التميمي الرازي وكيله قال وكان

ابن شيرزاد ومنه خفت ان يوقع بي اعظم ما شاهدت من أمره ثم رجعت الى المتقي وهو لا يك امره . وارتفعت غيرة عظيمة واشتغل كل واحد منا بنفسه وحرنا مضرب المتقي وانقطع غا صوت الدباب ووقفنا بين خيم المعجم وتوجهت الى خيمة أبي عمران اصفهسلار مستنجرا به فنزلت في خيمته وأغار المعجم على الناس فسلب كل من كان معنا حتى ما أفلت واحد بثوب ولا دابة وأدخل المتقي موكلا به الى مضرب توزون وقبض على خرمه وأسبابه وسلب المعجم بعضهم بعضا لعظم القصة

(قال ذا كذا) ووافوا بابي الحسين ابن مقله الى الخيمة التي كنت فيها ثم وافوا بالهاضي الخرفي فخرعت حزنا شديدا وخشيت من الفتل ثم جأوا بابي الحسن بنحرير غلام الاخشيد وعليه سيفه ومنطقته فاطمأنت نفسي قليلا وعلمت اننا وقتنا في الفلظ وبقي بنحرير متوجبا لما نزل بالتمقي وقال : يا قوم كذا يجري على الخلفاء ! فقلت : لا يجب من هؤلاء الملائين فانهم لو قدروا على أكثر من هذا لفعلوا . ولما حصل المتقي في أيديهم بعد ان قبضوا على جميع من قدروا عليه من أسبابه وقبض على أمه ووذره ابن مقله والخرفي ومهتر ورانق الخادمين اساقوا في حزره بازاء السندية

واحتدموا على كعله فحضرت حسن الشيرازية وهما غلام لها سندی فتولت كعله بيد غلامها السندی وذلك يوم السبت لثلاث ليال بقيت من صفر من السنة المفهم ذكرها ولم يزل المتقي باقيا الى أن توفي في خلافة المطيع في شعبان سنة ٣٥٠ وله ستون سنة

خصيصا بتوزون مستوليا عليه قال : كنت أنا السبب فيما جرى على المتقى وذلك ان ابراهيم بن الربيع الديلمي لقيني يوماً وسألني ان أصير الى دعوته فاستأذنت توزون في ذلك فأذن لي فيه ومضيت اليه وهو ينزل في دار القراريطى على دجلة فوجدت داره مفروشة منضدة فسألت عن السبب في ذلك وقلت : أحسبك قد تزوجت . فقال : انا احذثك عن امرى اعلم انى خطبت الى قوم وتجمعت عندهم بان ادعيت انى محلاً من الامير واختصاصاً به فقالت لي المرأة : اذا كنت بهذه المنزلة فهل لك ان تسفر في شىء يجمع صلاح الامير وصلاحك وصلاح المسلمين ؟ فقلت لها : نعم . قالت : هذا ^(١١) الخليفة (يعنى المتقى لله) قد عاداكم وعاديتوه وكاشفكم وكاشفتوه وليس يجوز ان تصفونيته لكم آخر الدهر وقد اجتهد في بواركم فلم يتم له فمرة بينى حمدان ومرة بينى بويه وهاهنا رجل من ولد الخلافة من فهمه وعقله ودينه ورجلته كيت وكيت تنصبونه في الخلافة وتزيلون المتقى لله وهو يثير لكم أموالاً جليلة لا يعرفها غيره ولا يقدر عليها سواه وتكونون انتم قد استرحتم من عدو تريدون ان تحرسوه وتحترسون منه وتخافونه ويخافكم وتقيمون رجلاً من قبلكم يرى انكم قد احسنتم اليه وان روهكم مقرونة بروحه . وأطالت الكلام في هذا المعنى فهو ستى ودار كلامها في نفسى وعلمت ان محلي لا يبلغ الكلام في مثله والسفارة فيه وكرهت ان اكذب نفسى عندها لما ادعيت من المحل والمنزلة فاطمعت في ذلك وغلت ان هذا الامر لا يتم الا بك ولا يقدر عليه غيرك وقد اطاعتك عليه فاي شىء عزمك ان تعمل ؟ فقلت : اريد ان اسمع كلام المرأة

فجاءنى بامرأة تسكلم بالعربية والفارسية من اهل شيراز جزلة شهية

فهمة فخطبتي بنحو ما خاطبني به الرجل فقلت لها : لا بد من أن ألقى الرجل وأسمع كلامه . فقالت : أعود غداً الى هنا حتى أجمع بينك وبينه . فلما كان من غد عدتُ فوجدت الرجل قد أخرج^(١١١) من دار ابن طاهر في زي امرأة وحصل في دار ابن الربيد فلقيته وعرفني انه عبد الله بن المكتفي بالله . وخاطبني رجل حصيف فهمتُ ووجدته مع هذا يتشيع ورأيت عارفاً بامر الدنيا وضمن لي ستمائة ألف دينار يستخرجها ويمشي بها الامر ومائتي ألف دينار للامير توزون وقال : أنا رجل فقير وإنما أعرف وجوه أموال لا يعرفها غيري وأعرف من ذخائر الخلافة في يد قوم لا يعرفهم غيري . وكرر^(١١٢) أن وجوهها صحيحة لاشك فيها ولا يقدر غيره عليها فلما سمعت ذلك وعرفت صحته صرت الى توزون . وفكرت في ان الامر لا يتم بي وحسدي فلتيت في طريقي وأنا أصعد الى توزون أبا عمران موسى بن سليمان في الحديدي الذي على باب توزون فاخذت بيده واعتزلنا . واستحلفته على كتمان ما أطلعته عليه فحلف ثم حدثته به كله وسألته معاونتي على تسميه فقال : هذا أمر عظيم لا أدخل فيه . فلما أيسني من نفسه سألته أن يمسيك ولا يمارضني فقال : افعل . فدخلت الى توزون وأدخلته الى حجرة وخلوت به واستحلفته بالمصحف وبإيمان مؤكدة ان يكتم ما أحدثه به فحلف فلما حلف حدثته الحديث من أوله الى آخره فوقع بقلبه وقال : صواب ولكني أريد ان أرى الرجل وأسمع كلامه . فقلت : على ذلك ولكن ان أردت^(١١٣) تمام هذا الامر فلا تأطام عليه أبا جعفر ابن شيرزاد فانه يفتأ عزمك ويصرفك عنه . فقال : افعل . وبلغ

أبا جعفر خلوتي بالامير فاتهمني اني سعييت عليه ومضيت الى القوم ووعدهم بحضور الامير ليري الرجل ويكون الاجتماع في منزل موسى بن سليمان . (قال) وتشددنا في الطوف بالليل في دجلة فلما كان ليلة الاحد لاربع عشرة خلت من صفر وافي عبد الله بن المستكفي بالله الى دار موسى بن سليمان ولقيه توزون هناك وخاطبه وبايع له في تلك الليلة وكتبنا القصة . فلما وافي المتقي لله من الرقة ولقيه توزون وسلم عليه قلت اتوزون : عزمك على ما كننا اتفقنا عليه صحيح ؟ فقال : بلى . قلت : فافواه الساعة فانه ان دخل داره بعد عليك مرامه (قال) فوكل به وجرى ماجرى . وكانت المرأة التي سافرت في هذا الامر المعروفة بحسن الشيرازية حاة أبي أحمد الفضل بن عبد الرحمن الشيرازي فلما تمت للمستكفي الخلافة غيرت اسمها وجعلته «عالم» وصارت قهرمانة المستكفي واستوات على أمره كله^(١)

(١) وفي حسن الشيرازية قال صاحب كتاب العيون :

فلما تمت للمستكفي الخلافة غيرت اسمها وجعلته عالما وصارت قهرمانة للمستكفي واستوات على أمره كله وبعث عن ذخائر المتقي هي وابن سليمان الكاتب ففازوا باكثرها وكان يحمل الى المستكفي من ذلك فوجه الى توزون سبعة جواهر في قدر واحد خاتمها ياقوت حمراء لم ير مثل ذلك الدر والخاتمة وقومت السبعة بخمسين ألف دينار فاخذها توزون بالقيمة من ماضن المستكفي . وصارت حسن تنكس منازل التجار والمستورين فتحوزما بمجده لفسها وابسطت يدها حتى صارت تأخذ أموال الناس التي لا شبهة فيها (قال ذكا) : انحدر ابن شيرزاد الى دار توزون فاستغاث اليه خلق من تجار الكرخ وذكروا ان حسن القهرمانة كدبت بعض التجار فأخذت منه متاعا كثيرا من بز وغيره ما قيمته ثلاثون ألف دينار فاحضرهم وسيع قولهم وقال : أنا أكفيكم هذا الامر . ودخل ابن شيرزاد الى توزون فقال له توزون : انحدر الى مولانا فتشكره عني فانه قد اهدى الي البارية ثيابا كثيرة في نحوت . فقال له ابن شيرزاد : ياسيدنا هذه ثياب التجار وأموالهم وعلى بابكم منهم خلق كثير يستغيثون ويذكرون انه أخذ من تاجر ما قيمته ثلاثون ألف

﴿ ذكر مصير الامير أبي الحسين الى ديالى ﴾

وقد كان قبل خلافة المستكني صار الامير أبو الحسين أحمد بن بويه دينار . فواصلهم بوزون الى حضرته وسمع كلامهم فلما تحقق عنده ما قالوا قال لابن شيرزاد : انحدر الى الخليفة من وقتك هذا وخذ هذه الثياب معك وقل له : اردد هذه الثياب على من أخذت منه فلا حاجة لي فيها وعرفه ان هذا قيسج واذا جرى على الناس مثله كان عظيما وقد كان ينبغي لمولانا لو جرى هذا من أحد منا ان يكون النكير منه علينا واذا نظر غيره الى هذا الفعل يظهر من مولانا لم يلم على ما يفعله . وقال : لا تزال من حضرته حتى يسلم الى اتناجر ما أخذه منه . فانحدر ابن شيرزاد الى الدار وخاطب المستكني في أمر الثياب وودها الى التاجر

قال ذكا : وكان قد اتف الى حسن نقر من كانوا معها على الاحوال الفسيحة منهم المسكني بابي طلحة وسندي (كذا) وهو الذي كحل المتني وقد ألبسهم سيوفا ومناطق وكانوا يدخلون الى المستكني أي وقت أرادوا على الانفراد والحاجب ابن خاقان يستقل ولا يستخدم الا في وقت ينحدر بوزون الى الدار وسائر الحاجب يتصرفون بين يدي حسن ولا يمتنون بالحاجب فكانت تنولى عرض الفلمان والحجاب والرجالة في قصر الخليفة في مجلس يقال له الحوادن لم يكن يصل اليه أحد الا وزير أو حاجب فاحترقت الهية بهذه المرأة وذهبت الرسوم التي كانت للخلافة وصارت الدار طريقا لسكل من لم يرها وكان كل من وصل الى المستكني أجلسه بين يديه

وفقد المستكني وزارته أبا الفرج السامري ولم يكن له من الوزارة الا اسمها والمدير ابن شيرزاد واستكتب أبا عبد الله بن سليمان على ما كان شرطه له وخلع على بوزون ووضع على رأسه تاجا مرصعا بالجواهر وطوق وسور وجلس بين يدي المستكني وانصرف بالخلع والتاج وحمل على قوس بموكب ذهب مرصع بجواهر وخلع على ابن شيرزاد والقاضي ولما فعل ابن شيرزاد ما فعل من رد أموال التجار وثيابهم علم ان هذا يشند ويعظم على ابن سليمان ويسمى في افساد المستكني فقال ابن شيرزاد لبوزون : ان هذا رجل سوء مزور محال لا يصلح ان يكون كاتباً للخليفة . فصرفه عن خدمة المستكني وقبض عليه وعلى أخيه وابنه ونقلهم الى الشام واستكتب المستكني الشيرازي زوج أخته حسن

الى واسط وقت مصير توزون الى الموصل فلما صالح توزون ابن حمدان^(١١٣) وعاد الى الحضرة عمل على الانحذار لدفعه . فخرج في ذي القعدة من سنة اثنتين وثلاثين وورد عليه خبر الامير أبي الحسين ابن بويه بانه نزل بسبب بني كرونا واقامه جيش توزون وما زالت الحرب بينهما تسعة أيام في قباب حديد وهي في كل يوم على توزون يتأخر توزون الى خلف ويتقدم الامير أبو الحسين الى قدام الى ان بلغ توزون نهر ديبالي وعبره الى جانب بغداد وقطع الجسر الذي عليه وأقام . ووافاه أحمد بن بويه الى الجانب مقابل له وبينهما الماء فلما كان يوم الاحد لاربع خلون من ذي الحجة انصرف الامير أبو الحسين راجعا الى الاهواز

﴿ ذكر السبب في انصرافه مع استظهاره ﴾

﴿ وبمدا هزم توزون ﴾

كان مع الامير أبي الحسين سواد عظيم وكراع كثير وجمال وافرة فكان اذا سار جعل سواده بينه وبين دجلة وله خيمة تُضرب على رسم لهم فما دامت الخيمة منصوبة فالقتال واقع ومتى قُلمت كان ذلك علامة الهزيمة . فلما كان يوم مسيره الى ديبالي أخذ السواد يسير على طول ديبالي واجتهد ان يضبطه ويستوقفه فلم يمكن ذلك . وأراد أن يضرب الخيمة على الرسم فلما تباعد الديلم وصار بين السواد والديلم فرجة دخل أصحاب توزون وأعرايه^(١١٤) بين السواد والديلم وأوقعوا بالسواد ولم يكن عنه دافع فدفت الضرورة الى ان ينصرف وصارت هزيمة . واضطر الديلم الى ان يستأمنوا الى توزون لانهم رحالة فاستأمن أكثرهم الى توزون وأخذ الامير على طريق بادرايا وباكسيا الى الاهواز . وقد كانت الميرة أيضا

ضاعت على الامير أبي الحسين حتى اضطر في الليلة التي انصرف فيها من غد الى ان ذبح خمسين جلا من جماله و فرق لحما على أصحابه ورجاله وأخذ له بقر فذبحها ونهب في وقت هزيئته نهبا عظيما . واستؤسر من وجوه قواده سبعة عشر قائدا فيهم ابن الداعي العلوي^(١) وأسر أبو بكر ابن قرابة واستأمن من الديلم أكثر من ألف رجل . وأقام توزون وعواده الصرع يوم هزيمة الامير أبي الحسين وشغل بنفسه عن الطلب فماد الى داره . ونعود الى تمام خبر المستكفي بالله . فلد وزارته أبا الفرج محمد بن علي السامري ولم يكن له من الوزارة الا اسمها والمدير الامور أبو جعفر ابن شيرزاد . وخلق على توزون وطوق ووضع على رأسه تاج مرصع بجوهر وجلس بين يدي المستكفي بالله على كرسي وانصرف بالخلع والتاج والطوق والسوار الى منزله . وطلب المستكفي بالله الفضل بن المقتدر طلبا شديدا فاستتر^(٢) وأمر بهدم داره^(٣) وكان الفضل حول أيام المستكفي بالله مستترا .

﴿شرح قصة أبي الحسين البربندی ومسيره الى بغداد مستأمنا﴾

(الى توزون وما آل اليه أمره من القتل)

كناذ كرناحاله الى وقت خروجه الى بغداد ولما وصل الى بغداد ولقى توزون وأنزله أبو جعفر بالقرب من داره في دار طازاذ التي في قصر

(١) وابن الداعي هو أبو عبد الله محمد بن الحسن بن القاسم الزبيدي الحسني وقام بالامر في سنة ٣٥٣ وبإيمه الزيدية وتسمى المهدى لدين الله وتوفي سنة ٣٦٠ ورحلت ترجمته في كتاب عمدة الطالب (طبع بمكة ١٣١٨) ص ٦١ وفي نبيه الى عبد الرحمن الشجري ليراجع ص ٦٩ . (٢) قال صاحب التذكرة : فلما هدم داره قال علي بن عيسى : اليوم بايع له بولاية العهد

فرج على شاطئ دجلة . ثم شرع أبو الحسين في مسئلة توزون ان يعاونه على فتح البصرة وضمن له اذا فتحها ان يحمل اليه مالا رغبة عن كثرة فكان يطعم في المال ويمل بالمواعيد . وسأل ان يوصل الى المستكني بالله فوصل اليه مع توزون وابن شيرزاد نخلع المستكني بالله عليه خلعة الرضاء وانصرف الى منزله . وبلغ الخبر ابن أخيه أبا القاسم وان عمه يسمي في أمر البصرة فوجه بمن أصلح أمره مع توزون وابن شيرزاد وحمل مالا فأقر على عمله وأتخذت الخلع اليه . ووقف عمه أبو الحسين على ذلك ويئس مما كان شرع فيه ولم يقطع توزون اطاعه فيه

وذكر الخبر عن قتل أبي الحسين البريدي

لما يئس أبو الحسين البريدي من معاونة تلحقه في فتح البصرة سعى في أن يكتب لتوزون ويقبض على ابن شيرزاد وصح ذلك عند^(١١٦) ابن شيرزاد فاستوحش من أبي الحسين ومن توزون فجلس في منزله أياماً وما زال توزون يرأسه ويترضاه حتى كتب اليه وأخذ في التديير عليه . فلما كان يوم السبت لست خلون من ذي الحجة أنفذ أبو العباس وكيله وصافي حاجب توزون الى أبي الحسين البريدي فقبضا عليه وأحدراه الى دار صافي وضرب هناك ليلة الاحد ضرباً عنيفاً وقيد وأحدر الى دار السلطان وبسط ابن شيرزاد لسانه فيه أقبح بسط وذكر معاليه واذكر بذنوبه . وكان أبو عبد الله محمد ابن أبي موسى الهاشمي أخذ في أيام ناصر الدولة فتوي الفقهاء والقضاة بإخلال دمه فإظهارها في هذا الوقت فلما كان بعد اسبوع من القبض عليه استحضر الفقهاء والقضاة وأحضر أبو الحسين البريدي وجهوا بين يدي المستكني بالله وأحضر السيف والنطع ووقف السياف بيده السيف وحضر

ابن أبي موسى الهاشمي ووقف فقرأ ما أفتى به واحد واحد من اباحة دمه على رؤس الاشهاد وكلما قرأ فتوى واحد منهم سأله هل هي فتواه فيعترف بها حتى أتى على جماعتهم وأبو الحسين البريدي يسمع ذلك كله ويراه ورأسه مشدود والسيف مسلول بأزائه في يد السياف فلما اعترف القضاة والفقهاء بالفتوى أمر المستكفي^(١٧) بالله بضرب عنقه فضربت من غير أن يحتج لنفسه بشيء أو يعاود بكلمة أو ينطق بحرف وأخذ رأسه وطيف به في جانبيه بعدد ورد الى دار السلطان وصابت به^(١٨) حيث كان جديده مشدودا فيه لما ظهر بدار السلطان فبقي مصلوبا هناك أياما . ثم قرأت سكا على الجيهن بثمان بوارى ونقط اشترت بتسعة دواهم لاحتراق جثته فأحرقت للنصف من ذى الحجة^(١٩)

وقبض على الوزير أبي الفرج السامري وضودر على ثلاثمائة ألف درهم فكانت مدة وقوع اسم الوزارة عليه اثنتين وأربعين يوما وفي هذه السنة طالب المستكفي بالله القاهر بأن يخرج من دار السلطان ويرجع الى دار ابن طاهر فامتنع فسأل فيه أبو أحمد الفضل بن عبد الرحمن وهو يومئذ يكتب للمستكفي بالله على خاص أموره ورفق بالقاهر وضمن

(١) زاد صاحب التكملة في على باب الخاصة على دجلة . وقال أيضا : فكان هذا خاتمة أمور الثلاثة وعني ما ارتكبوا من الظلم وأهله ومن البلاء كله . وقال أيضا انه أطلق توزون أبا الحسين ابن مقلة بعد ان صدره على ثلاثين ألف دينار

(٢) ليراجع مقال ابن سعدون في تذكرته في الباب السابع والاربعين في أنواع السير والاخبار وعجائبها : وجد في بعض الاوارجل السلطانية : وما حمل الى أبي الفضل جعفر بن يحيى (يعني البرمكي) أعزه الله لهدية السرور من العين الطوى مائة ألف دينار . وفي آخر الحساب : وما أخرج ثمن النفط والوارى والحطب لاحتراق جثة جعفر بن يحيى بضعة عشر درهما

أن ينزله عنده ولا يردّه الى دار ابن طاهر . قال أبو أحمد : فلما قلت له ذلك استجاب بعد أن سألتني عن منزلي في أي جانب هو فقلت « في الشرق ناحية سوق يحيى » فسكنت نفسه الى ذلك واستجاب حينئذ وأنزلاته الى طيارى بعد أن غيرت زبّه فأنى وجدته ملتفا في قطن مشويّ جبة وفي رجله نعل خشب مربعة فلما حصل في الطيار عبّرت به ^(١١٨) من ازاء دارى وأومأت الى الملاحين ايماء من غير أن أنطق بحرف فلما وضع صبيّر الطيار للعبور فطن وقال « هوذا يعبر بي الى دار ابن طاهر » وأراد أن يرمى بنفسه الى الماء فتقدمت الى غلاني بضبطه فضبطوه الى أن أصعدت به الى داره من دار ابن طاهر فاقام فيها مدة ثم خرج في يوم جمعة الى المسجد الجامع في مدينة المنصور واخذ في أن يتصدق فراه أبو عبد الله ابن أبي موسى الهاشمي فنمته من ذلك واعطاه خمسمائة درهم وردّه الى داره

وفي هذه السنة ورد الخبر بأن قوما يعرفون بالروس يكونون وراء بلدان الخزر خرجوا الى آذربيجان وملكوا برذعة . وهم قوم لا دين لهم وإنما طلبوا الملك وليس يعرفون الهزيمة وسلاحهم وريهم تشبه سلاح الديلم وفيهم قوة شديدة ولهم أبدان عظام . ثم أوقع بهم المسلمون فلم يبق منهم كبير أحد . وكان للمرزيان بن محمد بن مسافر في ذلك أثر كبير وعناء عظيم وقد ذكرناه في موضعه .

﴿ ودخلت سنة أربع وثلاثين وثلثمائة ﴾

وفي الحرم منها مات توزون في داره بيفداد فكانت مدة امارته سنتين وأربعة أشهر وسبعة عشر يوماً ومدة كتابته ابن شيرزاد له ستان وستة عشر يوماً . وورد الخبر على ابن شيرزاد وهو بهيت ^(١١٩) وكان خرج اليها

لموافقة ابي المرجى ابن فيان على مال ضمانه وكان قد أخره وطمع في ناحيته
بعوت توزون^(١) واضطرب العسكر ثم اجتمعوا على عقد الرياسة لابن
شيرزاد. وكان أبو جعفر قد عزم على عقد الامر لناصر الدولة فأنحدر ابن
شيرزاد فلما وصل الي باب حرب وذلك في مستهل صفر أقام هناك في
معسكره وخرج اليه الاتراك والديلم واتخذ اليه المستكني بالله خلع ثياب
بياض وحمل اليه طعاماً عدة أيام

فلما كان يوم الجمعة لليلتين خلتا من صفر أجمع الجيش بأسره على عقد
الرياسة له وحلقوا له وأخذ البيعة عليهم لنفسه وحبوه بالريحان على رسم
المعجم. ووجه ابن شيرزاد الي المستكني بالله يسأله ان يحلف له يميناً بحضرة
القضاء والمدول تسكن نفسه اليها ففعل المستكني ذلك ثم سأله اعادة
اليمين بحضرة وجوه الاتراك والديلم فاشتد ذلك عليه ثم فعله. فدخل ابن

(١) قال صاحب التكملة : فصالحه ابو المرحا عمرو بن كلثوم مقدمها على ثمانمائة الف
وخمسين الف درهم يقسطها على اهل البلد واقام (ابن شيرزاد) لآخذها . وقال ايضا في
ترجمة السنة المتقدمة : واخذ ابن شيرزاد خطوط الناس بالالضمان فدخل اليه ابو القاسم
عيسى بن علي بن عيسى فقال له : اكتب عن والدك بالف دينار . فكتب ومضى
الي ابيه فادى خمسمائة وركب الي ابن شيرزاد فخرج اليه ابو زكرياء السومي وطازاذ
معتزدين فقال علي بن عيسى : اني اريد ان القاه ولا أخاطبه في البقية . ففرض وعادا اليه وقال
انه يستحي من لقاءك فانصرف علي بن عيسى كثيراً من العزلة اكثر من كآبه بالفهم
وقال ايضا : خرج تكين الشيرزادي صاحب توزون الي جزيرة بني غبر وعاد الي
جسر سابور وامر اصحابه بالتقدم الي واسط واجلس في بستان يشرب فأحاط به عسكر
البردي فأسروه وحملوه الي البصرة . وفي رجب دخل ابو جعفر الصيمري واسط ودخلها
معز الدولة ولما علم انحدار توزون اليه كنى بالله وانصرف عنها وراسل توزون البردي
فأطلق تكينا وضنه واسطاً واصعد المستكني وتوزون (الي) بغداد

شيرزاد من مُسكره على الظهر بتعمية الى دار السلطان ووصل الى الخليفة
وانصرف مُكرماً

وزاد ابن شيرزاد الاتراك والديلم في ارزاقهم زيادات كثيرة فاشتدت
الاضاقة فانفذ الى ناصر الدولة يطالبه بحمل المال . ويطعمه في رد الامارة
اليه فحمل اليه ^(١٠) دقيماً وسفاتيخ بخمسمائة الف درهم فلم يكن لها موقع
مع الاضاقة فتقض ما عزم عليه من عقد الامارة لناصر الدولة وأقام على أمره
وقلد أبا السائب القاضي مدينة المنصور وقلد جماعة القضاة في نواحي بغداد ^(١١)
وأخذ في المصادرات وقسط على الكتّاب والمُمال والتجار وسائر طبقات
الناس ببغداد مالا لارزاق الجند . وكان الغمازون يغمزون بمن عنده قوت
من خبطة أو عدة ليعالهِ فكبسه واخذه وكان قد انتصب للغمز بذلك وغيره
وبمن يرمق بنعمة رجلان من السعاة يعرفان بهاروت وماروت فكانا يصلان
الي ابن شيرزاد في الاسحار والخلوات ويمضيان أيضاً الى دار المستكفي بالله
فلحق الناس منها أمر عظيم وكذلك من الضرائب فانها كثرت حتى تهارب
التجار من بغداد وعاد هذا الفعل بالخراب ^(١٢) وفساد الامر وزيادة الاضاقة

(١) زاد صاحب التكملة وقبض المستكفي علي القاضي ابن ابي الشوارب ونفاه الى
سر من رأى وقسم أعماله فولى الشرقية ابا طاهر محمد ابن احمد بن نصر وولى المدينة
ابا السائب عتبة بن عبيد الله وكان الى ابي عبد الله ابن ابي موسى الهاشمي القضاء بالجانب
الشرقي فدخل عليه النصوص في شهر ربيع الآخر فاخذوا أمواله وقتلوه فولى
ابو السائب مكانه

(٢) زاد صاحب التكملة : وانقطع الجلب . وقال ايضا : وورد الخبر بوقوع الصلح
بين سيف الدولة والاخشيد وسلم اليه سيف الدولة حلبا والطاكية قزروج ابنة اخيه
عبيد الله بن طنج وتوسط ذلك الحسن بن طاهر العلوي . وورد الخبر بموت ابي عبد الله
الحكوفي بحلب وقد تقدمت اخباره .

فاحتيج الي مصادرة ابن عبد العزيز الهاشمي واخوته . وكثرت كبسات اللصوص فكان اذا ظهر السلطان بلص قتلته العامة قبل ان يصل الي الوالي .

وقد أبو جعفر ابن شيرزاد ينال كوشه اعمال المعاون بواسطه والفتح الشكري اعمال المعاون بتكرت فاما الفتح الشكري فانه خرج الي عمله بتكرت فلما وصل اليها '١٢١' امتد الي ناصر الدولة بالموصل فقبله وأكرمه وقلده بتكرت من قبله وردّه اليها . وأما ينال كوشه فكتب الامير أبا الحسين ابن بويه

وأخرج ابن شيرزاد تكين الشيرزادي الي الجبل فهزمه أصحاب أبي علي ابن محتاج وانصرف الي بغداد

﴿ ذكر الخبر عن مسير أبي الحسين احمد بن بويه الي بغداد ﴾

ورد الخبر بدخول ينال كوشه في طاعة الامير أبي الحسين احمد بن بويه وإن الامير قد تحرك من الاهواز يريد الحضرة فاضطرب الاتراك والديلم ببغداد وأخرجوا مضاربهم الي المصلي وعسكروا هناك وأخرج أبو جعفر مضربه معهم . ثم ورد الخبر بزول الامير أبي الحسين أحمد بن بويه باجسري فزاد الاضطراب ببغداد واستتر ابن شيرزاد واستتر المستكفي بالله فكانت اماره ابن شيرزاد ثلاثة أشهر وعشرين يوما . فلما وقف الاتراك على استنارهما عبروا الي الجانب الغربي وساروا الي الموصل فلما سار الاتراك ظهر المستكفي بالله وعاد الي دار الخلافة

ومورد أبو محمد الحسن بن محمد المهلب^(١) صاحب الامير أبي الحسين

(١) وردت ترجمته في كتاب اوشاد الارباب ٣ : ١٨٠

احمد بن بويه ولقي ابن شيرزاد حيث هو مستتر وفاوضه ثم انحدر الى دار
السلطان ولقي^(١٢٢) المستكني بالله فظاهر المستكني بالله سروراً بموافاة الامير
أبي الحسين أحمد بن بويه وأعلمه أنه انما استتر من الاتراك لينحل أمرهم
فيحصل الامر للامير احمد بن بويه بلا كلفة . فلما كان يوم السبت لاحدى
عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة نزل الامير ابو الحسن في معسكره بباب
الشماسية ووصل الى المستكني بالله ووقف بين يديه طويلاً وأخذت عليه البيعة
للمستكني بالله واستحلف له باغظ الايمان وادخل في اليمين الصيانة لابني
احمد الشيرازي كاتبه ولعلم قهرماته ولأبي عبد الله ابن ام موسى وللقاضى
أبي السائب ولأبي العباس احمد بن خاقان الحاجب ووقت الشهادة على
المستكني بالله وعلى الامير ابي الحسين فلما فرغ من اليمين سأل الامير
ابو الحسين المستكني بالله في أمر ابن شيرزاد واستأذنه في ان يستكتبه فآمنه
واذن له في ذلك . ثم لبس الامير الخلع وكنى ولقب بمعز الدولة ولقب أخوه
أبو الحسن على بن بويه بمعاد الدولة وأخوه أبو على الحسن بن بويه بركن
الدولة وأمر ان تضرب القابهم وكناهم على الدنانير والدرهم وانصرف بالخلع
الى دار مونس^(١) ونزل الديلم والجبل والاتراك دور الناس فلقق الناس
من ذلك شدة عظيمة وصار رسماً عليهم الى اليوم^(١٢٣)

﴿ ذكر كتابة ابن شيرزاد لمعز الدولة أبي الحسين ﴾

ظهر أبو جعفر ابن شيرزاد من استتاره ولقي معز الدولة ودبر أمر الخراج
وجباية الاموال . وقبض الامير أبو الحسين على أبي عبد الله الحسين بن
على بن مقلة وذلك لوصول رقعة له اليه يطلب فيها مكان ابن شيرزاد

(١) زاد فيه صاحب التكملة : ومن جملة دار مونس المدرسة النظامية :

﴿ ذكر الخبر عن قبض معز الدولة على المستكفي بالله ﴾

كان السبب الظاهر أن علماً قهرماته دعت دعوة عظيمة حضرها جماعة من قواد الديلم فاتهمها الامير معز الدولة أنها فعلت ذلك لتأخذ عليهم البيعة للمستكفي بالله وأن ينقضوا رياسة معز الدولة عليهم ويطيحوه دونه فساء ظنه لذلك ولما رأى من جسارتها واقدامها على قلب الدول . تم قبض المستكفي بالله على الشافعي رئيس الشيعة من باب الطاق فشفع فيه اصفهري و ست فلم يُشفعه فاحفظه ذلك وذهب الي معز الدولة وقال : راسلي الخليفة في ان القاه متكرراً في خوف وازار . فنتج من ذلك وغيره مما لم يظهر خلعه من الخلافة فلما ان كان يوم الخميس لثمان بقين من جمادى الآخرة انحدر الامير معز الدولة الي دار السلطان وانحدر الناس على رسمهم فلما جلس المستكفي بالله على سريرهِ ووقف الناس على مراتبهم دخل أبو جعفر الصيمري وأبو جعفر ابن شيرزاد^(١٢٤) فوقفا في مرتبتهما ودخل الامير معز الدولة قبل الارض على رسمه ثم قبل يد المستكفي بالله ووقف بين يديه يحدته ثم جلس على كرسی وأذن لرسول كان ورد من خراسان ورسول ورد من أبي القاسم البريدي فتقدم قسان من الديلم فداً أيديهما الي المستكفي بالله وعلا صوتهما فارسية فظن أنهما يريدان تقيل يده فدها اليهما فجذباه بها وطرحاه الي الارض ووضعاه عمامته في عنقه وجراهُ . فنهض حيثئذ معز الدولة واضطرب الناس وارتفعت الزعقات وقبض الديلم على أبي أحمد الشيرازي وعلى ابن أبي موسى الهاشمي ودخلوا الي دار الحرم فقبضوا على علم القهرمانة وابنتها وتبادر الناس الي الباب من

الروشن فجرى أمر عظيم من الضغط والنهب^(١)
وساق الديلمان المستكنى بالله ماشيا الى دار معز الدولة واعتقل فيها
ونهب دار السلطان حتى لم يبق فيها شيء وانقضت أيام خلافة المستكنى بالله
وأحضر معز الدولة أبا القاسم الفضل بن المقتدر بالله الى دار الخلافة
في يوم الخميس ثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ٣٣٤ وخو طب بالخلافة
وبويع له ولقب المطيع لله^(٢)

﴿ ذكر خلافة المطيع لله وما جرى عليه من الامور ﴾^(٣)

وقام له ابن شيرزاد في تدبير الامور والاعمال بمقام الوزراء من غير
تسمية بوزارة واستخلف على كتابته على خاص أمره أبا الحسن طازاذ بن
عيسى واستحجب المطيع لله أبا العباس ابن خاقان . وأقام له الامير معز الدولة
لنفته كل يوم النقي درهم وكتب يخبر تقلده الخلافة الى الآفاق

(١) وروى صاحب الحكمة : قال ابن البهلول : كنا اذا كلمنا المستكنى وجدنا كلامه
كلام العيارين وكان جلدا بعيد الصدر والحيلة وكان يلعب قبل الخلافة بالطور ويرسي
بالندق ويخرج الى البساتين للفرجة واللعب وكان لا ينفق عليه من الجوارى غير السودان
ولا يعاشر غير الرجال وعزم معز الدولة على ان يبايع ابا الحسن محمد بن يحيى الزيدى
العلوى فنهض الصيمري من ذلك وقال : اذا بايعته استغفر عليك اهل خراسان وعوام البلدان
واطاعه الديلم ورفضوك وقبلوا امره فبك وبنو العباس قوم منصورون تعتل دولتهم مرة
وتصبح مرارا وتعرض تارة وتستقل اطوارا لان اصحابها ثابت وبنيناها راسخ . فعذل معز
الدولة عن تعويله . ولما الزيدى العلوي فالراجح انه الناصر لدين الله ابو الحسن احمد بن
يحيى الهاذى ولكن يروى انه توفي سنة ٣٢٥ وان مدة ظهوره نحو ثلاث عشرة سنة .

(٢) قال صاحب كتاب العيون : وأمه أم ولد صقلية واسمها مشقة وتعرفت بالصفارة
(وكان العباس بن الحسن أهداها الى المقتدر) وتأخذ من ورق السوسن أو غيره الشيء
اليسير وتجعله في فيها وتصفه به صغيراً لم يسمع بمثله تحكى به كل طائر وغيره

وتم الصالح بين الامير معز الدولة وبين أبي القاسم البريدي وتسلم ابن البريدي واسطا وضمن البقايا بها بالف الف وستمائة الف درهم واستخلف بالحضرة أبا القاسم عيسى بن علي بن عيسى

وطلب الامير معز الدولة ابن شيرزاد برهينة لانه تبين منه تليحاً في أمر المال ولم يأمن ان يهرب واضطرب أبو جعفر وسأل الامير ان يقرضه ما يمشي به أسره فدفع اليه عدة من مراكب ذهب وفضة على ان يرده مكانها فسلم أبو جعفر ذلك وسلم أخاه أبا الحسن زكريا رهينة .

وكان وصف للامير معز الدولة كفاية أبي الفرج ابن أبي هشام وشهامته فأوصله الى حضرته وأنس به ولطف محله ورد اليه أمر الضياع الخراب بالسواد وكلفه عمارتها . قال ثابت : وأخبرني أبو الفرج انه قال لمعز الدولة : لججت أيها الامير في أمر أبي جعفر ابن شيرزاد ^(١٢٦) في أن يكتب لك وراجعت الخليفة المستكفي بالله دفعات حتى ^(١٢٧) أذن بأن نستكتبه لك ليس هذا لرغبة في صناعته فانه ما كان صانعا أمرك كتاب الرسائل وأمر كتاب الخراج وانما ولي ديوان النفقات مرة وكتب لابن الخال وكان إمرأ متوسطا وما عدّه كتاب الحضرة وأصحاب دواوينهم في الكفاة وأهل الصناعة (قال)

(١) قال فيه صاحب التكملة . ولما استولي ابن شيرزاد على الامور قال أبو الفرج ابن (أبي) هشام : بأي شيء نفق عليك ؟ وما يصلح لكتابة الانشاء ولا لجباية الخراج وانما بولي ديوان النفقات وكتب لابن الخال ذرة وقد سألك المستكفي عزله بعد ان سألك فيه فلم يجب . فقال : لما رأيت عظم لحيته الخ

وقال أيضا . وصرف ابن نصر عن الفضاء بالجانب الغربي وأعاد ابن أبي الشوارب . وصادر ابن شيرزاد ابن أبي موسى وعلم القهرمانة على أربعين الف دينار وقطع لسانها وسلمها الى المطيع لله . ولم يمرض أبا أحمد الشيرازي لقديم مودته

فقال : أنت صادق فاني ما سألتُ عنه أحداً فقال فيه الا مثل قولك ولما رأيت لحيته قلت « هذا بأن يكون قطاناً أولى منه ان يكون كاتباً » ولكن وجدته وقد تقلد الامارة ببغداد واستولى على الخلافة وصار لي نظيراً وللملوك الاطراف وتصوّره الرجال بصورةٍ من يصلح أن يرؤسهم ومن يعقدون له على نفوسهم فاردت أن أحطه من هذه الحال الي ان اجعله كاتباً لغلام لي أو عاملاً على بلد .

وكان الامير معز الدولة قد أخرج موسى فياذه وبنال كوشه في يوم الجمعة لتسع بقين من رجب الي عكبرا مقدمة له الي الموصل فلما سارا أوقع بنال كوشه وابن البارد بموسى فياذه وأخذوا سواده ومضوا الي ناصر الدولة

وفي يوم الاثنين لتسع خلون من شعبان استتر أبو جعفر ابن شيرزاد وأسلم أخاهُ أبا الحسن زكرياء^(١٢٧)

ونزل ناصر الدولة ومعه الاتراك بسر من رأى لا ربيع بقين من شعبان وابتدأت الحرب بينه وبين أصحاب معز الدولة بعكبرا وسار معز الدولة يوم الخميس لاربع خلون من شهر رمضان ومعه الخليفة المطيع لله الي عكبرا . وظهر أبو جعفر ابن شيرزاد ومضي فتلقى أبا العطاء جبير بن عبدالله بن حمدان أخا ناصر الدولة فانه وافى بغداد ونزل باب قطربل فنزل معه أبو جعفر ابن شيرزاد ولؤلؤ وجماعة من العجم . ولقيه أهل بغداد ودبر الامور أبو جعفر ابن شيرزاد من قبل ناصر الدولة والحرب متصلة بين معز الدولة وناصر الدولة بسر من رأى ونواحيها .

فلما كان يوم الاربعاء لعشر خلون من شهر رمضان وافى ناصر الدولة الي بغداد

فنزل في الجانب الغربي أسفل قطربل بعد ان أحرق خزانين نفسه وأصحابه التي في الزواريق لظهور الديلم عليه وخلف أبا عبد الله الحسين بن حمدان في الحرب . ثم عبر أصحاب معز الدولة الديلم من الجانب الشرقي من سر من رأي الى الجانب الغربي من دجلة وساروا الى تكريت ونهبوها ثم صار بعضهم الى سر من رأي ونهبوها ثم عبر جميعهم مع معز الدولة الى الجانب الغربي من دجلة والخليفة معهم وساروا منحدرين الى بغداد وبازأهم أبو عبد الله الحسين ابن سعيد والأتراك في الجانب الشرقي . فلما حصل معز الدولة ^(١٣٨) في الجانب الغربي عبر ناصر الدولة الى الشرق ونزل في رقة الشامية واجتمع مع الأتراك وما خطب ناصر الدولة للمطيع لله ولا ذكر اسمه ولا كنيته في الخطب . وفي يوم الاحد لليلتين بقيتا من شهر رمضان أوقع أبو عبد الله الحسين بن سعيد بعسكر معز الدولة في الماء ففرق منهم وملك آلات الماء التي كانت معهم

ولما كان يوم الخميس لليلتين خلتا من شوال وجه ناصر الدولة بنحمد بن رجلا من الديلم الذين كانوا في جملة الى الجانب الغربي من بغداد في جملة الجيش الذين عبر بهم لمحاربة معز الدولة . فلما صاروا على الخندق الذي في قطيعة أم جعفر وخطبوا الديلم الذين مع معز الدولة أو هموا بجيش ناصر الدولة الذين كانوا معهم ان جماعة من ديلم معز الدولة يريدون ان يعبروا الخندق ليستأنموا الى ناصر الدولة فافرجوا لهم عن الخندق حتى عبروه وقلبوا تراسهم على جيش ناصر الدولة وحاربوه وأوقعوا به فلهم أصحاب ناصر الدولة بأسره ^(١) . وحصل القرامطة من أصحاب ناصر الدولة وتكين

الشيرزاذى وغيره من قواده محدقين بمسكر معز الدولة في الجانب الغربى فلم يكن يتقدم معز الدولة على تناول شيء من علف ولا غيره فلحق أهل الجانب الغربى غلاء شديد وعمدوا^(١٣١) الاقوات : وكان أبو جعفر الصيمرى لتشاغله بالحرب قد رد خدمة معز الدولة والقيام بما يحتاج اليه هو وخاشيته وأسبابه الى أبي على الحسن بن هرون خدثنى أبو على هذا انه اشترى للأمير معز الدولة كرا دقيق حواري بعشرين الف درهم^(١٣٢) وتعد على الناس العبور من الجانب الغربى الى الشرق ومن الشرق الى الغربى لمنع ناصر الدولة من ذلك ولحق الناس في السواد من الجانبين ضرر عظيم بتسلط الجند على غلاتهم فانهم كانوا يحصدوننها ويدرسونها ويحماونها الى معسكرهم

وكان السعر في الجانب الشرقى خمسة أرطال خبز بدرهم لورود الزواريق من الموصل بالدقيق وبقى السعر في الجانب الغربى غاليا بعد اذراك الغلات لما ذكرنا فكان الرطل الواحد من الخبز بدرهم وربع اذا وجد وذلك لمنع ناصر الدولة ما يرد من الموصل ان يصل الى الجانب الغربى ولان اعرابه منتشرون في الجانب الغربى يحولون بين أصحاب معز الدولة وبين الغلات . وضرب ناصر الدولة دنانير ودرهم بسكة سنة ٣٣١ باسم المتقي لله وناصر الدولة وسيف الدولة .

واستعان ابن شيرزاد بالعامه والعيارين من بغداد^(١٣٣) على حرب معز الدولة والديلم وفرض قوما منهم^(١٣٤) وكان يركب كل يوم في الماء ومعه

(١) زاد صاحب تاريخ الاسلام : قلت السكر سبعة عشر قطارا بالدمشق لان السكر أربع وثلاثون كارة والكاره خمسون رطلا بالدمشق
(٢) قال صاحب التكملة : وكان ابن شيرزاد قد أثبت خيما من العيارين ليحاربوا

عدة زبازب فيها أترك فينحدر ويصعد في دجلة ويرى من على الشطوط في الجانب الغربي من الديلم بالنشاب وكان ناصر الدولة عبر بإصافي التوزوي في الف رجل لكبس معز الدولة وعسكره فلقبه اصفهدوست وأبو جعفر الصيمري فمزماه . فكان جعفر بن ورقاء يقول وكان معهما : كنت أسمع ان رجلا واحدا يفي بالف رجل فلا أصدق حتى شاهدت اصفهدوست وحملة وهزيمة صافي وزمرته فصدمت بذلك .

وكان معز الدولة بنى زبازب في قطيعة أم جعفر وعددها نيف وخمسون فخرجت يوم الاربعاء لثلاث بقين من ذي الحجة الى دجلة وكان غلمان معز الدولة يحاربون فيها من في زبازب ناصر الدولة من أصحابه وذكر أبو جعفر الصيمري ان الجهد كان قد بلغ منهم والحيل قد أعيتهم وضاق بهم الامر حتى عزم معز الدولة على الرحيل الى الاهواز وحمل أثقاله وقال : ترون في طريقنا العبور فان أمكننا حيلة فيه والا جعلنا وجهنا الى الاهواز . وتبأ ان عبر الصيمري واصفهدوست وبهما تسعة نفر في سحر يوم السبت انسلاخ ذي الحجة الى الجزيرة ^(١٣١) التي بازاء الخيّم وأرادوا العبور منها الى الجانب الشرق فعارضهم ينال كوشه معارضة يسيرة وتبأ لهم العبور وتبعهم أصحابهم فعبروا

﴿ ذكر الحيلة التي تم بها عبورهم ﴾

كان معز الدولة رتب هذه المعابر في الصراة ثم حذرهما في الليل على شاطئ دجلة الى موضع التمازين لانه أضيق موضع في دجلة ووافق وزبره مع ناصر الدولة (فظفر) بكافور خادم معز الدولة فشهره . فظفر معز الدولة بابي الحسن ابن شيرزاد نصليه حيا فاطلق أبو جعفر الخادم فحط معز الدولة أخاه .

الصيمرى واصفهدوست وخواص ديلمه على العبور وأظهر هو أنه يمر من أعلى قطر بل . قضى بالليل في وقت موافقتهم وضرب البوقات وسار بالمشاعل وحمل بعض تلك المعابر بالالوهاق على الظهر . فلما رأى أعداءه ذلك سار أكثرهم بازائه لِمانفته فتمكن الصيمرى ومن معه من العبور وكان الصيمرى أول من بذل نفسه لان أصحابه تهيؤوا العبور فلما سبقهم أنفوا وتبعوه . ثم عاد معز الدولة الى هذا الموضع وقد أحس القوم بحيلته فتكاثروا بالزبازب ومنعوا من العبور وغرقوا ركوتين واشتدت الحرب وانهزم الاتراك . وكان ينال كوشه قد شرب ليلته ولما حصل جماعة من الديلم في الجانب الشرقى زعموا ينال كوشه فانهزم وعضى أصحابه الى باب الشمسية^(١٣٢) واضطرب عسكر ناصر الدولة فوجه ابن شيرزاد الى ناصر الدولة : ان الصواب ان تركب لتلقى من عبر من الديلم . فرد عليه في الجواب : ان العادة قد جرت بانى اذا ركبت انهزم الناس . وان الصواب ان يركب هو فركب أبو جعفر ورأى الناس قد ركب بعضهم بعضا وليس يلوى أحد على أحد ولا يقف فانهزم هو أيضا معهم وانهزم ناصر الدولة وملك الديلم الجانب الشرقى وأحرقوا ونهبوا وقتل من العامة جماعة ومات منهم عدد كثير من رجال ونساء وصبيان لان الخوف حملهم على الهرب لما كانوا قدّموه الى الديلم من الشتم والحرب في أيام الفتنة فخرجوا خفاة في الحر الشديد ومشوا الى عكبرا فاتوا في الطريق^(١) وجرى معز الدولة على

(١) زاد صاحب التكملة : قال بعضهم : رأيت امرأة تقول : انا بنت ابن قرابة ومعى حلى وجواهر تزيد على الف دينار هن يأخذها ويسقي شربة ماء ؟ فاجابها أحد ومات وما فتشها أحد لشغل كل السان بنفسه

عادته في الرأفة فأمر برفع السيف والكف عن النهب وأمن الناس وملك الجانبين . ولما منعهم معز الدولة ونادى بالكف لم ينتهوا ولا كانت له قدرة على منعهم حتى ركب الصمري فقتل جماعة وصلب بعض غلمان الديلم وواصل الطوف والحماية بنفسه حتى أمكنه تسكين الجند وجزر ما اتهب فكان مقداره عشرة آلاف ألف دينار وذلك ان القصد وقع على مواضع التحار وحيث الاموال والامتنعة .

ومضى ناصر الدولة وابن شيرزاد والأتراك^(١٣٣) التوزونية مصعدين الي عكبرا فلما استقروا بها راسل ناصر الدولة الامير معز الدولة يلتمس الصلح^(١) في آخر المحرم سنة ٣٣٥ وكان ناصر الدولة فعل ذلك بغير علم الأتراك فلما وقفوا على ذلك أرادوا الوبوب به وهموا به فوقي اليه الخبر وصح عنده ما عزموا عليه فهرب منهم ومضى مغدا مسرعاً نحو الموصل وتركهم . وكتب معز الدولة بالفتح عن الماعيم لله كتابا نفذ الى الامير عماد الدولة والى سائر الاطراف .

﴿ حيلة غريبة يذني ان يحتز من مثلها ﴾

ومن أطرف الامور وأعجبها ان رجلا قصد مضرب ناصر الدولة وهو بباب الشماسية بازاء معسكر معز الدولة فدخله بالليل ودخل خيمته وهو نائم فيها ولم يشعر به الحراس ولا الحجاب ولا البوابون ولا الخدم ومضى حتى عرف موضعه وشاهده وهو نائم وعرف موضع رأسه من الخدعة ورحق ليطيء السراج وشمعة كانت بقرنيه خارج الحمة فيعود فيضع السكين في موضع حلمته . فاتفق ان اتلب ناصر الدولة في نومه ولما رجع

(١) قال صاحب النكتة : أتقد بابي بكر ابن قريظة

الرجل لاطفاء الشمعة من جنب الى جنب فاطفاً للرجل الشمعة وعاد وقد
أظلم الموضع فوضع سكّينه في الموضع الذي كان فيه تقديره وما شكّ أن
السكين يقع في حلقه^(١٣٢) فبقي السكين مغرزاً في الخدة مكان رأس ناصر
الدولة وعند الرجل أنه قد قتله وخرج من المضرب ولم يعلم به أحدٌ
واتّبه ناصر الدولة وراى السكين وطلب الرجل فلم يُأحق وشاع الخبر
فصار الناس الى ناصر الدولة للتهنئة بالسلامة . وهنّى الرجل الى معز
الدولة ليشره بأنه قد قتله واستنرحه ما عمل فشرحه له فقال معز الدولة :
مثل هذا لا يؤمن . وسأله الى الصيمرى ليحبسه فقتله الصيمرى

وفي هذه السنة أفرط الغلاء حتى عدم الناس الخبز البتة وأكل الناس
الموتى والحشيش والميتة والجيف وكانت الدابة اذا راثت اجتمع على الروث
جماعة فقتشوه ولقطوا ما يجدون فيه من شعير وأكلوه وكان يؤخذ بزر
قطونا ويضرب بالماء ويُسط على طابق حديد ويجعل على النار حتى يقب
ويؤكل وخلق الناس من ذلك في أحشائهم أدرام ومات أكثرهم ومن
بقي كان في صورة الموتى . وكان الرجل والمرأة والصبي يتف على ظهر
الطريق وهو تالف ضراً فيصيح الجوع الجوع الى ان يسقط ويموت وكان
الانسان اذا وجد اليسير من الخبز ستره تحت ثيابه والآ استلب منه ولكثرة
الموتى وانه لم يكن يلحق دفعهم كانت الكلاب تأكل لحومهم^(١٣٣) وخرج
الضفة الى البصرة خروجا مُقرطاً متتابعين لا كل الثور قتل أكثرهم في
الطريق ومن وصل منهم مات بعد مُديدة . ووجدت امرأة بهاشمية قد
سرت صبياً فيموته وهو حي في تنور فأكلت بعضه وظفر بها وهي
تأكل البعض الباقي فضربت عنقها . وكانت الدُور والمقاربات تُباع

برغفان ويأخذ الدلال بحق دلالته بمض ذلك الخبز . ووجدت امرأة أخرى تقتل الصبيان وتأكلهم ثم فشا ذلك فقتلت عدة منهم . ولما زالت الفتنة ودخلت الغلات الجديدة انحل السمر

ولما استتر ابن شيرزاد نظر أبو جعفر فيما كان ينظر فيه ابن شيرزاد ثم قلد الأمير معز الدولة والصيمري الحسن بن علي بن مقله ما كان أبو جعفر ينظر فيه من أعمال الخراج وجباية الاموال^(١)

وفي هذه السنة شغب الديلم على معز الدولة شغبا قبيحا وكاشفوه بالإسراع وخرقوا عليه بالسفك الكثير فضمن اطلاق أموالهم في مدة ضربها لهم فاضطرّ الى خبط الناس واستخراج الاموال من غير وجوهها . فاقطع قواده وخواصه واتراكه ضياع السلطان وضياع المستترين وضياع ابن شيرزاد وحق بيت المال في ضياع الرعية وصار أكثر السواد مغلقا وزالت أيدي المال عنه^(١٣٦) وبقي اليسير منه من المحلول فضمن واستغنى عن أكثر الدواوين فبطلت وبطأت أزميتها وجمعت الاعمال كلها في ديوان واحد .

﴿ ذكر ما انتهى اليه هذا التدبير من سوء العاقبة وخراب ﴾

﴿ البلاد وفساد المساكر وسوء النظام ﴾

ان التدبير اذا بُني على أصول خارجة عن الصواب وان خفي في

(١) زاد صاحب التكملة : فقبض (يعني ابن مقله) على أبي زكرياه السوسى والحسن بن هرون قشتمها فقال الصيمري : لم يكن غرضك غير التشفي منهما . وأطلق معز الدولة أبا زكرياه السوسى ولم يلزمه شيئا وألزم الحسن بن هرون خمسين ألف دينار وعزل ابن مقله وأنفرد الصيمري بالامر . وقال أيضا : وفي شعبان ابتقى البحر ببق الخالص والنهران .

الابتداء ظهر على طول الزمان . ومثل ذلك مثل من ينحرف عن جادة الطريق انحرافا يسيرا ولا يظهر انحرافه في المبدأ حتى اذا طال به المسير بعد عن السمت وكثرت اذداد امعانا في السير زاد بعده عن الجادة وظهر خطاه وتفاوت أمره . فمن ذلك انه أقطع أكمة أعمال السواد على مال خرابه ونقصان ارتفاعه وقبل عودته الى عمارته . ثم سأل الوزراء المقطعين وقبلوا منهم الرشي وأخذوا المصانعات في البعض وقبلوا الشفاعات في البعض فصلت الاقطاعات لهم بغير متناوطة . فلما أتت السنون وعمرت النواحي وزاد الارتفاع في بعضها وزيادة الغلات ونقص في بعضها بالانحطاط الاسعار (وذلك ان الوقت الذي أقطع فيه الجند الاقطاعات كان السعر مُفرط الغلاء للتعط الذي ذكرناه) فتمسك الرابحون بما حصل في أيديهم من اقطاعاتهم ولم يمكن الاستقصاء عليهم في العبرة . ورد الخاسرون اقطاعاتهم^(١٣٧) فعوضوا عنها وتمت لهم نقائصها وأسمع الخرق حتى صار الرسم جاريا بأن يخرب الجند اقطاعاتهم ثم يردوها ويتقاضوا عنها من حيث يختارون ويتوصلون الى حصول الفضل والفوز بالربح . وقُلِدَت الاقطاعات المرتجعة من كان غرضه تناول ما يجده فيها ورفع الحساب ببعضه وترك الشروع في عمارتها ثم صار المقطعون يعودون الى تلك الاقطاعات وقد اختلط بعضها ببعض فيستفعلونها بالموجود بعد تناهيها في الاضمحلال والانحطاط . وكانت الاصول تذوب على ممر السنين ودرست العبر القديمة وفسدت المشارب وبطلت المصالح وأتت الجوائح على التناهي ورقق احوالهم فمن يهرب هارب جال وبين مظلوم صابر لا ينصف وبين مستريح الى تسليم ضيعته الى المقطع لبأمن شره ويوافق . فبطلت الممارات وأغلقت الدواوين وأحى أثر السكتابة

والعماله ومات من كان يحسنها ونشأ قوم لا يعرفونها ومتي تولى أخذهم شيئا منها كان فيه دخيلا متجلفا . واقتصر المقطعون على تدبير نواحيهم بقلماهم ووكلائهم فلا يضبطون ما يجري على أيديهم ولا يهتدون الى وجهه تشير ومصلحة ويقطعون أموالهم بضروب الافساد واعتاض اصحابهم^(١٣٨) مما يذهب من اموالهم بمصادراتهم وبالحيف على معاملهم . وانصرف عمال المصالح عنها لخروج الاعمال عن يد السلطان ووقع الاقتصاد في عملها على ان يقدر ما يحتاج اليه لها ويقسط على المقطين تقسيطات يتقاعدون بها وبادائها وان ادوها وقمت الخيانة فيها فلم تصرف الى وجوها . وقل حفل الناظرين بالحوادث تعويلا على أخذ ما صفا وترك ما كدر والرجوع على السلطان بالمطالبة ورد ما تحرب على أيديهم من الاقطاعات وفوض تدبير كل ناحية الى بعض الوجوه من خواص الديلم فاتخذهم مسكنا وطعمة والتحف عليهم المتصرفون الخونة وصار غرض احدثهم الترجية والتمشية والدفع من سنة الى سنة . وعقدت النواحي الخارجة من الاقطاعات على طبقتين من الناس احدهما اكابر القواد والجنود والاخري اصحاب الدرايع والمتصرفون فاما القواد فانهم حرصوا على جمع الاموال وحيازة الارباح ودعوي المظالم والتماس الخطايط فان استقصى عليهم صاروا اعداءهم . ولما كثرت أموالهم واشتقت بهم الفتوق خرج منهم الخوارج وان سوجوا استشرى طمهم ولم يقفوا منه عند غاية . وأما أصحاب الدرايع^(١٣٩) فكانوا اهدى من الجندي الى تغريم السلطان والحيلة عليه في كسب الاموال ونظر بعضهم الى بعض فيما تجرى عليه معاملاتهم وبذلوا المرافق واعتصموا بالوسائل ووجب ان يجمع الناس حكم واحد . وتوالت السنون عليهم ففردوا بنواحيهم وخلوا

بماملينهم فبن مستضعف يصادر ويفير رسمه وتنقص معاملته على قدر حاله وماله ومن مانع جانبه فيخفف عنه الرسوم ويرتفق على ذلك منه بالاموال ويتخذ الضامن عضدا في شدائده وعند مناظرة سلطانه ويصطلم المستضعفين . فبطل ان ترفع الى الدواوين جماعة او تعمل لعامل مؤامرة او يسمع لاحد ظلامة او يقبل من كاتب نصيحة واقتصر في محاسبة الضمان على ذكر أصول العقد وماصح منه وبقي من غير تفتيش عما عومت به الرعية واجريت عليه احوالها من جور أو نصفه من غير اشراف على احتراس من الخراب او خراب يعاد الى المارة وجبايات تحدث على غير رسم ومصادر ترفع على محض الظلم واضافات الى الارتفاع ليست بمبرة وحسابات في النفقات لاحقيقة لشيء منها ومتي تكلم كاتب من الكتاب في شيء من ذلك فكان ذالحال ضمن ونكب واجتبح وقتل وباعه السلطان بالتطيف .^(١٠٠) وان كان ذا فاقة وخلة ارضى باليسير فانقلب وصار عوناً للخصم ولم يكن بذلك بملوم لان سلطانه لا يحميه اذا خاف ولا ينصره اذا قال .

فهذه جملة الحال في ضياع الدخل فاما الخرج فان النفقات تضاعفت وسوق الدواوين ازيات والازمة بطلت الى غير ذلك من أمور يتسع فيها القول ويتقضى بعضها سياقة بعض فافتصرنا على الاشارة دون التطويل

ثم ركب معز الدولة الهوي في أهور غلماه فتوسع في اقطاعاتهم وزياداتهم واسرف في تمويلهم وتخويلهم فتعذر عليه ان يذخر ذخيرة لنوائبه أو ان يستفضل شيئا من ارتفاع ولم تزل مؤونته تزيد ومواده تنقص حتي حصل عليه عجز لم يكن واقفا على حد مته بل يتضاعف تضاعفا متفاقما وأدى ذلك على مر السنين الى الاختلال بالديلم فيما يستحقون من أموالهم وداخلتهم

المنافسة للآثر ك من اجل حسن احوالهم . وقادت الضرورة الى ارتباط الآراك وزيادة تقريبيهم والاستظهار بهم على الديلم وبحسب انصراف العناية الى هؤلاء ووقوع التقصير في أمور أولئك فسدت النيات وفسد الفريقان اما الآراك فبالطمع والضرارة^(١٤١) وأما الديلم فبالضرر والمسكنة واشترأوا الى الفتن وصارت هذه المعاملة لقاحاً لها وسبباً لوقوع ما وقع فيها مما سذكّر جلا منه في مواضعها بمشيئة الله

وفي هذه السنة سمات علم القهر مائة وقطع بعد ذلك لسانها وفيها ورد الخبر بان نوحاً صاحب خراسان قبض على اخوة ابي علي ابن محتاج وقتل بعضهم

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

لما انهزم ابن محتاج من بين يدي ركن الدولة بعد ان كان ضمن لصاحب خراسان فتح الري أمدّه صاحبه بابن ملك وجماعة من نظرائه وقواده وبالع في تقويته فسار في عدة وعدة وافرة . فكاتب ركن الدولة عماد الدولة وسأله المدد فامرّه ان يخلى لهم الطريق ويصير اليه واعلمه أن له تديراً في ذلك ففعل ركن الدولة ذلك ودخل الخراسانية الري . فراسل عماد الدولة صاحب خراسان سرّاً يعرفه قلة جدوى الري عليه مع ما يلتزمه من النفقات على العساكر العظيمة وان الاستيحاء بينهما زائد مع ذلك ويسأله ان يزيل هذه الوحشة بان يضمنه اعمال الري عشر سنين بمثل ما تقرّر عليه بينه وبين ابن محتاج وزيادة مائة الف دينار في كل سنة على ان يسلفه مال سنة^(١٤٢) . وسأله اتقاد ثقة من ثقائه ليوقع المهد معه ويحمل المال على يده وأنه يماونه بعد ذلك على ابن محتاج حتى يظفر به . فوردت هذه الرسالة على

نوح بن نصر ونيته فاسدة لابن محتاج وتطلعت نفسه الى تحصيل المال فشاور ثقاته وكلهم اضداد: واعدا لابن محتاج فاشاروا عليه بقبول ما بذله عماد الدولة فاضلهم حينئذ ما كان في نفسه وقبض على اخوة ابي علي ابن محتاج وأهله واسبابه وقتل بعضهم . وانفذ الى عماد الدولة على بن موسى المعروف بالزرار وكان من قواده واكابر حاشيته فسار على الجسازات واستقبله عماد الدولة واكرمه وواصل اليه العطايا والتحف وماطله فيما ورد له . وراسل ابا علي ابن محتاج يعلمه خبر هذا الرسول ويطلعه على ما ورد له وقرر في نفسه انه على عهده يحافظ على وده وحذره من غدر نوح وخوفه منه . فحينئذ انقذ ابن محتاج رسوله الى ابراهيم بن احمد وهو عم نوح وكان اذ ذاك بالموصل احد قواد ناصر الدولة فعرفه انه قد عقد له الرياسة وأخذ له البيعة على اصحابه على ان يكون اليه خراسان ويمضى معه فيحاربان نوحا ويؤكد عليه ان يجعل اليه . فرغب ابراهيم بن احمد في ذلك واستأذن ناصر الدولة ^(١١٣) في المضى فقال له : نحن على المصير الى بغداد فانتظر حتي ندخلها فاذا دخلناها قلدك الخليفة وخلم عليك من داره وعقد لك لواء فيكون أعز لك وأقوى لامرك . وكان هذا في آخر أيام المستكفي بالله فعمل ابراهيم بن احمد على ذلك فلما طالت المدة وحدث على المستكفي بالله الحادثة وانحدر ناصر الدولة الى بغداد تنابعت رسل أبي علي ابن محتاج الي ابراهيم فعبر تكررت في سبعين غلاماً ومضى الى دقوقا ومنها الى طريق خراسان . ثم وردت كتبه من الري على ناصر الدولة بانه سائر الي نيسابور لمحاربة ابن أخيه نوح فانفذ اليه ناصر الدولة خلعاً سلطانية ولواء عقده له بن الخليفة المطيع لله وحمل اليه ذلك مع خججج المسمول فطهر الناس له من ذلك وقالوا انه لا يتم أمره . ولما بلغ أبا علي مسير

ابراهيم تلقاه الى همدان وعاهده علي السمع والطاعة والنصيحة وعاد معه الى الوري. ثم نهضا جميعا الي خراسان وكتب كتابا الي ركن الدولة بانه سائر الي خراسان وأنه قد أفرج له عن الرى فكتب عماد الدولة الي أخيه ركن الدولة بالمسير اليها فبادر الي ذلك واضطرب خراسان على نوح بن نصر

{ ذكر ما تم من الحيلة لعماد الدولة في تلك الحال }

لما فرغ عماد الدولة من التضريب بين ابن محتاج وبين صاحبه وتمت المكاشفة بالعداوة بينهما^(١١١) بادر بردّ الزرار رسول صاحب خراسان على نوح برسالة يقول فيها : انه قد ظهر ما كان ينذره به من سوء نية ابن محتاج وسميه عليه وانه لما كاشفه بالحرب مع عمه ابراهيم أنفذ أخاه ركن الدولة الى عسكره حتى اذا سارت جيوش نوح بن نصر الى عمته والى ابن محتاج واحتاج الى أن يسير ركن الدولة من ورائهم معاونا له عليهما فعمل ذلك . وأقبل نوح الى نيسابور في عساكره وجميع من معه من أصحاب جيوشه ورجاله فبرز له ابراهيم وابن محتاج فخارباه وكسراه وأسرا ابراهيم بن سمجور ومنصور بن قراتكين وعددا كثيرا من قواده واستأمن أكثر جيشه وانصرف نوح مفلولا على حال سيئة من الضعف والجيرة واتبه ابراهيم وابن محتاج وخلا معهما ابراهيم بن سمجور ومنصور بن قراتكين أسيرين واستمرت بنوح الهزيمة الى سمرقند فدخل ابراهيم بن أحمد بخارى ويشتمل على الخزائن والذخائر وذلك في سنة ٣٣٥ . وكتب ابن محتاج الى عماد الدولة يبشره بما جرى ويطلبه تجديد أمر السلطان لابراهيم ابن أحمد بالخلع والبقله على خراسان .

﴿ ذكر ما انتهى اليه أمر ابراهيم وابن محتاج مع نوح بن ﴾
﴿ نصر وما اتفق من الاسباب التي أعادت نوحا ﴾
﴿ الى سريره ومقرّ عزه بخراسان ^(١١٥) ﴾

كان سبب ذلك ان ابراهيم أصفى الى قوم حساد لابي علي بن محتاج فكانوا يرهونه ان أبا علي انما استعان به ليجتمع له جيوش خراسان فاذا فرغ من نوح عطف عليه فعامته بمثل ما عامل به نوحا وان الصواب له ان يحترز منه . فوقر ذلك في نفس ابراهيم وأطلق ابن سـجور وابن قراتكين وخلع عليهما من غير رأي أبي علي ابن محتاج فاستوحش ابن محتاج واتقبض عن ابراهيم وتمكن ابن سـجور وابن قراتكين من استمالة الجند وكاتبوا نوحا وترددت الرسائل بينهم سرا . ثم ان نوحا سار الى ثغور خراسان فجمع منها جيشا واستخرج أموالا وعاد الى بخارى فملكها وظهر عمه وحصل أسيرا في يده فسمله وسمل جماعة من أهل بيته

﴿ ذكر الحيل التي تمت لنوح على عمه حتى تمكن منه ومن عسكره ﴾

كان ابراهيم وابن محتاج خرجا الى ظاهر بخارى وعسكرا بموضع يقال له ريكستان فينما هم نزول اذ صاح صائح في الميدان الذي بجذاء دار الامارة ببخارى « نوح يامنصور » واجتمع اليه طائفة من الحشم . ثم ان نوحا زحف الى عمه ابراهيم وكان يدير أمره ابن أبي داود البلخي فاحتال على تقوية قلوب أصحابه بأن أعلمهم ان مددا كثيرا قد أقبل اليهم وهم يلحقون في ^(١١٦) الليل وكانت الحرب قد وقعت في ذلك اليوم فكانت على نوح . فلما كان في الليل أنفذ طائفة من عسكره مع مرابكهم وأمرهم بالانبياد فاذا كان في الثالث الآخر من الليل ضربوا بطولهم وبوقاتهم ودبابهم

ودخلوا المعسكر في صورة السدد ففعلوا ذلك فلم يزالوا الى الصبح يدخلون المعسكر على هذه الصورة فلما أصبحوا وتصافوا للحرب استأمن الديلم الذين كانوا مع ابراهيم وانهمزم قوم من أصحابه وانهمزم أبو على ابن محتاج وظفر نوح بابر ابراهيم وعامله بما ذكرت وفي هذه السنة مات أبو بكر محمد بن طنج الاخشيد وتقلد مكانه ابنه أبو القاسم أوجور وظل كافور الخادم الاسود وكان خادم الاخشيد على الامر^(١) وفيها مات على بن عيسى عن تسعين سنة^(٢)

(١) زاد فيه صاحب التكملة : وكان ابن طنج جباناً شديداً البتة في حروبه وكان جيشه يحتوى على أربع مائة رجل وكان له خمسة آلاف مملوك يحرسونه بالليل بالنوبة كل نوبة ألفا مملوك ويوكل بجانب خدمته الخدم ثم لا يبق بعد ذلك فيمضي الى خيم الفراشين فينام . قال التوخي : لقب الراضي أبابكر محمد بن طنج أمير مصر بالاخشيد وسبب ذلك انه فرغاني وكل ملك فرغانة يدعاه اخشيد كما تدعو الروم ملككم بقصر والفرس بكسرى وشاهانشاه والمسلمون بامير المؤمنين وملك أشروسنة الافشين وملك خوارزم خزارزم شاه وملك الترك خاقان وملك جرجان صول وملك آذربيجان اصبيد وملك طبرستان يدعاه سالار . وأبو بكر ابن الاخشيد على مذهب الجبائي كان جده يدعاه بحضرة المعتضد الاخشيد ولقب على ابنه بذلك وهو من أولاد الملوك بفرغانة . والجباي هو محمد بن عبد الوهاب بن سلام أبو على شيخ المعتزلة توفي سنة ٣٠٣ كذا في تاريخ الاسلام

(٢) قال صاحب التكملة : حكى هلال بن الحسن : قال أبو على بن محفوظ : لما ورد معز الدولة وأبو جعفر الصيمري معه الى بغداد أراد أبو الحسن على بن عيسى الركوب اليه وقضاء حقه . وأتفق أنه نزل الى داره ليجلس في سميرية وأبو جعفر محتاج في طيارة وأنا وأخي وأبو الحسين طازاد بن عيسى معه فقال لنا : من هذا ؟ قلنا : الوزير أبو الحسن على بن عيسى . فقال لابن الحسن بن طازاد : قدم بنا اليه فأسأله ان ينزل معنا في الطيارة . فقدمنا منه وسلمنا عليه فقال له أبو الحسن طازاد : الى أين توجه سيدنا . فقل : أتشرعنا بلقاء الأمير الوارث وقضاء حقه . فعملت على ذلك . فقال له :

﴿ ودخلت سنة خمس وثلاثين وثلثمائة ﴾

لما اجتمع لمعز الدولة أمر بئداد في هذه السنة زاد في التوثق من أمير المؤمنين الطيع لله فاستحلفه يمين عظيمة ألا يتغيب عن معز الدولة ولا يغيه

فبثقل سيدنا الى الطيار فانه أولى . فامتنع . ولم يزل يراجعهم وكان معه ابنه أبو نصر غفطبه حتى قفل وسهل عليه ذلك وزل . وقام له أبو جعفر الصيمري عن موضعه وقد وصانا ان لانعرفه اياه وكان أبو نصر عرفه وأراد ان يشهر أباه فلم تدعه طاعة لابني جعفر . وسرنا مصعدين ووصلنا الى معسكر معز الدولة باب الشمسية . وقدم الطيار الى المشرعة فقال أبو جعفر لابني الحسن : تجلس يا سيدنا بمكانك حتي أصعد الى الامير وأعرفه خبرك وأؤذه بحضورك . فقال له : لك أطال الله بقاءك عند الامير آرة وبه أنسية : قال : نعم . وصعد فلما صعد قال أبو نصر لايه : هذا الاستاذ أبو جعفر الصيمري . فارتاع وقال له : ألا أعلمنا ذلك لاوفي لارجل حقه ؟ قال : متعني أصحابنا . وأقبل على طازاد فقال له : لا أحسن الله جزاءك كذا يفعل الناس ! فقال : والله يا سيدنا ما فعلت ما فعلته الا لان الاستاذ أمرني به ولم تمكنني الخافه له . فقال . انا لله وانا اليه راجعون . ووجم وجما شديدا ثم قال : من هاذان أعزهما الله ؟ (وأشار اليّ وإلى أخى) فقال طزاد : ابنا محفوظ . فاستتبته وقال : الذي كان يصحب جعفر بن الفرات ؟ قال : نعم . فقال : قد كان جعفر من الممال الظلمة .

ولما صعد الصيمري الي معز الدولة وجده على شراب فلم يقل له شيئا وعاد الى علي بن عيسى فنهض له وأعظمه . وقال له : قد جنبنا على أصحابنا في كتمانناي موضع الاستاذ حتى كان في تقصيري في قضاء حقه ما لم أحتمله وأنا أعذر اليه أدام الله عزه من ذاك . فقال : فدل الله بك يا سيدنا وضع وأى تقصير جرى ؟ فالتفت الى طازاد فقال : ألم أوصك بترك اعلامه أمرى ؟ فقال : أبو نصر ولده أعلمه وقد حصلت بين العتب أنها الاستاذ منك ومنه . وقال له أبو جعفر : الامير على حال لا يجوز لهاء مثلك عليها وهو يعتذر من تأخر الاجتماع باعتراض ما اعترض منها واذا تكلف سيدنا العود في غداة عز لقيه ووقاه من الحق ما يجب ان يوفيه اياه والطيار يا كراهه . وانصرف أبو الحسن وعاد أبو جعفر الى معز الدولة فقال له : وافي على بن عيسى للقاء بك وخدمتك فاعتفرت اليه عنك بانك على نبيذ ولم يجوز ان يرالك عليه . فقال : من علي بن عيسى ؟

سوءاً ولا يُبالي له عدواً فلما حلف أزال عنه التوكيل. وعاد الى دار الخلافة واعتزل أبو علي الحسن بن هرون النظر في الامور لتجامل

فقال : وزير المقدر بالله . فقال : ذلك العظيم ! قال : نعم . قال ما وجب ان تردده فاني كنت أقوم الى مجلس آخر واللقاء فيه . فقال : ما كان يحسن ان يثم منك رائحة شراب وفي غد ييا كرك . فقال معز الدولة : وكيف آتاه وما الذي أقول له ؟ فقال له الصيمري : تزعج له بعض الانزعاج وترفع مجلسه وتدنيه من مخدك وتقول له « ما زلت مشتاقا الى لقائك ومشوقا للاجتماع معك وأريد ان تشير علي في تدبير الامور وعمارة البلد بما يكون الصواب فيه عندك »

وجاء أبو الحسن علي بن عيسى من غد ودخل على معز الدولة فوفاه من الاجلال والاكرام أكثر مما وافقه عليه أبو جعفر وأعطاه مخدة من دسسته فقبلها أبو الحسن وقال له ما يقال مثله فقال له معز الدولة : كما نسمع بك فيعظم عندنا أمرك ويكثر في نفوسنا ذكر كرك وقد شاهدت منك الآن ما كنت مؤثرا واليه متطلما والدنيا خراب والامور على ما تراه من الانتشار فإشر علي بما تنصده في اصلاح ذلك . فقال له أبو الحسن : هذه النية منك أيها الامير داعية الى الخير ومسهلة الى النجح وطريق التمام ودرور المسادة واستقامة أمر الجند والرعية والعدل ، والذي أهلك الدنيا وأذهب الاموال وأخرج الممالك عن يد السلطان خلافة وأتت الضلاح ويطرد الاغراض بالولة الموفقين والاعوان المصححين

وحدثنا عمر بن شبة قال : حدثنا فلان (وذكر الاسناد عن النبي صلى) انه قال : اذا أراد الله بوال خيرا قبض له وزير صدق ان غفل اذ كرم وان رفل أيقظه . وقد وفق الله الامير من هذا الاستاذ (وأشار لابي جعفر) من تمت فيه أسباب السكينة وبانت فيه شواهد الخالصة وبوشك ان يجري الخير على يده وينتأى المراد بحسن تدبيره . فراجع أبو جعفر وتوقف عن تفسير هذا القول لمعز الدولة وفطن معز الدولة ان توقفه لاسر كرم ذكره فقال لابي سهل المارضي : انظر ما يقول . ففسر له تفسيراً لم يفهم عنه ولا استوفى القول فيه وتدلج في ذكر رجال الحديث حتى استفهم معز الدولة أسماهم وقال : هؤلاء اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو الحسن : لا هؤلاء رجال قالوا لنا الحديث عنه . ثم عاد أبو جعفر الى الترجمة بينهما وقال أبو الحسن : ومن أولى ما انظر فيه الامير وقدمه سد هذه البثوق هي أصل الفساد وخراب السواد . فقال :

الصيمري^(١٧) عليه ومصادرة كاتبه فرد النظر في الاعمال الى أبي الحسين على بن محمد بن مقله من قبل أبي جعفر الصيمري ورعى له معز الدولة مكاتبته له أيام مقامه في الجانب الغربي فلما عبر معز الدولة ولقيه لزمه ثم رد في هذا الوقت اليه النظر في الامور^(١٨) وقيل كتبة الخليفة أبو أحمد الفضل

وقد نذرت لله عند حضوري في هذه الحضرة الا أقدم شيئاً على ذلك ولو نفقت فيه جميع ما أملك . قال : إذن يحسن الله عونك ويذل لك على صعب ويسهل كل مراد بين يديك . فلما انقضي القول بينهما في ذلك قال معز الدولة : أذكر حوائجك لا تقدم فيها بما أقضى به حفيك . قال : الحاجة الحاضرة هي الى الله تعالى في ان يطيل بقاءك ويدوم علاك ومتى عرضت من بعد حاجة اليك كان الممول فيها عليك . قال : لا بد من ان تذكر شيئاً . قال حراسة منازلها فانها تشتمل على عدد كثير من بنين وبنات وعبيات وأهل وأقارب وأتباع وأصحاب . قال : هذا أقل ما أمته . ونهض أبو الحسن وشيخه أبو جعفر وهشي الغلمان بين يديه .

وتوفي أبو الحسن بعد عبور معز الدولة وهزيمة ناصر الدولة يوم فضي أبو عمران موسى بن قتادة وكان معه مائتا رجل من الديلم فنزل داره . وركب الصيمري اليها وقد فرغ من تجهيزه ووضع في تابوته فصلى عليه وقال لوسي : اخرج من هذه الدار فما يجوز نزولك فيها . فقال لا اخرج . فقال لا أمكنك منها . فقال لا أقبل منك . قال اذا لم تقبل أكرهتك . وتابذا بالقول تابذا تولدت منه فتنة واجتمع الي موسى أصحابه والى أبي جعفر آخرون وعرف معز الدولة ذلك فبادر لاطفاء النائرة وقال للصيمري ليس هذا وقت ذاك . قال بل أهب الامير هذا وقته ومتى اقتضينا أمرنا بسقوط هيئتنا استمر ذلك وبعد تلافيه وازداد الامر من بعد وهذا والطمع انه يحكما . فاخذ معز الدولة بيد موسى بن قتادة فاخرجه معه وقال له يكون نزولك في الدار التي أنزلها ولا تفتح أمراً بما يقبح من انزعاج أولاد هذا الشيخ المشهور ذكره في الدنيا وعياله عن منازلهم وأوطانهم . وبقيت دور أبي الحسن على ولده ودور (ابن) أخيه أبي على بن عبد الرحمن عليه في حياته بفعل أبي جعفر ما فعله .

(١) زاد صاحب التكملة . وكان ابن مقله يواصل معز الدولة في أيام الحصار بالهندايا والاخبار فلما عبر الى الجانب الشرقي سما داره بها واستخدمه . فاجتذ في المصادرات

ابن عبد الرحمن الشيرازي وسُلِّمَت اليه ضياع الخدمة ارتفاع مائتي ألف دينار في السنة

وفيها ورد الخبر في المحرّم بدخول الامير دكن الدولة الريّ وانه ملك الجبل بأسره .

وفيها ورد أبو بكر ابن قرابة من عكبرا برسالة ناصر الدولة يلتمس فيها من معز الدولة الصلح وقد كان تردد قبل هذه الوقعة مرّات فتقرّر أمر الصلح على ان يكون في يد ناصر الدولة من خد تكريت الى فوق ويضاف الى أعماله مصر والشام على أن لا يحمل عن الموصل وديار ربيعة شيئاً مما كان يحمله من المال ويكون الذي يحمله عن مصر والشام ما كان يحمله الاخشيدي محمد بن طفج عنهما وعلى أن يدرّ ناصر الدولة الميرة الى بغداد ولا تؤخذ لها ضريبة وحلف معز الدولة بحضرة الخليفة والقضاة على ذلك والوفاء به

وأُنْفِذَ القضاة مع ابن قرابة الى معز الدولة لالتماس الصلح^(١١٨) بغير موافقة منه للأتراك ولا علم منهم فلما علموا بذلك وظهر أمر الصلح اجتمع الأتراك للايقاع به وأحس ناصر الدولة بذلك فخرج بالليل وعبر الى خيمة ملهم . وكان ملهم والقرامطة في الجانب الغربي والأتراك وناصر الدولة في الجانب الشرقي واستجاره فاجاره^(١١٩) وسيره في الجانب الغربي ومعه ابن

للتجار والشهود فصادف أحد العامة معز الدولة منصرفاً منفرداً نصف النهار فعرفه ما الناس فيه من الخوف فتقدم بصرف ابن مقلة . واختارت دور ابن شيرزاد ودوز أسبابه وأخيه وصودر على مائة وثمانين ألف درهم. وقد معز الدولة الشرطة أبا العباس بن خاقان (١) قال صاحب التكملة فاستجار بأمر ملهم حتى أمرت ولدها بتسييره

شيرزاد وبقي الاتراك في الجانب الشرق . فلما فاتهم ناصر الدولة اجتمعوا على تأمير تكين الشيرزادي وقبضوا على أبي بكر ابن قرابة بعد ان نزل به مكروه عظيم وقبضوا على كُتَّاب ناصر الدولة وأسبابه وساروا يطالبونه واستأمن ينال كوشه واولؤ الى معز الدولة واسرع ناصر الدولة في سيره فلم يلحقه الاتراك . ولما صار الى مرج جهينة قبض على ابن شيرزاد وسلمه وعلى طازاذ وعلى أبي سعيد وهب بن ابراهيم وجوهر خادم ابن شيرزاد وأنفذ جماعتهم الى القلعة . ولم يتلبث ناصر الدولة ومضى الى نصيبين ورحل تكين الشيرزادي والاتراك الى الموصل وغلبوا عليها ثم ساروا في طلبه فمضى الى سنجار فبعوه وكتب الى معز الدولة يستصرخه فانفذ اليه معز الدولة جماعة من قواده ثم أنفذ أصفه دوست بعدهم ثم أخرج الصيمري . ولما سار^(١٩) تكين الشيرزادي الى سنجار في طلب ناصر الدولة سار من سنجار الى الحديثة فبعه تكين الى الحديثة فلما قرب منه سار ناصر الدولة الى السن وهناك لحق به جيش معز الدولة وأبو جعفر الصيمري واصفهدوست فساروا بأسرهم الى الحديثة للقاء تكين الشيرزادي . ووقعت الواقعة بالحديثة وكانت شديدة فانهزم تكين وتمتع أصحابه واستؤسر منهم وجوه القواد وجماعة من الاصاغر وقتل منهم خلقٌ بعد ان كان استعلى واستظهر في الحرب

﴿ ذكر السبب في هزيمة تكين والظفر به بعد استعلائه ﴾

كانت العرب على كثرة عددهم في عسكر الصيمري يتفزون صفوف الديلم ولا يصدقون اللقاء فقال لهم الصيمري : اعتزلوا عنا ولا تدخلوا بيننا وانظروا فان انهزم واحد منهم فاتبعوه وان ثبت فدعونا وايه ما دام ثابتاً

واعلموا انكم اذا قربتم منا واختلطتم بمصافنا بدأنا بكم قبل اعدائنا . ففعلوا واعتزلوا وصبر الفريقان وحمل الاتراك حملات شديدة ثبت لها الديلم ثم وثبوا في وجوه الاتراك فلما ولوا حمل عليهم العرب ووضعوا الرماح بين ظهورهم ونكسوم فأكثروا القتل والاسر . ثم استأسر^(١٠٠) جنود تكيين الشيرزادى فتقربوا به الى ناصر الدولة فسلمه للوقت وانفذه الى قلعة من قلاعهم وسار ناصر الدولة وأبو جعفر الصيمري الى الموصل فنزل الصيمري في الجانب الشرقي بازاء الموصل ودخل اليه ناصر الدولة وحصل عنده في خيمته وخرج من عنده وعبر الى الموصل ولم يعد اليه بعدها .

حكى عن ناصر الدولة انه قال : لما حصلت مع أبي جعفر الصيمري في خيمته ندمت وعلمت اني قد أخطأت وغررت فبادرت الى الانصراف . وحكى عن الصيمري انه قال : لما خرج من عندي ناصر الدولة ندمت على تركي القبيض عليه . وعلمت اني قد ضيعت الخزم وأخطأت بعد ان فاتني الصواب ثم تسلم أبو جعفر الصيمري طازاذ ووهباً وجوهراً والف كر خنطة وشعيراً وأنحدر بهم الى بغداد مع ابن لناصر الدولة رهينة يقال له هبة الله وأدخل ابن شيرزاد بعده يوم الى بغداد . وكلا به^(١) وصادره معز الدولة

(٢) قال صاحب التكملة . وضمن لناصر الدولة طازاذ وأبو سعيد وهب النصراني الكاتب (وهو الكاتب الذى مدحه ابن تباته) خمسين الف دينار على ان يطلقه فلم يفعل . وسلمه الى الصيمري وكان الصيمري مرعياً لطازاذ . وقال أيضاً . وكتب أبو عبد الله ابن ثوابه (وترجمته في ارشاد الاريب ٢ : ٨٠) عن المطيع لله كتابا بالفتح الى عماد الدولة منه فلم يسفر المعجاج الا عن قتل مرسل أو غريق معجل أو جريح معطل أو أسير مكبل أو مستأمن محصل أو حتمية ملاءها الله بلا تعب أو غنيمة أفاء الله بلا نصب . وفي هذه السنة صرف أبو الحسن محمد بن الحسن بن أبي الشوارب عن القضاء بالجانب

على خمسمائة الف درهم ثم حمل ناصر الدولة تكين الشيرزادي مسمولا الى معز الدولة فأحسن اليه معز الدولة وأطلقه واقطعه اقطاعا .

وفيهما خرج لشكر رورز بن سهلان في جيش الى الاهواز ومعه عامل خراج وظهرت الوحشة بين الأمير معز الدولة وبين أبي القاسم البريدي وقبض معز الدولة على ينال كوشة^(١١٠) وكان استجيبه وعلى إرسالان كور وعلى فتح للشكري وحملهم الى قلعة رامهرمز

وفي يوم الاحد ثمان خلون من شوال ضرب الصيمري ابن شيرزاد بحضرته بالمقارع وطلابه بمال المصادرة وانحدر الصيمري الى الاهواز وفيها جرت وقعة بين أصحاب البريدي وبين أصحاب معز الدولة فكانت على البريدي وأسر منهم نحو مائتي رجل من وجوه الديلم

القرني واضيف الى عمر القاضي أبي الحسن محمد بن صالح الهاشمي ويمرف بان أم شيان . وفي النصف من شعبان خرجت العامة ازبارة قبر الحسين وعقدت الباب بباب الطاق . وورد الخبر ان سيف الدولة قبض على الفراريطي واستكتب بعده أبا عبد الله بن فهد الموصل . وفي هذه السنة انقطعت قطرة دهما بأسرها . وفي تاريخ الاسلام في ترجمة هذه السنة ولما مات الاخشيد بدمشق سار سيف الدولة من حلب فلك دمشق واستأمن اليه يائس المويسي ثم سار سيف الدولة ونزل الرملة . وجاء من مصر انو جور بن الاخشيد بالجوش والغام بامرهم كافور الخادم فرد سيف الدولة الى دمشق وسار وراء المنصورين فانهمز الى حلب فساروا خلفه فانهمز الى الرقة ثم تصالحوا علي ان يعود سيف الدولة الى ما كان بيده . قال المسيحي وكان بين سيف الدولة وبين أبي المظفر حسن بن طنج وهو أخو الاخشيد وقعة عظيمة بالمجون فانكسر ابن حمدان ووصل الى دمشق بعد شدة وتشت وكانت أمه بدمشق فنزل المرخ خائفا وأخرج حواصله وسار نحو حمص على طريق قارا وسار أخو الاخشيد وكافور الاخشدي الى دمشق ثم سار الي حلب في آخر السنة واستقر أمرهم . وكسرة المظفر لابن حمدان مذكورة في كتاب الولاة لابي عمر الكندي ص ٢٩٥

﴿ودخلت سنة ست وثلاثين وثلثمائة﴾

وفيها سار المطيع لله والامير معز الدولة الى البصرة وانتزعاها من يد أبي القاسم البريدي فسارا من واسط في البرية على الطغوف فلما صاروا في البرية ورد على الامير معز الدولة رسول الهجريين القرامطة من هجر بكتاب منهم اليه بالانكار عليه في سلوك البرية من غير أمرهم اذ كانت لهم فلم يجب عن الكتاب وقال للرسول : قل لهم « ومن أنتم حتي تستأذنوا في سلوك البرية وكأني أنا أقصد البصرة انما قصدى بلدكم واليكم بعد فتحي اياها وستعرفون خبركم » وكلام في هذا المعنى فانصرف الرسول . وانحدر أبو جعفر الصيمري وموسى فياذه في الماء فملك مسماران ودخل دار البريدي بها بعد حرب يسيرة ووصل الخليفة والامير معز الدولة الى الدرهمية فاستأمن اليه ^(١٥٢) جيش البريدي بأسره وهرب أبو القاسم البريدي الي هجر وملك معز الدولة البصرة فأنحلت الاسعار كلها ببغداد انحلالا شديدا . وقبض معز الدولة على جميع قواد البريدي بالبصرة واستخرج أمواله وودائعهم وقبض خزائنه وأحرق كل ما وجد له من آلات النساء من الشذات والطيارات والزبازب واستدعى لؤلؤا من بغداد فقلده أعمال البصرة والحرب . ووصل معز الدولة من البصرة الى الاهواز ليلقي أخاه عماد الدولة وتأخر الخليفة والصيمري بالبصرة . وتأخر كوركيز عن صحبة معز الدولة من غير موافقة وقيل انه في التدبير عليه وعقد الرياسة لنفسه فوجه اليه بابي جعفر الصيمري فامتنع عليه وحاربه في داره فظفر به أبو جعفر وقبض عليه وصار به الي معز الدولة فأنفذه الي القلعة برامهرمز

ولقي معز الدولة أخاه عماد الدولة فقبل الأرض بين يديه واجتهده به
 عماد الدولة أن يجلس بين يديه فلم يفعل وكان يتردد اليه كل يوم بالغداة والعشية
 فيقف ولا يجلس . وقيل للأمير معز الدولة ان عماد الدولة يريد أن يسأله
 في الافراج عن رامهرمز وعسكر . فحكي أبو الحسن المافروخي^(١)
 انه كان مع معز الدولة وكان عماد الدولة ورد أرجان فالتقيا بها قال : فدهاني
 عماد الدولة وقال : يا بني انه حكى لآخي^(١٥٣) اني وافيت الى هذا الموضع
 لارتجع منه بعض أعمال الامواز . وضرب يده الى لحيته وقال : سوءة لها
 ان انا تواضعت لهذه الحال ا من لي حتى احتاج الى استئثار البلاد وادخار
 المال ؟ هذا وأخوه ابنائى وانما أريد الدنيا لهما والله ما وافيت الا لاعتد
 ما بينهما من الرياسة حتى لا يجري خلاف ان حدثت بي حادثة فاني عليل
 كما ترى واسأله أن يقدم الكبير على نفسه كما جرت العادة وبارك الله له في
 بلاده ولو أراد بعض فارس لوهبته له ولقد أصبحت وأمسيت وما منأت
 على الله الا العافية وسلامتهما وابقاؤها فانهما أخوأي بالنسب وابنائى
 بالترية وصنيمتاي باولايات ومن لي غيرهما فيقدر ما يقدر . (قال) فعدت
 الى معز الدولة وحدثته بالحديث فبكى وحضر في آخر النهار عند عماد
 الدولة فامرف في الشكر والدعاء وتذكر الكلام فبكى بحضرة حتى
 ضمه عماد الدولة الى نفسه .

ثم انصرف الى بغداد وامتد الى باب الشماسية وقدم الخليفة فقبل
 بالزيديية . وأظهر معز الدولة انه يريد الموصل وكتب عن المطيع لله كتابا
 الى ناصر الدولة وورد أبو بكر ابن قرانة الى هالك بجواب الرسالة وردد

(١) هو محمد بن أحمد كذا في ارشاد الأريب ٣ : ١٨١

مرات ثم حمل المال وتم الصلح^(١)

﴿^(١١) ودخلت سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة﴾

وفيها ورد الخبر بوقعة للروم مع سيف الدولة انهزم فيها سيف الدولة وأخذ الروم مرعش وأوقعوا باهل طرسوس^(٢) وفيها قبض معز الدولة على اصفهدوست وحمله الى قلعة رامهرمز^(٣)

ذكر السبب في ذلك

كان اصفهدوست خال ولد معز الدولة وولد له من أخته الحبشى وكان يكثر الدالة عليه ويقل الهيبة له وكان يزرى عليه في كثير من أفعاله وبلغ معز الدولة عنه انه يرسل المطيع لله في الايقاع به وانه قد استجاب له الى ذلك

(١) قال صاحب التكملة . ولما ورد المطيع لله من البصرة وكان في صحبته أبو السائب عقبة بن عبيد الله الهمداني فولاه قضاء القضاة وصرف ابن أم شيان ولم يرتزق أبو السائب واستخاف أبا بشر عمر بن أكتم . وورد الخبر بأن ركن الدولة فتح طبرستان وجرجان وهزم وشمكير بن زيار واستأسر من أصحابه مائة وثلاثة عشر قائدا وفي ذي القعدة ضمن روبرهان الديلمي السواد والضرائب بعشرة آلاف الف درهم واستكتب على ذلك ابن سنجلا . وضمن الصيرى أعمال واسط واستكتب عليها أبا الحسن طازاذ . وفي ذي الحجة خلع معز الدولة على هبة الله بن ناصر الدولة الذى كان رهينة عنده وأبقه مع ابن قرابة الى أبيه

(٢) قال صاحب تاريخ الاسلام في ترجمة سنة ٣٣٦ . وفيها اغارت الروم انهم الله على أطراف الشام فسبوا واسروا فساق وراهم سيف الدولة ولحقهم فقتل منهم مقتلة واستود ما اخذوا ثم اخذ حصن برزبة من الاكراد بعد ان نازلهم مدة ثم افتتحه في سنة سبع

(٣) قال فيه صاحب التكملة . وقبض على اصفهدوست لانه اشار على معز الدولة بمبايعة ابي عبد الله ابن الداعي فقال الصيرى انه قصد ان يولى الامارة اذا صار الامر اليه فكان ذلك سببا لاعتقاله برامهرمز ومات بقلعتها معتقلا .

فلما كثر عليه ذلك قبض عليه

وفيه ورد الخيزر بن ركن الدولة هزم العلوى الذي كان بجزان وطبرستان
وفيه دخل أبو القاسم البريدى فى الامان الى بغداد ولقى معز الدولة
وقبل الارض بين يديه وأنزله وأقطعه بمائة وعشرين الف درهم ضياعاً^(١)
وفيه ورد الخيزر بمسير السلاز وهو المرزبان بن محمد الى الرى طامعاً
فيها وفى دفع ركن الدولة عنها غاربه ركن الدولة وأسرهم مع ثلاثة عشر قائداً
من قواده وحمله الى القاعة بسيمير وحبسها فيها وعاد الامير ركن الدولة
الى الرى وقد شرحنا أمره على الاستقصاء فيما بعد

وفيه خرج الامير معز الدولة^(٢) الى الموصل ودخلها وجرت
مراسلات بين ناصر الدولة ومعز الدولة استقر آخرها على ان يحمل عن
الموصل وديار ريعة وديار بضر والرجبة والشام فى كل سنة ثمانية آلاف
الف درهم ويقيم الخطبة لعماد الدولة ومعز الدولة ويختار بن معز الدولة وأخذ
الفضل والحسين ابنى ناصر الدولة رهينة وانصرف الى بغداد . ولم يكن
الصيميرى أخذ خط ناصر الدولة بهذه المفارقة وذلك لان ابن قراتكين
غلام صاحب خراسان قصد الرى واضطرب معز الدولة فبادر الى بغداد
لينفذ منها جيشاً الى أخيه فعمسف أبا جعفر عسماً شديداً فى فصل القصة .
فقال الصيميرى تسكيناله : ارحل اذا شئت فقد أخذت الخط بمائة آلاف
الف درهم . ونما بعض الخيزر الى ناصر الدولة فامتنع على أبى جعفر من بذل
الخط وخاف أبو جعفر أن يخبر الامير معز الدولة بالصورة بعد الاعتراف

(١) زاد صاحب التكملة . واعاد عليه ضيعة المعرونة بفروخا باز من بادوريا
وانزله فى الدار المعروفة بالموزة بشرعة الساج محتاطاً عليه .

فلا يقبله العثرة وانحدر الى بغداد

فقال أبو محمد الملقب وكان يخلف الصيمري : قلت لابي جعفر : بأى شئ تحتج على الامير اذا طالب بهذا الخط فلم تخضره اياه ؟ فقال : اطالب ابن قرابة حتى يكتب خطه عنه فانه لا يقدر على مخالفتي ثم ان أنكر ناصر الدولة قلت انه خليفته وما كذب عنه يلزمه . قلت : فان لم يكتب ابن قرابة خطه وهذا بما لا يجوز ان تكبره عليه ؟ قال : زور^(١٥٦) على خط ابن قرابة . (وكان ببغداد من زور على الخطوط عجباً) قلت : فاذا صبح رأيك على هذا فلا تطالب ابن قرابة بكتب الخط فانه ان امتنع عليك بطل التزوير به ولكن زور . فزورنا والله على خط ابن قرابة ضماناً بثمانية آلاف درهم وخرج الصيمري لحرب عمران ثم حدثت الحادثة من موت عماد الدولة وشخص وكانت كرتة التي ما عاد بعدها . ووافى ابن قرابة وطالبت بالمال فاني وأريت الخط فجده وحلف بالطلاق انه ما كتبه ثم قال : ما أشك انه خطي ولكن ما كتبه . ثم هذا يا هذا انا قد شككت فكيف غيري من تشبهه عليه الخطوط ؟ وأنت تعلم يا با محمد ان ناصر الدولة امتنع من كتب الخط على ابي جعفر وان ابا جعفر خرج وما أخذه وقد أحاطت بي البلوى وليس هذا حقك عليك . فقلت : الاستاذ أبو جعفر غائب وكلامك فيه لا يقبل والامير ينصر وزيره ولا ينصرك ويشهد ونحن معه ان هذا خطك لئلا يبطل ماله ويصير محصوله مخاصمة وزيره ولكن الرأي ان تقول للامير : « لما حدث أمر ابن قرانكين وخرج الجيش الى الرى طمع ناصر الدولة وجهد الضمان والوجه مقارنته حتى يصبح من جهته بعض المال والا بطل الاصل ثم اذا زال هذا الشغل بعد سنة صار^(١٥٧) الكلام لسنة مستأنفة

ويمجل شيئاً يؤخذ منه فان هذه السنة أصلح ، فأعاد ذلك على الأمير معز الدولة ودعاني على خلوة وقال لي : أى شىء ترى ؟ فقلت : الوجه ان تقارب وتأخذ ومتى تمكنا من قصد الموصل فالضمان معنا ونحن نستوفى تمام الثمانية آلاف الالف درهم . قال : فافعل . وقررنا الامر على ثلاثة آلاف الف درهم السنة واستوفيناها . وكان الصيمرى لما انصرف من عند ناصر الدولة بالصلح صار ناصر الدولة الى الموصل وعسف الناس وطالبهم بالالتجيل . وفي هذه السنة خرج سبكتكين الحاجب ومعه أكثر الجيش والقراطة الى الرى مددا لركن الدولة ثم أتبعه معز الدولة بروزبهان وعايكان وجاءة من الديلم ولحقوا به

(ذكر السبب فى ذلك)

كان السبب فيه أن جيش خراسان تحرك فورد الخبر على ركن الدولة وكان ابن عبد الرزاق من كبار أصحاب الجيوش بخراسان الا أنه كان مستوحشا من صاحبه فكاتب ركن الدولة بأنه صائر اليه فى الجيش الذى معه فاستمد له ركن الدولة واعدت أصناف الكرامات له . وكاتب أخاه أبا الحسين أحمد بن بويه معز الدولة وأخاه أبا الحسن على بن بويه عماد الدولة فحمل كل واحد منهما اليه شيئاً كثيراً من المال والدواب^(١٥٨) والثياب والالطاف فصرفها كلها اليه مع ما أضاف اليه من جهته وذلك بعد أن دضره ووطى بساطه وردّه الى الدامغان فوصل اليه شىء لاعد له بمنزله وانما رده الى الدامغان لئلا يتضايق الرى بالمساكر وقيل له : فرّق من الاموال ما ترى على من ترى . ثم استقر رأى بين الامراء الثلاثة أعنى عماد الدولة وركن الدولة ومعز الدولة على تقليد ركن الدولة خراسان والعقد له عليها ليكون

مجلوبته اياهم على الاصل والولاية . ثم وردت الاخبار بحركة المرزبان بن محمد بن . سافر وهو السلار وانه عازم على قصد الري لمحاربة وكن الدولة مقتنيا ورود جيش خراسان وانه سيسفله ذلك عنه . فندب عند ذلك معز الدولة سبكتكين الحاجب المسير الى ركن الدولة مددآله بعد أن عظم أمره ونغم شأنه وضم اليه جماهير عسكره وأكابر قواده وفيهم بورريش وروزبهان ومن يجري مجراها وقطعة وافرة من الأتراك وثلاثة آلاف من شجعان العرب المعروفين فيهم ابراهيم بن المطوق المعروف بابن البارد وعمار المجنون واحمد بن صالح السكلابي وطبقتهم وأطلق الأموال وأزاح العلل في الخيل والسلاح وغيرها . وكتب عهد ركن الدولة على خراسان وعقد لواءه وحملت الخلع اليه معه وخرج بذلك أحد حجاب^(١٥٩) السلطان مع سبكتكين الحاجب فسارت الجماعة معه على أتم أهبة . فلما وصل المسكر الى ظاهر الدينور خلع بورريش الطائفة وأنف من متابعة سبكتكين والمسير تحت رايته وجمع الى نفسه الديلم الذين في المسكر فاستجابوا له جميعاً وبكروا عليه في غداة غد وهو فيها غافل جالس في خيمة له فنافصوه ورماه بزويين اثبتته في كتفه وولى من موضعه وخرج مجروحاً من تحت ذيل خيمته وركب جنيدية الزوبة فبرز الى الصحراء وتلاحق به غلمانهم وسائر الأتراك مع العرب وتمكن الديلم من رحله وسواده فنهبوه وهب رحل حاجب السلطان الذي معه الخلع فذهبت في النهب . وتنجيز الديلم كلهم مع بورريش الآروزبهان ونفراً قليلاً معه فانهم اختاروا طاعة سبكتكين على طاعة بورريش ومرت بورريش هائماً على وجهه ورجع عنه الديلم الى سبكتكين فقبلهم سبكتكين وبسط عندهم ولم يبق إلا ما حجبهم . وأمر العرب بطلب بورريش فلم يكن بأسرع من

أن يوافي به ابراهيم بن المطوق المعروف بابن البارء أسيراً مسلوباً فأقيم بين يدي سبكتكين فخطبه عما يجرى مجرى التشفى واسمعه القبيح ثم أمر بتقييده ورحل الى همدان واستأنف تجديد الخلع التي انتهت حتى^(١٦٠) أقام العوض عنها ثم تم المسير الى حضرة ركن الدولة فوجده نازلاً بباب الري فسلم بورديش اليه فكان آخر العهد به . ولبس الخلع فبرز فيها للناس وقرى غده على خراسان بمشهد من القضاة والقواد ووجوه الناس ووافاه المدد من شيراز واستدعى محمد بن عبد الرزاق من الدامغان لمانجزة الرزبان فانه كان أهم وأولى بالابتداء فلما واقعه ظفر به وأخذ أسيراً كما حكينا في أخباره

(ودخلت سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة)

وفيها انحدر أبو جعفر الصيمري لمحاربة عمران بن شاهين وكان هذا الرجل من أهل الجلمدة^(١٦١) وجنى جناية فهرب الى البطيحة من سلطان الناحية فأقام بين القصب والاجام واقتصر على ما يصيده من السمك قوتاً ثم اضطر الى معارضة من يسلك البطيحة متلصصاً وعرف خبره جماعة من صيادي السمك فاجتمعوا اليه مع جماعة من المتلصصة هناك حتى حوى جانبه من السلطان فلما اشفق من أن يقصد استأمن الى البريدي فقلده أبو القاسم الجلمدة للحماية والاهواز التي في البطائح فما زال يجمع الرجال الى أن كثر أصحابه وقوى فتنب على تلك النواحي .

وفيها ورد الخبر بأن ابن قراتكين غلام صاحب خراسان^(١٦٢) انصرف الى نيسابور وتفرقت جموعه عنه وبقي وشمكير بطبرستان فسار اليه ركن

(١) زاد صاحب كتاب العيون . وهي قرية من اسفل واسط يزعم أنه عربي من بني سليم ولكنه سوادى المنها واللغة وكان قد جنى الخ

الدولة يريدہ فلما قرب منه انصرف بغير حرب وعارضه علی بن سرخاب
أحد قواد ركن الدولة فوقع بسواده واستأمن أكثر أصحاب وشمکیر الى
ركن الدولة ودخل ركن الدولة آمل

وفیها أوقع الصیمری بمران بن شاهین دفعة بعد دفعة واستأسر أهله
وعیاله وهرب عمران بن شاهین واستتر . ثم ورد الخبر بموت عماد الدولة
علی بن بویه فاضطرب الجيش هناك وكتب من الدولة الى الصیمری بالمبادرة
الى شیراز لاصلاح الاوربها فترك الصیمری ما كان فيه من طلب عمران
ابن شاهین وبادر الى شیراز . ووافی ركن الدولة الى شیراز واجتمعوا علی
تقرر الامور وضبط البلد واصلاح امر الجيش فلما استقام الامر وصالح البلد
سلماء الى الامیر أبي شجاع فأسخسه بن ركن الدولة وانصر فاعنه
وكانت علة عماد الدولة التي مات فيها قرحة في كلاله طالت به ونهكت
جسمه ^(١) ولما مات نفذت كتب الخليفة بانه قد نصب أخاه الامیر ركن
الدولة مكانه وجعله أمير الامراء .

وتغيرت نية الامیر مع الدولة علی أبي الحسن المافروخی وقبض علی
أبي محمد علی بن عبد العزيز ابن عمه بالبصرة ثم علی أبي الحسن بعده لما
عجزا عن ^(١٦٣) ضمان البصرة والاسافل فان أمرها كان مشتركا وكتب
الى أبي جعفر الصیمری وهو بشیراز بان يُنفذ اليه أبو الفضل العباس بن
فسانجس فانفذه وقلده الدواوين التي كانت الى أبي الحسن المافروخی
ويسألها منه قبل ان يستكتب الامیر مع الدولة أبا محمد المهلبی بأسبوع
ثم حاول ان يُدخل يده في ديوان السواد لیجری في ديوانه فنفعه أبو محمد

(١) زاد صاحب تاريخ الاسلام : وله تسع وخسون سنة

المهلبى واحتج عليه بان هذا الديوان كان يجرى فى ديوان الصيمرى ثم
نحاول أن يدخل يده فى ديوان النفقات وكان يتولاه أبو الفضل العباس
ابن الحسين الشيرازي وفى ديوان الجيش وكان الى سهل بن برديشت وفى
حساب الخزانة الذي يتولاه أبو على الحسن بن ابراهيم الشيرازي^(١) فمنه
ممن الدولة من ذلك لخصوص هذه الطائفة به^(٢) وسكونه اليها

وفىها ورد الخبر بان كوركير وبنال كوشه قتلوا الموكلين بقلعة رامهرمز
وكسرا قيودهما وخرج بنال كوشه وهرب فلقبه الاكراد وما نههم فقتلوه
ولم يخرج كوركير ولا فتح الشكرى ولا ارسلان كور ولا اصفه دوست
وكتب ممن الدولة الى أبى جعفر الصيمرى وهو بشيراز ان يبادر الى القلعة
وحفظها فبادر وكان اصفه دوست عليلا من قولنج فأتى بها . ولما بُد
الصيمرى عن عمران^(١٦٣) وشغل بهذه الاسباب بعد ان لم يبق فى أمره
شئ . تنفس وخرج من استتاره وعاد الى أمره وجمع اليه من كان تفرق عنه
من رجاله وقوى أمره .

وفى هذه السنة أحس على بن بويه عماد الدولة بالموت لخائفة الملل اياه وخاف
ليُعد أخيه عنه وكثرة من فى جلته من كبار الديلم ان يطمع فى مملكته بعده
فاستدعى فناخسره بن ركن الدولة من أبيه ليرشحه للأمر بعده ويأمن به
القواد والجيش فقبل ذلك وسار فناخسره بن ركن الدولة الى شيراز وضم
عسكره اليه أبوه حاشيته الثقات ولما قرب من شيراز تلقاه عماد الدولة فى جمع
وأجلسه فى دله على السرير وأمر الناس بالسلام عليه ووقف يحضرته لثلاث
يتمتع أحد فكان يوما عظيما مشهودا ثم عهد اليه بعد ذلك ومات

(١) هو « النصراني » فى ارشاد الأريب ٣ : ١٨٢ (٢) ليس فى الأصل

﴿ ذكر استعمال حزم واستظهار من عماد الدولة قبل موته ﴾
كان عماد الدولة ينهم جماعة من أكابر قواديه ويعرفهم بطلب الرياسة
لأنفسهم وكانوا يرون أنهم أكرم منه مناصباً وأحق بالولاية فظف
عسكره منهم وقبض على جماعة . فكان ممن قبض عليه شيرنجين بن جليس
فخطب فيه وتشفع فيه ^(١٦١) وجوه حاشيته وثقات أصحابه فقال لهم : اني
أحدثكم عنه بحديث فان رأيتم بعد استماعه ان أطلقه فملت . ثم ابتداءً
يحدثهم انه كان بحراسان في خدمة نصر بن أحمد قال : ونحن يومئذ في
خدمة من الديلم وكان يجلس نصر بن أحمد للسلام في كل أسبوع مرتين
جلس ذات يوم وحواليه من مماليكه ومماليك أبيه بضمة عشر آلاف
غلام سوى سائر العسكر فرأيت شيرنجين هذا قد جرد دشنيا ^(١) واشتمل
عليه بكسائه فقلت له : ما هذا ؟ قال : أريد أن أصنع اليوم ما أذكر به آخر
الدهر . قلت : وما هو ؟ قال : ادنو كاني متظلم أو طالب حاجة فاقبل
الارض ولا أزال أدنو حتى اذا وثقت بالوصول الى هذا الغلام (يعني نصر
ابن أحمد) فتسكت به ثم لا أبالي ان أقتل بعده وقد أنفت من القيام بين
يدي صبي (وكان لنصر بن أحمد يومئذ عشرون سنة وقد خرجت لحيته)
فلمت انه ان فعل لم يقتل وحده حتي تُقتل كلنا معه مماثر الديلم فأخذت
بيده وقلت له : بني وبينك حديث . وجهت عليه الديلم وحدثهم عما عَمَّ به
وما يحیی علينا كلما ان تم له ما يُريد فقبضوا على يده وأخذوا منه الدشني .
أقربدون من بعد ان سمعتم رأيه في نصر بن أحمد ان أمكنه من الوقوف
بين يدي هذا الصبي ؟ ^(١٦٢) فلمسكوا عنه وقالوا : الامير أعلم بحبسه . ولم

(١) المستعمل عند الفرس دشته أي خنجر

يزل محبوسا حتى توفي في محبسه .

وفي هذه السنة قُتِلَ أبو السائب عتبة بن عبيد الله قضا القضاة^(١)

﴿ودخلت سنة تسع وثلاثين وثلثمائة﴾

وفيهما ورد الخبر بدخول ابن قراتكين غلام صاحب خراسان الى الزرى وانصراف من كان بها من أصحاب ركن الدولة وكان ركن الدولة بطبرستان واستولى أصحاب ابن قراتكين على الجبل كله .

وفيهما مات أبو جعفر محمد بن أحمد الصيمري في حُمى حادة بالبزبوني من الجامة لما عاد لمحاربة عمران بن شاهين^(٢)

وفيهما استكتب معز الدولة أبا محمد الحسن بن محمد المهلبى ولما ورد

(١) وله قصة مع صاحب ابن عباد : ارشاد الارب ٢ : ٣٣٨

(٢) زاد صاحب التكملة : وكان الصيمري بمحمد المهلبى على تخصيصه وأدبه فكان اذا جلس معه على الطعام رأى كلامه ونصاحته يأمر الفراشين بعينه فيطرحون المرقعة على ثيابه فكان المهلبى منفصلا به وكان يستصحب مع غلامه دائما ثيابا يغير بها ما عليه . وقال أيضا : ولما خرج الصيمري في هذا الوجه استخاف أبا محمد المهلبى فلما علم نفاقه على معز الدولة أطلق لسانه فيه فكان أبو محمد قد تبين انه يهلك على يد الصيمري فأنفذ الى معسكره طيورا وأوقف من يكتب عليها اخباره فأنه البراج بطبر قد أقبل باللاء بكتاب لم يقف عليه فقال للصائغ (يعني أبا اسحق ابراهيم بن هلال الذي ولي ديوان الرسائل بعد أبي عبد الله بن نوبة في سنة ٣٤٩ كذا في ارشاد الارب ٢ : ٨٠) . تلطف في قراءته . فقرأه بعد جهد فاذا فيه « هلك الصيمري » فدخل الى معز الدولة وعزاه وجلس للعزاء به . وترشح للوزارة أبو على الطبرى وهو عامل الاهواز قال التوخي . من أعظم المصادرات مصادرة معز الدولة لابى على الحسن بن محمد الطبرى صادره علي خمسة الف دينار فلما مات الصيمري طمع في الوزارة وبذل فيها مالا عظيما قدم منه أول نوبة ثلاثمائة الف دينار فلما بين عليه خروجها فاخذها منه وقبض المهلبى . وليراجع أيضا ارشاد الارب ٣ : ١٨١

الخبر بموت أبي جعفر الصيمري أرجف الجماعة بان الامير معز الدولة
يستكتبه فنهض أبو علي الطبري ومنهم أبو علي الحسن بن هرون ومنهم أبو
محمد المهلبى واجتمع أبو محمد المهلبى وأبو علي الحسن بن هرون فتحالفوا على ان
من صح له الامر منهما كان لصاحبه على مودة ومشاركة . وسمى أبو علي
الطبري وكان رجلاً أميناً في أول أمره فحسباً يبيع الرقيق فخطب كتيبة
الامير أبي الحسين مكان أبي جعفر الصيمري وبذل مالا فاطمعه معز الدولة
فيما قدر وتقدم اليه بحمل المال فحمل الى الخزنة مالا فلما صح المال عدل عنه
الى أبي محمد المهلبى فقلده كتابته وتدير أعمال الخراج وجباية الاموال
وخلع عليه لذلك يوم الاثنين ثلاث بقين من جمادى الاولى . وزوج أبو
محمد المهلبى ابنته من أبي علي الحسن بن محمد الانبارى الكاتب واستخلفه
بالخضرة وانحدر الى الاهواز

﴿ ذكر السبب في اختيار معز الدولة أبا محمد المهلبى ﴾

﴿ وإثاره إياه على وجوه الكتاب من الخضرة ﴾

﴿ وغيرهم مع وفور عدد الكفاة يومئذ ﴾

سبب ذلك انه وجدته جاعلاً لادوات الرياسة وكان لا يجمعها غيره
وان كان فيهم من هو أرجح كتابة وأيضاً فقد أنس به على طول الزمان
وانه خاف الصيمري على الوزارة فمرف غوامض الامور وأسرار المملكة
وكان الباؤون لا يعرفون ذلك ولا يخرج اليهم ولا يوثق بهم فيها . وكان مع
ذلك حسن الانباء عن نفسه فصيحاً مهيباً متوصلاً الى آثارة الاموال عارفاً
برسوم الوزارة القديمة سخياً شجاعاً أديباً يفصح بالقارضية فتلافى أكثر
ما دارس من رسوم الكتابة واستدرك كثيراً من العمارات وآثار وجوه

الاموال من مواضعها فحسنت آثاره. وتوفر مع ذلك على أهل الادب والعلوم فاحيا ما كان درس ومات من ذكركم واثوبهم وزغب الناس بذلك في معاودة ما أهمل منها. ثم خرج الى الاهواز فجمع أموالا^(١٦٧) كان قد طمع فيها العمال من بقايا وزيادات زادها في العقود عليهم ومن مؤامرات ناظر عليها العمال والضمائم فآلزمهم أموالها فانصلت حمولة وظهر فضله على من تقدمه^(١٦٨). ثم انتقل من الاهواز الى البصرة فكان أثره فيها أوفر وإنارته للاموال منها أكثر كما سندكر بعضه

وفي هذه السنة ورد الخبر بان سيف الدولة غزا وأوغل في بلاد الروم وفتح حصونا كثيرة من حصون الروم وسبي عددا فلما أراد الخروج من بلد الروم أخذ الروم عليه الدرب الذي أراد الخروج منه فتألف كل من كان معه من المسلمين أسرا وقتلا وارتجع السبي الذي كان سباه وأخذ سواده وكراعه وخزائنه وأمواله وسلاحه وغنم الروم منه غنيمة لم يروا مثلبا

(١) زاد صاحب التكملة : وكان المهلب تقبل البسند ومشي في صحون الخليفة وقد أثقله ما عليه من اللباس فسقط بين يدي المطيع لله عند دخوله من ذلك ومن شدة الحر ووقع على ظهره فاقيم . وظن من معه انه يحصر بما جرى فتكلم وأحسن وأطال الشكر والقول وتمثل بايات فتعجب الناس من بديته وركب الى داره ومعه جميع الجيش وحجاب الخلافة . وداره هي الدار المعروفة بالمرشد ونزلها السلطان (طفر بك) ركن الدولة في سنة ٤٧٧ عند دخوله بغداد وتقضها موفق خادم القائم بأمر الله وضوان الله عليه في سنة ٤٥٥ وبني بآ لها حجرة للطيور بباب النوبي وعمرها سعد الدولة الكوهرايين في سنة ٤٩٠ ولما قتل وقفها زوجته ونفذ ما كان بقي من التقض في الدور الشاطبية بباب الطاق وما امتدت يده من قصر بني المؤمن رضي الله عنه ثم نزلها قوام الدولة كربغا في سنة ٤٩٣ ثم خلت بعد خروجه . وليراجع أيضا ارشاد الاربيب ٣ : ١٨٢

وأُفلت في عدد يسير^(١)

وفيها خرج الحاجب سبكتكين الى همدان مدداً لركن الدولة فلما دخل قرميسين أسر من كان بها من أصحاب ابن قرائسكين .

وفيها رد القرامطة الحجر الاسود الى موضعه من البيت الحرام بمكة وكان أخذه أبو طاهر سليمان بن الحسن الجنابي من البيت الحرام وكان يحكم

(١) زاد فيه صاحب تاريخ الاسلام : وفيها غزا سيف الدولة فسار في ربيع الاول ووافاه عسكر طرسوس في أربعة آلاف عليهم القاضي أبو حصين فسار الى قيسارية ثم الى الفندق ووغل في بلاد الروم وفتح عدة حصون وسبي وقتل ثم سار الى سمندو ثم الى خرشنة يقتل ويسبي ثم الى بلد صارخة وبينها وبين قسطنطينية سبعة أيام فلما نزل عليها واقع الدمستق مقدمته فظهرت عليه فلجأ الى الحصن وخاف على نفسه ثم جمع والتقى سيف الدولة فزمه الله أقبح هزيمة وأسرت بطارقته وكانت غزوة مشهورة وغنم المسلمون ما لا يوصف وبقوا في الفزو أشهراً . ثم ان الطرسوسيين قتلوا ورجع العربان ورجع سيف الدولة في مضيق صعب فاخذت الروم عليه الدروب وحاولوا بينه وبين المقدمة فقاموا الشجر وسدوا به الطرق وهدموا الصخور في المضائق على الناس والروم وراء الناس مع الدمستق يقتلون ويأسرون ولا منفذ لسيف الدولة وكان معه أربع مائة أسير من وجوه الروم فضرب أعناقهم وعقر جماله وكثيراً من دوابه وحرق النمل وقتل قتال الموت ونجا في نهر يسير واستباح الدمستق أكثر الجيش وأسرا أمراء وقضاة ووصل سيف الدولة الى حلب ولم يكده . ثم مالت الروم فأتوا وسبوا وتزلزل الناس ثم اطف الله تعالى وأرسل الدمستق الى سيف الدولة بطلب الهدنة فلم يجب سيف الدولة وبعت يهدده ثم جهز جيشاً فدخلوا بلاد الروم من ناحية حران فغنموا وأسروا خلقاً وغزا أهل طرسوس أيضاً في البر والبحر ثم سار سيف الدولة من حلب الى آمد فحارب الروم وخرب الضياع وانصرف سالماً . وأما الروم فلنهم احتالوا على أخذ آمد وسعى لهم في ذلك نصراني على ان ينقب لهم نقبا من مسافة أربعة أميال حتى وصل الى سورها ففعل ذلك وكان نقبا واسداً فوصل الى البلد من تحت السور ثم عرف به أهلها فقتلوا النصراني وأحكموا ما نقيه وسدوه . ومعنى الدمستق نائب البلاد التي في شرق قسطنطينية .

يُنْفِل في رده خمسين ألف دينار فلم يُردَّ وقيل : أنا أخذناه بامر وإذا ورد
الامر برده رددناه . فلما كان في ذي القعدة ^(١٦٨) من هذه السنة كتب
اخوة أبي طاهر كتاباً يذكر فيه أنهم ردوا الحجر بامر ممن أخذوه بامر
ليتم مناسك الناس وحجهم . وكان الذي جاء به أبو محمد ابن سنبر ثم سار به
إلى مكة ورده إلى موضعه ^(١)

﴿ ذكر الآثار الجميلة التي أثرها الوزير أبو محمد المهلب ﴾
﴿ حتى عمرت الخراب وتوفر دخلها وانصل ﴾
﴿ الحمل منها بعد انقطاعه ﴾

قد كان ممز الدولة لما فتح البصرة ودخلها تظلم إليه الرعية من سوء
مما لات البريديين فعرف أكثرها وذلك أن أبا يوسف البريدي خاصة
تروى بالنظر في أعمال البصرة وجباية أموالها فرسم لابي الحسن ابن أسد
الكتاب أن يطالب ملاك الارضين التي يؤخذ منها حق العشر (وتعرف

(١) وفي تاريخ الاسلام : قال المسبحي : وافي سنبر بن الحسن إلى مكة ومعه الحجر
الأسود وأمير مكة معه فلما صار يفناه البيت أظهر الحجر من سقف وعليه ضباب فضة قد
عملت من طوله وعرضه تضبط شقوقاً حدثت عليه بعد انقلاعه وأحضر له صالماً معه
جص يشده به فوضع سنبر بن الحسن بن سنبر الحجر بيده وشده الصانع بالجص وقال لما
رده : أخذناه بقدره الله ورددناه بمشيئة الله .

وفيه أيضاً في ترجمة سنة ٣٤٠ : وفيها قلع حبيبة الكعبة الحجر الذي نصبه . نبر
صاحب الجاني وجعلوه في الكعبة وأجبا أن يجعلوا له طوقاً من فضة فيشده به كما كان
قديماً لما عمله عبد الله بن الزبير وأخذ في إصلاحه صائغان حاذقان فاحداه . قال أبو
الحسن محمد بن نافع الجزاعي . فدخلت الكعبة فيمن دخلها فتأملت الحجر فإذا السواد في
رأسه دون سائرته وسائرته أيضاً وكان مقدار طوله فيما حزرت مقدار عظم الذراع . قال .
ويبلغ ما عليه من الذهب فيما قيل ثلاثة آلاف وسبعمائة وبعده وتسعون درهما ونصف .

بصدقات أراضي العرب (بالبصرة عن كل جريب من الحنطة والشمير
عشرين درهما وانما فعل ذلك بسبب زيادة الاسعار بالبصرة وان السكر
بالمعدل من الحنطة بلغ بها مائتي دينار ولم يستعمل ذلك الا على تدريج . فلما
قتل أبو عبد الله البريدى أخاه أبا يوسف أقر ابن أسد على العمل وأجرى
الناس على ذلك الرسم . وكانت العمارة تنقص في كل سنة لاجل جور
البريدين وعمّالهم وهم يُطالبون بالمعبرة فنقص مال المعبرة ^(١٦٦) عن جربان
العمارة فزاد ذلك ما يلزم كل جريب في السنة على ما كان يلزمه في السنة
التي قبلها . وكان قد قحط أهل البصرة بالمحاصرات التي لحقتهم فالزموا ان
يزرعوا تحت النخل حنطة وشميرا فلما فعلوا الزموا عن كل جريب أربعين
درهما فقصروا في العمارة فجعل ما كانت يرتفع عبء عليهم واستوفى من
ملاك أرض المشركتهارب الناس فزاد ذلك على من بقي . فلما تقلد أبو محمد
المهاجر وزارة معز الدولة ودخل البصرة وتظلم اليه أهل البصرة من المعبر
التي جُعلت عليهم في أراضي الحنطة والشمير فوعدهم بكل ما أنسوا به . ثم قرر
أمرهم على ان يردوا الى رسمهم القديم في أخذ المشركته حبا بعينه من غير ترييع
ولا تسخير ونظر فيما بين ذلك وبين ما يؤخذ منهم على تقريب فإشار على
أرباب المشركته ان يتأعوا فضل ما بين المعاملة على الظلم والمعاملة على الانصاف
بمن يرغب فيه مع الدولة عاجلا فيسهل عليه ما ينحط من الارتفاع مع
ما تمجّل له من المال ثم يضاف الى ذلك ما يثمره العدل وموقعه من قلوب
الناس مع الرجاء في المستقبل لزيادة الارتفاع . فاستجابوا وتقرر الامر بينهم
على أنفى ألف درهم ^(١٧٠) ومائتي ألف درهم وكتب لهم بذلك وثيقة ثم
حط من الجميع عن الضمى مائتي ألف درهم وكتب الى معز الدولة بان في

ذلك حظا عاجلا وصلاحا ووفورا في ارتفاع الناحية في المستقبل فحسن موقع فعله من معز الدولة فامضاه . وحضر البصريون فاشهدوا على المطيع لله بالبيع وسجلوا بالابتياح ونسب المبتاع الى فضل ما بين الماملتين في العبر فمعر الناس وتضاعف الارتفاع للسلطان وزال عن البصرة تلك الرسوم وصار يرتفع عن المراكب ما يعدل ألفي الف درهم فكان هذا من الآثار الجميلة لآبى محمد المهلبى .

وفي هذه السنة ورد الخبر بشغب جرى في عسكر الحاجب سبكتكين وان القرامطة انصرفوا عنه مع الأتراك بعد ان أوقع بهم ركن الدولة

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان الاجتهاد شديدا في استصلاحهم لانهم كانوا بازاء حرب فلما تعذر قال ركن الدولة : هؤلاء أعداء معنا في عسكرنا وهم أشد علينا من أعدائنا الذين بازائنا والوجه ان نحاربهم ونطردهم . فحاربهم وهزمهم فلما العرب فصاروا الى معز الدولة وأما الأتراك فمضوا الى الموصل ولما سار ركن الدولة الى همدان ارتحل ابن قراتكين من الري^(١٧١) الى أصبهان وفي هذه السنة واقع أبو محمد المهلبى عمران بن شاهين ومع أبي محمد المهلبى روزبهان فكانت على المهلبى وروزبهان واستؤسر أكثر قوادهما وقتل أبو الفتح ابن أبي طاهر بعد ان استظهر المهلبى واستمل

﴿ ذكر السبب في ذلك وفي هزيمة المهلبى بعد ﴾

﴿ الاستظهار على عمران ﴾

كان السبب في ذلك ان معز الدولة كان هول على روزبهان في محاربة

مهران فبنى آلات الماء وأثبت الرجال واحتشد فطاو له عمران وتمحصن في مكانه من البطائح فضجر روزبهان وأقدم عليه طلباً لئلاجزته فاستظهر عليه عمران وهزمه وهزم أصحابه وغنم جميع آلاته وسلاحه فقوى بها . وتضاعف طمعه في السلطان وضرى أصحابه على جند السلطان واستخفوا بهم فكان بعد ذلك اذا اجتاز بهم الحجاب الكبار المحتشمون والقواد والامراء من الديلم والأتراك سفهوا عليهم وطالبوهم بحق المرصد والبذرة فان تأبى عليهم احد تناولوه بالشم القبيح والضرب المبرح وكانت الجند لا يستغنون عن الاجتياز بهم لحاجتهم الى ضياعهم ومعاملاتهم بالبصرة^(١٧٢) والاهواز ثم انقطع طريق البصرة الاعلى الظفر . فشغل ذلك قلب معز الدولة وكثر بكاء الامراء والحجاب والقواد بين يديه بما يجري عليهم من الهوان في اجتيازاتهم فكتب الى الوزير المهلبى بالاصمعاذ الى واسط لتلافي الحادثة والتجرد لطلب عمران ومعاودته الحرب وجرد اليه عسكريا جرارا فيه ابن أبي طاهر ووجوه قواده وغلماؤه وحمل اليه سلاحا كثيرا واطلق يده في اتفاق الاموال فزحف الى عمران وسد عليه مداخله وانتهى الى مضيق في البطيحة شعب لا يعرف مسالكها الا عمران واصحابه . فاحب روزبهان ان يلحق المهلبى مثل ما لحقه من الهزيمة ولا يستبد بالظفر فاشار عليه بالاحتكام والهجوم وتوثق المهلبى واراد سد تلك المضائق فاخذ روزبهان في التضريب عليه وعارضه في كل مادبره ومنعه من هذا الاستظهار وسد الشعب وكتب الى معز الدولة يستعجزه ويذكر أنه انما يحجم ويخرج الى الطاولة ليحتسب بالاموال في النفقات ولم يزل بذلك وشبهه الى أن وردت كتب معز الدولة بالاستبطاء فترك المهلبى الحزم وركب الخطا وعدل عما يدبره كله ودخل

بجميع عسكره^(١٧٣) هاجماً على عمران وتأخر روزبهان ليصير أول الخارجين عند الهزيمة. وقد كُنَّ عمران كمناءه في تلك المعترضات وشحنها بالآلات الموافقة لتلك المضايق فخرجوا على العساكر وهم متزاحمون متضايقون في طريق الماء لا يرفعونها فوضعوا فيهم الحراب فقتلوا وأسروا وانصرف روزبهان موفوراً ونجا الوزير المهلب سباحة وحصل القواد والوجوه في الاسر. فاضطرت الحال الى مصالحة عمران فقوى واستفحل امره. واجيب الى كل ما اقترح

وقد كئناذ كرنا ورود الخبر بمسير السلاطنة المرزبان الى الري ووعداً هنالك باستقصاء خبره والان حين نبداً بذلك

﴿ ذكر الاسباب التي بهمت السلاطنة المرزبان على قصد الري ﴾

﴿ وما انعكس عليه من تدابير حتى أسر ﴾

(وحبس في القلعة بسميرم)

كان المرزبان انفذ رسولا الى معز الدولة في أمور حملته اياها فورد مدينة السلام وقد رحل عنها الى البصرة فافتتحها وأقام هذا الرسول منتظراً له الى أن عاد فأدي اليه الرسالة وكان فيها ما غاضبه فتقدم بحلق لحيته ففعل وأسمع نهاية ما كره وانصرف على هذه الحال. فحكى للمرزبان ما جرى عليه فامتعض وأخذ^(١٧٤) في جمع الرجال والاستعداد ورأى أن يتدبّر بالري فراسل ناصر الدولة سراً يبذل له المعاونة بنفسه وأولاده ورجاله وماله وأشار عليه بأن يتدبّر بمصداق بغداد نخالقه وأجاب به بحيل واعامه أنه يرى الصواب في الابتداء بالري فازتم له ما يريد طلب بمد ذلك بغداد وغيرها. وكان استأمن اليه من قواد الري على بن جبر انقلبه فمرفه نية القواد الذين

وراءه بالري وانهم على المصير اليه فزاده ذلك طمعا واستدعي اياه محمد بن مسافر واخاه ابا منصور وهسودان فلما وافاه ابوه تلقاه وقبل الارض بين يديه واجلسه في صدر الدست ووقف بحضرته وامتنع من الجلوس حتى حلف عليه ابوه دفعات كثيرة بجلوس وامتنع وهسودان من الجلوس فلما جن الليل خلوا جميعا وتفاوضوا فلما عرف ابوه صحة عزمه في قصد الري فتأ عزمه وعرفه أحوالا توجب الامتناع من قصدها فأبى عليه وقال : قد وردت على كتب واكثر القواد هناك مستعدون للانحياز الى . فلما كان وقت الوداع بكى ابوه وقال : يا مرزبان اين اطلبك بعد يومى هذا . فقال بحيله : اما في دار الامارة بالرى واما بين القتلى .

وقد كان ركن الدولة ^(١٧٥) حين عرف خبره كتب يستمد من اخويه عماد الدولة ومعز الدولة وخشى أن يعاجله المرزبان قبل ورود المدد فكتب اليه على سبيل المسكر والخديعة يعظمه ويستخذي له ويسئله أن ينصرف عنه على شريطة أن يفرج له عن اهر وزنجان وقزوين . ولم تزل الرسائل تتردد بينهما الى ان ورد حضرة ركن الدولة بارس الحاجب في التي رجل من جيش عماد الدولة وورد سبكتكين الحاجب في التي رجل من جيش معز الدولة وكان قد صار اليه محمد بن عبد الرزاق مستأمناً من عسكر خراسان ومحمد بن ماكان مدداً من جهة الحسن بن الفيروزان فلما تناسى استظهاره قبض على جماعة من قواده الذين شك فيهم واتهمهم بمكاتبة المرزبان وسار الى قزوين في جميع هذه الجيوش . فعلم المرزبان أنه لا طاقة له به ولكنه أنف من الرجوع فعمل على محاربته وكان مع المرزبان يومئذ خمسة الآف من الديلم والجيل والاكراذ فخفات يمينه ركن الدولة ويسرته على يمينه

المرزبان وميسرته فلنهما جميعا وثبت هو في القالب الى أن قتل بين يديه
 جهوه بلى وونداسفحان بن ميشكى وأسر على بن ميشكى المعروف ببطل محمد
 ابن ابراهيم وعدة من أكابر قواده وأحاطت الرجال به فأسر وحمله ^(١٧٦)
 ركن الدواة الى الرى ومنها الى أصبهان وحمل من أصبهان الى قلعة سميرم
 فلما انفصل من الرى مع جماعة من قواد ركن الدواة وخواصه وكانوا
 مضمومين الى الاستاذ الرئيس حقا أعنى أبا الفضل ابن العميد رحمه الله
 وكان ^(١) هو المتولى حفظه والاستظهار عليه الى أن يحصل فى القاعة

﴿ذكر تدير تم على المرزبان حتى حصل باصبهان بعد ان كان واطأ الديلم﴾
 ﴿الذين أخرجوا معه على الفتك بابي الفضل ابن العميد والحرب به﴾

حدثني الاستاذ الرئيس أبو الفضل قال : لما كنا بين الرى وأصبهان
 تحقق عندي مرسله الديلم اياه واجتماعهم على أن يأخذوه قهراً ويحلوا قيوده
 ويفتكوا بي وظهر ذلك حتى كادت المكاشفة تقع . فلما خفت فوت التدبير
 سايرته وهو فى عمارية وحادثته وهو ينتظر فى ذلك اليوم أن يتم له ما يريد
 وجعلت أقاربه والين له فظهر التوجع والتألم مما حصل فيه فلما أطعمته فى
 نفسى (وكان لا يطعم فى ذلك من قبل) أمال الى رأسه وقال : أنت مقبل
 فان كنت صادقاً فابدأ بحل قيودى وعلى لك كيت وكيت . وضمن
 الضمانات التى تبذل فى مثل ذلك الوقت (قال) فاولهته ان لا أعرف شيئاً
 من مواطاة الديلم له وقلت : اخشى ألا يساعدينى من معى على ذلك . فقال :
 غفر الله لك انت لا تعرف ^(١٧٧) الصورة جميع من معك قد عملوا على فك
 قيودى والفتك بك وأنا أريد ذلك الساعة ان شئت . فقلت : يكفينى ان

اتق بذلك ثم انا اول عبد خدمك وناصحك وتابمك حتى يتم لك ما تريده .
وحدثني باشياء أنكرتها من صاحبي وحقوق في قلبي عليه فاستدعي واحداً
بعد واحد من القواد الذين كانوا معي وأسر اليهم أني معه وموال له ووصل
حديثه معهم بان أدخلني معهم في التدبير فظهرت سروراً شديداً بذلك
وتواعدنا النزول في المنزل القريب واتمام التدبير . فلما نزلنا وضربت خيمتنا
وخر كاهاتنا وحصل في موضعه راساني وأخلاقني بنفسه ثم قال لي : ابعت
الى فلان وفلان (يعني جماعة ممن يثق بهم) حتى يحضروا . فقلت : أيها
السلار ان هاهنا تدبيراً يجب أن تسمعه فان وقع بوفاك والاقا تأمر به
ممثل . فقال : وما هو . فقلت : ان حرم ركن الدولة وأولاده وخزائنه
كلها باصبيان وأنا وزبره وثقته والمتولى للجميع فلو امتددا على صورتنا هذه
حتى لانهم لمكانت من القبض على الجميع وحصلنا في مدينة عامرة تمكن
فيها من التدبير ومع ذلك فان حرم جميع القواد باصبيان وكذلك أولادهم
فاذا قبضنا عليهم لم يبق في واحد^(١٧٨) منهم فضل لمحاربتك واستسلم الجميع
لك وانهد جانب ركن الدولة انهداداً لا انجبار له وتمكننا ايضاً من قلاع
وذخائره وأخرجناها ولم يكن له بقية وان نحن عاجلنا الامر وخرجنا من
هذا المكان طلبنا الخيول وأحدثت بنا ولم نأمن مع ذلك تقرب بعض من
هو الآن معنا الى تلك الجنبه ونحن في عدة يسيرة وحوالينا اصحابه ورجاله
ولا نثق بالسلامة الى المأمن . (قال) فرأيتك قد تهلل وجهه ولم يملك نفسه
لما استخفه من السرور وقال : ليس الرأي الا ما رأيت . قلت : فاني منصرف
عك فراسل انت كل من واطاك على رأيك الاول بماحدث لك من الرأي .
قال : نعم . وقت عنه وليس عنده شك في حصول الملك له يواطاني وانه

قد أقبل جده وتمت سمادته بتمام تديري وشاع في أصحابه ومن كان واطأه
 أنا في تدبير فسكنوا بعد أن كانوا هموا بما هموا به . رسرت آمنا حتى
 حصات باصبيان فلما تمكنت من الرجال والتدبير بدأت بالقبض على أولئك
 القواد واستظهرت علي المرزبان ببقاى حتى حصاته في القلعة بقيوده
 ﴿ ذكر ما جري في أمر عسكر المرزبان في آذربيجان ﴾
 ﴿ بعد حصوله في الاسر ﴾

اجتمع من أفلت من عسكره وقواده وفيهم جستان بن ثيرمزن وعلى
 ابن الفضل وشهفروز بن^(١٧١) كردويه وجماعة من الرؤساء مع ألفى رجل من
 الفل إلى الشيخ محمد بن مسافر فعقدوا له الرياسة عليهم وصاروا إلى أردبيل
 فلك آذربيجان وهرب ابنه وهسودان منه وتحصن في قلعة بالطرم لما كان
 يعرفه من حقه وسوء رعايته . فلم تأت الايام على محمد بن مسافر حتى تجبر
 وعاد إلى أسوأ أخلاقه مع الديلم فاجتمع الديلم على النوب به فشنخوا وهموا
 بقتله فالتجأ بالضرورة إلى ابنه وهسودان وعنده أنه يعصمه فقبض عليه
 وحبسه في قلعة شيسجان التي كان فيها وضيق عليه فلم تنبسط له يد ولا نفذه
 أمر حتى توفي وكانت وفاته قبل خلاص ابنه المرزبان من قلعة سميرم . وقد
 ركن الدولة محمد بن عبد الرزاق أعمال آذربيجان بعد أسر المرزبان وأنفذه إليه
 فتجير وهسودان في أمره واضطر إلى اخراج ديسم بن ابراهيم من القلعة
 لطاعة الاكراد اياه ولرياسته القديمة على آذربيجان فاطلقه وخلم عليه
 وقواده ومكنه ووافقه على جمع أكراد آذربيجان ومن يطيعه من غيرهم
 ويقصد محمد بن عبد الرزاق . وكان الديلم بعد محمد بن مسافر اجتمعوا إلى على
 ابن الفضل ورأسوه فتوسط وهسودان بينهما حتى أطاعه على بن الفضل

وتم^(١٨٠) أمره وسار ديسم الى أردبيل واستكتب أحمد بن عبد الله بن محمود وورد ابن عبد الرزاق فأنجاز عنه الى ورنان من نواحي برذنة ليستخرج الاموال وترد عليه عساكر الاكراد

﴿ ذكر خطأ ديسم في ايجاش وزيره حتى فارتته وثلمه فهزموه عدوه ﴾
كان بنواحي خوى^١ ولباس كاتب نصراني يعرف بابن الصقر من جهة المربزان قبل أسره فلما بلغه خبر ديسم صار اليه وحمل اليه ما كان جباهه فحسن موقعه من ديسم فأكرمه وبالع في اكرامه حتى صار يخلو به ويشاوره فاستوحش وزيره ابن محمود واقفاه فلما استعد ديسم للقاء ابن عبد الرزاق سلم الى ابن محمود خزائنه وثقله وأمره بالمصير الى جبال موقان للتحصن بها استظهارا الى ان يكشف الأمر فتسلم ابن محمود ذلك كله وعدل الي أردبيل وأرسل ابن عبد الرزاق بانه صائر اليه وسأله ان يستقبله ببطاقة من عسكره ففعل ذلك ووقع ذلك من ابن عبد الرزاق أحسن موقع . وقت في عضد ديسم وبلغه ذلك يوم القتال فضعمت نفسه واضطرب رأيه وتبين ذلك منه أصحابه فاضطربوا واستظهر عليه ابن عبد الرزاق فهزموه^(١٨١)

﴿ ودخلت سنة أربعين وثلاثمائة ﴾

وفيها لحق ركن الدولة بابن قراتكين غلام صاحب خراسان وواقعه بروذبار من خان النجان سبعة أيام متوالية فلنهم ابن قراتكين وذلك في المحرم من هذه السنة

قال الاستاذ أبو علي أحمد بن محمد مسكويه صاحب هذا الكتاب :
أكثر ما أحكيه بعد هذه السنة فهو عن مشاهدة وعيان أو خبر محصل يجري عندي خبره مجرى ما عاينته وذلك ان مثل الاستاذ الرئيس أبي الفضل

محمد بن الحسين بن العميد رضى الله عنه خبرنى عن هذه الواقعة وغيرها بما
دبره وما اتفق له فيها فلم يكن اخباره لى دون مشاهدتى فى الثقة به والسكون
الى صدقه ومثل أبى محمد المهلبى رحمه الله خبرنى بأكثر ما جرى فى أيامه
وذلك بطول الصعبة وكثرة الجبالسة. وحدثنى كثير من المشايخ فى عصرهما
بما يستفاد منه تجربة وأنا أذكر جميع ما يحضرنى ذكره منه وما شاهدته
وجربته بنفسى فسأحكيه أيضا بمشيئة الله

حدثنى الاستاذ الرئيس أبو الفضل ابن العميد رضى الله عنه عن هذه
الواقعة وأنا أحكى أولا السبب فى ورود ابن قراتكين^(١٨٢)

هو ذكر السبب فى ورود ابن قراتكين الرى

كان ركن الدولة عند وفاة أخيه عماد الدولة بنواحى جرجان وذلك انه
قصد وشكير وهزمه وتبعه الى حالوس فلما بلغه وفاة أخيه اضطرب وجزع
وعلم ان فارس ستضطرب على ابنه فسارع الى السير اليها لتوطئة الامور
وانصرف الى الرى فاستخلف بها على بن كامه وانسع خناق أعدائه يبعده
عن ممالكه وكل حدث نفسه بامر. وكتب ركن الدولة الى معز الدولة
بما عزم عليه وما كان من وفاة أخيهما فكتب معز الدولة الى وزيره أبى
جعفر الصيمرى وهو يومئذ منازل ليمران بن شاهين بالبطائح بان يخطى
ما هو بسبيله ويصير الى فارس لخدمة ركن الدولة ففعل وسبق وصوله
وصول ركن الدولة فحسن موقع ذلك من ركن الدولة. فلما وصل الى
شيراز ابتداء زيارة قبر أخيه بباب اصطخر ففى حافيا حاسرا ومشى أهل
عسكره وعسكر فارس على تلك السبيل ولزم المصيبة ثلاثة أيام الى ان خاطبه
الرؤساء وسألوه ان يرجع الى المدينة ففعل وأقام ستة أشهر. وأخذ نصيبا

من تركمة عماد الدولة الى أخيه معز الدولة وكان في جلته مائة وسبعون غلاما ومائة وقر من السلاح ثم ما يجرى مجرى ذلك من الثياب والآلات واقتطع من أعمال^(١٨٣) فارس ارجان وهي كورة من كور فارس الى أعماله وخلف وزيره هناك وانقلب الى الري . وحدت اطماع من ذكرت وامتدت الى الري والجل واصلهان وتسربت المساكر اليها فن ذلك مسير صاحب جيش خراسان الى الري ومعه محمد بن ما كان من جهة الحسن ابن الفيروزان وسار شيرج بن ليلي بن قبل وشمكير ثم جمهور عسكر خراسان وكان أبو الحسن على بن كامه قد انحاز الى أصبهان وتفرق قواد عسكر ابن قراتكين في ولايات أعمال الجبل وكان منهم بهمدان ينال قام وفي كل بلد من بلدان الجبل مثله . وكان ركن الدولة قد كاتب أخاه معز الدولة وهو بمد بفارس يستدعي من يدفع معرّات هؤلاء فأمدّه بسبكتكين الحاجب في عسكر ضيغم من الأتراك والديلم وفيهم جماعة من الأتراك القدماء التوزونية وجماعة من العرب وكان مسيره من بغداد سنة ٣٣٩ فندب سبكتكين تدييرا جيدا

﴿ ذكر تدير صواب تمكن به سبكتكين من ﴾

(أول عدو لقيه بقرميسين)

رأى سبكتكين ان يخلف عسكره وما ثقل من سواده وينتخب من الفرسان من يشق به ويسرى الى قرميسين وكان فيها قائد من قواد الأتراك الخراسانية يقال له بجكم الخمارتكي وكان^(١٨٤) ينال قام أنفذه الى همدان واليا عليها فسكبه سبكتكين وهو في الحمام وأخذ أسيرا وأوقع برجله وأصحابه وأنفذه الى معز الدولة فاعتقله مدة طويلة ثم أطلقه . ولما بلغ ولادة

أعمال الجبل ما جرى على بحكم هذا فارتقوا سرا كرم واجتمعوا الى ينال قام
بهمدان فلما سار سبكتكين نحوهم ساروا من همدان باجمعهم فلم يحاربوا
وورد سبكتكين همدان وأقام بها منتظرا ركن الدولة وذلك ان كُتِبَ ركن
الدولة كانت ترد عليه انه يسير من فارس على طريق الجبل ثم تأخر انتظارا
لانحسار الثلوج ثم ورد همدان وتقدم الى سبكتكين بالمسير على مقدمه .
فشغب الصنف من الاثر التوزونية وأظهروا التفتُّح بالمقام الطويل
فوسط الاستاذ الرئيس أبو الفضل رحمه الله بينهم وداراهم وسكنهم فسكنوا
في الوقت ثم عاودوا من الفد وطال ذلك منهم حتى أتاهموا . فسمعت
أبا الفضل ابن العميد رحمه الله يقول : اني قلتُ للامير ركن الدولة : هؤلاء
أعداؤنا وقد كاثفونا فكيف نسير بهم الى أعدائنا ؟ فانفق الرأي بيننا ان
نُسكنهم فان سكنوا والآخر حاربناهم وفرغنا من العدو الاقرب فلما علمنا على ذلك
عداوا على الحرب فاوعدناهم ومضوا مفلولين .^(٨٥) وسبق خبرهم الى معز الدولة
فكتب الى ابن أبي الشوك الكردي وسار وجوه الاكراد المقيمين في
أعمال حلوان بطلبهم والايقاع بهم ففعلوا ذلك وطلبوهم وأسروا منهم وقتلوا
فاما الاسارى فانفذهم الى بغداد وأما القل فصاروا الى الموصل بحال سيئة
وأقام ركن الدولة بهمدان ليعرف خبر ابن قراتكين الى ان صح
عنده مسير ابن قراتكين من الري نحو همدان فبث جواسيسه وطلأته
ليعرف خبره فأتاه الخبر بانه عدل عن سمت همدان وأخذ على طريق
يؤدي الى أصبهان فسار ركن الدولة في أثره يقفوه حتى انتهى الى
جرباذقان ووصل ابن قراتكين الى أصبهان فعاتبها كثيرا مدة ما أقام
ثم عرف قرب ركن الدولة منه فسار الى طرف مغارة بقرب من أصبهان

فنزله منها على زرين رود ليكون وصول ركن الدولة اليه مع عسكره . وقد
قطعوا المغارة ومسهم الثعب والمعش ولا يصلون الى الماء فرأى ركن
الدولة ان يعدل الى خان النجان ليلزم سبت قري زرين رود ولا يمدم الماء
وانصل ذلك ابن قراتكين فاتقاب عن موضعه معتزضاً له بالملك عليه
ظهره فالتقى في الموضع المعروف بالروذبار وبينهما زرين رود ولكنه يخض
ولا يمنع الراجل ولا الفارس^(١٨٦) العبور وذلك ان الفصل كان ضيقاً .
فدامت الحرب بينهما سبعة أيام واشتدت في اليوم السادس خلاصة ثم انهزم
ابن قراتكين في اليوم السابع

وعاد الحديث الى حكاية ابني الفضل ابن العميد رضى الله عنه عن هذه
الوقعة . حكى انه لحقه وركن الدولة وسائر الجيش من الاضاقه وعوز الميرة
والعلوفات وتقدر جميع الاقوات ما لم يلحقها مثله وذلك ان الاكراد أخذوا
بنا فلم يتمكن أحد من اطلاق رأسه عن المسكر وانقطعت عنا المواد
وكنا نصل الى اقواتنا مما نحمله الاكراد اليها ويبيعوناه باوفر الأثمان وكذلك
العلوفات فكان يجيئنا السكردى بجراب أو بخلافة أو وعاء فيه دقيق فيديعناه
بحكمه فاذا أخذناه ونفصناه وجدنا قدر الدقيق فيه متهدار ما رأيناه في رأس
الوعاء وأسفله كله تراب ثم يختلط ذلك القدر اليسير بالتراب فلا ينفع بشيء منه
وكذلك يفعل بالشعير والحنطة وكانت لهم حيل تجرى هذا المحرى كثيرة
قال : فكنا نجر الجمل أو الدابة فتوزع لهم بين عدد كبير وتبلغ به على
عادة الديلم وصبرهم على المجاعة والشدة في الحرب وكان أعداؤنا الاتراك
في مثل حالنا الا أنهم لا يصبرون كما نصبر ولا^(١٨٧) يقنعون بما نقنع^(١)

(١) وفي الاصل : بما لا نقنع ولعله سقط « به »

فاذا ذبحنا نحن جزوراً ذبحوا أضغافاً كثيرة ثم ان أصحابنا يهودون الى نشاطهم في الحرب ويتسخط اولئك ويشغبون على صاحبهم ولا يذبحونه في الحرب الى أن ملوا . وأصبحنا يوماً وقد رحلوا من معسكرهم فتركوا خيمهم بازائنا وأنا الخبير برحيلهم فما صدقنا به حتى عبر عنا جماعة وتلامه العسكر أولاً وأولاً واشفقنا أن يكون لهم كين أو بكيدة فلم يكن الا هزيمة وذهبوا على وجوههم

﴿ ذكر خبر عجيب واتفاق غريب ﴾

حكى الاستاذ أبو الفضل ابن العميد نصر الله وجهه ان ركن الدولة دعاه في اليوم السابع وقد نفذ صبره وصبر أصحابه : وشكا الى شدة الامرو صعبوته عليه وكأنه يفكر في حيلة للانزمام وان كانت متعذرة عليه فقلت : أيها الأمير انك كنت منذ اسبوع مالك أكثر مما لك سرير الخليفة فينفذ أمرك في أكثر بلاد الاسلام ومن لم يكن من الملوك في سائر الارض تحت أمرك وولايتك فهو أيضاً تحت حكمك خشعة لك يقبل أمرك تجملاً ويطيعك تهيئاً وقد أصبحت اليوم وانت لا تملك من الارض الا ما عليه مضربك وقد اجتمع عليك هؤلاء الاعداء ^(١٨٨) ليفصبوا عليه ويمسكوك منه ولا مفزع لك الا الى الله عز وجل فاطلص ببيتك له واعقد عزيمتك على ما يبيك ويبيته تعالى يطلع على صدقها ويعرف صحتها وانو المسلمين خيراً ولا كافة الناس مثله وعاهده على ما تراه واتفق به من الاعمال الصالحة والاحسان فيما تلى الى من تلى عليه فان الحيل البشرية كلها انقطعت بنا ولم يبق لنا الا هذا الذي نصحتك به . قال فتبسم وقال : يا أبا الفضل قد سبقتك الى ما اشرت به . وجرى في هذا الباب ما يجري مثله من الدور وصدق النية . وتما تلك الليلة

على حالنا فلما كان في الثالث الاخير من الليل جاءني رسله متقاطرة فصرت
اليه وهو مسرور قوي النفس بخلاف ما عهدته وقال : يا أبا الفضل انت
تعرف مناماتي وصدقها وقد رأيت ما أرجو ان يكون تأويله قريبا غير بعيد .
قلت : وما ذاك . قال : رأيت كافي على دابتي المعروف بفيروز وقد انهزم
عدونا وأنت تسير الى جانبي وتذكر لي نعمة الله علينا فيه وأن الفرج جاءنا
من حيث لا نحتسب فينا نحن في هذا الحديث وشبهه حتى مددت عيني
بين غبرة الموكب الى الارض فرأيت خاتما يتلأل قد سقط الى الارض
عن صاحبه بين التراب فقلت ^(١٨٩) للراكبي الذي بين يدي « يا غلام هات
ذاك الخاتم » فتطأطأ ورفعني الى فاذا خاتم فيروز فاخذه وجماعته في أصمى
السبابة وتبركت به وانتهت وقد تقالت به وأيقنت بالظفر (وذلك ان
الفيروز ج معناه الظفر اذا عُرِب وكذلك لقب دابته الذي رآه فيروز) .
قال ابو الفضل ابن الحميد رحمه الله : فوالله ما أضاء الصبح حتى جاءنا الخبر
والبشرى بان العدو قد رحل فما صدقنا به ولا التفتنا اليه حتي تواترت
الاخبار وعبر سرعان الخيل وعادوا الينا مستبشرين فقمنا حينئذ وركبنا
متعجبين لا نعرف سبب هزيمته حتي عبرنا على حذر من كهين او مكيدة فيينا
نحن نسير وانا الى جانب ركن الدولة وقد تعمد ركوب دابته فيروز ليصدق
رؤياه اذ صاح الامير بعلام بين يديه « يا غلام ناولني ذلك الخاتم » فتطأطأ
وناوله من الارض خاتم فيروز فاخذه وابسه في سبابته والتفت الى وقال :
هذا بلا تأويل هو الخاتم الذي حدثك بحديثه منذ ساعة . فهذا من طرائف
الاخبار ولولا صدق محمده وجلالة قدر من حكاه لي وبمسه عن التريد لمسا
سطرته في كتابي هذا

(١٩٠ و ١٩١) مرة الاصل سنة ٣٤١ هجرية ١٤٣

وفيها تم الصلح بين معز الدولة وبين عمران بن شاهين وتلقاه معز الدولة^(١١٠) البطائح وأطلق اخوته وعياله وأطلق عمران بن شاهين من أسأسر من القواد وغيرهم

فلما ابن قراتكين فانه عاود حرب الامير ركن الدولة وجرت بينهما وقائع عظيمة بناحية الري ومات ابن قراتكين فجأة وكان سبب وفاته انه كان شرب أياماً متوالية بلياليها فاصبح يوماً ميتاً وذلك في شهر ربيع الآخر من هذه السنة

وفيها انهزم صاحب عمان من باب البصرة من بين يدي أبي محمد المهلبى وأسر جماعة من أصحابه وأخذت عدة من سرا كبه ودخل أبو محمد المهلبى بغداد ومعه المراكب والاسارى

﴿ ودخلت سنة احدى وأربعين وثلاثمائة ﴾

وفيها ملك الروم مدينة سروج وسبوا أهلها وأحرقوا مساجدها وفيها ضرب الامير معز الدولة أبا محمد المهلبى بحضرته بالمقارع وحمله الى داره وأقره على كتابته

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان السبب في ذلك أن أبا محمد المهلبى لما خرج الى عمان وافق في ذلك الوجه ما اتفق ثم انهزم تنكر له معز الدولة وهم بالقبض عليه فلما حدث بالرى ما حدث من ورود جيش خراسان اليها شغله ذلك عما في نفسه منه . وكان ورد ابو العباس الخنات الى الحضرة برسالة ركن الدولة يطالب بمن يحمل اليه فدقمت الضرورة^(١١١) الى مكاتبة الوزير المهلبى وهو بواسط قد واقفاها منهرما وأمر بالمسدول الى الاهواز وتسليم الف الف درهم الى

بن العباس الحناط من القامة ورد الدوش مما يستخرجه وأن يواصل الحل
الى الحضرة ويسرب الجيوش الى الاهواز على طريق اصبهان الى الري فنفذ
لذلك كله وفي نفس الامر معزالدواعليه ما فيها . فلما أصعد المهلبى الى الحضرة
اثر في أمر يوسف بن وجيه صاحب عمان اثرأ كبيراً وذلك أنه كان قصد
البصرة فسبقه أبو محمد المهلبى اليها وحاربه وهزمه وأسر أصحابه وأخذ
مراكبه كما ذكرنا

{ ذكر السبب في طمع ابن وجيه في البصرة ثم انهزمه منها }
كنا ذكرنا ما كان من استيحاء القرامطة من معز الدولة ومن جوابه
اياهم عن رسالتهم واستخفافه بهم فلما عرف ابن وجيه ذلك كاتبهم وأطمعهم
في البصرة وسألهم أن عمدوه من ناحية البر فأمدوه بأخيهم أبي يعقوب في
سرية قوية فورد باب البصرة وأنقض ابن وجيه رجاله في مراكبه من
ناحية البحر ونهض هو بنفسه . ووافق ذلك فراغ المهلبى من الاهواز فبادر
الى البصرة وأخرج معه من القواد والرجال والربازب والطيارات وآلات
الماء كفايته وشحنها بالرجال وأزاح عنهم في الجيش والسلاح وأتقذ اليه معز
الدولة ^(١٩٣) مدداً من بغداد . وكان المهلبى رتب على سور المدينة بالبصرة
الرجال يحمونه وجمع الى نفسه وجوه القواد مثل لشكروورز بن سهلان
وموسى فيلذه وموسى بن ماكان وأشباهم من وجوه الناس وطبقات الثلمان
وحارب ابن وجيه اياماً ثم هزمه وظفر المهلبى بمراكبه ورجالهم وأسر جماعة
من وجوه أصحابه فغف بذلك بعض ما كان في قلب معز الدولة وانجلى
هم كبير كان في نفسه
فلما قدم بغداد تلقاه معز الدولة وجامله مُدبداً ثم وقف على طازاد

مال من ضمانه له قدر وكان سُبب عليه للأتراك والمهمات فردّ التسيّيات
وطالب أصحاب المال باستحقاقاتهم وأضجر ذلك معز الدولة فطالب أبا محمد
المهلبى وهزّ المهلبى طازاذا فاستسلم وأظلمت القصة . فدخل المهلبى الى معز
الدولة فصدقه عن الصورة فانغناظ . من جريته فى الامر وأثار ما كان فى
نفسه منه فزبره وطرده من بين يديه وأمره الآيمود اليه الا بعد ان
يستدعيه فانصرف كثيرا . وحرك بطازاذا فصحب له مالا ونهض الى الامير
مُعجبا له من طازاذا بغير استدعاء من الامير له فلما حصل بين يديه وأخبره
بالصورة لطش به وضربه مائة وخمسين قرعة رازح منها (ثم أمر) بان
يرفع عنه الضرب حتى ^{١٩٣} يوبّخه ويكفّه بذنوبه منذ استخدامه ثم يعيد
عليه الضرب الى ان تفسخ وثقل وقيل له انه كالتالف وأراد ان يرمى به الى
دجلة ثم تماسك وردّه الى منزله ووكل به . وفى اليوم الثانى استدعى طازاذا
أيضا وضربه وعمل على صرف المهلبى فلم يرتض خدمة أحد ممن كان
بحضرته فى الوقت فترجّح رأيه وصعد وصوب فلم يقدّم أحد مقام أبى محمد
وكان أبو محمد المهلبى شهما قوى النفس لا يتحرك لشيء من نوايب الدهر
فعمل عملا يشتمل على ثلاثة عشر الف الف درهم باقية فى الممالك والأعمال
وأنفذه اليه وذكر انه يقيم باستخراجه وانه ان تبادت الايام فى التوكيل به
تمزقت وطمع فيها فشاور معز الدولة من حضره . وكان فيهم أبو مغلّد عبد
الله بن يحيى وقال : هل يجوز أن أستنيم الى هذا الرجل وقد لحقه منى هذا
السكر وه العظيم ؟ فقال أبو مغلّد : قد ضرب مرداويج وزيره أبا سهل أعظم
من هذا الضرب ولحقته ما لحقت من سوء عنه ثم خلع عليه وردّه الى
أمره وكان لا يطيق المشي لما حل به من الضرب فركب عمارية وثر عليه

في الطريق مال ولا يمكنه ان يستقل بالجلوس وبقي كذلك مدة ثم عاود مرذاويع الانكار عليه فذكبه وأتى على نفسه. ^(١١) فعند ذلك راسله معز الدولة بالركوب اليه اذا استقل وأزال عنه التوكيل فتجلبد المهلبى وركب بعد أيام يسيرة نفلع عليه وعاد الى أمره.

وكان معز الدولة حديداً سريع الغضب بذى اللسان يكثر سب وزراءه والمحتمسين من حشمه ويفترى عليهم فكان يلحق المهلبى رحمه الله من خشمه وشتمه عرضه مالا صبر لاحد عليه فيحتمل ذلك احتمال من لا يكثر له وينصرف الى منزله وكانت أنادمه في الوقت فلا أرى لما يسمعه فيه أثرا ويجلس لانسهِ نشيطا مسرورا حتى لقد سمعت أبا العلاء صاعد بن ثابت وكان يخلفه ويأنس به يماثبه ويقول في عرض كلامه : ان الامير اذا اتصل به أنسك وقلة اكراتك لنعضه وما يلحقك من شتمته نسبك الى الاستهانة به فيزيد ذلك في ضرره عليك فان أظهرت الانخزال والاستكانة حتى يلبنه تحرؤنك وانقباضك كان أخرى ان يقر ويندم ولا يشع.

معك وعضه منك . فقال له أبو محمد المهلبى : ما يذهب على ما تقول ولكن هذا امير خرق عجل لا يملك لسانه فان ذهبته أظهر الاستيحاش من هذيانته وقم له انى قد تنسكرت له وانى لا أناصحه وانه يتهمنى بما لا يدور في فكركي فيكون سببا لجائحة ونسكة وليس له غير التفاؤل والتبسم ^(١٢) في وجهه اذا أمكن فان لم يمكن ذلك خوفا من غضبه فليس الا قلة الفكر فيه فكان الامر على ذلك .

وحدثني أبو بكر ابن أبى سعيد رحمه الله ان معز الدولة وقت مقامه بالبصرة وهزيمته للبريدى اقترى على المهلبى وذكر جرمه وأخفى عليه وكان

المافروخي حاضرا فلما انصرفنا من عنده قال لي المافروخي : قد ساءني أن
أجرى هذا الفحص القبيح بحضرتي على الوزير فكيف الطريق الى تسليته ؟
(وانما أراد ألا يتهمة بالشتم ولا يراه يمين من علم استهانة الامير به) فقلت :
الامسك في مثل هذا أولى من الكلام . فأمسك أياما لا يركب اليه الا مع
الناس وقت الاذن ثم اتفق ان يدخل المافروخي وأنا معه لمريم فوجدناه
واجبا . طرقا فقال المافروخي : أرى الوزير واجبا فهل تجدّد أمره ؟ فقال :
ويحك اني أرى الامير منذ أيام قد أمسك عما كان يتماهدنا به من بره
باسانه وأخاف أن يكون مشغول القلب بطارق تطرقه وأنا ممتكر في ذلك .
قال أبو بكر ابن أبي سعيد : فلما خرجنا من عنده قال لي المافروخي : هل
رأيت أدمي من هذا الرجل وأذكر منه ؟ فقلت : لا

وفيها خرج أبو مخلد وأبو بكر عبد الواحد بن أبي عمرو الشراي
حاجب الخليفة المطيع لله الى صاحب خراسان في الصالح يئسه وبين أمراء
في بويه وكتب متهما كتاب عن الخليفة ^(١) ^(١٩٦)

ودخلت سنة اثنتين وأربعين وثمئة

وفيها مات أبو الفضل العباس ابن فسانجوس بالبصرة ^(٢) وقلد الديوان

(١) وزاد صاحب تاريخ الاسلام في ترجمة هذه السنة : فيها اطاع أبو محمد المهدي
على قوم من التناسخية فيهم شاب يزعم أن روح علي رضي الله عنه انتقلت اليه وفيهم
امرأة تزعم أن روح فاطمة عليها السلام انتقلت اليها وفيهم آخر يدعي أنه جبريل فضربوا
فتمذروا بالانباء الى أهل البيت فامر مع الدولة بالاطاعهم لميله الى أهل البيت وهذا كان
من أفعاله الملعونة . وليراجع ما قال فيه ابن الاثير في الكامل في سنة ٣٤٠ في العزاقرية
يعني أصحاب محمد بن علي الشلمغاني المعروف بابن العزاقر (٢) زاد صاحب التكملة :
وسنة سبع وسبعين سنة وحل تابوته الى الكوفة

بمده أبو الفرج محمد ابنه وأجرى على رسم أبيه .
وفيها ليلة الجمعة للتاسع من جمادى الآخرة ولد الأمير أبو اسحق
ابراهيم بن ممز الدولة بطالع السنبلة .

وفيها وافى أبو سالم ديسم بن ابراهيم الكردي منهزما من
آذربيجان هزمه السلار المرزبان وهو الذي حكينا ان ركن الدولة أسره
وحبسه في قلعة سُميرم فاحتال حتى فُكَّ قيده وقتل صاحب القلعة وخرج
منها وسحب حيلته هذه فيما بعد . وعاد الى آذربيجان واجتمع اليه من كان
مع ديسم من الديلم وانصرف ديسم عنها وصار الى الحضرة مستجيبرا بمنز
الدولة ومستنصرا فأكرمه ممز الدولة جسدا ووقع منه وأنس به وهائمه
وحمل اليه مالا وثيابا وكان يسميه في كتبه « الاخ أبو سالم »

﴿ ذكر السبب في خروج ديسم عن آذربيجان بعد ﴾

﴿ تمكنه منها وانزاهه من بين يدي المرزبان ﴾

كنا ذكرنا خبر ابن عبد الرزاق وتمكنه من آذربيجان من قبل ركن
الدولة واتفق ان أوحش كاتبه له كان صحبه من خراسان واعتمد لوزارته ابن
محمود لخدمته اياه بالاموال قديما ولخبرته بالبلدان فاستوحش الكاتب
وتركه الى ان أشخصه لجباية الاموال في نواحي ديسم وضم اليه جيشا فلما
وجد الفرصة كاتب ديسما وهرب اليه بذلك الجيش كله . فنفرت نفس ابن
عبد الرزاق ^(١٧) من آذربيجان وعاد الى الري وأخذ معه ابن محمود وسار
ديسم الى أردبيل واستأذنه الكاتب الخراساني في العود الى بلده فأذن له
وأحسن اليه بالخلع والجوائز . ودير أمره أبو عبد الله النعمي وابن الصقر
النصراني وتوافر اليه الديلم والاكراد فملك آذربيجان وبلادها وحي

الاموال وأعطى البلاد له باليد. فتمكن من نَشَوَا ودَّيِل وكان عليهما الفضل ابن جعفر الحمداني وابراهيم بن الضابي على سبيل التفاب فصاحت حاله وانتظمت. واتفق ان مات ابن الصقر النصراني فوصل من تركته اليه مائة الف درهم سوى ما اغضى عنه وهو شيء كثير فنفرّذ النعمي بوزارته. ولم يزل أمره منتظما الى ان شره الى مال النعمي وطمع فيه فقبض عليه ونصب في موضعه كاتباً له يقال له علي بن عيسى فاحتال النعمي^(١) * * * الى بذل خطه بكل ما اقترحه عليه ولم يحالفه وسلك سبيل المدارة ثم قال له : ان ردّدتني الى العمل وسلمت اليّ خليفتي عليّ بن عيسى صححت لك من جهته وجهتي سوى مال الموافقة الف الف درهم . فشرهت نفسه الى ذلك وردّه الى موضعه وقبض على عليّ بن عيسى وسلمه اليه .

وكان المرزبان بن محمد في تلك الايام قد ملك القلعة التي حبس فيها بسميرم وقتل الموكل به وهو شيراسفار وكان أيضاً قد أفلت علي بن ميشكي المعروف بئلسكا المأسور معه^(١٩٨) من حبس ركن الدولة وصار الى الجبل وجمع جمعاً كثيراً وكاتب الديلم الذين كانوا مع ديسم واستمالهم وسار حتى قرب من هوسودان أخى المرزبان فكافأ جميعاً يدبران على ديسم . ثم وصات كتب المرزبان اليهم بالخلاصه من القلعة وكاتب سائر الديلم بأذريخان وليس عند ديسم من الخبر كله الا خبر علي بن ميشكي وظنّ أنه وحده يقتاله . فالحق باردبيل ابن أخت له يقال له غاتم مضموما الى وزيره النعمي ومستوفيا عليه المال الذي ضمنه عن نفسه وعن علي بن عيسى خليفته وسار على اغتزار بمن معه من الديلم فوجد النعمي الفرصة لما كان في نفسه وأفسد غاتماً على

خاله ديسم وقتل على بن عيسى بالمكروه العظيم واستأمن الى على بن ميشكى
واختتم معه كل ما قدر عليه من المال . وبلغ الخبر ديسما فعاد الى أردبيل بعد
ان كان بلغ الى زنجان وشعب الديلم عليه فاخرج كل ذخيرة له من الصياغات
وغيرها وتوجه الى برذعة على سبيل النزهة والصيد وهو يظن ان خصمه
على بن ميشكى وليس عنده خبر الرزبان . وكان أنفذ الى أرمينية من يوطى
له نيات ملوكها من ابن الديراني وابن جاجيق وأخيه حمزة وابن سباط وغيرهم
ليجأ اليهم ان حزبه أمر وورد عليه خبر على بن ميشكى بتوجهه الى أردبيل
مع عدة يسيرة ثقة بان الديلم الذين مع ديسم سيستأمنون اليه فانكفأ ديسم
الى أردبيل ووقعت الحرب فقتل^(١١) الديلم ترأسهم في وجهه وانحازوا
الى ابن ميشكي سوى جستان بن شرمزن فانه أخلص مودة ديسم فقبض
الديلم عليه وانهمزم ديسم في نفر من الاكراد الى بلد الارمن فدخل اليه ملوكها
ما تملك به . وورد عليه خبر الرزبان هناك في مسيره عن قلعة سميرم
التي كان محبوسا فيها وحصوله بأردبيل وتسلمه القلاع والاموال وانفاذه على
ابن ميشكي في جيش لطلب ديسم فلم يمكنه المقام فهرب الى الموصل ثم صار
الى بغداد وذلك في سنة ٣٤٢ فتلقاه معز الدولة وأكرمه ورتبه في أعلى
مرتبة وقضى حقه وواصل اليه المبارك والالطاف وبذل له خمسين الف دينار
اقطاعاً في كل سنة على أن يقيم بحضرته فاقام مديدة في أطيب عيش وأرخص
بال فكان يقول ذلك لكتابه وأسبابه ويقول : أرغد عيش لي وأهنأ أيام
مماي بعداد

ثم كاتبه أسبابه من آذربيجان بما اغتربه فنزع الى الامرة والاستبداد
فرحل من بغداد وزوده معز الدولة مالا كثيراً وثياباً ودواباً ومراكب

فسار الى الشام زائراً سيف الدولة في طريقه ثم انقلب من عنده الى أرمينية وقصد ابن الديراني وابن جاجيق لثقتهم كانت به وأنه كان أودعه ذخيرة له وكتب المرزبان اليه يلزمه القبض [عليه] ^(١٠٠) فدافعه ثم اضطر الى أن أطاعه في القبض عليه وسأله الا يلزمه تسليمه اليه فأجابته المرزبان الى ذلك فأوقع ابن الديراني الحيلة على ديسم حتى قبض عليه وحصله عنده فلما فعل ذلك كتب اليه المرزبان يلزمه حمله الى حضرته ناقضا الشرط فدافعه مدة ثم اضطر الى تسليمه فحبسه عنده ثم سمل عينه فلما توفي المرزبان قتله بعض أسبابه خوفاً من نمائته

﴿ ذكر حيلة المرزبان على صاحب قلعة سميرم وما تم عليه حتى ﴾
﴿ أفلت من موضعه وعاد الى مملكته بأخويجان ﴾

لما حصل المرزبان في القلعة امتنع من الطعام والشراب خاصة اللحوم وما أشبهها واقتصر على القوت اليسير من الخنطة التي يستظهر منه أيضاً فبلغ خبره ركن الدولة فأمر أن يوصل اليه طبائخه الذي يثق به ليتولى له ما كان يتولاه من المأكول والمشرب فحصل الطبائخ في القلعة معه وأخذ المرزبان في تدبير الخلاص على يده . وكان الطبائخ خفيفاً أحق وظهر منه ما في نفسه وعرف خبره شيراسفار صاحب القلعة فرمى به من قلعة القلعة فهلك وضيق علي المرزبان . وكانت والدته المرزبان خراسوية بنت جستان بن وهسودان الملك تبذل الاموال في تعرف أخباره وتحتال في خلاصه وكان ابراهيم المعروف بابن الضابي (وقد تقدم ذكره) في حبس ديسم فخصص منه ولم يجد منفراً الا خراسويه فقصدها ولاذ بها ^(١٠١) وضمن لها أن يتوصل الي المرزبان فأطلقت له مالا وأثقت به . وكانت المراغة بها رجل يعرف بتوبان

يصارع ويقامر ويدخل في كل منكر فطلبه أصحاب الشرط بها نخاف
وهرب من المراغة وقصد خراسويه وضمن لها السعى لها في أمر ابنها
فطمعت في جلادته وأطلقت له مالا وعرفته خبر ابن الضابي وأنه نفذ قبله
فاجتمعوا ولبسا لباس التجار وأظهروا الست والدين والورع ولزما فناء القلعة
وراسلا شيراسفار وعرفاه أنهما تاجران وأنهما كانا فيما مضى يعاملان
المرزبان وأنه أخذ بضائعهما وامتنعة التجار وسألاه أن يجمع بينهما وبين
المرزبان ليتجرا ككتبه وعلاماته بازاحة علمهما فيما يستحقانه وتستحقه التجار
عليه وواصل الدعاء له وعلى المرزبان وأكثرا لئنه وشتمه وكانا يقولان :
الحمد لله الذي كفى الناس شر هذا الظالم الذي لا يعرف الله ولا يؤمن
بنييه صلى الله عليه . وما أشبه هذا حتى رق شيراسفار لهما وأوصل
واحدا واحدا منهما إليه من غير اجتماع فقال المرزبان : لا أعرفهما .
فاغظاله وواجهاه بالقيح وخوفاه بالله وسوء العاقبة وقال : اني لا أعرف
حسابهما ولا كني أكتب بان يحاسباه . وكثر^(٢٠٢) ترددهما اليه فضمت
والدته اليهما وصيفا الديلمي للتنقب وكان في عسكر السلطان قديما ورجلا
آخر يعرف بابي الحسن ابن جني وجماعة من أهل الطرم على هيئة التجار
وحملوا اللطاف الى شيراسفار وأسبابه والى بواب القلعة وكانوا يشترون
مهم الحوائج ويمدونهم الى أن يصلوا الى أموالهم وبضائعهم انهم يبذلون
لهم أموالا جلية وفي خلال ذلك يكون ويشكون ظلم المرزبان وعدوانه
وكانوا يصلون الى المرزبان فرادى ويوصلون الكتب ويتجزون الاجوبة
ويدسون اليه في خلال ذلك الدناير الكثيرة ليذللها وينفقها فيما يحتاج اليه .
وكان لشيراسفار الموكل بالقلعة غلام أسرد وضى الوجه يحمل ترسه .

على مذهب الديلم فأظهر المرزبان عشقا له ومجبة مفرطة فكان يعطيه سرا
 الشيء بعد الشيء ويعدده ان هو تخلص بامور عظيمة وولايات كبار حتي
 طمع الغلام وواطاه على كل ما أحب وأوصل اليه درعا في زنبيل فيه تراب
 وعدة سكاكين وأوصل اليه شموعا فيها مبارد واجتمع معه على وجوه الخيل .
 وأظهر أولئك القوم الذين كانوا في زى التجار النسك والتأله والخشوع
 فصاروا يصلون الى باب القلعة ويوصلهم البواب واحدا واحدا الى ان تمت
 الحيلة بموافقة هذا الغلام للأسير سرا^(٣٠٣) وكان اتفق معه على يوم بعينه اذا
 دخل اليه شيراسفار يناوله الترس والزويين الذي لصاحبه اذا استدعاه منه
 ووافق بعض أولئك التجار ان يكونوا مع البواب ليفتكوا به اذا صاح بهم .
 فلما كان في ذلك اليوم وصل اليه توبان وكان أجلدهم وجلس آخر مع
 البواب ليفتك به اذا سمع الصوت وجلس الباقون قريبا من الباب ليدخلوا
 عند التمكن فلما صار اليه شيراسفار على رسم كان له وكان المرزبان قد برد
 سمار قيده على مر الايام ولبس في ذلك اليوم درعه والتف بكسائه وكان
 يخاطب شيراسفار قديما ويسئله ان يطلقه ويعدده المواعيد العظام فيمتنع عليه
 شيراسفار ويقول : لا أخون ركن الدولة أبدا ولكن أساعدك على كل
 ما يخفف عنك غير هذا الباب . فلما كان في ذلك اليوم عاد المرزبان في
 مسئلته وكان توبان حاضرا فقال لهم توبان : بالله الا خلصتموني من الديون
 عليكم ثم عودوا لثأنتكم . فقال المرزبان لشيراسفار : قد أطلت عنائي .
 ونهض من موضعه وقد أخرج رجله من القيد وبادر الى الباب فتسلم
 الترس والزويين من الغلام ونهض شيراسفار ليتملق به فوثب توبان
 اليه وعاركه وصرعه ثم وجاه بسكين كان معه حتى قتله وصاح المرزبان

اشتلم^(١) على عادة الديلم فوتب الرجل^(٢٠٤) الذي كان في الدهليز على البواب
فقتله ودخل القوم الذين كانوا بالقرب فأحدقوا بالمرزبان وكان منغمسا في دم
شير اسفار . وكان الموكولون في القاعة على تفرق ولعب بالنرد فتدخلهم الرعب
واجتمعوا وطلبوا الامان فجمعهم المرزبان في بيت وأخرج حرم المقتول
شير اسفار وحرم الجماعة ثم طالب سلاح القوم الذين في البيت فلكه ثم
أخرجهم من القاعة وتوافى اليه الرجال حتى خرج ولحق بأمنه

وفي هذه السنة تم الصلح بين ركن الدولة وابن محتاج بعد حروب
كثيرة على باب الري ومنازلة ثلاثة أشهر وانصرف ابن محتاج الى خراسان
(ذكر السبب في ذلك)

كان استمد وشمكير على عادته صاحب خراسان . فامده بابي على ابن
محتاج في جموع كثيرة وتوجهوا الى الري وظنوا أنه الاستيصال وأنه لا ثبات
لركن الدولة ولا بقية له وجاء وشمكير على ثقة بذلك فلم يركن الدولة أنه
لا يقوم لهؤلاء . اجتمع السكير الا بالمطاولة والتحصن بحيث يكون القتال من
وجه واحد فجعل بلد الري خلقه وحارب في الموضع المعروف بطبرك فدامت
الحرب وصبر الفريقان الى أن قرب الشتاء ومثل الخراسانية فلم يصبروا
وخافوا ايضاً سقوط الثلج عليهم فأخذوا^(٢٠٥) في العتاب والتراسل ورق
أمر الحرب . وكان الواسطة من قبل الخراسانية أبو جعفر الخازن وهو
صاحب الكتاب المعروف بزيج الصفائح^(٢) وله تقدم في علوم الرياضة وسر
بينهما كلام كثير انتهى الى المودعة والصلح

(١) كلمة فارسية معناها المنف

(٢) وردت ترجمته في تاريخ الحكماء لجلد الدين الفطحي ص ٣٩٦

فاشير على ركن الدولة بان يجهز على الجرح ولا ينفس عن خناق عدوه فانه انما جنح للسلم عن ضرورة وقد تقد صبره وماله وشغب عليه جنوده « ووراءك بلدة . مثل الرى وأنت وادع جالم بها » ولم ير له احدا من نصحااته ان يجيبهم الى الصلح وذلك ان الشكول كان قد ظهر فيهم . فلم يقبل ركن الدولة هذا الرأي من احد على سداده ووضوحه ولو صدقهم بصدمة يصد بهم بها لآتى عليهم والله اعلم بعواقب الامور فقبل الصلح وشق ذلك على وشمكير وبلغ منه مبلغا عظيما وذلك انه كان لا ينتظر ولا يرجو ان يجمع اكثر مما جمع ولا يحدشد اكثر من هذا الاحتشاد . فلما انصرف ابن محتاج طالب ركن الدولة وشمكير فانهزم من بين يديه ولم يقف فاتبعه حتى اخرجاه من طبرستان وجرجان وحصل باسفر ايين . وكتب الى نوح بن نصر يعرفه ما جرى ويعرفه بان محتاج فاعتناظ نوح وتحرك منه ما كان في نفسه على ابن محتاج ^(٢٠٦) فعزله من الجيش بيكر بن مالك وانقضه في جيوش عظيمة فصار ذلك سببا قويا ضروريا لمكاتبة ابي على ابن محتاج ركن الدولة وعدوله الى طاعته بعد ان اصابه في نفسه واسبابه واحواله مكاره عظيمة ازالته ثقته بصاحبه وثقة صاحبه به ولم يبق بينهما حال يرجي معها الصلاح . وكتب الخليفة في هذا الصلح كتابا تقد على يد ابن عمرو الشراي حاجب الخليفة وابي محمد عبد الله بن يحيى صاحب معز الدولة واتفق موت نوح قبل ان يؤدى الرسالة والكتاب وقعد مكانه عبد الملك بن نوح . ولما قدم ابو محمد من خراسان عائدا ومعه ابوبكر عبد الواحد بن ابي عمرو الشراي اعترضهما ابن ابي الشوك الكردى من الشاذليان وكان متقلدا أعمال المماون يملوان واليه الحماية والطريق وأظهر الخدمة وخرج معهما مبذرا بهما ثم

غدر فنهيهما وسب القافلة التي كانت معهما وأسر أبا مخلد وأفلت أبو بكر عبد الواحد بن أبي عمرو والشرابي فطالب ابن أبي الشوك معز الدولة باطلاق رهايته ووعد أنه ان أطلقوا اطلق ابا مخلد فضمن له ذلك واطلقوا واطلق أبا مخلد ثم خرج الحاجب سبكتكين الى حلوان للايقاع بالاكراد فدخل حلوان وقرر أمر الاكراد وابن أبي الشوك^(٢٠٧) وعاد

﴿ ودخلت سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة ﴾

وفيها خرج أبو سالم ديسم من بغداد وذلك لما يئس من نصرة معز الدولة .
﴿ ذكر السبب في يأس ديسم من نصرة معز الدولة اياه ﴾

سبب ذلك ان ركن الدولة صالح المرزبان بن محمد السلار وصاهره وتمكن سلار من آذربيجان فانصرف ديسم من حضرة معز الدولة وودعه . ظن انه يجد عند ناصر الدولة عوناً فقصده وأقام عنده بالموصل مدة ثم مضى من عنده بعد اليأس منه الى سيف الدولة أخيه وأقام عنده أيضاً مدة وفي هذه السنة قصد أبو علي ابن محتاج ركن الدولة للضرورة التي ذكرناها وجاء على طريق جبل ونداز هُرمز فاستقبله ركن الدولة وبالغ في إكرامه وأضافه وجيع منومه وأقام لهم الانزال الواسعة والتمس ابن محتاج عهداً يكتب له من جهة الخليفة على خراسان فكتب معز الدولة في ذلك فتسكفل به حتى فعل .

وفيها وصل رسول ابن محتاج الى بغداد ولقي معز الدولة فاحتشد له احتشاداً كثيراً وأوصله الى الخليفة حتى عند لابي علي على خراسان وقلده اياها مكان نوح بن نصر وسلم اليه العقد والخلع وضم^(٢٠٨) اليه أبا مخلد وأبا بكر بن أبي عمرو والشرابي وأنفذ معهم معز الدولة أبا منصور لشكرور

نجدة لابي علي ابن محتاج ومعاونة له علي نوح فلما كان بعد مدة ورد كتاب
أبي علي ابن محتاج بأنه قد خطب لامير المؤمنين المطيع لله بنيسابور ولم يكن
خطب له الى هذه الغاية في شيء من بلدان خراسان^(١) وذكر في كتابه
صحة موت نوح . وورد الخبر بان نوحا لما حضرته الوفاة كان بحضرته ابن
مالك وهو أحد قواده الكبار فغلب علي الامر وعقد الامر لعبد الملك بن
نوح في ولاية خراسان وتقلد هو رئاسة الجيش مكان أبي علي ابن محتاج .
وسار يطلب ابن محتاج وانتقل عن ابن محتاج رجاله وعادوا الى صاحب
خراسان وبقي أبو علي في مائتي رجل من أصحابه سوى من ضم اليه من
الديلم فاضطر الى الهرب من بين يدي ابن مالك . وورد خبره من الدامغان
بأنه صائر الى ركن الدولة مستجيرا به فقبله ركن الدولة أحسن قبول وأقام
عنده بالرى . ونزل ابن مالك بنيسابور وتبع أسباب ابن محتاج

وفيها صرف الازاعيبي عن الشرطة بفساد واعتقل وصودر علي
ثمانمائة ألف درهم وقلد الشرطة مكانه تكينك نقيب الازراك وقد كان
طولب قبل صرفه بأربعمائة ألف درهم علي ان يقرر^(٢) في عمله .
الشرطة ووعد باقطاع فلم يفعل

(ذكر الرأي الخاطئ من الازاعيبي حتى استمرت عليه)

(النسبة وعظمت بعد ان كانت خفيفة)

كان الازاعيبي منقطعا الى أبي علي الخازن فاستشاره وكان أبو علي
يعتني به فأشار عليه ألا يلتزم شيئا ولا يدخل تحت شيء مما يُطالب به وقال

(١) زاد صاحب التكملة . وبلغ الخبر بموت موسى فباده فأنجده المهابي لحيازة

تركته وكانت عظيمة

له : هذا يطعم فيك ويسير رسماً عليك فان امتنمت انخسح الطمع فيك وفيما بعده . فقبل رأيه فاداه ذلك الى النسكية وما أراد به أبو علي الا الخير ولكنه أخطأ الرأي كما يخطئ الانسان ولما أدى هذا المال وانصرف الى منزله قبض أيضاً عليه ونسكب نكبة ثانية وسُلم الى تسكينك بغيرى عليه مكروه عظيم وصور على مائتين وخسين الفا فاداهما .

وفيها دخل ركن الدولة الى جرجان ومعه أبو علي ابن محتاج بغير حرب وانصرف وشمكير عنه ودخل خراسان

وفيها خطب (بمكة والحجاز) لركن الدولة ومعز الدولة وبختيار وبعدم لابن طنج وذلك بعد حرب جرت بين أصحاب معز الدولة وبين المصريين وكان أبو علي ابن محمد بن عبيد الله صاحب الخاج من قبل السلطان بمكة وقاتل وقتل ابن له بين يديه

﴿ ودخلت سنة أربع وأربعين وثلثمائة ﴾^(٢١٠)

وفيها عقد معز الدولة لابنه أبي منصور بختيار الرئاسة وقلده أمة الامراء وذلك في المحرم من هذه السنة وكان سبب ذلك انه عرض لامر الدولة علة يقال له بغيرافسمس وهي علة الانماط الدائم ويكون معه وجمع شديد مع تواتر القضب وكان معز الدولة خوياً في أمراضه فوصى وقلده ابنه كما حكينا أمة الامراء .

وبلغ عمران بن شاهين ان معز الدولة قد مات وإجتاز به مال يحمل الى معز الدولة من الاهواز ومعه كاركير فيه للتجار أمانة عظيمة وكان مقدار المال المحمول لمعز الدولة مائة الف دينار وما للتجار أضعاف ذلك . فد عمران يده الى المال والسكر على رسمه في مثل ذلك فأخذ الجميع وقبض

على المزعل ملاح ممز الدولة الذي كان مع المال فصادره وضربه ضرباً عظيماً ودهقه الى أن أزمته ثم أنفذ اليه ممز الدولة أبا الحسين الكوكبي^(١) نقيب الطالبين برسالة الى ان رد المال وذهبت أمانة التجار واتفق الصلح وتأدى الامر الى الوحشة

وكان الحاجب سبكتكين أخرج الى شهرزور في جيش كثير ومعه عرادات ومنجنيقات فأقام مدة عليها ولم يمكنه فتحها^(٢) واتفق أن جيشا ورد من صاحب خراسان الى الري فاحتجج الى انقاذ سبكتكين الى ركن الدولة مددا له فانصرف من شهرزور ولم يصنع شيئا

وفيها ورد ابن ما كان اصبهان وكان مسيره اليها على طريق المفازة من خراسان فهجم مجوما واضطر أبو منصور بويه بن ركن الدولة وعيال ركن الدولة وجميع أصحابه أن يخرجوا على وجوههم الى خان النجان ومنها الى الرباط على أقبح صورة واستولى ابن ما كان على اصبهان . وكان الاستاذ الرئيس أبو الفضل ابن العميد رفع الله درجته بارجان فبادر مع قطعة من العرب ونقر يسير من الديلم كانوا معه فوجد ابن ما كان قد تبع أبا منصور بويه بن ركن الدولة ومن معه من الحرم فلحق سواده وملك خزائنه وتخلص الامير بويه والحرم على . وقد أشرف هو والحرم على الفضيحة والاسر

(١) هو أحمد بن علي بن أبي جعفر محمد الكوكبي من ولد محمد الارقط بن عبد الله الباهر بن علي زين العابدين وقال صاحب كتاب عمدة الطالب انه كان نقيب الثقباء ببغداد في أيام ممز الدولة : وفي كتاب الافادة في تاريخ الائمة السادة لابن غالب يحيى ابن الحسين البطحاني العلوي المتوفى سنة ٤٢٢ . كان فيه زعارة وعنف فشكا الملوية الى ممز الدولة سوء معاملته اياهم مرة بعد أخرى . فقال لهم . قد عزلته عنكم فاخترأوا لانفسكم من ترصونه . فاجتمع الملوية كلهم على الرضي بأبي عبد الله ابن الداعي .

فلحقه الاستاذ الرئيس فعارض ابن ما كان ودافعه بخان النجان فاقوم به واستأسره وبه ضربات وأسر جميع قواده وقتل أصحابه قتلا ذريما . وحمل الاستاذ الرئيس أبو الفضل ابن ما كان وقواده الى القلعة بالخان ثم صار الى اصبهان فأوقع بمن فيها من أصحاب ابن ما كان وورد الامير ^(٢١٢) أبا منصور بويه بن ركن الدولة مع الحرم الى اصبهان مصونين وتلافى ذلك الخطب العظيم أحسن تلاف .

وكان يحدثني رحمه الله بخبر هذه الواقعة مرات فيقول : لما التفتنا بالخان انهزم عنى أصحابي واشتغل أصحاب ابن ما كان بالنهب والنارة وثبت آفقه فقط من غير رجاء منى في ظفر بل وقفت وقوف المستسلم للقتل والاسر . وذلك انى افكرت فى تلك الحالة وقلت « ان انصرفت بنفسى سالما ومثلت بين يدى صاحبي أى وجه يكون لى عنده وأى لسان يدور بعذر لى بحضرته بعد ان أسلمت أعزته وأولاده وحُرّمه وبالجملّة ملكه ا » ونظرت فاذا القتل علىّ فى حالتى تلك أهون من هذه الحال التى تصورتها فصرت لان أقتل كريما (قال) فكنت واقفا وراء خيمة لى بعمودين وأنا أرى أظنابها تقطع وما فيها يخرج ومن يرانى لا يظن انى أثبت فى ذلك الموضع مع تلك الصورة بينما أنا كذلك وأصحاب ابن ما كان مشغولون عنى بالنهب اذ تاب الى ثلاثى روين وفلان وفلان وراءهم العرب فتاب منهم جماعة يسيرة فحملت بهم وصاح الناس السكرّة فقتلنا وأسرنّا ولم بقتل أحد ولما كان بعد ساعة من النهار لم يبق من جيش ابن ما كان عين تطرف ^(٢١٣) الا من أخذ أسيرا وحمل الى ابن ما كان وبه ضربة فى يده وقد تعلق منها اصبهان بجملدة رقبة شدّها حتى قطعها (قال) فهو على ذلك بين يدى حتى شق الزحمة البه

مكار أو ركاين فصفعة صفعة طن بها الموضع وغاص فلحقني غيظ عظيم
وأمرت بطلبه وهممت بالمثلثة به وقطع يده فما وقف له على أثر ولا عُرِف
له خبر الى اليوم

وكان ابن ما كان مع عظم قدره في نفوس الديلم وشدة بأسه محرباً
عظيم القوة ورأيت انا جوشنة وهو رزين جدا يعرض على فتان الديلم
واشدائهم أن يلبسه فيستغنى منه اثقله على اليد

وفي هذه السنة أنجد سيف الدولة ديماء وعاضده بمض الاكراد
فقصد سلما وسملكتها وخطب لسيف الدولة بها وكان السلار غائباً بناحية
باب الابواب مشغولاً يقوم خرجوا عليه هناك فلما عاد من باب الابواب
وأصلح أمره هناك وظهر بمدوءه فقصد ديماء فاستأن رجاله الي سلاّر
وهرب ديسم ومضى الى ابن الديراني صاحب أرمينية مستجيراً به فقبله ثم
غدر به وقبض عليه وقيدته وحمله الي السلار . فيقال ان السلار سمله ثم قتله
وفيها مات أبو علي ابن محتاج وابنه بالري في وبأ حدث هناك
وفيها تم الصلح^(٢١٤) بين ركن الدولة وصاحب خراسان .

وفيها ورد أبو الفضل القاشاني صاحب ركن الدولة مع ابن أخت ابن
مالك برسالة عبد الملك بن نوح صاحب خراسان يلتمس أن ينفذ اليه خلع
ولواء علي خراسان فعمد له الخليفة اللواء وسلمه مع الخلع الي ابن أخته الوارد
برسالته ورد مع أبي الفضل القاشاني وقاد أيضاً اليه فرسا وأضاف الي خلع
الولاية خلع منادمة^(١)

(١) زاه صاحب التكملة . وفي هذه السنة سد معز الدولة فوهة نهر الرافيل وسد
بق التهروانات وحفر للخلاص محوله وشرع في سد يثق الرومانية يادوريا . وقال أيضاً

﴿ ودخلت سنة خمس وأربعين وثلاثمائة ﴾

وفيهما خوطب أبو محمد المهلبى بالوزارة وأمر بذلك معز الدولة وخلع عليه وزاد في اقطاعه

وفيهما خرج روزبهان بن ونداذ خرشيد الديلمى على معز الدولة وخرج أخوه المسي بلسكا بشيراز وكاشفا بالعصيان وفعل مثل ذلك أخوه الآخر أسفار بالاهاوز وجاء روزبهان الى الاهواز وكان بها الوزير المهلبى ليحاربه فاستأمن رجاله الى روزبهان وانحاز الوزير عنه . وورد الخبر بذلك على معز الدولة فلم يكن يصدق بذلك لشدة ثقته به فانه هو الذى اصطنعه ونوّه باسمه فكان خاملا وعظم قدره وكان صغيرا قبل ذلك من رجال موسى فياذه وصغار أصحابه . وأتقذ معز الدولة شيرزبل على مقدمته للحرب واضطرب الديلم بأجمعهم على معز الدولة ^(١٥) اضطرابا شديدا وأظهروا أشياء كانت في نفوسهم عليه من العتب والاستبطاء وكاشفوه وواجهوه بكل ما كره وأخذوا يستأمنون . فقلد معز الدولة الابرأعجي الشرطة بواسط وأتقذه اليها وفي يوم الخميس لخمس خلون من شعبان خرج معز الدولة من داره ببغداد متوجها الى قتال روزبهان وزاد الامر في استئمان الديلم الى روزبهان . وخرج الخليفة المطيع لله منحدرًا الى معز الدولة وذلك ان ناصر الدولة لما بلغه خبر روزبهان وما عمله هو واخوته حدث نفسه ببغداد فوجه بابنه أبى المُرْجى وآخر من أولاده الى بغداد وبلغ ذلك معز الدولة فرد الحاجب سبكتكين من واسط لضبطها وكتب الى مسافر بن سهلان (وكان بهاوند متقلدا لها) يأمره وأنحدر روزبهان في شهر رمضان لقتال عمران وجاء المهلبى الى زاوطا لمعاوته وترك روزبهان محاربة عمران ومضى الى الاهواز عاصيا

بالتعجل الى بغداد لمضامة الحاجب سبكتكين ببغداد . فشغب الديلم المقيمون ببغداد لطلب أرزاقهم فبعث اليهم مسافر وسبكتكين ولشكر ورز ووعدهم بالمال فسكنوا وكان مسافر نزل في أعلى القطيعة وخرج سبكتكين الحاجب فنزل بباب الشماسية وهم على قنوط من [معز] الدولة . ومنع معز الدولة جميع الديلم من العبور لقنطرة أربق معه لما رأي من استئمانهم الى روزبهان ووكل بالقنطرة من عندهم من عبورها قلة ثقة بهم^(٢١٦) وخوفا من أن يغدروا به ويشوشوا باقى عسكره لانه كان ينفق فيهم فاذا قبضوا النفقات صاروا الى روزبهان من فورهم فمأبر معه من الديلم الا ليلي بن موسى فياذه وشيرزيل ابن وهري والحسن بن فناخسره فقط

وكان اعتماد معز الدولة على غلمانه الاتراك خارب روزبهان يوم الاثنين انسلاخ شهر رمضان نهاره كله الى ان سقط القوم^(٢١٧) ثم حمل بنفسه في غلمان داره وحضهم بأن قال : يا أولادى قدر بيتكم تربية الأولاد فأرونى غناءكم الساعة . فحملوا معه حملة الصبيان الاغمار فلم يردهم شيء وانهمزم روزبهان وأصحابه وأسر روزبهان وبه ضربات وأسر كوركير وفتح الشكري وأرسلان كور

﴿ شرح صورة هذه الحرب على سياقة من شاهدها ﴾

استوحش الديلم من منع معز الدولة اياهم من العبور فاجتمعوا عليه وقالوا له : ان كئنا رجالك فاخرجنا نقال بين يديك فاننا لا نصبر ان نجلس مع الصبيان لحفظ سوادك ورى الاتراك يقاثلون عنك فتى ظفرت بمدوك خرجنا من المخمدة ومتى ظفر مدوك فلحقنا العار والسبة . وكانهم سلكوا

في هذا الكلام مسلك الحيلة يُطابق لهم العبور فيتمكنون من ^(٢١٧) كسر
عسكره والاستئمان الى عدوه فسألهم التوقف وقال : انما أريد ان أشام
القوم ولا أناجزهم فيما فعلت بالامس فاذا كان في غد باكر فاهم باجمعنا على
تعبية واستعناً بالله وناجزناهم . وكان يدبر عليهم النفقات وبواصل المطالبين
ويكثر المدارة فامسكوا عنه وعبر معز الدولة وعبي غلمانهم كرايس تتناوب
في الحملات الى وقت غروب الشمس فهناك قتل الاتراك وانقطعت حياتهم
وفنى ثلثاهم وشكوا الى معز الدولة وقالوا : ليس فينا فضل وقد أمسينا
فستريح الليلة وتشرق فينا النشاب ونباكرهم الحرب . فلم معز الدولة
انه ان رجع عن هذه الحالة زحف روزبهان والديلم ونار من خلف وراءه
من أصحابه الديلم الذين كان يهيمهم فلا يمكنه الهرب وكان الهلاك فبكى
بين أيدي غلمانهم وكان سريع الدفعة ثم سألهم أن يجمع الكرايس
كلها ويحملوا وهو في أولهم فاما ان يظفروا واما ان يقتل أول من يقتل
فطالبوه بالنشاب فقال : قد بقي مع الغلمان الاصاغر نشاب نخذه وتوزعوه
وكانت عذة من الغلمان الاصاغر تحتمهم الخيل الجياد العتاق وعليهم العجب
والتجافيف وكانوا سألوا معز الدولة ان يأذن لهم في الحملة نوبة في
الكرايس فلم يأذن لهم ^(٢١٨) وقال لهم : اذا كان الوقت الذي يصلح
لكم ما سألتهم اذنت فيه . فوجه اليهم بنقيب وأوماً يده أن اقبلوا ما يقول
النقيب ليأخذ النشاب منهم فلم يشكوا انه انما أوماً اذنا لهم فيما كانوا
يسألونه ووعدهم به فحملوا وهم مستريحون كذلك خيأهم فصدموا صفوف
الديلم فسكسروا بمضهم فوق بعض وصاروا من ورائهم وحمل معز الدولة
فوضع فيهم التوت فكانت اياها وكتب بالظفر الى بغداد

فورد على الديلم المقيمين ببغداد ما أدهشهم ولم يصدقوا به وقدروا
انه أرجف بذلك ارجافا فسكوا يستهزون استهزاء ظاهراً ويقولون « نعم
كانوا دجاجاً وضع عليهم مكتبة فما أفلت أحد » وكانت نفوسهم اشترأت
الى روزبهان فلما صبح عندهم الخبر ضعفت نفوسهم وانخذلوا . وأسرع معز
الدولة الانصراف ليلحق ببغداد قبل ورود أصحاب ناصر الدولة اليها فدخل
بغداد يوم الجمعة لاثني عشرة ليلة بقيت من شوال ودخل داره ثم سار في
يوه ذلك في المساء الى معسكر الحاجب بياب الشمساسية في زرب ومعه
روزبهان في زرب آخر مكشوفاً إبراه الناس وكوركير في زرب آخر
واجتمع الناس على الشطوط فدعوا له وعلى روزبهان . وقد كانت العامة
محبين لايام^(٢١٩) معز الدولة وذلك لما كان منه في سد بئق نهر الرهيل
وسد بئق بادوريا فانه خرج بنفسه حتى سد هذا البئق وحمل التراب بنفسه
في بركة قبائه حتى فعل جميع المسكر مثل فعله وسد ذلك البئق ثم خرج
الى النهروانات فسد بئقها وكانت النهروانات قد بطأت وكذلك بادوريا
فلما سد بئقها عمرت بغداد وبيع الخبز النقي عشرين رطلاً بدرهم فشالت
العامة الى أيام معز الدولة وأحبوه .

ومضى الامير معز الدولة ممتداً الى عسكره بقطرل وكان أبو المرحج
وأخوه قد وصلا الى عكبرا ووصلت خيولهما الى البركان فلما بلغهما قدوم معز
الدولة وما جرى على روزبهان انصرفا من عكبرا الى الموصل وتبعهما الحاجب
سبكتكين فلم يلحقهما لاغذاهما السير .

وحبس روزبهان بالصراة في حصن كان هناك فكان الديلم يحدثون
أنفسهم بكبس موضعه واخراجه وأشار أبو العباس مسافر على معز الدولة

بقتله فأبى وكره ذلك الى ان قال جماعة من ثقاته : انك ان لم تبادر الى قتله
أخذه الديلم غصبا وزالت الدولة وذهبت أرواحنا . فأخرج حينئذ بالليل
وغرق في سُميرية أسفل دار الخليفة وورد الخبر بعد ذلك بطغر الاستاذ^(٢٢٠)
ابن العميد يُلُكًا أخى روزبهان وردّه الملك على أبي شجاع فناخسره بن
ركن الدولة . فانطوى ذكر روزبهان واخويه بعد ان اشتعل اشتعال النار
وانحاز اليه والى أخيه يُلُكًا الديلم وظنوا انهم قد نقلوا ملك بني بويه ولله
الامر من قبل ومن بعد ، ثم ان معز الدولة أسقط الديلم الروزبهانية وقبض
على جماعة من قواده وأعرض عن سائر الديلم وأقبل على الاتراك واصطنعهم
وكتب بالفتح الى الامصار

﴿ ودخلت سنة ست وأربعين وثلاثمائة ﴾

وفيها ورد الخبر بموت السلار المرزبان بأذربيجان في شهر رمضان
وكانت وفاته بفساد المزاج فلما يدس من نفسه أوصى الى أخيه وهسودان على
ان يكون الرياسة له ثم من بعده لابنه جستان وكان قد تقدم الى أصحاب
قلاعه الموكلين بحفظها ان حدث عليه حدث الموت الا يسلموها الا الى
جستان ابنه فان حدث به حدث الموت فالى ابنه ابراهيم فان مات فالى ابنه
ناصر . وكان له ولد رابع يقال له كيخسره^(١) فلم يذكره لصغره وقال « فان
لم يبق من هؤلاء أحد فسلموها الى أخي وهسودان » ولما وصى الى أخيه
وصيته هذه عرفه علاماته التي بينه وبين أصحاب قلاعه فانفذ وهسودان^(٢٢١)
بعلاماته وخاتمه الى المرتبين في القلاع في تسليمها اليه فأبوا عليه وأظهروا
وصيته المستورة . وكان ابراهيم بن المرزبان متزوجاً بابنة ولكن بن خرشيد

(١) وهو المذكور مع صاحب ابن عباد في اوشاد الارب ٢ : ٣٠٨

وهو من أكابر الديلم وكان ولكن هذا محبوسا من جهة المرزبان باردويل فلما مات المرزبان خاطبته زوجته في أبيها وحملته على ان يمضى بنفسه ويخرجه من محبسه فركب وأخرجه من غير استئذان عمه وهسودان فاستوحش وهسودان وفكر في مخالطة أخيه له في الوصية وفي أقدام ابن أخيه ابراهيم عليه وإخراجه ولكن من محبسه بغير اذنه فسأ ظنه وخرج من أردويل كالحارب الى الطرم فاستولى جستان على ممالك أبيه وأطاعه أخواه ابراهيم وناصر وقلد وزارته أبا عبد الله النعمي وتوفي اليه قواد أبيه الاجستان بن شمرن فانه تأخر عنه وفكر في التغلب على ناحية أرمينية وكان واليا بها . وأخذ وهسودان في التضريب بين أولاد أخيه وتفرق كلمتهم واطماع أعدائهم فيهم والتشفي بما عومل به حتى اضطرب عليهم عسكرهم وطلبوهم بما لا يسمعون له حتى تمكن منهم وقتل بعضهم وحرص على من لم يمكنه قتله حتى بلغ ما أراد واشتفى وزاد^(٢٢٢)

وفي هذه السنة كثر ببغداد أورام الخلق والامشرا وكثر الموت بهذين الضربين^(١) وموت الفجأة وكل من افتصد انصبت الى ذراعه مادة حادة عظيمة يتبعها حتى حادة فيحتاج الى بط وما سلم أحد ممن افتصد . وكانت شتوة هذه السنة دفيئة عادمة الامطار وحكى أهل البحر ان البحر نقص في هذه السنة ثمانين باعا وانه ظهر لهم جبال وجزائر لم يعرفوها ولا سمعوا بها قط وكانت زيادة دجلة في هذه السنة يسيرا نحو عشرة أذرع وكان بالرى ونواحيها زلازل عظام مات فيها من الناس ما يعظم مقداره ويكثر عدده^(٢)

(١) لعله «المرضين» (٢) قال صاحب التكملة : وفي هذه السنة خرج أبو الحسين ابن مقله الى كربلاء لزيارة وبه فالج فمات في طريقه وأعيد الى داره ودفن في مرعبة أبي

﴿ ودخلت سنة سبع وأربعين وثلاثمائة ﴾

وفيها كثرت الزلازل ببغداد وحلوان وبلدان الجبل وعظم أمرها بالجبل خاصة تغربت الابنية وقتلت الخلق^(١)

وفيها شغب الاتراك والديلم بالموصل على ناصر الدولة وزحفوا الى داره وأرادوا الفتك به فخاربهم بفلمانه وبالعامة وظفر بهم وقتل بعضهم في الوقعة وقبض على جماعة وهرب الباقون الى بغداد

وفيها ورد الامير أبو منصور بويه بن ركن الدولة الى بغداد ليخطب ابنة معز الدولة ومعه أبو علي ابن أبي الفضل القاشاني وزيراً ومعه أبو القاسم اسمعيل بن عباد يكتب له على سبيل^(٢٣٣) الترسل . فلما كان ليلة السبت لليلتين خلتا من جمادى الأولى زُفَّت بنت معز الدولة الى أبي منصور بويه ثم حملاها الى إصهبان

وفيها خرج معز الدولة نحو الموصل يوم الخميس لاربع عشرة خلت من جمادى الآخرة وعبر من باب الشامية الى قطربل وضرب مضاربه هناك وعزم على قصد الموصل لمحاربة ناصر الدولة وأولاده لما كان منهم في قصد

عبيد الله . وزاد صاحب تاريخ الاسلام . وله تسع وثلاثون سنة (١) زاد صاحب تاريخ الاسلام : وكان بالري ونواحيها زلازل عظيمة وخسف بد الطالقان في ذى الحجة ولم يفلت من أهلها الا نحو ثلاثين رجلاً وخسف بخسين ومائة قرية من قرى الري واتصل الأمر الى حلوان فخسف بأكثرها وقتل في الأرض عظام الموتى وتفجرت منها المياه وتقطع بالري جبل وعلفت قرية بين السماء والأرض بمن فيها نصف نهار ثم خسف بها وانخرقت الأرض خروقا عظيمة وخرج منها مياه مننتة ودخان عظيم هذا نقل ابن الجوزي قاله أعلم . وقال أيضا . وفي سنة ٣٤٧ عادت الزلازل بحلوان وقم والحيال فالتفت خلقا عظيما وهدمت الحصون وجاء جراد طبق الدنيا فأتى على جميع الغلات والأشجار .

ممالكه والطمع فيها بعد الصلح والمواذعة وتردّدت الرسل فامر معز الدولة ان تُكتب عنه توبيخات وتهجينات عنيفة شديدة وأمر ان تُقرأ وتُستوفى أجوبتها

﴿ ذكر هذه التوبيخات ﴾

قال فيها : أنت ذاكر ماجرى عليك من تكين الشيرزادي فانه أخرجك من نعمتك وكاد يأتى على مهجتك فلجأت الى بعد عداوة سبقت امنك لي ومنازعة نازعتها عن بلاد لم يكن في يدك منها شيء فاطرحت لاحقاد واعتفرت الذنوب وآثرتك على تكين وهو اذ ذاك يبذل لى الخدمة والطاعة وحمل المال واقامة الخطبة ولا يانمس منى الا ترك الدخول بينك وبينه والانصراف عن النصرة لك عليه فأثرتك . وأتقت كآتي وعسكرى باموال أنفقتها ومؤون تكلفتها^(٢٢١) حتى أخذت بناصيته وسلمته اليك فشفيت صدرك منه وعدت الى وطنك . ثم حصلت في يد وزيرى الميمري حصول المستجير الذليل فوفي لك ولو شاء لأسرك واشتمل على بآزك وقلاعك . وظننت انك تعرف الى حق هذه الزمة وأطالب نفسك عليها بالمجازاة فاييت الا غدرآبي وتقيجا في معاملى . وليتك لما لم تعمل عمل الاصدقاء الاوفياء عملت عمل الاعداء الخزماء فكآبتنى تعرض نفسك على فى النأبة العظيمة التى نأبتنى فى أوثق الناس عندى وتبذل لى معاوتك فكنت تنفذ عسكرك الى تكريت على انه مدد لى فان لاح لك استظهار منى تهمدت على وتوددت الى وان لاح لك استظهار على أظهرت ما فى نفسك حيث تكون فيه أعذر وأقل ملامة . ثم اتبع هذا القول بالتوعد والتهدؤ بالمسير الى أعماله واستيصاله .

﴿ الجواب عن هذه الرسالة ﴾

انك قد صدقت في جميع ما عددت واني معترف به ووالله ما كان عن رأى ولا أمرت به ولسكنى شيخ لي أولاد أحداث يخالفونى في تدبيرهم فيركبون الهوى في أمورهم ولا رأى لمن لا يطاع . وتمت الموافقة بينه وبينه على تعجيل ألفى ألف درهم فجعلها له ^(٢٢٥) والتزم مثلها في كل سنة فظهر معز الدولة الرضاء ضرورة لانه كان غير واثق برجاله ولان أعماله اختلفت بتلك الفتنة فعاد الى داره . ثم أخر ناصر الدولة المال الثاني لان الاول كان في سنة ست فخرج معز الدولة اليه وسار ناصر الدولة الى نصيبين ودخل معز الدولة الموصل وسار الى نصيبين وخلف سبكتكين بالموصل . وأتخذ سرية الى سنجار لانه بلغه ان أبا المرجى وهبة الله ابني ناصر الدولة بها وبلغها خبر السرية فانصرفا وقد كان أعجلهما الامر فتركا خيمهما وجميع معسكرهما بحاله ولم يمكنهما حمل شئ فاسرع الديلم الذين كانوا في السرية الى الفارة والنهب

﴿ ذكر عجلة واضاعة حزم ﴾

ان الديلم نزلوا في خيم أبي المرجى وأخيه فسادا وكبسا العسكر واستأسرا جماعة وقتلا جماعة وكان ممن قتل ابن ملك الديلم المعروف بسياحشم قتله هبة الله ووقع في الاسر شيرزاد وشيرمردى وعدد كثير

﴿ ذكر السبب في هذه النكبة وضعف ﴾

﴿ معز الدولة بعد الاستعلاء ﴾

كان من عادة ناصر الدولة اذا تنحي من بين يذى معز الدولة الا يترك في البلد لا كاتباً ^(٢٢٦) ولا دليلاً ولا أحداً ممن يعرف تقع السلطان وضره ويتحشم

الى قلاعهم مع حساباته ودواوينه ثم يأمر الصماليك والعرب أن يتصرفوا
 البلد ويمنعوا العلافة ومن يخرج لطلب العلف والطعام الا أن يكون معهم
 عسكر قوى فاذا رأوا عسكراً قويا لم يظهروا ولم يتعرضوا وكان غرضه في
 ذلك أن يضيق الميسر والعلوفات فينصرف عنه معز الدولة ففعل ذلك في هذا
 الوقت . وبلغ معز الدولة كثرة الغلات بنصيبين وكانت للسلطان فقصدها
 وخلف حاجبه سبكتكين بالموصل فلما صار ببرقيد بلغه أن أبا المرحي وهبة الله
 ابني ناصر الدولة مقيمان بسنجار فعمل على كبسهما ونذب لذلك جماعة من
 القواد الكبار وجعل الرئيس عليهم تكين الجامدار وكان غلاماً أمرد وضىء
 الوجه منهمكا في الشرب لا يعرف الصحو ولا تقدمت له حُسْكة فاشار الوزير
 المهلبى ألا يخرج في مثل هذا الوجه وان يمدل الى أحد مشايخ القواد فلم يقبل
 منه وأثغذه في خسمائة رجل فاشرفوا على أبي المرحي وهبة الله فارهقوهما عن
 تقويض الخيم واستصحاب شيء من رجالهما وافتتا على ظهور دوابهما وتركوا
 جميع ما لهم^(٢٢٧) فأنهبه العسكر . ثم تعجل اصحاب معز الدولة الى الخيم وتركوا
 الحزم فنزلوها واستقروا فعطف عليهم أولئك وصارت الكيسة لهم فقتلوا
 وأسروا وغنموا ما شاؤوا . وبقي معز الدولة في عدد يسير ببرقيد في طريقه
 الى نصيبين فكتب الى بغداد يستدعى العساكر فتعجلوا وتلاحقوا اليه فلما
 قويت عدته سار من برقيد الى نصيبين وسار ناصر الدولة من نصيبين الى
 ميسافارقين وفض جيشه عنه بأسره وصرفهم فصار جميعهم الى معز الدولة في
 الأمان واستأمن أبو زهير اخو ناصر الدولة الي معز الدولة ودخل ناصر
 الدولة من ميسافارقين الى حلب مستجيراً بأخيه سيف الدولة فقتله أخوه
 باجل تلق وقبلة احسن قبول وخدمه بنفسه حتى تولى زرع خفيه يده . وكان

حامد بن النمس توجه من قبل معز الدولة الى الرحبة فهزم من كان بها من جيش ناصر الدولة

وكان طريف الخادم وهزارمرد وهما غلاما ناصر الدولة يتطرفان الموصل في الجانب الشرق منها كل يوم ويلتقطان عمال معز الدولة ويأخذان العلافه من عسكر الحاجب ويمنعان ورود^(٢٢٨) شيء الى الموصل حتى صارت محاصرة واخذوا من الثنار من عمال معز الدولة رجلا يعرف بعلي بن الصقر وحمله الى القلعة ثم كبسا الحديدية وكان فيها محرز حاجب الوزير ابي محمد المهدي وأبو العلاء ابن شاذان يتقلد عمالها فقبضا عليهما ثم اطلقا محرزاً وحملأبأ العلاء الى القلعة

وكان معز الدولة راسل كافور الخادم بمصر يأمره بحمل مال الى الحضرة فحبس كافور الرسول حبسا جديلا وطاوله وبث جواسيسه لتعرف الاخبار فلما عرف انصراف معز الدولة عن ذلك الوجه الي بغداد رد الرسول خائبا . وورد عمرو النقيب من قبل ناصر الدولة الي نصيبين وسفر في الصلح وطال الخطب بينه وبين معز الدولة فلم يتم الصلح فلما رأي عمرو الصورة استأمن الي معز الدولة وأقام بحضرته ولم يعد الي ناصر الدولة . ثم ترددت رسائل بين معز الدولة وبين سيف الدولة وتوسط بين أخيه وبينه حتى تقرر ما بينهما ورجع معز الدولة من نصيبين قاصداً الموصل
(ذكر اتفاق صعب غير محتسب)

لما صار معز الدولة بين المونسية وأذرمسة في اليوم الخامس عشر من شباط^(١) هبت ريح باردة^(٢٢٩) مغربية ووقع دمع فتلف في ساعات يسيرة

(١) زاد صاحب التكملة : وهو ذاك ذي الحجة

من النهار عدد عظيم من عسكره ولحق معر الدولة غشية وكاد يلف من كثرة ما عليه من الور والخر . فقلع أهل المسكر سفوف آدرمه وأنواها وأوقدوها فاطلق معر الدولة لاهلها ثلاثة آلاف درهم لبيتاعوا بها . كان ما أخذ من اتقاضها

﴿ ذكر تدير سيء ورأى ظاهر الفساد رآه معز الدولة ﴾
 ﴿ بعد فراغه من روزبهان ادى الى تخريب المملكة ﴾
 (وسوء عاقبة الاولاد والرعية)

دبر معز الدولة عند فراغه من حرب روزبهان ان يطرد الديلم الروزبهانية يسك من لم يفارقه منهم وان كانوا متهمين عنده وكان وعدم العشرة ثلاثة في اصول اموالهم وظن انه ان وفي للكل لم يتسع له مع ان الفتح الاتراك وكان ماثلا اليهم بالهوى قبل الاستحقاق فكيف بعد هذا الاثر العظيم ! فابتدأ يجازى الاتراك بالاحسان ففقد منهم جماعة واستحجب جماعة ونقب جماعة ورفع كل طبقة الى ما هو اعلى منها ونفى الديلم الروزبهانية ليتوفر عليهم ما لهم ويصير ذلك بازاء ما يلزمه لاصحابه الديلم من الزيادات . فاخرجهم الى الاهواز وكتب الي وزيره الموالي بمجمعهم^(٢٣٠) من جميع النواحي والاعمال والتوكيل بهم والمسير معهم الى آخر الحدود ليتفرقوا حيث شاءوا . فدفع الوزير من ذلك الى خطة صعبة وحال مخاطرة عظيمة لان القوم كانوا ذوي عدد وعدة الا انه لتطف واحسن التدبير حتى اخرجهم زمرة بعد زمرة . ثم حمل معز الدولة الاتراك على التحسب على الديلم وتعييرهم بشق المصا وخلع الطاعة وتقريعهم بهذا ونحوه وان عدد الاتراك مع قاته وفوا بهم حتى قهروهم واذلهم . ثم رسم للاتراك رسوما صار سببا لضراوتهم وطلب الاموال

والغالب على الاعمال والتسحب على العمال وذلك انه امر بتسبيب ما يستحقونه على واسط والبصرة والاهواز واخرجهم طبقة بعد طبقة على النوبة لاستيفاء أموالهم ولن وراءهم من رفقاتهم المقيمين وان يقام لهم نزل ياخذونه راتبا في كل يوم الي ان يستوفي ماله ومبلغه عشرة دراهم لكل غلام في كل يوم وعشرون درهما لمن كان نقييا وأراد ان ينفعهم عاجلا لا مؤبداً. وافتتح عليه من ذلك باب من الفساد كان اضر عليه من زيادة أوزارها في أصول استحقاقاتهم وذلك انهم اثروا أن تتأخر أموالهم المسببة لتكثر أيام مقامهم^(٢٣١) وصيروا اصول أموالهم بضائع يتجرون فيها واذا راج لهم من مال تسببتهم لم ينسبوا شيئا منه الى الاصل وقد بقي لهم درهم واحد ويستروح العمال الى اطلاق الشيء بعد الشيء لئلا يرهقوا بالمال جملة فربما أقاموا ستين وثلاثة. وولدت التجارات في سدورهم وإجازة ما يحصل لهم في الطريق بغير ضريبة ولا مؤونة ثم تجاوزوه الى الدخول في التلاجيء فملكوا البلاد واستطالوا على العمال وحاموا على التجار ومن اعتصم بهم فضعت أيدي العمال واستعبدوا الناس واستمر ذلك وازداد الى اليوم

(ودخلت سنة ثمان وأربعين وثلثمائة)

وفيهما وافى أبو محمد الفياضى كاتب سيف الدولة الى الموصل في الحرم وتقرر الامر على أن عقدت الموصل وديار ربيعة والرجبة على سيف الدولة بالني ألف درهم وتسعمائة ألف في السنة وذلك لان معز الدولة لم يستجب الى عقدها على ناصر الدولة وعلى أن يقدم من ذلك الف الف درهم ويطلق الاساري الذين أسروا بسنجار. فلما تقرر هذا انحدر معز الدولة وتأخر الوزير المهلبى والحاجب سيكتكين بالموصل والجيش بأسره معها^(٢٣٢) الى أن يحمل

مال التعجيل ثم وردا مع الجيش ومع أبي محمد الفياضى كاتب سيف الدولة
﴿ ذكر انحدار معز الدولة والسبب فيه بعد ﴾
(تمكنه من دينار ربيعة ومضر)

كان السبب في اصعاده الاضاقاة الشديدة التي لحقت به بعد الامور التي
ذكرناها وتأخر أموال المحول عنه فعلم ناصر الدولة بذلك فأنهزم من بين يديه
وقال لاصحابه : اذهبوا حيث شئتم فاني لأقف للحرب . فاستأمن اصحابه الي
معز الدولة كما كتبنا فيما تقدم فازدادت اضاقاة معز الدولة ولم يمكنه ضبط
النواحي ولا الحماية وتقاعد الناس باداء الخراج احتجاجا بأنهم لا يصلون الى
غلاتهم وطلبوا الحماية واضطر معز الدولة الي الانحدار ولكنه أنف وأقام
على كره ومشقة فلما ورد عليه رسالة سيف الدولة استراح اليها وأجابه بالشكر
الجميل وشكا اليه أخاه وقلة وفائه والغدر به مرة بعد مرة وقال له : ان
ضمنته أنت أجبت . فضمنه وانحدر معز الدولة

﴿ وفي هذه السنة انقطعت المحول من واسط الى البصرة والاهواز ﴾

(ذكر السبب في ذلك)

السبب في ذلك ما كنا ذكرناه من استيلاء الاتراك واستئصالهم المال
ومضايقتهم ايام حتى اضطروهم الى بذل المرافق^(٢٣٢) الكثيرة لهم فاقفوا
الاملاك وحاموا على قوم على سبيل التلاجيء فتغلبوا على حقوق بيت المال
وصار المال يعولون على النعمان الاتراك في أخذ حقوقهم على التناء فيتنجزونها
كما يتنجزون تسبيباتهم وتشبه بهم الديلم واصطالح الفريقان على هذا السبيل
فكسروا على السلطان حقوقه . واجتمع المال بذلك فكسروا أصول العقود
وسألوا إزالة ما دهمهم فلم يمكن ذلك وصارا بمنزلة الداء الذي لا يرجى حسمه

لان الديلم كانوا مستوحشين ومتفرقين والأتراك متطاولين مدلين فلو قموا
لصارت كلمتهم مع الديلم واحسدة . فجري الرسم بأن ينقل مارفعه العمال من
فاضل ما عليهم الى السنة التي بعدها وحصل الوزير وكل من دبر فيه تدييراً
معرضاً لسفك دمه وذهاب نفسه الا ان هذا الفساد كان في أيام معز الدولة
كالطفل الناشيء لهيته وبقية حشمته ثم ظهر الافراط بعد علي أولاده ولما
أتى عليه الزمان بعد وفاته

وفيهما خلع السلطان على الأمير أبي منصور بختيار بن معز الدولة وعقد
له لواء وقلده إمرة الأمراء ولقبه عز الدولة^(١)

وفيهما أُنقذ لواء وعهد الي أبي علي^(٢٣٤) [محمد] بن الياس وكان السفير في
ذلك كله القاضي أبو بكر أحمد بن سيار الصيمري وفيها مات أبو الحسن محمد
ابن أحمد المافروخي وكان يكتب لمعز الدولة وكتب له بعده أبو محمد علي بن
عبد العزيز المافروخي مدة شهر ثم استعفى وانصرف وتقلد مكانه أبو بكر
ابن أبي سعيد

وفيهما كانت وقعة بين علي بن كامه ابن أخت ركن الدولة وبين يستون
ابن وشمكير فكانت علي يستون

وفيهما غرق الحاج الواردون من الموصل وكانوا في بضعة عشر زورقا

(١) زاد فيه صاحب كتاب العيون : واستكتب له ابا الحسن المافروخي الاصهاني
وزوجه بابة أبي منصور لشكروز بن سهلان فمات بعد الاجتماع والانتقال وقد كان
زوجه بابة روزبهان فاقطعت بهصيان أبيها العلاقة بينه وبينها ثم خطب له ابنة ابي علي محمد
ابن الياس صاحب كرمان واقنذ في ذلك أحمد بن سيار الصيمري القاضي فتمت الوصلة ولم
تقع النفقة . وقال أيضا : وفي هذه السنة توفي لشكروز بن سهلان بيلة القولنج وتبعته
وفاته وفاة أخيه مسافر بن سهلان بنهاوند في هذه السنة وكان بين وفاتها وأمد قريب

كباراً فيها من الرجال والنساء نحو الف نسمة
وفيهما غزا الروم المساميين فأسروا وقتلوا وسبوا^(١) وانصرفوا وذلك
في طرسوس والرها

(ودخلت سنة تسع وأربعين وثلثمائة)

وفيهما ورد الخبر بأن صاحب خراسان قتل رجلاً من قواده يسمى
بمختكين [وكان] من وجوه قواد الأتراك فاضطربت خراسان لاجله
وفيهما ورد الخبر بأن ابناً لعيسى بن المكتفي بالله ظهر بناحية أرمينية
وتلقب بالمستجير بالله يدعو إلى المرتضى من آل محمد رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولبس الصوف وأمر بالمعروف [ونهى عن المنكر] . وكان هذا
الرجل مضى إلى بلد الجليل فاستنصر بجماعة من الديلم المعروفية^(٢٣٥) والمسودة
والمنتسبين إلى مذهب السنة من مذاهب المسلمين فخرجوا معه وصاروا إلى
آذربيجان فغلب على عدة بلدان منها ما كان في يد سلال الديلمي . ثم ورد
الكتاب في شهر رمضان من جهة ابن سلال بأنه أوقع بهذا الرجل المتلقب
بالمستجير بالله فأسره وقتله

(ذكر السبب في خروجه وسرعة هلاكه)

كان السبب فيه أن جستان بن المرزبان ترك طريقة أبيه في سياسة
الجيش وتوفر على النساء واللعب ثم أدخلهن في التدبير . وكان جستان بن
شرمرن تحصن بسور أرمينية وكان وهسودان بالطرم ويضرب بين أولاد

(١) قال صاحب التكملة : أسروا (الروم) محمد بن ناصر الدولة من نواحي
حلب وأسروا أبا الهيثم ابن القاضي أبي حصين ابن عبد الملك بن بكر بن الهيثم وغلمانه
من سواد خراسان

المرزبان كما حكينا فيما تقدم . وكان جستان بن المرزبان قبض على وزيره النعيمي واتفق بين النعيمي وبين كاتب جستان بن شرمزن وهو أبو الحسن عبيد الله ابن محمد بن حمدويه مصاهرة فلما قبض جستان بن المرزبان على النعيمي استوحش صهره أبو الحسن عبيد الله بن محمد بن حمدويه وحمل صاحبه على مكاتبه أخي جستان وكان يومئذ بأرمية وأطمعه في أموال عظيمة ووعدته أن يقوم بين يديه وينصره بحيشه الذين جمعهم وقيم مقام أخيه فعمل إبراهيم على ذلك وأشار عليه نصحاؤه بالآ^(٢٣٦) يفعل فخالقهم وركب هواه وسار الى أرمية واجتمع مع جستان بن شرمزن وكاتبه أبو الحسن عبيد الله بن حمدويه ووعدهما بكل ما سكتا اليه فصاروا الى المرائجة واستولوا عليها . وقد كان جستان ابن المرزبان صار الى بردعة فلما عرف خبر أخيه إبراهيم وانحيازه الى جستان ابن شرمزن عاد الى أردبيل فراسل ابن شرمزن وكاتبهما ومناهما ووعدهما باطلاق النعيمي وبذل لهما كل ما اقترحاه فعاد الى موالاته وترك إبراهيم وانصرفا عنه الى أرمية واخلفاه في كل ما كانا بذلاه فلما رأى إبراهيم ذلك عاد الى أرمية وبقي جستان بن شرمزن وكاتبه يطمعان كل واحد من الاخوين أعنى إبراهيم وجستان ابني المرزبان أنهما معه حتى استكملا بناء سور أرمية وقلمة في داخلها منيعة واستكثرا من جمع الاقوات والآلات . وظهر للاخوين مما نية ابن شرمزن في النفاق والعداوة فتراسلا وتصالحا وعملا على أن يجتمعا ويقصدا . واتفق ان هرب أبو عبدالله النعيمي من حبس جستان بن المرزبان وصار الى موغان وكاتب ابن عيسى بن المكتفي بالله الملقب بالمستجير بالله وأطمعه في الخلافة وأن يجمع له من الرجال من يستولي بهم على آذربيجان فاذا قوي بالمال والرجال^(٢٣٧) قصد العراق . فسار المستجير بالله في نحو

ثلاثمائة رجل من المسودة ولم يكن بعد تمكن ولا اجتمع له من الرجال ما اراد فلما أطمعه النعمي صار اليه واجتمع معه وصار أيضا اليه جستان بن شرمز في عسكره فقوى به وقلده أمر عسكره وبأمره الناس . وسار اليه جستان و ابراهيم ابنا الرزبان في جوعهما فلما عبي جستان عسكره تقدم اليهم بان يلزموا مصافهم ويحفظوا نظامهم ولا يحملوا حتى يأذن لهم وكان معهم الفضل بن أحمد الكردي القحطاني وهم صنف من الاكراد ومع جستان الصنف الآخر من الاكراد الذين يعرفون بالهدايبانية وتلقاهم الهدايبانية وابتدأوا بالحرب فانتقض على جستان بن شرمز صفوفه فخرج من موضعه الذي كان فيه مع الديلم لينكر على الفضل مخالفته اياه ويرده الى موضعه فوجده قد أبعد فاتبعه فمأشك أصحابه في انهزامه فاقتفوا اثره وصحت الهزيمة . وركب الهدايبانية وأصحاب جستان و ابراهيم اكتافهم واضطر جستان بن شرمز الى الانصراف الى ارمية وظفر باسحق بن عيسى بن المكتنى بالله ولم يدر ما فعل به الا اني سمعت بقتله وسمعت بموته حتف أنفه في الجبس

وتم لو هسودان تفريق كلمة بنى أخيه وذلك ^(٢٣٨) انه استزار ابراهيم فلما صار اليه أكرمه ووصله بجوائز كثيرة وحمله على دواب وكاتب ناصراً واستغفواه حتى صار الى موقان مفارقاً لأخيه ووجد الجند سبيلاً الى اقامته سوقهم والمطالبة بالاموال فقارق أكثرهم جستان وصاروا الى ناصر فقوى وسار الى أردبيل فملكها والجلد أخاه جستان الى القلعة المعروفة بالنسير . ثم اجتمع الديلم والاكراد على ناصر بطالبونه بما لا يفي به وقعد به عمه وهسودان فعلم حينئذ ان وهسودان عمه كان يغويه وعرفا جميعاً مغزاه فتراسلا وتصالحا وسلم ناصر الامر الى أخيه جستان فنزل من قلعته وصارا جميعاً الى أردبيل

على اضافة شديدة لنفاد الاموال وكثرة المتغلبين على الاطراف فاضطرا الى الخروج الي عمهما وهسودان مع والده جستان بعد أن توثقوا منه بالايمان الغليظة والمهود فلما حصلوا تحت قبضته حبسهم ونكت واستولى على المسكر وعقد الامارة لابنه اسمعيل بن وهسودان وسلم اليه أكبر قلاعه شميران وأخرج الاموال وأرضى الجند وجعل ابا القاسم شرمزن بن ميشكي صاحب جيشه واخرجه الى أردبيل . وكان ابراهيم قد صار الى أرمينية فتأهب^(٢٣٩) لمنازعة اسمعيل ومحاربته ولاستنقاذ أخويه جستان وناصر من محبس عمهما وهسودان وكان وهسودان قد ضيق عليهما وأساء كل الاساءة اليهما فلما عرف وهسودان اجتماع ابراهيم على حرب اسمعيل واجتماع خلق من الديلم معه بادر بقتل جستان وناصر وأمه وأتى على كل من يقرب منهم ويخاف ناحيتهم وكاتب جستان بن شرمزن والحسين بن محمد بن الرواد بقصد ابراهيم وأنفذ اليهما مدداً من جهته فاستجابا له وزحفا اليه وزحف اسمعيل فهرب ابراهيم الي أرمينية وكان جستان بن شرمزن قريباً منه فاستولى على عسكره وملك المراغة وأضافها الى أرمينية

وفيهما غزا سيف الدولة في جمع كثير فأثر في بلدان الروم آثاراً عظيمة وأحرق وفتح حصونا وحصل في يده سبي كثير وأسارى وانتهى في غزوه الي خرشنة فلما أراد الخروج أخذ الروم عليه المضايق فماتها له ان يتخلص الابجد عظيم هو ونحو ثلاثمائة غلام وهلك باقي أصحابه أسرا وقتلا وارتجع منه السبي كله والأسارى والغنيمة وأخذ جميع خزائنه وسلاحه وكراعه وقتل من الوجوه الذين [كانوا] معه حامد بن النمس وموسى بن سيا كان والقاضى أبو حصين^(٢٤٠) وكان معه من المسلمين ثلاثون ألفاً وخرج أهل طرسوس

من طريق آخر فسلموا

﴿ ذكر السبب في سلامتهم ومصاب سيف الدولة ﴾
كان هذا الرجل أعنى سيف الدولة ممجبا يجب أن يستبد برأيه والا
تحدث نفسان انه عمل برأى غيره وكان أشار عليه أهل طرسوس بأن يخرج
مهم لانهم علموا ان الروم قد ملكوا عليه الدرب الذي يريد الخروج منه
وشحنوه بالرجال فلم يقبل منهم ولج فأصيب المسلمون بأرواحهم وأصيب
هو بماله وسواده وغلمانه .

وفيهما استأمن أبو الفتح المعروف بابي العريان أخو عمران بن شاهين
وصار الى واسط بجرمه وعياله وولده لانه خاف أخاه ودخل بغداد في
ذي القعدة ولقى معز الدولة

وفيهما أملك أبو الفضل العباس بن الحسين الشيرازي ^(١) بإذنه الوزير
أبي محمد المهدي

وفيهما مات ابو القاسم عبد الله بن أحمد بن البريدي ^(٢)
وفيهما أسلم من الأتراك نحو مائتي ألف خركاه

وفيهما انصرف حاج مصر بعد ان قضوا حجهم فنزلوا في واد بمكة فلما
كان بالليل حملهم الوادي وهم لا يشعرون ففرق أهل مصر وكانوا عبيدا

(١) قال صاحب التكملة: وفي هذه السنة انحدر أبو أحمد الشيرازي كاتب المستكني
بالله الى شيراز فقبله عضد الدولة وأقطع ابنه أبا الفضل مائة ألف درهم وحسن به

(٢) وقال فيه صاحب كتاب العيون: وأنزله معز الدولة دار خسنة على دجلة
وأطلق له ضياعه القديمة التي كانت لآبيه في السواد وأقطعاه أقطاعا بعشرة الاف دينار
ورسمه بخادمته ولم يزل مصونا مكرما مجتمع الشمل مع أخوته وولده متمتا بملاذه
متمتا بملاذه وأوطاره الى أن توفي

كثيرا جدا وكبهم الماء مع امتعتهم الى البحر^(٢٤١)

﴿ ودخلت سنة خمسين وثلاثمائة ﴾

فيها اشتدت علة معز الدولة وامتنع عليه البول فاشتد جزعه وقلقه واستدعى الوزير ابا محمد المهلبى في الليل والحاجب سبكتكين فاصلح بينهما عن وحشة قديمة وبكى وندب على نفسه على عادة الديلم فلما كان آخر الليل بال دما بشدة ثم تبعه رمل وخف ألمه فلما كان من الغد وهو يوم الخميس لحس خلون من المحرم سلم داره وكراعه وغلماؤه الى ابنه عز الدولة وفوض اليه الامور وجمع المهلبى الوزير والحاجب سبكتكين على الوصاية به وخرج في عدة سيرة من غلماؤه وخاصته ليضى الى الاهواز

﴿ ذكر سبب هذه الحركة والخروج بعد ظهور ﴾

﴿ الصلاح والبرء من المرض ﴾

كان سبب ذلك استشاره ان بغداد هي التي أحدثت له الاسقام وهي التي افسدت عليه صحته وتذكر ايام مقامه بالاهواز وهي ايام شبابه ووفور قوته وظن أن الاهواز هي التي كانت تجلب له الصحة وانها توافقه فوصى الحاجب سبكتكين والوزير المهلبى بابنه عز الدولة وبالجيش وغيره بما كان في نفسه وانحدر الى كلواذى . فلما صار بها أشار المهلبى بان يقيم ويتأمل أمره ويفكر فيه ولا يجعل فأقام بكلواذى وأخذ^(٢٤٢) في تقدير بناء قصر ثم انتقل الى الشفيعي وقدر هناك البناء ثم انتقل منه الى قطربل لانها أعلى بغداد والهواء والماء هناك اصفى واعذب وعمل على ان يبنى من حد قطربل الى باب حرب قصرانم صاح من عنته وابو محمد المهلبى في كل ذلك يملله ويصرف رأيه لعله بكثرة المؤن والنفقات التي تلزمه وبكراهة الجند والحاشية لانزعاجهم

من اوطانهم ومآلهم ولكراهية تخريب بغداد بانتقال الملك عنها فلم يزل به حتى صرف رأيه . ولما علم انه لم يكن من البناء بد [فيجب] ان يكون متصلا ببغداد من اعاليها ليكون هواؤه وماؤه اصح وانظف انزله في البستان المعروف بالصيمري وهو في اعلى بغداد من الجانب الشرق بقصر فرج واخذ في هدم ما يليه من العقارات وابتاعها من اهلها الي حدود ربيعة الدور وكلف ابا القاسم ابن مكرم و ابا القاسم ابن جستان العدين ابتياع العقارات المجاورة له . واصلح ميدانا على طول دجلة وبني الاصطبلات على نهر مهدي وقلع الابواب الحديد التي على المدينة (مدينة ابي جعفر المنصور) والتي بالرصافة وعلى شارع نهر الملقى ونقلها الي داره ونقض قصور الخلافة بسر من رأي وسور الحبس المعروف بالحديد وبني به داره وبالأجر الذي استعمله وطبخه في الآلاتين ووثق البناء واختيرت له الآلات^(٢٢،٢٣) والجص والنورة وبالع في الاحكام وجلب له البناءون الخذاق المشهورون من جميع البلدان الكبار من الاهواز والموصل واصبهان وبلدان الجبل وغيرها . ونزل [سقلا في الارض] لبعض الاساسات ستا وثلاثين ذراعا ورفعها الي وجه الارض بالنورة والاجر الي ان ارتفع فوق الارض باذرع . ولزمه على هذا البناء الى ان مات ثلاثة عشر الف الف درهم صادر فيها أسبابه سوي ما لم يشتره من الآلات التي ذكرناها والتي لم نذكرها . وكان مقبلا طول المدة في بستان الصيمري ثم انتقل الى الدار التي بناها في يوم الاثنين ثمان بقين من ذي القعدة سنة ٣٥٠ قبل أن يستم بناؤها^(٢٤)

(١) وفي تاريخ الاسلام : فقد درست هذه الدار من قبل سنة ٦٠٠ ولم يبق لها أثر وبقي مكانها دحلة يأوي اليها الوحوش وشيء من الاساس يعتبر به من براء

وفيها مات أبو بكر أحمد ابن كامل القاضي رحمه الله ومنه سمعت كتاب التاريخ لابي جعفر الطبري وكان صاحب أبي جعفر قد سمع منه شيئا كثيرا ولكني ما سمعت منه عن أبي جعفر غير هذا الكتاب بمضة قراءة عليه وبعضه اجازة لي وكان ينزل في شارع عبد الصمد ولي معه اجتماع كثير. وفيها مات قاضي القضاة أبو السائب عتبة بن عبيد الله^(١) وقُبضت أملاكه وصودر محمد الحاجب غلامه وضربه الوزير أبو محمد المهلبى بحضرتي ضرب التلف لما كان بلغه [عنه] من التخرم والتهتك في أيام^(٢) أبي السائب ولم يكن به الا التشفي منه فنثر كعابه ضربا. وكان هذا الرجل عاهرا يتعرض لحرم الناس وكان مرسوما بحجة قاضي القضاة فكان لا يتمتع عليه من لها خصومة أو حاجة عند قاضي القضاة وكان جميلا مقبول الصورة ويتصنع مع ذلك ويتهم بنواحش منع صاحبه

وفيها مات أبو نصر ابراهيم بن علي بن عيسى كاتب الخليفة بقاءة وتقلد كتبة الخليفة عن خاص أمره أبو الحسن سعيد بن عمرو بن سنجار وفيها قبض معز الدولة على أبي علي الخازن^(٣) وأبي مخلد وأبي الفرج

(١) قال صاحب تاريخ الاسلام في ترجمته . عتبة بن عبيد الله بن موسى بن عبيد الله الهمداني القاضي ابو السائب كان أبوه تاجرا يؤم بمسجد همدان فاشتغل هو بالعلم وغلب عليه في الابتداء انتصوف والرشد وسافر فلقى الجليل والعلماء وعني بهم القرآن وكتب الحديث وتفقه للشافعي ثم دخل مراغة واتصل بابي القاسم ابن أبي الساج وتولى قضاء مراغة ثم تقلد قضاء اذربيجان كلها ثم تقلد قضاء همدان ثم سكن بغداد واتصل بالدولة وعظم شأنه الي ان ولي قضاء القضاة بالعراق سنة ٣٨٠ وتوفي في ربيع الاول وله ست وثمانون سنة وقد سمع في الكهولة وحدث عن عبد الرحمن بن ابي سالم الرازي وهو اول من ولي قضاء القضاة بالعراق من الشافعية (٢) هو الحسن بن ابراهيم النصراني . ابراهيم ارشاد الاربيب ٣ : ١٨٢

محمد بن العباس صاحب الديوان وعلى أبي الفضل العباس بن الحسين
الشيرازي وأبي سهل ديزويه صاحب ديوان الجيش وحملهم الى دار الوزير
المهلي وسلمهم اليه

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

احتيج الى النفقة على البناء وكان الوزير المهلي رحمه الله يقصد أبا على
الخازن شيء كان بلغه عنه قديما وكذلك أبا محمد وأبا الترج فذكر لمنز
الدولة انه يلزم مالا ويلزم كل واحد من هؤلاء مما ادخره واحتججه ولا
يحتاج اليه مالا يتم به أمر البناء وكان معز الدولة شديد الثقة بأبي على الخازن
وكان أبو على كثير التورط متناقرا يظهر من النفر والاقتصاد أكثر مما
يحمل مثله فقال معز الدولة للوزير أبي محمد : ما تريد من هذا البائس^(٢٤٥)
الذي قد قنع منا بالقوت اليسير ؟ فقال له الوزير : أنا أستخرج منه وحده
ما يحتاج اليه البناء . وتكلم على غييره بقريب من ذلك فسألم الجميع اليه
فحضرت مناظرة الوزير أبي محمد للجماعة .

أما أبو محمد فانه لما خوطب والتمس منه مال قال : اني خدمت الامير
معز الدولة ولا أملك الاطنفسة وكساء ودواة وأنا اليوم نظير أكبر ملك
من ملوك الاطراف مالا وضياعا وأنا وأانا وغلانا روفة وفرشا فالى ان أعود الى
رأس مالي فانا على الربح . فالزمه الوزير خمسمائة الف وجزاه الخير وصرفه
الى منزله بمد ان أخذ خطه بها فلما خرج التفت الوزير اليها وقال : هذا رجل
مقبل كنت أبظنه يمتان ويخاطبني بحسب دالته وموضعه من الامير فقد
اتقاني بما قال وحى نفسه وعرضه وماله وهكذا يصنع الاقل بصاحبه .
وخاطب أبا على الخازن فسلك سبيله المعروف وزعم انه لا يستيت ولم

يستجيب الى شئ، بته فئحي من بين يدي الوزير ووُكِّل به في ناحية من الدار.
وأما أبو سهل ديزويه فتمارض وشد رأسه بخرقه فأحضر كرازا
ووضعه عند رأسه وقال: أنا غريب. فاضحك الناس من نفسه وأعرض
الوزير عنه ذلك اليوم

وأما أبو الفضل فلحقته غلبة الوزير لما بينهما من الوصلة^(٢٤٦) فأخذ
خطه بثلاثمائة الف درهم وصرفه الى منزله وكذلك فعل بابي الفرج صاحب
الديوان. أجراه مجرى أبي الفضل وأخذ خطه بثلاثمائة الف فلما كان بعد
أيام راسله ديزويه وسأله أن يعفو عنه ويجريه مجرى أبي الفضل ففعل ذلك به.
وبقي أبو علي الخازن على لجأه لا يلتزم شيئاً ثم أنهم بعد التهديد بشئ
وراسل أخت معز الدولة يستقرض منها ما يشتري به نفسه من مكروه
الوزير وضمن أنه ذلك يبلغ الأمير فيكون سبب اطلاقه فغاطب معز الدولة
الوزير فيه وقال: ألم أقل لك أنه لا يملك شيئاً. فقال: أيها الأمير لا تلتفت
الى مخاريقه وخدائمه ودعني أستخرج منه مالا عظيماً. فسكت عنه وراسل
أبو علي الخازن كل من عرفه فلستقرض منه حتى شاع خبره في الدولة بالفقر
وأنه الوزير يتصده فلما كان في بعض الليالي لسمه في ظهره شيء أدمته وتألم
منه ولكن موضعه الذي وُكِّل به فيه من دار الوزير موضع غم فيما تقدم فظنه
الناس لسع طبعه. وقالوا: ليس شيء من الهوام يخرج بلسعته الدم الا هذا
الحبوان أو الافعى. فاتفق ان مات أبو علي الخازن بعد أيام قلائل في اعتداله
وقلعت على الوزير أبي محمد الملهي القيامة وخاف ان يتهم به ومع^(٢٤٧) ذلك فلم
يكن ارتفع من جهته الا شيء زر قليل ثم عرف أنه قد وصل اليه من القروض
ضعاف ما أداه في مصادرتة فتعجب من جلادته وتوقع عتب الأمير معز

الدولة في بابہ ووطن نفسه علی [کل] مکروه . ثم رأى ان يتسدى معز الدولة ويستأذنه في البحث والتنقيب عن أسبابه وأظهر انه علی ثقة من تلك الاموال التي وعده بها من جهته حتى سکن من معز الدولة وأخذ أذنه في ذلك (ولم يكن یثق بشيء مما ضمنه من جهته ولكنه برّد عن نفسه في الحلال) . ثم أخذ في التفتيش فأثار له أموالاً كثيرة بعضها جرى بحضرتي فكان من ذلك ان قبض علی غلمانہ وأسبابه وخلا بواحد واحد منهم فارهبه وأرغبه وسأله هل يتهم موضعاً من داره بدفين أو يتهم مُطاملاً له بوديعة فقال له : ان هذا الرجل كان أدهى من أن يعمل شيئاً مما تطلبه وتبحث عنه بحضرة أحد . ولست أتهم أحداً الا أنه طرد غلاماً له مزيناً من حجرة مرسومة به وجلس في حجرته للخلوة أياماً . فمير الوزير بنفسه الى دار أبي علی الخازن والتمس حجرة المزين وكان غلاماً حبشياً أونوبياً جالس فيها خفي مواضع فيها فظفر بحمال لم أعرف مبلغه ^(١) وكان في جملة المدفون آلة شديدة ^(٢٤٨) بميزان أعني بيت الميزان من خشب الساج له طوق كطبق الميزان وليس فيه موضع كفة ولا موضع السنج بل هو محفور من ترايعه شبيهاً بمحوض وعليه طبقة مهندما عليه وهو خال لاشيء فيه فعجب منه ثم قلب ذلك الطبق ووجد عليه كتابة ختمت تلك الآلة الى منزله وحمل المال الى خزانة معز الدولة .

فمعهدي به يقاب تلك الآلة ويتأمل تلك الكتابة وكانت بخطه خط رديء فاذا هي أسماء قوم ورموز لا يفهم منها شيء وكانت تلك الاسماء ^(١) وودت هذه الحكاية في ارشاد الارباب ٣ : ١٨٣ ويقال فيه ان الوزير استخرج سدة قسطنطين فيها نيف وتسعون ألف دينار

مفردة لا يقسترن بها شيء يستدل به على صاحبه . فباشك الوزير ان تلك
الاسماء أسماء قوم مودعين وان تلك الرموز مبلغ ما عندهم من المال فاستعمل
دهاءه فيه وقال : أجد هذا الاسم وهو « على » مكررا فان استخرجناه
أخرج لنا باقى الاسماء . فقليل له : كم من رجل اسمه على كان يواصل هذا
الرجل . فقال : لا تفعلوا فان المعاملين الذين هذا اسم لهم قليلون فمن كان
منهم يصلح للوديعة أقل منهم . ثم تجاوز ذلك الى اسم أظنه « أحمد » فقال :
هذا اسم صير في دار أبي على (وهو في درب عوف) فاحضر ونيه .
فاحضر وقال له الوزير : قد وجدنا ثبنا باسمك وبخط أبي على بمبلغ ما عندك
فاخذ الساعة صاحبك ليحضره . فاضطرب الرجل وأنكر ان يكون ^(٢٤٩)
له عنده مال فبطش به ولحقه أذى ومكروه ثم أمر به فحبسه وقيدته بقيد ثقيل
فيه ثلاثون مائة ففسخ فيه الرجل ودخل اليه المستخرج وهدده فاعترف .
وكان باسمه سبعة أنوكي ولم يكن فينا أحد يعرف معنى « أنوكي » فقال
الوزير : فطالبوه بسبع بدر دنائير استظهارا . ففعل ذلك فوافق تخمينه صحة
الامر وأدى خمسين الف دينار . ثم لم يزل يتتبع تلك الاسماء وقد صحت له
الرموز فاستخرج نحو مائتي الف دينار من هذه الوجوه سوى دقائه .
وقامت حرمة الوزير أبي محمد عند معز الدولة وانبط لسانه وجأه وصار
مقبول القول عنده بعد ان ظن ان الذي فاته من خازنه شيء لا عوض له
منه امانة وثقة ودينار . وتقدم مكان أبي على الخازن أبو محمد على بن العباس بن
فسانجس للنصف من شعبان واقطع اقطاع أبي على
وفيها تقلد القاضي أبو العباس عيسى بن الحسن بن أبي الشوارب
القضاء في جانبي بغداد ومدينة أبي جعفر المنصور وقضاء القضاة وخلع عليه

من دار السلطان من حيث امتنع الخليفة من ان يصل اليه وركب بالخلع من دار معز الدولة ^(١) وبين يديه الدبادب والدرك والبوقات وفي موكبه الفلمان الاتراك والجيش ^(٢) وكان توصل الى تقلد ذلك بان خدم ارسلان الجامدار فتى معز الدولة ووافقه على ان يحمل الى خزانة الامير في كل سنة مائتي الف درهم وكتب عليه بها كتاب وجمعت على نجوم معروفة ولم يأذن الخليفة ان يصل اليه هذا القاضي في يوم موكب ولا غيره . وكان فعل القاضي ما فعله من سماجته وقبح ذكره سببا لان ضمنت الحسبة ببغداد وضمت الشرطة بعشرين ألف درهم في كل شهر من شهور الاهلة وهذا القاضي مع قبح فعله قبيح الصورة مشوها .

وفيهما وافي أبو القاسم أخو عمران مستأمننا .

وفيهما ورد الخبر بان عبد الملك بن نوح صاحب خراسان تقطر ^(٣) به فرسه فمات واقتنت خراسان ونصب مكانه أخ له يسمى منصورا وفيها حمل الى ابراهيم السلار من دار السلطان خلع وعقد له على آذريجان ^(٤) .

﴿ ودخلت سنة احدى وخمسين وثلاثمائة ﴾

وفيهما نقل الوزير أبو محمد الحسن بن محمد المهلبى سنة خمسين الخراجية الى سنة احدى وخمسين وثلاثمائة ^(٥)

(١) وفي الاصل : الخليفة . والصواب في تاريخ الاسلام (٢) انه « تقطر » كما في تاريخ الاسلام (٣) وقال صاحب النكلة : وفي شعبان ابتدئ بناء المغيض بنهر الرقيل نولى البناء أبو بكر ابن الحلي (٤) قال صاحب تاريخ الاسلام : فقلت السنة من حيث الغلات وكتب الصابي (وهو أبو اسحق ولي ديوان الرسائل سنة ٣٤٩ كذا في ارشاد الاربيب ٢ : ٨٠) كتابا عن المطيع في المعنى فنه : ان السنة الشمسية

وفيها دخل الامير ركن الدولة سارية من بلد طبرستان وانصرف عنها
وشمكير الى جرجان واستأن من أصحابه الى ركن الدولة ثلاثة آلاف رجل
وفيها ورد الروم عين زربة [في مائة وستين ألفا وهي] في سفح جبل
والجبل مطل عليها فلما جاءه الدمستق في هذا الجمع العظيم أنفذ تيمارة من
جيشه الى الجبل ونزل هو على بابها فملك جيشه الجبل فلما رأى أهل عين
زربة ان الجبل قد ملك عليهم وان جيشا آخر قد ورد الى باب المدينة وان
مع الدمستق دبابات كثيرة وانه قد أخذ في ثقب السور طلبوا منه الامان
فأمنهم وفتحوا له باب المدينة فدخلها . فوجد خيله الذين في الجبل قد نزلوا
الى المدينة فقدم على اعطائهم الامان فنادى في البلد من أول الليل بان يخرج
جميع أهله الى المسجد الجامع وان من تأخر في منزله قُتل فخرج من أمكنه
الخروج فلما أصبح أنفذ رجاله في المدينة وكانوا ستين ألف رجل وكل من
وجدوه في منزله قتلوه فقتلوا عالما من الرجال والنساء واليهود والاطفال
وأمر بجمع ما في البلد من السلاح فجُمع منه أمر عظيم وكان في جملة أربعين
الف رح وقُطع ما في البلد من النخل فقطع نحو خمسين ألف نخلة . ونادى

تلاثمائة وخمسة وستون يوما وربع بالقرب وان الهلاية ثلاثمائة وأربعة وخمسون
يوما وكسر وما زالت الامم السالفة تنكبس زيادات السنين على اختلاف مذاهبهم وفي
كتاب الله شهادة بذلك قال الله تعالى « وليثوا في كفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا »
فكانت هذه الزيادة إزاء ذلك قما الفرس فأنهم أجروا معاملاتهم على السنة المعتدلة التي
شهورها اثني عشر شهرا وأيامها ثلاثمائة وستون يوما ولقبوا الشهور اثني عشر لقباً
وسموا الايام باسمي وأفردوا الايام الحمة الزائدة وسموا المشرقة وكبسوا الربع في كل
مائة وعشرين شهرا فلما انقضت ملكهم بطل ذلك وذكر كلاما طويلا حاصله
تمجيل الحراج وحساب أيام السنين .

فيمين حصل في المسجد الجامع من الناس بان يخرجوا عن البلد الى حيث
شاؤوا وان من أمسى ولم يخرج قتل نخرج الناس مبادرين وتزاحوا في
الابواب فمات بالضغط جماعة من الرجال والنساء والصبيان وروا على
وجوههم^(٢٥٢) خفاة عراة لا يدرون الى أين يتوجهون فماتوا في الطرقات
ومن وجد في المدينة آخر النهار قتل وأخذ كل ما خلفه الناس من أمتعتهم
وأموالهم وهدم السوران اللذان على المدينة وهدمت المنازل . وبقي الدمستق
مقيما في بلدان الاسلام أحد وعشرون يوما وفتح حول عين زربة أربعة
وخمسين حصانا منها بالسيف ومنها بالامان

فكان في بعض الحصون التي فتحت بالامان حصن أمر أهله
بالخروج منه فخرجوا فتمرض بعض الارمن للنساء اللواتي خرجن منه
فلحق رجالهن غيرة عليهم فجردوا سيوفهم فانتهاظ الدمستق منهم وأمر بقتل
الجميع وكانوا أربعمائة رجل وقتل النساء والصبيان ولم يترك الا جارية حدة
أو من يصلح ان يسترق

فلما أدركه الصوم انصرف على ان يعود بعد الفطر وزعم انه يخلف
جيشه بقيسارية . وكان ابن الزيات صاحب طرسوس خرج في أربعة آلاف
رجل من الطرسوسيين فاوقع به الدمستق وقتل جميع من كان معه وقتل
أخاه وكان ابن الزيات قد قطع الخطبة لسيف الدواة وأنفذ اليه رسلا فلما
وقف ابن الزيات على ذلك لبس سلاحه واعتم^{٢٥٣} وخرج الى روشن داره
وكانت داره على شاطئ^{٢٥٣} نهر فرمى بنفسه من داره الى النهر فغرقها

وفيها دخل ركن الدواة جرجان وذلك في المحرم
وفيها ورد الخبر بان صاحب خراسان أنفذ جيشا كثيرنا الى غلام له

شدّ عنه يقال له الفتكين وان الفتكين أوقع بالجيش وهزمه واستأسر وجوه القواد وفيهم خال صاحب خراسان وفيها لقب الخليفة الامير أبا شجاع فناخسره بن ركن الدولة عضد الدولة وكتب به كتاب .
وفيها أسر الروم أبا فراس ابن أبي الملاء ابن حمدان من منبج وكان متقلدا لها

وفيها ورد الخبر بان الدمستق ورد الي حلب وملكها وكان الدمستق وافاها ومعه ابن أخت الملك ولم يعلم سيف الدولة ولا أحد بخبره لانها كانت كبة فلما علم سيف الدولة به أعجله الامر فخرج نحوه وحاربه قليلا فقتل أكثر من مائة وقتل جميع ولد داود بن حمدان وابن الحسين بن حمدان فانهزم سيف الدولة في نهر يسير وظفر الدمستق بداره وهي خارج مدينة حلب فوجد لسيف الدولة من الورق ثمانمائة وتسعون بدره فأخذها ووجد له الف وأربعمائة بديل فسلمها ووجد له من خزائن السلاح مالا يحصى كثرة فقبض جميعها وأحرق الدار وملك الربيض . وقتله أهل حلب من وراء السور فقتل من الروم جماعة بالحجارة وسقطت ثلثة^(٢٥١) من السور على قوم من أهل حلب فقتلهم وطعم الروم في تلك الثلثة فأكبوا عليها ودفنهم أهل البلد عا فلما جنّهم الليل اجتمع المسلمون عليها فبنوها وأصبحوا وقد فرغوا وعلوا عليها وكبروا وبعد الروم قليلا الى جبل هناك يعرف بجبل جوشن . وذهب رجالة الشرطة بحلب الى منازل الناس وخانات التجار ينهبونها وقيل للناس « الحقوا بمنزلكم فانها قد نهبت » فزلوا عن السور وأخلوها وضوا الى منازلهم فبادروا ليدفعوا عنها فلما رأي الروم السور خاليا وطالت المدة

وتجاسر الروم صمدوا وأشرفوا على البلد ورأوا الفتنة فيه والنهب فزلوا وفتحوا الابواب ودخلوا فوضوا السيف في الناس فقتلوا كل من لقيهم ولم يرفعوا السيف الى ان كلوا وضجروا . وكان في البلد من أسارى الروم الف ومائتا رجل فتخاصوا وحملوا السلاح على المسلمين وكان سيف الدولة قد أعد من الروم سبعمائة رجل لينادي بهم فأخذهم الدمشق وسبي من البلد من المسلمين والمسلمات بضعة عشر الف صبي وصبية وأخذ من خزان سيف الدولة وأمتعة التجار ما لا يحمد ولا يوصف كثرة فلما لم يبق معه شيء يحمل عليه أحرق الباقي بالنار وعمد^(٢٥٥) الى الحباب التي يحرز فيها الزيت فصب فيها الماء حتى فاض الزيت على وجه الارض وأخرب المساجد وأقام فيها تسعة أيام .

وكان بذل لاهل الباد قبل أن يفتحها الامان على أن يساموا اليه ثلاثة آلاف صبي وصبية ويحملوا اليه مالا وأمتعة حدتها وينصرف عنهم فلم يستجيبوا له الى ذلك . وذكر ان عددة رجاله كانت مائتي الف رجل وازعدة اصحاب الجواشن فيهم ثلاثون الف رجل وفيهم ثلاثون الف صانع للهدم ولتطريق النالج أربعة آلاف بغل عليها حسك الحديد يطرحه حول عسكره^(٢٥٦) بالليل وخركاهاات عليها ابود مغربية فمن صعد قلعة حلب تخلص بحشاشته فلما كان بدمتسعة أيام أراد الدمشق ان ينصرف بما فاز به وحصل في يده فقتل له ابن أخت الملك : هذا بلد قد حصل في أيدينا وليس بازاننا من يدفعنا عنه ومن كان فيه من العلوية وبنى هائم والوزراء والسكتاب ومن لهم أموال مقيمون في القلعة فأي سبب ننصرف عنه قبل فتح القلعة ؟ فقال له الدمشق : قد وصلنا الى

(١) وفي النسخة : يتحدثون به على عسكرهم

ما لم نتمكن من قدره ولا يقدرها الملك وقتلنا وسببنا وأسروا وأحرقتنا وهدمنا
 وخلصنا أسراونا وأخذنا من أردنا أن نقادى به بلا فدية وغنمنا غنيمه ما سمع
 بظلمها^(٢٥٦) ومن حصل في القلعة فهم عراة واذا نزلوا هلكوا لانهم لا يجدون
 قوتا والرأي ان تصرف عنهم فان طلب النهايات والنايات ردى . فاقام ابن
 أخت الملك على أسره ولج وقال : لا أنصرف أو انتح القلعة . فلما لحق قال له
 الدمستق : فانزل عليها وحاصرها فان الصورة والضرورة تقود من فيها الى
 فتحها . فقال : لا أفتحها الا بالسيف . فقال له : شأنك وما تريد فاني أنا مقيم
 في عسكري على باب المدينة . فلما كان من غد ترجل وأخذ سيفاً ودرقة
 وصعد راجلاً والمسلك الى باب القلعة ضيق لا يحمل أن يسلكه أكثر من
 واحد فصعد وتبعه أصحابه واحداً واحداً . وقد كان حصل في القلعة الجماعة
 من الديلم فتركوه حتى اذا قرب فتحوا الباب وأرسلوا عليه خجراً فوقع عليه
 وانقلب ثم وثب وهو مدوخ فرماه واحد من الديلم بحشب فانفذ صدره
 وركب رأسه فأخذ أصحابه وانصرفوا الى الدمستق فلما رآه مقتولاً أحضر
 من كان أسير من المسلمين فضرب أعناقهم باجمهم . وسار الى بلد الروم بما
 معه ولم يعرض لسواد حلب والقرى التي حولها وقال لاهلها : هذا البلد قد
 صار لنا فلا تقصروا في العمارة فانا بعد تليل ندود اليكم^{(٢٥٧) (١)}

(١) وفي تاريخ الاسلام : واقعة حلب من تاريخ علي بن محمد الشمشاطي (وترجمته
 في ارشاد الأريب ٥ : ٣٧٥) قال : في ذى القعدة أقبأت الروم فخرجوا من الدروب
 فخرج سيف الدولة من حلب فتقدم الى عزاز في أربعة آلاف فارس وراجل ثم يقين
 أن لا طاقة له باقائه الروم أكثر منهم فرد الى حلب وخيم بظاهرها ليكون المصاف هناك
 ثم جاءه الخبر بأن الروم مالوا نحو العمق فجهاز فتيانهم في ثلاثة آلاف لفصدهم ثم
 لم يصبر سيف الدولة فسار بعد الظاهر بنفسه . ونادى في الرعية : من طلق بالامير فله

﴿ ودخلت سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة ﴾

وفيها ورد الخبر بان قوما من رجاله الارمن صاروا الى الرها فاستاقوا

دينار . فلما سار فرسخا ليه بهض العرب فاخبره ان الروم لم يبرحوا من جبرين وانهم على ان يصبحوا حلب فرد الى حلب وزل على نهر قويق ثم تحول من القسد فنزل على باب اليهود وبذل خزائن السلاح للرعية . وأشرف العدو في ثلاثين الف فارس فوقع القتال في أماكن شتى فلما كان العصر وافى ساقفة العدو في أربعين الف راجل بالرمح وفيهم ابن الشمسيق وامتد الجيوش على النهر وأحاطوا بسيف الدولة فحمل عليهم فلما ساراهم لوي رأس فرسه وتصد ناحية بالس . وساق وراءه ابن الشمسيق في عشرين الفا فانسك في أصحابه وانهمزمت الرعية الذين كانوا على النهر عند ما انصرف سلطانهم وأطاهم السيف وازدحموا في الابواب وتعلق طائفة من السور بالجبال قتل منهم فوق الثلاثة وقتل من الكبار أبو طالب بن داود بن حمدان وابنه داود بن علي وأسر كاتب سيف الدولة الفياض وأبو نصر الى ابن حسين بن حمدان وكان عسكر الملائين ثمانين الف فارس والسواد فلا يحصي .

ثم تقدم من القسد مناصر حاجب الدمستق الى السور فقال : اخرجوا الينا شيخين تعتمدون عليهم . فخرج شيخان الى الدمستق فقرهما وقال : اني أحببت ان أحقق دماكم فتخبروا اما ان نستروا البلد أو تخرجوا عنه باهلكم . وانما كان ذلك حيلة منه فاستأذناه في مشاورة الناس فلما كان من الغد أتى الحاجب فقال : اخرج الينا عشرة منكم لتعرف ما عمل عليه أهل البلد . وكان رأى أهل البلد على الخروج بالامان فخرج العشرة وطلبوا الامان وتدخل الروم فقال الدمستق : صح ما بلغتني عنكم . قالوا . وما هو ؟ قال : بلغني انكم قد اقمتم مقاتلتكم في الازقة مخنفين فادأ خرج الحرم والصبيان ودخل أصحابي للذهب اغتالوهم . فقالوا : ليس في البلد من يقاتل . قال : فاحلفوا . خلفوا له وانما أراد أن يعرف صورة البلد فحينئذ تقدم بجيوسه الى قبالة السور ولجأ الناس الى القلعة . واصبحت الروم سلام على باب أربعين وعند باب اليهود وصعدوا فلم يروا مقاتلة فنزلوا البلد ووضعوا السيف وفتحوا الابواب وقضي الامر وعم القتل والسبي والحريق طول النهار ومن الغد وثق السيف يمل بها ستة أيام الى يوم الاحد ثلاث بقين من ذى القعدة فزحف الدمستق وابن الشمسيق على القلعة ودام القتال الى الظهر فقتل ابن الشمسيق من عظامهم ونحو مائة وخمسين من الروم وانصرف الدمستق الى مخيمه ونودي : من

خمسة آلاف رأس من الغنم وخمسمائة رأس من البقر والدواب واستأسروا
نقرا من المسلمين وانصرفوا موفورين
وفيها قلد القاضي أبو بشر عمر بن أكرم القضاء بمدينة السلام على أن
يتولى ذلك بلا رزق وأعفى مما كان يحمله أبو العباس ابن أبي الشوارب^(١)
وخلع عليه وأمر بالامتناع شديدا من أحكام وسجلات ابن أبي الشوارب ثم
قلد قضاء القضاء .

ومنها خرج الوزير أبو محمد المهلب ومعه الجيش لفتح عمان وذلك يوم
الاربعاء لست خلون من جمادي الآخرة فأنحدر وبلغ الى هلمى^(٢) من فم
البحر واعتل فكنت أسمع من طيبيه فيروز بأنه مسموم لا محالة وكنت
أسأله عن سمي فلا يصرح باسمه الى أن كان بعد ذلك بمدة وانقضت
تلك الايام فذاكرته بذلك فقال : كان خرج معه فرج الخادم وكان أستاذ
كان معه أسير فليقتله . فقتلوا خلفا كثيرا ثم عاد الى القلعة فاذا طلائع قد أقبلت نحو
قصرين وكانت نجدة لهم فتوهم الاستمق أنها نجدة لسيف الدولة فتحرل خائفا .
وفيه أيضا ان في هذه السنة وقع بالعراق بارض الحامدة برد وزن البعوض منه رطل
ونصف بالعراق

وقال صاحب التكملة : وفيه خلعت معز الدولة على أبي الفرج محمد بن العباس (وهو
ابن فسانجس) وقلده كتابة عز الدولة مضافا الى ما اليه من الدواوين
(١) هو عبد الله ابن الحسن وقال فيه صاحب التكملة . وفي رجب عزل ابن أبي
الشوارب عن القضاء وقد ذكر انه ضمنه فكان النظر يحيلون عليه بمشاهدة الساسة والنفاطين
وكانوا يحيطونه ويشدون انهم على بابهم ويدخلون يطالبونه كما يفعلون بضامن المأخوذ .
فأتي أبو عبد الله ابن الداعي العلوي معز الدولة وقال له : رأيت في المنام جدي عليا
رضي الله عنه وهو يقول لك « أحب أن تقطعني ما على القضاء » وتأمر بإزالته . قال :
قد فعلت . وهكذا رواية ابن الصايغ في كتاب القضاء لابن عمر السكندی ص ٥٤٥
(٢) وفي معجم البلدان لباقوت الحموي ٤ . ٩٧٩ : هلمى

داره والمستولى على خاص أمره ومعه جماعة من الخدم يطيعونه وكان قد فارق نعمة ضخمة وخرج من خيش وثلج وتنعم الى حر شديد وشقاء كبير وتوجه الى عمان فواطأ الخدم على سمه وقتله والراحة من ذلك السفر وظنوا أنهم يسمون ويعودون^(٢٠٨) الى نعمهم . وكان فيروز الطيب لما أحس بذلك استأذن في العود الي بغداد وزعم انه لا يركب البحر فأرغب في مال كثير فامتنع ثم أهرب بالحبس فصبر وقال : لا أخرج البتة . فأذن له وانصرف . فلما كان في النصف من شعبان ثقل ورد الى الابله زائل العقل مسيراً فيأيس منه وعمات له آلة شبه المحفة يحمله أربعون رجلاً يتناوبون عليه ويتام فيها ورد على طريق البر فلما كان يوم السبت لثلاث بقين من شعبان وقت العصر مات رحمه الله بزاوطا .

وكان مع الدولة لما سمع بخبر عاهة أنفذ أبا على حمولى اليه لتعرف خبره وتقدم اليه أن وصل اليه وقد توفي ان يحتاط على تركته واسبابه ففعل ذلك وقبض على كتابه وأسبابه وحمل جميعه الى الحضرة . وورد تابوته مدينة السلام يوم الاربعاء لخمس خلون من شهر رمضان^(١) وقبض على عياله وولده

(١) قال صاحب التكملة انه دفن بالتونجية بمناير قريش . وروى أيضا عن أبي على التوخى الحنكبة التي وردت في ارشاد الاربيب ٣ : ١٩٣ وقال أيضا : وكان المهلب قد اصطنع أبا العلاء عيسى بن الحسن بن أبرونا النصراني الكاتب واستكتبه على خاصه وأطلعه على أموال وذخائر دفتها فأخذ أبو العلاء في جملة المأخوذون وعوقب أشد عقوبة وضرب أرح ضرب وهو لا يقر بشيء ولا يعترف بذخيرة . فعدل أبو الفضل (وهو العباس بن الحسين الشيرازي) وأبو الفرج (وهو محمد بن العباس بن الحسين بن فسانجس) الى يحيى (وهى أم أبي الفنائم الفضل بن الوزير المهلب) وأمرا بضرب ابنتها أبي الفنائم بين يديها فيكي من عرفها من الذي يتم عليها . وقالت لهم : ان مولاي المهلب فعل هذا بي حين استدعي الات العقوبة لزوجة أبي على الطاهري لما

ومن دخل يوما اليه ، مثلاً وصودروا حتى المسكارين والملاحين الذين كانوا يخدمون نحاشيته وجرى من ذلك ما لا جرى مثله الا على عدو مكاشف واستفزع الناس ذلك واستعجروه لمعز الدولة . وكانت مدة وزارته ثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر ومات بموته عن السكتاب الكرم والفضل رحمه الله .^(٢٥٩) ولسامات الوزير أبو محمد المهدي رحمه الله نظر أبو الفضل وأوالفرج في الامور من غير تسمية لواحد منهما بالوزارة .

وفيها ورد الخبر بان الطرسوسيين غزوا ودخلوا من درب من دروب الروم الى بلاد الروم ودخل نجما غلام سيف الدولة من درب آخر فغنم أهل

قبض عليها بعد وفاته . ثم قالت : أحضروني أبا العلاء ابن أرونا . فاحضروه وحمل في سبابة بن أربع فراشين فطرح بين يديها فجعلت تسأله عن شيء وهو يخبرها بمكانه حتى كان في جملة ذلك ثلاثون ألف دينار فقال له من حضر : وياك ألسنت من الأدميين ! تقتل هذا القتل ويفضي حالك الى التلف وأنت لاتعترف ! فقال : ياسبحان الله أكون ابن أرونا الطيب الفصاد على الطريق ، دائق وانصف دائق يأخذني الوزير أبو محمد ويصطنعني ويجمعني كاتب سره وأعرف بخدمته واطاع الناس على ذخيرة دخرها لولده ! والله ما كنت لأفعل هذا ولو هلك . فاستحسن فعله وكان ذلك سببا لاطلاقه وتقدم بذلك عند أبي الفضل وأبي الفرج وابن بقية وتوفي سنة ٣٦٩ في أيام ضد الدولة . وروى أيضا عن التوخي : قال المهدي : لما عزم معز الدولة على إنفاذي الى عمان طرقتني أمرا عظيم فبت ليلة مابت في عمري مثلها لاني ففري ولا في صفر حالي وما زلت أطاب شأ يسلي به عما دهمني فلم أجده الا آني ذكرت اني كنت حصلت في أيام صباهي بسراف لما خرجت اليها هاربا فمرفت هناك قوما أولوني جيلا وحصلت لهم على أياد ففكرت وقلت « لعلني إذا قصدت تلك البلدان أجدهم أو بعضهم أو أعقابهم فأكفيهم على تلك الأيادي » فلما ذكرت هذا تسليت عن المصيبة بالخروج وسهل على ووطنت نفسي عليه .

وفي سبب خروج الوزير الى عمان ليراجع ما رواه ياقوت في كتاب إرشاد الأريب

طرسوس غنيمة يسيرة وأقام سيف الدولة على درب آخر ولم يدخل لانه كان عليا من فالج لحقه قبل ذلك بستين فلما خرج نجبا والطرسوسيون عاد بسيف الدولة الى حلب وهو عليل ولحقته غشية ظن منها انه قد تلف . وجاء أبو الحسين ابن دنجا الى هبة الله ابن ناصر الدولة ليسلم عليه ويهنئه بعيده الفطر وكان هبة الله راكبا فاستجر أبا الحسين ابن دنجا الحديث الى ازاء صخر ثم رماه بخشب كان في يده فوقع في لبته ومضى يركض يريد الهرب فلحقه هبة الله وانما فعل ذلك اميرة لحقه من تعرض ابن دنجا لعلام من علمانه . وبلغ هبة الله أن عمه لم يميت وأنه أفاق من غشيته فخافه واستوحش مما فعله بان دنجا فجند في السير الى حران .

وان دنجا هذا هو الذي كان استأمن الى معز الدولة ثم انصرف عنه الى سيف الدولة لانه لم يصل^(٢٦٠) فينداد الى ما كان يرجوه وما جسر أن يعود الى ناصر الدولة فساقه الحين الى ما ذكر . فتبع نجبا غلام سيف الدولة هبة الله فلم يلحقه ولحق سواده فأخذه وانصرف به الى سيف الدولة ودخل هبة الله حران وأومأ أهله أن عمه قد مات فانه قد كتب الى أبيه ناصر الدولة يستنجده لينجده بالرجال ويقيم بجران ويدفع كل من نازعه عليها وطالب أهل حران بان يلحقوا له أن يكونوا معه حربا لمن حاربه وسلم لمن سلمه ووطن أهل حران أن الذي خبرهم به صحيح فلقوا له على ما أرادوا واستثنوا في يمينهم الا أن يكون الذي يحاربه عمه سيف الدولة فانهم لا يحاربونه ورضى بذلك منهم . فلما كان بعد أيام وافى نجبا أخو نجبا غلام سيف الدولة فاعان هبة الله وأهل حران ابواب حران في وجوههم وعلم نجبا انه لا يمكنه فيهم خيلة فظهر انه لم يرد (ابواب) حران وانما اراد قصد ارزن وميافرقين

فانصرف عن حران اليها وكتب الى أخيه نجا (يمر فله ما جرى ويغريه بأهل
حران فسار نجا الى حران فلما قرب منها هرب هبة الله الى أبيه واسلم أهل
حران فنزل نجا) خارج حران وخرج اليه وجوه أهلها واشرافها وهم سبعون
شيخا يسلموا عليه فوكل بهم وتهددهم بالقتل وطالبهم عن البلد بالف
درهم ارش ما عملوه من غلق الابواب في وجه اخيه ولم يسمع لهم عذرا
وجرت^(٢٦١) لهم معه خطوب الى ان تنع منهم بثلاثمائة الف درهم وعشرين
الف درهم ووجه معهم بالفرسان والرجال والزعم الاجمال الثقيلة ورسم ان
يستخرج له المال في يوم واحد وبعد الجهد الى أن يكون المدة خمسة أيام
وتسقط المال على أهل البلد وأدخل فيه الملى والذى والسوق والنساء الارامل
وغيرهم ووضع عليهم المصبي والضرب في دورهم بمحضرة حرمهم وعيالاتهم
ناخرجوا أمتعتهم وباعوا ما يساوى دينارا بدرهم ولم يجدوا من يشتري لان
أهل البلد كلهم كانوا يديون فاشترى اصحاب نجا الامتعة والحلى بحكمهم وبما
أرادوا . ولزم أهل البلد من الاجمال امر عظيم وخرب بذلك البلد وانتهز
أهلها وانصرف عنهم نجا الى ميافارقين بعد ان استوفى جميع المال وترك البلد
شائرا بلا سلطان فسلط عليهم الميارون . وأظهر نجا الخلاف على مولاه
سيف الدولة والخروج عن طاعته ولم يزرع في هذه السنة أحد بديار مصر
كثير شيء لاجور الذي كانوا فيه .^(١)

(١) وزاد صاحب تاريخ الاسلام في ترجمة هذه السنة : يوم عاشورا قال ثابت (بن سنان)
أزم من الدولة الاس بفتح الاسواق ومنع الهراسين والطباخين من الطبخ وصبوا القباب
في الاسواق وعلقوا عليها المسوح وأخرجوا نساء منشرات الشعور مضجات يطلن في
الشوارع ويقمن المأتم على الحسين عليه السلام وهذا أول يوم نبح عليه بغداد
وقال أيضا : وفي ثامن عشر ذى الحجة عمل عيد غدير خم وضربت الدباب

. ﴿ ودخلت سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة ﴾ .

وفيها ورد الخبر من حران بأنه اجتاز بهم الغازي الوارد من خراسان في نحو خمسة ^(٢٦٢) آلاف رجل ماضين الى حلب الى سيف الدولة وهذا الرجل وافى من خراسان على طريق اذربيجان ثم الى أرمينية ثم الى ميافارقين ثم الى حران ثم الى حلب ثم ورد بان هذا الغازي اجتمع مع نجا غلام سيف الدولة . وكان ببلاد أرمينية وملازجرد رجل يعرف بابي الورد قد استولى عليها فقطع نجا فيه . ولم ياتنث الى حديث الفزو ولا الى الخراساني وقصد

وأصبح الناس الى مقابر قبرين لصلاة هالك والي مشهد الشيعة

. واستنصرت الروم على الاسلام بكاتبة حاب فضمت أمر سيف الدولة بعد تلك الملاحم الكبار التي طير فيها اب المدو ومزقهم فله الامر وباشاء الله كان . ففيها عبرت الروم القرات لفصد الجزيرة وأغلق أهل الموصل الاسواق واجتمعوا في المسجد الجامع لذلك ومضوا الى ماسر الدولة فضمن لهم الفزو . ووردت الكتب من بغداد أن الرعية أغلقت الاسواق وذهبوا الى باب الخلافة ودمهم كتاب بشرح مصيعة حاب وضجوا فخرج اليهم الحاجب وأوصل الكتاب الى الخليفة فقرأه ثم خرج اليهم فمرفهم أن الخليفة بكى وأنه يقول : قد غمى ماجرى وأنتم تملكون أن سبى معز الدولة وأنا أرسله في معنا . فقالوا : لا تنفعنا بشروك أنت وإن تكتب الى سائر الافاق وتجمع الجيوش والافانعزل ثولي غيرك . فذاظه كلامهم ثم وجه الى دار معز الدولة فركب ورحله الاتراك فصر فهم صرنا قبيحا ثم انقلب الله وجات الاخبار بموت طائفة الروم وإن الخلف واقع بينهم في من يملكونه . فجامع عسكر طرسوس ودخبا أرض الروم في عدة وأقروا بالروم ونصروا عليهم وعادوا بغنائم لم ير من دهر مثا فلما ردوا الى الدرب اذاهم ابن المملاني على الدرب فاقبلوا حاول الزهار ونصر المملانيون . وبلغ سيف الدولة أيضا اختلاف الروم فبادر ودوخ الاعمال وأحرق وحصل من السبي أكثر من الفين ومن المواشي مائة الف رأس وفرح المؤمنون بالنصر والاستفاهار على المدو . ثم بعد شهر أو شهرين توجه سيف الدولة غازيا فساد على حران وعطفت على ملطية فلما يديه سبدا وغنائم ثم خرج الى آمد

أبا للورد^(١) فأوقع به وملك قلاعه وبلده وحصل في يده من أمواله ما يكثر قدره فاقام في القلعة وحصل في يده من بلدان أرمينية وملازجرد وخلاط وموش . ومضى الغازي الخراساني الى سيف الدولة فلما اجتمع معه قرر الى المصيصة وورد الخبر^(٢) ينزل مالروم على المصيصة في جيش ضخم وفيه الدهستق وانه اقام عليها سبعة أيام ونقب في سورها نيفا وستين نقبا ولم يصل اليها ودفعه أهلها عنها ثم انصرف لمساكنات به المير وغلا السمر وبعد ان اقام في بلاد الاسلام خمسة عشر يوماً . وأحرق رستاق المصيصة وأذنة وطرسوس وذلك لمعاونتهم أهل مصيصة فظفر بهم الروم وقتل منهم خمسة آلاف رجل وقتل أهل أذنة من الروم عددا قليلا وكذلك أهل طرسوس . ولما مضى سيف الدولة^(٣) والخراسانية الى المصيصة وجد جيش الروم قد انصرف عنها وتفرقت جموع الخراساني لشدة الغلاء في الثغور وبحلب ورجع أكثرهم الى بغداد وعادوا منها الى خراسان . وقبل انصراف الدهستق عن المصيصة^(٤)

(١) وقال الفارقي في تاريخ ميفارقين : وصل الخير بان أبا الورد صاحب اخلاط وما يليها وقع من السور وهلك وملك البلاد جميعها نجبا غلام سيف الدولة وقتاه . وغال أيضا في هذه السنة حضر نجبا ميفارقين ليا غذاها ويسلمها الي معز الدولة وأمدته بالمساكر فلما جد في ذلك وصله الخبر ان سيبا لابي الورد وثب على ملازجرد وأخذها فانفصل عن ميفارقين فطلب اخلاط وتلك الولاية فخرج أهل ميفارقين فنهبت عسكره .

(٢) زاد صاحب تاريخ الاسلام : أن الروم خرجوا يريدون أذنة والمصيصة فاستجد أهل أذنة بأهل طرسوس فيجاءوهم في خمسة عشر ألف فارس وراجل فالتفوا واشتد القتال وركب المساهون أفضية الروم وأنبوهم فخرج للروم كمين أفضطع اربعة الاف وراجل فماتلوا عن أنفسهم وتحبزو الى تل فقاتلوهم يومين ثم كثر عليهم جموع الروم فاستأصلوهم ثم نزلوا المصيصة الخ . وفيها ملك المساهون حصن اليمانية بحيلة وهو على ثلاث فراسخ من آمد . (٣) وفي الاصل : الضبعة .

وجهه الى أهلها بانى . نصرف عنكم لا لمجز عنكم وعن فتح مدينتكم ولكن لضيق العلوقة وانا عائد اليكم . بعد هذا الوقت فن أراد منكم الانتقال الى بلد آخر قبل رجوعى فلينتقل ومن وجدته بعد عودى قتلته .

وفيهما اجتمع الاكراد على قافلة الحاج الصادرة الى خراسان فلكوها واجتاحوها فوق حلوان ورجع الحاج الى حلوان

وورد الخبر بان الفلاء اشتد بانطاكية وجميع الثغور حتى لم يقدر احد على الخبز وأكل الناس الرطبة والحشيش وانتقل قوم من الثغور الى الرملة ودمشق وغيرها نحو خمسين ألف انسان هربا من الفلاء فان الدمستق قد جمع الجموع للخروج الى بلدان الاسلام وان السلطان بجران مقيم بمد الذى جري على أهلها من نجا على ظلمهم وطرح الامتعة عليهم والجور فى معاملتهم وان الفلاء بها وبالرقة شديد جدا .

وفيهما استهدى المهجرون من سيف الدولة^(٢٦١) حديدا فقلع سيف الدولة أبواب الرقة وهى من حديد وسد مكنها وأخذ حديدا بديار مصر حتى أخذ سنجات الباعة والبقالين ثم كتبوا اليه : انا قد استغنيانا عن الحديد . فأخذ القاضى أبو حصين الأبواب فكسرها وعمل منها أبوابا لداره . ثم كتب المهجرون اليمسون الحديد فأخذ الأبواب التى عملها أبو حصين وسائر ما قدر عليه من الحديد وحمله فى الفرات الى هيت ثم منها اليهم فى البرية .

وفيهما ورد أبو الحسين الباهلى برسالة ناصر الدولة ليقدر ما يذنه وبين معز الدولة فتمرد على أن يحمل ناصر الدولة عن سنة ٣٥٢ الف الف درهم يقدم منها ثلثائة الف درهم وعن سنتى ثلاث وأربع الف الف درهم يقدم منها مائتى الف درهم والباقي فى نجوم . ولما تقرر الاسر بذل ناصر الدولة

زيادة عشرة آلاف دينار على أن يقدم لابنه أبي تغاب فضل الله الغضنفر فلم يستجب معز الدولة الى ذلك فلما كان مستهل جمادى الآخرة وردت الخمسمائة الالف درهم التي وقع الاتفاق عليها مع الباهلي وقبضت وصحت في الخزانة . وأظهر معز الدولة الاصرار الى الموصل وأخذ يستمد له فأسأله الباهلي التوقف^(٢٦٤) عن المسير الى أن يمضي برسالة الى ناصر الدولة ويعود فقبل له : تمضي وتتمس رد ما لزم من النفقة على التأهب للسفر . فمضى وأخرج معز الدولة مضاربه الى باب السماوية وخرج الحاجب سبكتكين وجماعة من التواد على المقدمة الى الموصل وتبعه معز الدولة . ومسد الجسر الذي ببغداد الى السن وعقد هناك وعبر عليه مع الجيش الى الجانب الغربي وسار على الظهر الى الموصل

وكان الباهلي قد عاد بجواب الرسالة وبنل ان يحمل ثلاثمائة الف درهم عرضا عما لزمه من النفقة على السفر فلم يقبل منه وانصرف الباهلي من تكريت وتم معز الدولة المسير . ولما بلغ ناصر الدولة أن معز الدولة قد قرب من الموصل ولم يكن له عزم على لقاءه رحل من الموصل الى نصيبين ورحل معز الدولة من الموصل الى بلد في آخر النهار وخلف بالموصل أبا العلاء صاعد بن ثابت ليحمل الفلوات ويستخرج الاموال وخلف بكتوزون وسبكتكين المعجمي ووهري وجماعة من الانراك والديلم لضبط البلد . ولما بلغ ناصر الدولة مسير معز الدولة نحوه سار من نصيبين الى ميافاطين (يوم السبت) لانصف من شعبان وسار خلفه الحاجب الكبير فلما قرب من ميافاطين رحل ناصر الدولة عنها ورجع الحاجب الى نصيبين وعرف معز الدولة أن العدو قد رحل لما قرب منه^(٢٦٦) وأنه لا يدري أين قصد فرحل معز الدولة

لوقت من نصيبين يريد الموصل خوفا من مخالفة ناصر الدولة اليها وخلف
الحاجب وجماعة من القواد بنصيبين . وكان صار أبو تغلب ابن ناصر الدولة
واخوته الى الموصل ووقع بينهم وبين من خلقهم معز الدولة بها حرب شديدة
وكانت على أولاد ناصر الدولة وانصرفوا الى الموصل وأحرقوا زبازب من
الدولة التي كانت ببلد وزواريق المسكر التي كانت بالموصل وبلغ ذلك
معز الدولة فسكرت نفسه الى ظهور أصحابه بالموصل على بني حمدان . فلما
كان بعد ذلك اجتمع ناصر الدولة مع أولاده وقصدوا الموصل فأوقعوا
ببكتوزون وسبكتكين المعجمي وعسكر معز الدولة الذي كان خلفه بالموصل
واستأمن الديلم الى ناصر الدولة فأخذ ترأسهم وأحرقها ووهب لكل واحد
منهم عشرة دراهم وصرفهم وأسر ببكتوزون وسبكتكين وسائر الأتراك
ووهرى وصاعداً واحمد الطويل غلام موسي فيأذه وكان قد أصعد من
الاهواز ليتظلم الى معز الدولة من وضعية لحقته في ضمان كان في يده ^(٢٦٧) وأخذ
بنو حمدان ما كان لمعز الدولة بالموصل من كراع وسلاح وثياب خز ومائتي
الف درهم كانت (حمت اليه من بندق ومائتي الف درهم كانت) للحاجب
وجمل جميع ذلك مع الاسارى ^(٢٦٧) الى القامة . وبلغ ناصر الدولة وأولاده
مسير معز الدولة من نصيبين فلم يقيموا ومضوا الى سنجار وحصار معز الدولة
الى برقيد ولم يكن عنده ما جرى على أصحابه بالموصل وبلغه ببرقيد ان
ناصر الدولة قد صار بالجزيرة فعزل من برقيد الى الجزيرة . فبلغه اقبال
حمدان بن ناصر الدولة اليه فوقف له فاذا هو استأمن اليه مع علوان القشيري
وسار معز الدولة الى الجزيرة فلم يجد بها ناصر الدولة فسار الى الموصل

(١) وفي التكملة : وكان قد ضمن الاهواز واحمد منها ليفسخ ضمانه

وبلقه في طريقه ماجرى على أصحابه بل الموصل فكتب الى الحاجب وهو
 بنصيبين أن يصير الى بلد وعبر هو الى بلد واتخذ سواده الى تكريت .
 ووافاه الحاجب وأبو الهيجاء حرب بن أبي العلاء ابن حمدان مستأمنًا وسار
 يريد نصيبين ووافاه أبو جعفر العلوي النصيبيني برسالة ناصر الدولة ياتمس
 الصالح فلم يجبه . وكان أبو تغلب قد صار الى الموصل ونزل في الدير الاعلى
 ولم يبع في ايام مقامه أسباب معز الدولة ولا عرض لهم وظهر جميلا
 ومضى حمدان الى الرحبة وكان بها الفتيكين خاربه هناك وأقبل معز الدولة
 الى الموصل فرحل أبو تغلب من الدير الاعلى وجاه معز الدولة فنزل مكانه
 واستأمن^(٢٦٨) اليه هزارد الصغير من غلمان أبي تغلب وجاء المسيب
 والمهيا بكشمرد أسيرا فخلع على المسيب والمهيا وأتوا قسا وسورا . وراسل
 أبو تغلب معز الدولة بصاحبه أبي الحسن على بن عمرو بن ميمون وجرى
 له خطوط استقرت على ان ضمن أبو تغلب ما كان في يد أبيه ناصر الدولة
 من الموصل وديار ربيعة والرحبة على ان يحمل عن بقايا سنة ٣٥٣ ستمائة الف
 درهم وعن أربع سنين مستأنفة آخرها سنة ٥٧ لكل سنة ستة آلاف الف
 ومائتي الف درهم وان يجعل حمل الستمائة الف مع الاسارى الذين في
 يده الى الحديثة اذا حصل الامير معز الدولة بها وضمن ان يرد من جملة
 ما حصل في أيديهم من المال والامتنعة التي أخذت في وقت الايقاع
 يكتوزون ما حصل في يده بقسطه ووعده بطلب الباقي وحمله وتقرر ذلك
 وأشهد معز الدولة على نفسه القواد والعدول وقاضي البلد بامضاء ذلك
 وكتب الى الفتيكين بالانصراف من الرحبة وكتب على بن عمرو خطه
 بضمان ما تقرر عليه الامر ورهن نفسه على امضاء أبي تغلب ذلك وسار معز

الدولة الى الحديثة وورث صاحب أبي تغلب بالمال ثم وافاه بكتوزون^(٢٦٩) وسبكتكين المجمي وسار الي بغداد .

وفيها ورد الخبر بالموصل بان أبا عبد الله محمد بن الحسين المعروف بابن الداعي الحسن^(١) خرج من بغداد سراً الى بلد الديلم وخلف والدته وابنه وعياله في داره ببغداد ظاهرين

(١) ووالده الحسن بن القاسم هو امام الزيدية الذي قام بالرى وقتل سنة ٣١٦ (صلة عرب ص ١٣٧) وأما أبو عبيد الله فقال صاحب التكملة له كان لزم الكرخى والخليل وقرأ عليه الفقه وقرأ الكلام على أبي عبد الله البصرى ومنشاه بطبرستان وكان يجيب في الفتاوى أحسن جواب والزمه معز الدولة النظر في نقابة الطالبين ببغداد سنة تسع وأربعين ففعل بخيرا وعمر وقوفهم . وسأله معز الدولة عن طاعة والزيير فقال : ما من أهل الجنة لان النبي صلعم بشرهما بالجنة . وكان المهلبى يحافه فوضع عليه موضوعات منها أنه كان يأخذ البيعة على الديلم وبلغ من اجلال معز الدولة له أنه دخل عليه وهو مريض فقبل يده استشفاه بها . ولما غاب معز الدولة في هذه السفرة الى نصيبين تخلف ابنه عز الدولة ببغداد فدخل ابن الداعي خطبته بمض أمحاب عز الدولة في معنى علوى خطاباً أوماً عليه فامتعض أبو عبد الله من ذلك وخرج مغضباً وكان يزل بدار على دجلة يبالب الشعب فرتب قوما معهم بالجانب الشرقى وأظهر أنه مريض وخرج محتفياً ومعه ابنه الاكبر وخلف أولاده وعياله وزوجته ببغداد ونعمته وكما يحويه داره ولم يستصحب غير جبة صوف بيضاء وسيفاً ومصحفاً وسلك طريق شهرزور ومضى الى هوسم . وسبه علوى هناك قام بعده وكانت وفاته سنة ٣٥٩ . وفي الاصل هو أبو عبد الله محمد بن الحسين وكذا في الكامل لابن الاثير والصواب انه ابن الحسن .

وأما الكرخى فهو أبو الحسن شيخ الحنفية بالعراق اسمه عبيد الله بن الحسين بن دلال. وعن الخطيب : انه لما أصاب أبا الحسن الكرخى الفالج في آخر عمره حضره وحضر أصحابه أبو بكر الدامغانى وأبو على الشاشى وأبو عبد الله البصرى وقالوا : هذا مرض يحتاج الى ثقافة وعلاج والشيخ مقل ولا ينبغي ان يذله الناس . فكتبوا الى سيف الدولة ابن حمدان فأحس أبو الحسن بما هم فيه فبكى وقال : اللهم لا تجعل رزقي الا من حيث عودتي . فمات قبل ان يحمل اليه شيء ثم ورد من سيف الدولة عشرة

٢٠٨ سنة ٣٥٣ هجرية (٢٧٠) ثمرة الاصل

وضار سيف الدولة الى مياقارقين واحتال أصحابه على القلعة التي كانت حصلت له من أبي الورد وهرب نجا فحصل لسيف الدولة القلاع وأسارى [الروم] وأخ لتجا .

وأقام المستق على المصيصة وهادى سيف الدولة بينال ودواب وثياب ديباج رومية وصياغات ذهب وقابله سيف الدولة بهدايا فصار سببا لمقام المستق في بلدان الاسلام ثلاثة أشهر لا ينازعه أحد ولا يمكنه فتح المصيصة وانصرف عنها لان البلد لم يحمله ووقع في أصحابه الوبأ فاضطر الى الانصراف بعد ان حمل اليه مال من المصيصة وفيها ظهر بالكوفة رجل ذكر انه عاوي وكان مبرما فوتمت بينه وبين أبي الحسن محمد بن عمر العلوي وقائع فلما دخل معز الدولة بغداد هرب المبرقع .

وورد الخبر بان نجا صار الى مولا سيف الدولة فأعاده الى مرتبته^(٢٧٠)

آلاف درهم فتصدق بها . توفي سنة ٣٤٠

وأما أبو عبد الله البصري فهو محمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب بن مجاهد الطائي المتكلم صاحب أبي الحسن الأشعري وهو بصرى قدم بغداد ودرس بها علم الكلام وصنف التصانيف وعليه درس القاضي أبو بكر ابن الطيب الباقلائي هذا الفن (وفي ترجمة الباقلائي أنه أخذ عنه علم النظر) وقال الخطيب : ذكر لنا غير واحد أنه كان مخبئ الست حسن الدين توفي في حدود سنة ٣٧٠ - ٣٦٠ كذا في تاريخ الاسلام .
وأما أبو علي الشافعي فقيه أيضا انه الحسن بن صاحب بن حميد وأنه طواف جوال أرتخه الخطيب ونامته بالمقظ الخليلي وتوفي سنة ٣١٤ وهو مذكور في كتاب الانساب للمعاني ص ٣٢٥

وفيه أيضا (ص ٢١٩) ان أبا بكر الداماني هو أحمد بن منصور الانصاري أحد الفقهاء الكبار من أصحاب الرأي فدرس ببغداد على أبي الحسن الكرخي ولما فجع الكرخي حمل الفتوى اليه دون أصحابه فاقام ببغداد دهرا طويلا .

وودخلت سنة أربع وخمسين وثلاثمائة

وفيها فتك غلمان سيف الدولة بحضرته على نجا بالسيوف فقتلوه^(١) ولحق سيف الدولة في الوقت غشية مكث فيها نحو الساعة فامرت زوجته وهي بنت أبي العلاء سعيد بن حمدان ان يُجر رجل نجا ففعل ذلك الى ان اخرج من قصرها وفيه كان جرى على نجا ما جرى وطُرح في مجرى ماء ينصب اليه المياه والافذار وبقي فيه الى الند وقت العصر ثم اُخرج وكُفّن ودُفن وفيها وصل أبو أحمد خلف بن أبي جعفر ابن بانو الى الخليفة أوصله من الدولة فقلده سجستان وخلق عليه وعقد له لواء .

وورد الخبر بان الاتراك نزلوا على بلد الخزر واستنصروا أهل خوارزم فامتنعوا من نصرتهم وقالوا : أنتم يهود فان أحببتم ان نعاونكم فاسلموا . فاسلموا الا مسلمهم

وورد الخبر بان أبا عبد الله ابن الداعي لما وصل الى بلد الديلم اجتمع اليه منهم عشرة آلاف رجل وان ابن الناصر العلوي هرب من بين يديه . ثم أوقع بقائده كبير من قواد وشمكير وانه تلقب بالمهدي لدين الله^(٢)

(١) وقال صاحب تاريخ ميفارقين . حضر نجا في مجلس سيف الدولة وعنده جماعة على الشراب فكلم سيف الدولة في شيء وحاجة وخرج عليه بكلام فيبيع فوثب عليه غلام لسيف الدولة يسمى نجاحا فضربه على رأسه بسيف فقتله فحمل الى ميفارقين ودفن بها وتقدم سيف الدولة على قتله وسار وملك اخلاط وتلك الولاية بأسرها .

(٢) الناصر لدين الله هو أبو الحسن أحمد بن الهادي الى الحق بجي امام الزيدية استعان به وجوه خولان على أخيه المرتضى (أبي القاسم محمد بن يحيى) في سنة ٣٠١ وقام الناصر قتيماً وتوفي سنة ٣٢٥ وله أولاد منهم الحسن وجعفر ويحيى كذا في كتاب الحقائق الوردية . وفي كتاب عمدة الطالب (طبع بمبئي ص ١٥٧) ان ابنه الحسن قام بالامر بعد أبيه وكان يلقب المنتجب لدين الله ونازعه أخوه يحيى على الامامية وباقب

وورد الخبر بأن نقفور ملك الروم بنى بقدسارية مدينة^(٢٧١) وهي
تقرب من [بلاد] الاسلام فاقام بها ونقل اليها عياله ليقرّب عليه ما يريد
من بلدان الاسلام^(٢٧٢) وان أهل المصيصة وطرسوس أتقذوا اليه رسولا
يسألونه أن يقبل منهم إتابة يؤدونها اليه على أن ينفذ اليهم صاحبها ليعقيم
فيهم فعمل على اجابتهم الى ذلك . فورد عليه الخبر بأن أهل هذه البلدان قد
ضعموا جداً وأنه لا ناصر لهم ولا دافع له عنها وأنه لم تبق أقوات وأنه قد
آل الامر بأهل طرسوس الى أكل السكّاب [و] الميتة وأنه يخرج منها
في كل يوم ثلثمائة جنازة فانصرف رأيّه عما كان عمل عليه وأحضر رسولهم
وضرب له مثلاً وقال « مثلكم مثل الحية في الشتاء اذا لحقها البرد وذبلت
وضعت حتى يقدر من رآها انها قد ماتت فان أخذها انسان وأحسن اليها
وأدفاها انتعشت ولدغته وأنتم انما بنجتم بالطاعة لما ضعفت وان تركتكم
حتى تستقيم أحوالكم تأذيت بكم . وأخذ الكتاب الذي أوردته فاحرقه
على رأسه فاحترقت لحيته وقال : امض اليهم وعرفهم انه ليس عندي الا
السيف . فانصرف وجمع الملك جيوشه وعمل على أن ينفذ^(٢٧٣) جيشاً الى

بالمصور كان فيه خير أنفذ رجلاً الى بغداد أيام كان أبو عبد الله ابن الداعي بها وذلك في
أيام معز الدولة وقال له : اختبر حاله فان رأيته أفضل مني وأولى مني بالامامة فاكتب
الي بذلك لابعه له وأدعو اليه . وفي الحقائق أنه لما قام ابن الداعي في سنة ٣٥٣
حاربه أبو محمد الحسن بن محمد بن الناصر المعروف بابيركا وأنه أنفذ اليه من جرجان نصر
ابن محمد الاستدار لحاربه فالتقوا بشالوس ثم وقع تخليط عسكر ابن الداعي بسوء تدبير
من كان اعتمده وخيانة بعض أقاربه له بخديعة عليه فلم يتمكن من الامتداد الى طبرستان
وعاد الى هوسم فاقام بها على ضجر شديد من سوء أدب كثير من أولئك الديلم بالليل وكان
ينادي بتلوّنهم وتفاقم وقلة وفاتهم بما كانوا بذلوا له أيام مقامه ببغداد وتوفي سنة ٣٦٠
(١) وفي تاريخ الاسلام : وسكنها لغير كل وقت وترك أباه بالقسطنطينية

الشام وجيشاً الى الثغور وجيشاً الى ميفارقين وكان سيف الدولة بميفارقين
[قد] تخصّص البطارقة الذين في يد نبأ وكان بميفارقين نحو الف كثر حنطة
فزقها وفرقها لثلاث تأخذها الروم

ثم ان ملك الروم أتقذ الى المصيصة قائداً من قواده فأقام عليها يحارب
أهلها ثم جاء الملك بنفسه فأقام عليها وفتحها عنوة بالسيف ووضع السيف في
أهلها فقتل منهم مئة الف عظيمة ثم رفع السيف وأمر أن يساق من بقي في
المدينة من الرجال والنساء والصبيان الى بلد الروم وكانوا نحو مائتي الف
انسان ثم سار عنها الى طرسوس فحاصرها فاذعن أهلها بالطاعة فأعظم الملك
الامان وفتحوا له أبوابها فدخلها ولقي أهلها بالجميل ودعا رؤساءهم الى طعامه
فأكلوا معه وأمرهم بالانتقال عنها وان يحمل كل واحد من ماله وسلاحه
ما أطاق حملة ويخلف الباقي ففعلوا وساروا وسيّر معهم ثلاثة نفر من
البطارقة يحمونهم فعرض لهم قوم من الارمن فاوقع الملك بهم وعاقبهم وقطع
انافهم لمخالفتهم أمره . ولم يزل طول طريقهم يتعرّف أخبارهم بكتبه ورسله
الى ان عرف سلامتهم وحصولهم بانطاكية وحمل بعضهم في البحر في
شلنديات له الى حيث ارادوا .^(٢٧٣)

ثم جعل الملك المسجد الجامع بطرسوس اضطرباً لدوابه ونقل ما كان
فيه من قناديل الى بلده وأحرق المنبر وقلد البلد بطريقاً من بطارقته في خمسة
آلاف رجل وقلد المصيصة بطريقاً آخر وتقدم بعمارة طرسوس وتحصينها
وجلب الميرة اليها من كل جهة فعمرت ورخص السعر بها حتى صار الخبز
بها رطلين بدائق فراجع أهلها اليها ودخلوا في طاعة الملك وتنصر بعضهم
وعمل الملك على ان يجعلها حصناً ومقلاً له لخصانتها وليتقرب عليه ما يريد

من بلدان الاسلام .^(١)

(١) زاد صاحب تاريخ الاسلام : وقيل رجع جماعة من أهل المصيصة اليها وتصوروا وكان السبب في فتح المصيصة أنهم هدموا سورها بالنقوب فأشار عليهم رجل بمحيط أن يخرجوا الاسارى ليحطف عليهم الملك نفقور فأخرجوهم فعرفه الاسارى بعدم الاقوات وأطمعوه في فتحها فزحف عليها ولقد قاتل أهلها في الشوارع حتى أبادوا من الروم أربعة الاف ثم غلبوهم بالكثرة وقتلوهم وأخذوا من أعيانهم مائة ضربوا رقابهم بإزاء طرسوس فأخرج أهل طرسوس من عندهم من الاسرى فضربوا أعناقهم على باب البلد وكانوا ثلاثة الاف . وقال أيضا . ان في هذه السنة اشتد الحصار على مدينة طرسوس وتكاثر عليهم جموع الروم وضمت عزائمهم بأخذ المصيصة وبما هم فيه من الفاقة والغلاء . وعجز سيف الدولة عن مجدهم وانقطعت المواد عنهم وطال الحصار وخذلوا فراسلوا نقفور ملك الروم في أن يسلموا اليه البلد بالامان على أنفسهم وأموالهم واستوثقوا منه بإيمان وشرايط . ودخل طائفة من وكلاء الروم فاشتروا منهم من البز الفاخر والاولاني المحروطة واشتروا من الروم دواب كثيرة تحملهم لانه لم يبق عندهم دابة الا أكلوها وخرجوا بحريهم وسلاحهم وأموالهم .

فوافى تبج التملى من مصر في البحر في مراكب فاقبل ملك الروم خبره فقال لاهل طرسوس . غدرتم . فقالوا : لا والله ولوجأت جيوش الاسلام كلها . فبعث الى التملى : ياهذا لا تنفسد على القوم أمرهم فانصرف . ثم عمل نقفور دعوة لكبار أهل البلد وخلع عليهم وأعطاهم جملة وخفرهم بجيش حتى حصلوا بغيراس وحصل منهم خمسة الاف بانطاكية فآكرمهم أهلها . ثم دخل الروم مدينة طرسوس فأحرقوا المنبر وجعلوا المسجد اصطبلًا

وأما سيف الدولة فانه سار الى أرزن وأرمينية وحاصر بدليس وخلط وبها أخذو نجًا غلامه عصيا عليه فتملك المواضع ورد الى ميفارقين . وعمد أهل انطاكية فطردوا نائب سيف الدولة عنهم وقالوا . نذارى بيت المال ملك الروم أو نبرح عن انطاكية فلا مقام لنا بعد طرسوس . ثم اتهم أمروا عليهم رشيقا النسبي الذي كان على طرسوس فسكائب ملك الروم على حمل الخراج اليه عن انطاكية فتقرر الامر على حمل أربعمئة الف درهم في السنة وجعل على كل رأس من المسلمين والتصارى ثلاثين درهما والامر لله . وفي هذه السنة ورد الخبر بإجابة نقفور الى ما طلبه منه سيف الدولة من الهدنة

وكان معز الدولة قد أنفذ كردك النقيب الى عمان فلقى أميرها نافما ووافقه على الدخول في طاعة الامير معز الدولة واقامة الخطبة له وكتب اسمه على الدنانير والدرهم واستجاب نافع الى ذلك وكتب اسم معز الدولة على الدرهم والدنانير . فلما انصرف كردك عنه وقف أهل البلد على ما عمله نافع من ذلك فوثبوا به وأخرجوه من البلد وأدخلوا أصحاب الهجريين القرامطة وسلموا البلد اليهم فهم يقيمون فيه^(٢٧٤) شهرهم ويروحون الى معسكرهم في آخر النهار وكتبوا الى أصحابهم بهجر يعرفونهم الخبر ليرد عليهم الامر بما يعملون به .

وورد الخبر بان تقفور ملك الروم عاد الى قسطنطينية وان الدمستق وهو ابن الشمسقيق كتب اليه يستأذنه في قصد سيف الدولة الى ميفارقين فكتب اليه بالتوقف الى أن يلحق به بقسطنطينية فمضى اليه وكان سيف الدولة

والفداء على أن يخرج بدل أبي الفوارس محمد بن ناصر الدولة ومن معه من بني عمه جماعة من البطارقة وان يقادى بفلمان سيف الدولة عدة من الروم وان يتناع ما يفضل من الاسرى يلد الروم كل واحد بمائتين ديناراً فأحضر سيف الدولة أعان التي راس وذلك مائة وستون ألف دينار فعابها الرسول وجاءت كتب الطرسوسيين الى سيف الدولة ليأخذ منهم الاسارى فانهم عجزوا عن أقواتهم للفداء . ثم جاء من بلد الروم كتاب أبي فراس ابن حمدان من الاسر بتصحيح أمر الفداء وتقد شرائط ملك الروم وفيه خط ملك الروم بالاحمر وخطوط بطارقه على ان يأخذوا عندهم ستة من بني حمدان ويأخذ سيف الدولة عنده ستة من البطارقة

ووردت الاخبار أن ملك الروم أرسل الى أهل طرسوس يهذهم على أن يخرجوا سور المدينة وان يبنوا بيعة كانت لهم تخربت فلم يجيبوا فسار حتى نزل عليهم وحاصرهم وبذلوا له ثلاثمائة ألف دينار واطلاق ما عندهم من الاسارى فإني الآن يخرجو بالامان بما قدروا على حمله أو ان يكونوا في طاعته ويخرجوا سورهم فامتنعوا وأخذت الروم ثمر المصيبة فقتلوا كل الرجال فلم يقات منهم الا سبعة نفر فما شاء الله كان

قلد رشيقا النسيمي وهو من وجوه أهل طرسوس فلما حصل سيف الدولة
بديار بكر وسلم رشيق هذا طرسوس في جملة من سلمها الي ملك الروم خرج
الى انطاكية . فالتصق به انسان صدير القدر يعرف بابن الاهوازي كان يتضمن
الارجاء بانطاكية وكان قد اجتمع عنده مال فاغوى رشيقا وسلم اليه ما اجتمع
عنده من المال وأطعمه في أن سيف الدولة لا يعود الى الشام وخرج معه الى
حلب . وجرت بينه وبين قرغويه حروب كثيرة وصعد قرغويه الى قلعة حلب
فتحصن فيها فاتفق سيف الدولة خادما له أسود ويعرف بإشارة ليكون مع
قرغويه في القلعة فنزل هذا الخادم في بعض الأيام وانضم اليه قطعة من
الاعراب كانوا قد وافوه وجماعة من الجند والعلمان فلما^(٢٧٥) أحس بهم رشيق
انهزم وسقط عن دابته فنزل اليه رجل من الاعراب من بني معاوية عرفه
فحز رأسه وصار به الى قرغويه وبشارة وانهزم أصحاب رشيق وتركوا كل
مالهم في ظاهر حلب وهرب ابن الاهوازي الى أنطاكية وكان أخوه
مقيما بها . فنصب رجلا من الديلم اسمه ديزبر وسماه الامير واعتضد برجل
علوي أفضى ووعده العلوي ان تم له الامر ان يجعله الرئيس والمدير وتسمى
بالاستاذ فظلم الناس بانطاكية وجمع الاموال وقصده قرغويه الى انطاكية
وجرت بينهما وقعة فكانت على الاهوازي أكثر الليل وقطعة من النهار
ثم صارت له على قرغويه لان أهل البلد عاونوه

وقد كان سيف الدولة كتب الى قرغويه الا يخرج الى انطاكية
فانهزم قرغويه وعاد الى حلب وانصرف سيف الدولة من القداء ودخل
حلب وأقام بها ليلة وخرج من غد فواقع دزبر وأسر دزبر وابن الاهوازي
في ضيعة في طريق بالس يعرف بتسمين فانهزم أصحاب دزبر وأسر دزبر

ومضى ابن الاهوازي فطرح نفسه في بيوت بني كلاب فوجه اليهم سيف الدولة يطلبهم به ووهب لهم ثلاثين الف درهم فسلموه اليه^(٢٧٦) وقتل دزبر واعتقل ابن الاهوازي مدة . ثم خرج ملك الروم الى الشام واشتغل بسيف الدولة به وأمر باحضار ابن الاهوازي^(١) فقتل بحضرته .

وفي هذه السنة ألقا أبو تغلب ابن ناصر الدولة الى الامير معز الدولة شيئا كثيرا من المال والثياب التي كانت أخذت بالموصل وقت القبض على بكتوزون فاما المال فانه قبله وأما الثياب فانه ردها عليهم وقال : لعل فيها شيئا استحسنتموها وقد وهبتها لكم . وكانت لها قيمة عظيمة ولكنه ترفع عن ارتجاعها

﴿ ودخلت سنة خمس وخمسين وثلثمائة ﴾

وفيها ورد الخبر بأن بني سليم قطعوا الطريق على قافلة المغرب ومصر والشام الحاجة الى مكة في سنة ٣٥٤ وكانت قافلة عظيمة وكانت فيها من الحاج والتجار والمنتقلين من الشام الى العراق هربا من الروم ومن الامتعة التي لهم نحو عشرين الف حمل منها دق مصر الف وخمسمائة حمل ومن أمتعة العرب اثني عشر الف حمل وكان في الاعدال الامتعة من العين والورق ما يكثر مقداره جدا . وكان فيها لرجل يعرف بالخواتمي قاضي طرسوس مائة وعشرون الف دينار عينا وان بني سليم أخذوا الجمال مع الامتعة فبقى الناس رجالة^(٢) .^(٢٧٧) منقطا بهم كما أصاب الناس في الهير سنة القرمطي^(٣) فعن الناس من عاد الى مصر ومنهم وهم الاكثر تلف .

(١) وفي تاريخ الاسلام هو محمد بن احمد بن الاهوازي (٢) وفي الاصل : رجالهم

(٣) قد ذكر فيما تقدم ١ : ١٢٠

وورد الخبر بأن أبا عبد الله العلوي ابن الداعي ابي الصوف وأظهر
النسك والصوم وتقلد المصحف وواقع ابن وشمكير فهزمه وأسر جماعة من
أصحابه وقواده وعمل على المسير الى طبرستان وكتب الى العراق كتابا يدعوهم
فيه الى الجهاد

وفيها لقب الحبشي بن معز الدواة بسند الدواة وكتب به كتاب عن الخليفة

﴿ ذكر ما جرى في عمان ﴾

كنا حكيما من أمر عمان ماجرى في أمرها الى وقت دخول القرامطة
اليها باختيار أهلها وكان مع القرامطة كاتب يعرف ببلي بن أحمد وكان هو
الذي ينظر في أمر البلد والجيش . وكان قاضي البلد رجلا له عشرة وعز
منيع فرأى مع وجوه البلد بعد نفى نافع من البلد ان ينصبوا في الامرة رجلا
يعرف بابن طغان وكان من صفار القواد بعمان وأذناهم مرتبة فخاف من القواد
الذين فوقه في الرتبة والمحل ان يغلبوه على أمره فقبض على ثمانين قائدا منهم
وقتل بعضهم وغرق بعضهم . وقدم الى البلد ابنا أخت لرجل ممن غرق وسألا
عن حاله فرفا انه غرق فامسكا وأقاما مدة فلما^(٢٧٨) كان يوم من أيام السلام
دخلوا في جملة المسلمين على ابن طغان فلما تقوض المجلس فتسكبه وقتلاه . فاجمع
رأى الناس على عقد الامر لعبد الوهاب بن أحمد بن مروان قرابة القاضي
فوجروا يلتمسونه فاستتر فالتزموا القاضي احضارهُ والزامه تقلد امارة البلد
ففعل القاضي ذلك وراسله فظهر وتقلد الامر وبويع له واستكتب له علي بن
أحمد السكاك الذي كان وافي مع الهجريين ووافق علي بن أحمد الجيش على
أن يطلق لهم رزقين صلة فأخرجت الاموال وابتدأ علي بن أحمد يثق في الناس

رزقتين فلما انتهى الى الزنج وعم ستة آلاف رجل لهم بأس وقوة وقال^(١) لهم : ان الامير عبد الوهاب. أمرني أن أطلق لكم أنتم رزقة واحدة فقط . واضطربوا من هذا فقال لهم : امضوا اليه وخاطبوه . فمضوا فلما بعدوا منه قليلا استردهم الى مجلسه وقال لهم : انكم اذا مضيت لم يوصلكم اليه ولم يزدكم على رزقة واحدة فهل لكم أن تبايعوني وأطلق لكم رزقتين وتسكون الامارة لي ؟ فقالوا : نعم . فاطلق لهم رزقتين فاضطرب البيضان من ذلك ووقع بينهم وبين الزنج مناوشة فقتل من البيضان جماعة فسكنوا وصارت كلمتهم وكلمة الزنج واحدة وبايعوا على بن أحمد^(٢٧١) ثم راسلوا عبد الوهاب بن احمد ابن مروان : بانا قد عقدنا الامر انيرك فاخرج عن البلد . فخرج وحصل الامر لعل بن احمد .

وفيهما خرج الامير مع الدولة الى واسط لمحاربة عمران بن شاهين وأتخذ جيشا الى عمان وكان خروجه من بغداد يوم الثلاثاء الحادي عشر من رجب ورحل الى واسط وهو محموم فلما كان يوم الجمعة لليلتين بقيتا من رجب وافى نافع الاسود مولى يوسف بن وجيه مستأمنا اليه فقبله . ونظر مع الدولة فيما يحتاج اليه من أمر عمان مما سذكروه وانحدر من واسط الى الابلّة ونزل في شاطئها في شاطئ عمان في دار البريديين وأخذ في الاستعداد لانقاذ جيش الى عمان وبني الشذات والمرآكب قبل ذلك وطالب الديلم بالخروج الى عمان فاستجابوا الاقواما وهم بضمة عشر رجلا فانهم امتنعوا فامر بطردهم فانقاد الديلم والأتراك الى ما أراد وندب أبا الفرج محمد بن العباس للخروج مع الجيش الى عمان لرياستهم وتدير الحرب

وولاية البلد اذا فتحه

فلما كان يوم الخميس للنصف من شوال نفذ الجيش في المراكب والشذات وهي مائة قطعة ومعهم المعروف بابي عبيد الله جبّ ونافع الاسود فلما صاروا بسيراف^(٢٨٠) انضم اليه جيش عضد الدولة في مراكب وشذات وكان أعددهم هناك نجدة لعمه فلما وصل أبو القرج الى عمان مع الجيش دخلها ومالكها وقتل بها مقتلة عظيمة وأحرق مراكب أهل عمان وهي أسمعة وسبعون مركبا. فاما عمران بن شاهين فانه أنفذ معز الدولة اليه أبا الفضل العباس بن الحسين الشيرازي مع جيش فابتدأ أبو الفضل يسد الانهار عن البطائح وأصعد معز الدولة الى واسط ومنها الى بغداد وخلف بواسط عسكره وغلمانه والحاجب الكبير على ان يعود الى واسط بعد عشرين يوما فيستتم ما شرع فيه من أمر عمران فلما وصل الي بغداد مات فدفت الضرورة الى مصالحة عمران كما سنشرحه من أخباره في سنة ٣٥٦ وفي هذه السنة انهزم ابراهيم السلار من بين يدي أبي القاسم ابن ميشكى بأذربيجان وورد حضرة ركن الدولة بدابته وسوطه ولم يفلت معه أحد فأكرمه ركن الدولة بالوصلة التي كان عقدها المرزبان وكان ركن الدولة قد رزق من أخت ابراهيم ابنه أبا العباس وبالغ ركن الدولة في اعظام ابراهيم وأجزل له العطاء وحمل اليه من كل صنف يكون عند الملوك وفي خزائهم. وكنت حاضرا بالرى فركبت^(٢٨١) للنظر الى الهدايا المحمولة الى ابراهيم فوقفت مع جماعة النظارة قريبا من دار الامارة وابتدأت الهدايا تحمل من نخوت الثياب والرزم والاسفاط من جميع أصناف الثياب فكانت مع مائة رجل يحملونها على رؤوسهم ثم ابتدأت هدايا الطيب [وكانت على

صواني فضة وآلاتها من الادراج وغيرها وكانت على أيدي ثلاثين رجلا ثم ابتدأت بدر الاموال [فكانت على صدور الرجال مع صرار الذهب أما كياس الدراهم فكانت مع خمسين رجلا وأما صرر الدنانير فكانت من حرير أحمر مع عشرين رجلا ليفرق بينهم وكانت أ كياس الورق بيضاء ثم ابتدأت خزائن الفرش على البغال فلم أحصها وتبعها جنائب الدواب بمراكب ذهب وفضة وجلال ثم تبعها الجمال مزينة موقرة بالآلات الفرش الثقيل والحليم والخراكهات والشرع والسراقات فكانت كثيرة حسنة لم أر مثلها هدية في وقت واحد يسمح بها

﴿ ذكر السبب في هزيمة ابراهيم من آذربيجان على تلك الصورة ﴾

﴿ القبيحة ووروده الى حضرة ركن الدولة ﴾

لما انهزم ابراهيم من بين يدي اسماعيل بن وهسودان وأبي القاسم ابن ميشكى الى أرمينية ابتداء في أهبة أخرى واستعداد آخر فبالغ واجتهد وكاتب ملوك أطرافه من الارمن وغيرهم وجمع الاكراد واستصاح ناحية جستان بن شرمزن ورغب الناس^(٣٨٢) في الولايات والاقطاعات وبذل خطه لهم بها. واتفق ان توفي اسماعيل بن وهسودان فصار ابراهيم الى أردبيل وملكها وانصرف ابن ميشكى مع جماعة الى طاعة وهسودان فزحف ابراهيم الى الطرم منازعا عمه وطالبا بثار اخويه جستان وناصر فاحجم وهسودان عن لقائه والبات له وشجعه أبو القاسم ابن ميشكى فابى عليه ورأى أن يسير الى بلاد الديلم فصار معه أبو القاسم بن ميشكى ودخل ابراهيم الى أعماله فخطب أسبابه ودوخ دياره وبحث عن أمواله وبالح في الاضرار به مدة ثم عاد الى آذربيجان . وجمع وهسودان وابن

ميشكى الرجال من سائر بلدان الديلم فاحتفلا واحتشدا ورجعا الى الطرم
وسار أبو القاسم ابن ميشكى الى آذربيجان وقد قواه وهسودان بالمال
والرجال فنزل اليهم ابراهيم وجرت بينهما حروب كانت على ابراهيم فانهزم
على تلك الحال وتبعه الطلب من قبل عمه وهسودان فتقطع الناس عنه حتى
بلغ الري الى حضرة ركن الدولة على حاله لا ئذا به .

وفي هذه السنة تم الفداء بين سيف الدولة والروم وتسلم سيف
الدولة أبا فراس الحارث بن سعيد بن حمدان وأبا الهيثم ابن القاضى
أبى حصين^(١)

(١) زاد صاحب تاريخ الاسلام : وفي هذه السنة قدم ابو الفوارس محمد بن ناصر
الدولة من الاسر الى ميافارقين اخذته أخت الملك لتفادي به أخاها فجاء ستة آلاف فنفذ
سيف الدولة أخاها في ثلاثمائة الى حصن المناخ فلما شاهد بعضهم ببعض سرح المسلمون
أسيرهم في خمسة فوارس وسرح الروم أسيرهم أبا الفوارس في خمسة فالتقى في وسط
الطريق وتماثلا ثم صار كل واحد الى أصحابه فترجلوا له وقبلوا الارض ثم احتفل سيف
الدولة لابن أخيه وحمل له الخيل والمال والعدد التامة فن ذاك مائة مملوك بمناطعهم
وسيوفهم وخبوطهم . وطال مقام سيف الدولة بميافارقين فانفق في سنة وثلاثة أشهر نيفا
وعشرين الف الف درهم ومائتين وستين الف دينار وتم الفداء في رجب فخلص من
الاسر من ابن أمير الى راجل ثلاثة آلاف ومائتان وسبعون نفسا وتقدر أربعة أعوام .
وأرسل أبا القاسم الحسين بن على المغربي لتقدير ذلك ومعه هدية بعشرة آلاف دينار منها
ثلاثمائة مئقال مسك واثق سيف الدولة على الفداء ثلاثمائة الف دينار

وقال ايضا : وفيها سار طاغية الروم بجيوشه الى بلد الشام فمات وافسد واقام به نحو
سنتين يوما فبعث سيف الدولة يستجد اخاه ناصر الدولة يقول : ان تقفون قد عسكر
بالدرب ومنع رسولنا ابن المغربى أن يكتب بشيء . فقال : لا اجيب سيف الدولة
الا من انطاكية ليذهب من الشام فانه لنا ويمضي الى بلده ويهادن عنه . وان اهل
انطاكية راسلوا نقفور وبذلوا له الطاعة وان يحملوا اليه مالا وانه التمس منهم يد يحيى بن
زكريا عليها السلام والكروسي وان يدخل بيعة انطاكية ليصلى فيها ويسير الى بيت المقدس

وفيما لقب الخليفة أبا منصور بويه بن ركن الدولة بمؤيد الدولة
وكتب^(٢٨٣) بذلك الى الامصار

وكان الذي جر خروجه واحتقه احراق بيعة القدس في هذا العام وكان البترك كتب الى
كافور صاحب مصر يشكو قصور يده عن استيفاء حقوق البيعة فسكتب متولى القدس
بالشد على يده فجاءه من الناس ما لم يطق دفعه فقتلوا البترك وحرقوا البيعة وأخذوا زينها
فراسل كافور طاغية الروم بان يرد البيعة الى أفضل ما كانت فقال : بل انا انيها بالسيف
واما ناصر الدولة فكتب الى اخيه : ان احب سيرة اليه سار وان احب حفظه ديار بكر
سار اليها . وبث سراياه واصعد سيف الدولة والناس الى قلعة حلب وشحنها وأنحفل الناس
وعظم الخطب واخليت نصيين . ثم نزل عظيم الروم بميوشه على منبج وأحرق الرض
وخرج اليه اهلها فاقروهم ولم يؤذهم ثم سار الى وادي بطنان وسار سيف الدولة متأخرا
الى قسرين ورجاله والاعراب قد ضيقوا الخناق على الروم فلا يتركون لهم علوفة فنخرج
الاوقعوا بها . وأخذت الروم أربع ضياع بما حوت فراسل سيف الدولة ملك
الروم وبذل له مالا يعطيه اياه في ثلاثة أقساط فقال : لا أحبيبه الا أن يعطيني نصف الشام
فان طريقي الى ناحية الموصل على الشام . فقال سيف الدولة : لا أعطيه ولا حجرا واحدا .
ثم جالت الروم بأعمال حلب وتأخر سيف الدولة الى ناحية شيزر وانسكت العربان في
الروم غير مرة وكسبوا ما لا يوصف ونزل عظيم الروم على انطاكية محاصرها ثمانية أيام ليلا
ونهارا وبذل الامان لاهلها فابوا فقال : انتم كاتبتموني ووعدتموني بالطاعة . فاجابوا : انما
كاتبنا الملك حيث كان سيف الدولة بآرمينية بعيدا عنا وظننا أنه لا حاجة له في البلد وكان
السيف بين أظهرنا فلما عاد سيف الدولة لم يوبه على ضبط أدياننا وبلدنا شيئا . فناجزهم
الحرب من جوانبها فخاربوه أشد حرب وكان عسكره معوزا من العلوفة ثم بعث نائب
انطاكية محمد بن موسى الى قرغويه متولى نيابة حلب بتفصيل الامور وبثبات الناس على
القتال « وأنا ليلى ونهاري في الحرب لا أستقر ساعة وان الامين قد ترحل عنا ونزل الجسر »
وفيها وقع تقي السيفي بسرية الروم فاصطلموها ثم خرج الطاغية من الدروب وذهب
ثم جاء الخبر بأن نائب انطاكية محمد بن موسى الصلحي أخذ الاموال التي في خزائن
انطاكية معدة وخرج بها كأنه متوجه الى سيف الدولة فدخل بلد الروم مرتدا فقبل
انه كان عزم على تسليم انطاكية للملك فلم يمكنه لاجتماع أهل البلد على ضبطه فختفي أن
يتم خبره الى سيف الدولة فهرب بالاموال

وفيهما ورد جيش من خراسان عظيم

﴿ ذكر خبر النزاة الواردين من خراسان وما دبروه بالري ﴾

(على الدليم وما انعكس عليهم من الامر بعد استعلائهم)

ورد الخبر على ركن الدولة بالري بخروج قوم من خراسان يحزرون عشرين ألفا ويظهرون أنهم غزاة واستراب بهم صاحب الحد وهو اسفوزن بن ابراهيم وذلك أنهم عاثوا لما دخلوا الحد وخاطبهم وراسل رؤسائهم فلم يجد عندهم نسكيرا ولم ير سيرتهم سيرة الغزاة ولم يكن لهم رئيس واحد بل كان لاهل كل بلد من بلادهم رئيس منهم فلما ورد كتاب اسفوزن بصورتهم أشار الاستاذ الرئيس حقا على ركن الدولة الا يأذن لهم في دخولهم مجتمعين وان يرأسهم في أن تصير منهم عدة في نحو ألفي رجل الى الري فاذا خرجت هذه العدة منها ورد هؤلاء حتى يتابعوا على ذلك فلا تكون منهم معرفة ولا يحدثوا أنفسهم بسوء أدب فاستمع ركن الدولة من قبول رأيهم « ولا يتحدث المملوك اني احترزت من لقيف خراسان وخشيت نايرتهم » فقال له وزيره أعني الاستاذ الرئيس حقا : فان لم تفعل هذا فسكاتب عساكرك فأنهم متفردون عنك بالجبل واصبهان وغيرها حتى تتوافي اليك فان مملك بالري ^(٢٨٤) عدة يسيرة وأنت غير مستظهر بالرجال ولا آمن أن يكون لهؤلاء القوم واطاعة مع صاحب خراسان وعددهم كثير وهم مستعدون بعملة الغزو ونحن على غير أهبة ولا استعداد . فابى عليه في هذا الرأي ولم يفعل بالقوم وكاتب صاحب الحد بان يأذن لهم ويخرج عن وجودهم ولا يُصير لائثر مبدأ .

فسار القوم باجمعهم ومعهم فيل عظيم من بين الفيلة حتى نزلوا بالري

واجتمع رؤساؤهم الى مجلس الاستاذ الرئيس يخاطبونه في مسألة الامير ركن الدولة أن يطلق لهم مالا يستعينون به علي أمرهم فوعدهم بذلك وظن ان القليل يسوهم على رسم النزاة فاذا هم يطعمون في شئ كثير وقالوا : نحتاج الى مال خراج هذه البلدان كلها التي في أيديكم فانكم انما جيتتموها لبيت مال المسلمين لنايبة ان نابتهم ولا نايبة اعظم من طمع الروم والارمن فينا واستيلائهم على ثغورنا وضعف المسلمين عن مقاومتهم . وسألوا مع ذلك أن يخرج معهم جيش ينضمون اليهم وأخذوا في هذا النجوى من الكلام وتبسطوا في الاقتراح ورفع الاصوات وكان معهم فقهاء خراسان وشيوخها مثل المعروف بالقتال^(١) وغيره . فتبين الاستاذ الرئيس^(٢٨٥) خبث سرائرهم وتيقن ما كان ظنه بهم من الشر وطلب الفتنة ولكنه كان يداريهم ويرفق بهم . فلما لم يجدوا سبيلا من طريق القول اليه والشغب به عدلوا الى مشافهة الديلم فكانوا يكفرونهم ويلعنونهم وكان ذلك في شهر رمضان وكانوا يخرجون ليلا ومعهم آلاتهم من السيوف والحراب والقسي والسهام ويزعمون انهم يأمرسون بالمروءة فيسلبون العامة مناديلهم وعماطهم واذا تمكنوا من تفتيشه وأخذ جميع ما معه لم يقصروا فيه والناس مع ذلك يدارونهم . فاتفق ان وقعت بينهم وبين بعض اصحاب ابراهيم بن بابي خصومة لم يحتلها منهم فتأدى الى القتال فقتل ذلك الرجل الديلمي واجتمع رفقائه للقتال فاجتمع من الغزاة نحو الف رجل على باب

(١) هو محمد بن علي بن اسمعيل الامام أبو بكر الشاشي الفقيه الشافعي توفي سنة ٣٦٥ وقيل انه ولد سنة ١٩١ وهو الذي أجاب عن الخليفة المطيع لله القصيدة التي وردت من تقفور عظيم الروم على المسلمين ساءتهم وشقت عليهم لما كان فيهم من التثريب وضررب الوعيد والتهديد ونسخة القصيدة بن موحودة في كتابخانه

ابراهيم بن بابي فخرج اليهم محامياً على اصحابه وقاومهم مدة الى أن راسله ركن الدولة بالسكف وراسلهم بمثل ذلك فابوا فتسرع الديلم ومن كان قريبا لنصرة الديلم فاشتبهت الحرب وحجز بينهم الليل ورجع الخراسانية الى معسكرهم يضربون بطولهم الليل كله ويتواعدون للقتال . فلما أصبحوا باكروا الحرب ودخلوا المدينة من ناحية اجران وفيها دار الاستاذ^(٢٨٦) الرئيس (وبرز للقائم وبين يديه حاجبه روين وكان شهما شجاعا فحمل عليهم في غلمان دار الاستاذ الرئيس) فحاربهم وكسرههم حتى رجعوا الى الدرب الذي دخلوا منه ثم كثروا عليه ولم يول عنهم حتى طعنه بعضهم بحربة دخت في كم درعه وافضت الى ساعده فخرقه وكثر الناس عليه وحامى عليه الا تراك الذين معه حتى رد الى منزله وقد نزفه الدم وضمف وانكسر الاستاذ الرئيس ووضي كل من معه ونبت بنفسه على عادته . فتعاق به السار وكان حاضرا معه وقال له : ايها الاستاذ ارجع الي الامير ولا تفجعه بنفسك فانه لم يبق حواليك أحد . وأخذ بلجامه ورده وسمعه يقول : عَصْبَهَا بِي وَاَنْتَ بَرِيَّةٌ مِنْ عَارِهَا . فرجعا الي دار الامارة واشتغل الخراسانية بنهب داره واصطبلاته وخزائنه وكانت موفورة جامعة الى أن أتى الليل وانصرفوا وكان الي خزانة كتبه فسلبت من بين خزائنه ولم يتعرض لها . فلما انصرف الى منزله ليلا لم يجد فيه ما يجلس عليه ولا كوزا واحدا يشرب فيه ماء فانفذ اليه ابن حمزة العلوي فرشاً وآلة . واشتغل قلبه بدفاره ولم يكن شيء اعزّ عليه منها وكانت كثيرة فيها كل علم وكل نوع من انواع الحكم والآداب يحمل على مائة وقرر وزيادة فلما رأى سألني عنها فقالت : هي بحالها لم تمسها يد . فسرتني عنه وقال : اشهد^(٢٨٧) انك ميمون النقية أما سائر الخزان فيوجبند منها عوض وهذه

الخزانة هي التي لا عوض منها . ورايته قد اسفر وجهه وقال : باكر بها في غد الى الموضع الفلاني . ففعلت وسلمت باجمعها من بين جميع ماله واجتمع الخراسانية من غد ذلك اليوم وكانوا قد كسروا ركن الدواة في آخر نهار امسه وقويت نفوسهم وكانوا قعدوا باب روين الحاجب لينتهبوا داره وكان طريقا فيها غير مستقل فامر غلمان به بطرح الحطب المعد المشتاء خلف الباب واشعله بالنار ففعل ذلك فلم يصلوا الى الدار من نحو الباب وراموا أن يتسوروا سورها فرماهم الغلمان بالسهم فتراجعوا عنها . وعملوا على مباكرتها من الندد فلما أصبحوا راساهم ركن الدولة ودارهم وعرض على أن ينقلوا من مملكتهم فلم تكن فيهم حيلة وكان الامر قد ابرم معهم بخراسان وكانوا ينتظرون مددا يلحقهم . وأشار على ركن الدولة نصحاءه بالمسير الى اصبهان مع أولاده وحرمه ويترك هؤلاء والرى حتي يجتمع اليه عساكره ويقصدهم بمد يد وعباد فابى عليهم وخاطر بنفسه ودولته فانه كان في خمسمائة من قواده وخواصه ونحو ثلاثمائة من الغلمان وباقي^(٢٨٨) عسكره كما ذكرنا متفرقون في ولاياتهم فلما كان من غد ذلك اليوم وهو يوم الاربعاء للنصف من شهر رمضان تفرق الخراسانية^(١) على أبواب المدينة وهجموا من كل وجه فامتلات منهم الشوارع والحال ونادوا في البلد بما يسكن الناس والزعية وقصدوا دار الامارة وفيها الامير وأولاده وخزائنه . وكان الاستاذ الرئيس أمر بتحميل ما أمكن والمبادرة بالحرم وصغار الاولاد الى طريق اصبهان لينتظروا ما يكون من أمر الحرب وهم على ظهور الدواب مستعدين للتوجه الى حيث شاءوا فاغتص الميسان الذي في الدار بالبنال التي عليها صناديق

الخزائن والعماريات فلم يكن للامير ركن الدولة مخلص من بينها وكان قد ركب في غلمان داره والاستاذ الرئيس معه وجماعة من قواده وحاشيته فلم يجدوا طريقا الى الخروج لتزاحم من ذكرت فوضع بينهم الدبايس وكسرت عدة من الصناديق والبغال حتى أفرج للفرسان على ضغط شديد وزحمة منكرة فخلصوا الى الطريق وكنت مع القوم . وكان الخراسانية قد دنوا من الباب ومعهم السلايم وعندهم ان ركن الدولة يتحصن في داره فخرج ركن الدولة من نحو الميدان وخرج حجابيه من الابواب الأخر وصدمو القوم (٢٨٩) وصدقهم الديلم في المضايق حتى ردوهم الى الصحراء من الناحية المعروفة بالشجرة بعد أن أشرنا على ذهاب النفس وزوال الدولة فلما حصلوا في السعة صافوا رجالهم للحرب

﴿ ذكر مكيدة لركن الدولة في الوقت نفذت له ﴾

كان ديلم ركن الدولة ضمنت نفوسهم لما رأوا كثرة الرجال من أعدائهم وقلة عددهم وأقبلوا يقولون : أتينا من ورائنا . فاشفق ركن الدولة إشفاقا شديدا وقال لأصحابه : طيخوا نفساً فإن الذين وراءنا هم أصحابنا . وبشرهم بورود علي بن كامه وتقدم الى الركابية والمجرى أن يبادروا الي نحو طريق علي بن كامه الذي يقبل منه وأمرهم أن يركضوا هناك ويشيروا النسيبة ما استطاعوا ففعل القوم ذلك وارتفع الرهيج وكبر الناس وقالوا : هذا علي بن كامه . ونشط الناس ركن الدولة وقال لهم : احموا حملة قبل ورودهم . فحمل الديلم بنشاط واستبشار بورود المدد فكانت اياها وركب الخراسانية بعضهم بعضا فدرس ركن الدولة الى بعض رؤساء الخراسانية بالانحياز اليه فأمنه وبذل له ففعل وتحطم ذلك المسكر وقتلوا كل مقتلة وطلبوا الامان فامنهم

على أن يتخلى لهم الطريق فأجابهم الى ذلك . وكان قد حصل منهم عدد^(٢٩٠) كثير بالبلد يذبحون كل من وجدوه على زى الديلم فاذا ذبحوه كبروا كما يفعل في بلد الكفر بالكفار فيبينما هم كذلك اذ انكفأ اليهم الديلم ظافرين فهموا بهم وقتلوا بعضهم حتى نادى فيهم ركن الدولة بالامان وأمر الديلم بالكف فلما كان بالليل تحملوا وانصرفوا على سمت قزوين هائمين على وجوههم لا يلبى بعضهم على بعض

ثم وردت بعدهم خيل أخرى نحو القى رجل بالعدة والسلاح ولم ياحقوا أصحابهم الا فلولين هار بين فراسلهم ركن الدولة بان يتوقفوا ولا يرحلوا وأشفق أن يكون لهم بقزوين أو في بعض الممالك عبت واجتماع آخر فلم يفعلوا وتعجلوا بالرحيل في اثر أصحابهم فأسرع في طلبهم وركض خلفهم حتى أدركهم فصافوا الحرب فقتل منهم عددا كثيرا ورد الباقين الى الري بعد أن طلبوا الامان . ثم أذن لهم في الخروج واطلق أسراهم وأفر لهم بنفقات فخرجوا . وقد ذهبت حشمتهم وزالت هيبتهم عن صدور الناس ولو أنهم خرجوا بالماء الذي كان لهم لبلغوا من الروم كل مبلغ ولعكثت غزاة الساميين معهم ولله أمر هو بالغة .

فسمعت الاستاذ الرئيس رحمه الله بعد ذلك يقول : لم أرقوما أشد من هؤلاء وما فرق جمعهم الا كثرة رؤسائهم^(٢٩١) وتحاسدهم وقد كانت لهم فرص لو انتهزوا بعضها لثم لهم أمرهم . منها يومهم الذي دخلوا فيه الري فانهم اجتازوا باجمعهم وفي مواكبهم على باب الامير وهو غار وليس بباب كبير أحد فلو هجموا عليه ما حال بينهم وبينه أحد . ومنها ليلة دخلوا البلد لو أقاموا وقصدوا دار الامارة ما تحرك في وجوههم أحد وكانت ليلة مقمرة

وهي ليلة النصف وهي كنهار غدها اشراقا واضاءة ولسكن القوم عملوا على دخول البلد يوم عيد الفطر والناس مشغولون (بالصلاة) بصلاتهم غارون وأتظروا أيضا المدد الذي وعدوا به وكانت الاخبار والرسل تأتيهم بقرهم منهم فعملوا على ذلك . وأبت المقادير الا يصنع الله لركن الدولة وذلك بحسن نيته ودعاء رعيته له ونظر الله تعالى للناس^(١)

وكان لابراهيم السالار في هذه الايام مواقف حسنة وآثار جميلة وأصابته بطنه حربة لم تصل الى أحشائه لكثرة شحمه لانه كان سميناً

(١) قال صاحب تاريخ الاسلام : وفي هذه السنة قدم الغزاة الخراسانية مياقارقن فاقام أبوالمعالى ابن سيف الدولة وبائع في إكرامهم بالاطعمة والعلوفات ورئيسهم أبو بكر محمد بن عيسى . وقال أيضا في ترجمة سنة ٣٥٦ أن فيها دخلت الخراسانية ففوزوا بلد ابن مسلمة وخرجوا بالسلامة والغنائم . وفيها رجع غزاة خراسانية الى بلادهم ودخل سيف الدولة حلب ومعه قوم من الخراسانية ومعهم فيل فمات الفيل بعد أيام فاتهموا أن النصارى سممه . وغزت الخراسانية مع لؤلؤ الجراحى من انطاكية الى ناحية المصبصة فالتقاهم ثلاثة الاف فارس من الروم فنصر الله وقتلوا الفارس من الروم وأسروا خلفاء وردا بالغنائم الى انطاكية ثم عادوا غزوانا . ودخل النعمان محمد بن عيسى رئيس الخراسانية ومعه ابن شاكر الطرسوسى فظفروا وغنموا وردوا بالغنائم وتأخر في الساقة محمد بن عيسى وابن شاكر في نحو مائة فارس فدمهم جوع الروم فقال ابن عيسى : ما استحل أن أوليهم الدبر بعد أن قربوا . وسار ابن شاكر يكشفهم فاذاهم فيها يقال في ثلاثين الفا فرجع وقال : لا طاقة لك هؤلاء . فلم يقبل والنفاهم وقتلوا أشد قتال وأنكروا في الروم نكابة عظيمة واستشهد عامة المسلمين وبقي محمد بن عيسى في مائة وخمسين فارسا فقال له ابن شاكر : لاتلق بيدك الى التهلكة . فقال له فقيه معه : إن وليت الدبر لحقوك وقتلوك وأنت فار . فقاتل حتى قتل أكثر أصحابه ثم أسر محمد بن عيسى وابن شاكر . ثم ورد الخبر بأن ابن عيسى اشترى نفسه بمائة الف درهم وبمائة وعشرين عليجا كانوا بانطاكية ورطل فصوص فيروزج وأنه بعد ذلك غزا العدو وظفر رحمه الله تعالى وغفر له .

بطينا ولسكنها صارت فتقا فكان يشدها بمصائب ورفائد الى أن توفي بمسد ذلك بسنين .

وفي هذه السنة اخرج ركن الدولة الاستاذ الرئيس مع ابراهيم السلار مدداله في نخب الرجال من الديلم والعرب^(٢٩٢) واصناف العسكر حتى فتح بلاد آذربيجان وأصلح الاستاذ الرئيس له قلوب أصحاب الاطراف وطوائف الاكراد وقاد جستان بن شرمزن الى طاعته فلما فرغ من جميع ذلك ووطأ له النواحي ومكنه منها خرج عائداً الى حضرة ركن الدولة (بالرى) ذكر تدبير جيد ورأى صواب رآه الاستاذ الرئيس ابن العميد (ولم يقبل وعاقبة ذلك)

لما صار الاستاذ الرئيس حقا الى آذربيجان رأي زكاء أرضها وكثرة ريعها وسعة مياهها واحتمالها للعمارة وحسب ما يرجى من ارتفاعها فوجده مالا عظيما مثل ارتفاع ممالك ركن الدولة أو قريبا منه ونظر الى ما تحصل لابراهيم السلار منه فوجده شيئا نزرأ قليلا جدا وذلك لسوء تدبير ابراهيم واهماله الامور واشتغاله باللعب والنساء والسكر الدائم وطمع ضروب المعاملين فيه ولا سيما الاكراد الذين قد استأكلوا تلك النواحي . ثم قد عرف بالتزيد وقلة الوفاء فليس يوثق بيمينه ولا عهوده فعلم الاستاذ الرئيس أنه اذا فارق الناحية عادت الصورة مع ابراهيم الى ما كانت ولم يلبث ان يطمع فيه ويخرج من المدينة ثم من الناحية كلها أو يقتل فيضيع سمي^(٢٩٣) ركن الدولة وسميه . فكتب الى ركن الدولة بصورة الناحية وصورة ابراهيم فيها وعرفه بمقدار ما يصل اليه منها وأشار عليه أن يدبر الناحية لنفسه ليرفع له (منها خمسون الف الف درهم ويعوض ابراهيم مما يحصل له وكان مقدار ما

يرتفع له) من هذه الجملة بمقد ما يخرج في أقطاعات الديلم والا كراد وبعد ما يستولى عليه قوم متمززون لا يتمكن من استيفاء الحقوق عليهم وبعد ما يضع بالاهمال وترك العمارة أقل من التي الف درهم فرأى أن يعوض ابراهيم من ارتفاع الرى أو اصبهان أو همدان هذا المقدار ويجلس آمنًا فارغ البال ويشتمل بما يورثه من صحبة المغنين والمساخر ويتسلم الاستاذ الرئيس اذ ريجان فيرفع منها لركن الدولة ما ذكرت مبلغه وكان يرجو أكثر منه ولكنه استظهر عليه . فابى عليه ركن الدولة وفكر في شيء يفكر فيه مثله من أصحاب الممك السكبار وقال : يتحدث الناس انى افتتحت البلاد لرجل لجأ الى ثم طمعت فيه ! وأمر الاستاذ الرئيس بالانصراف اليه مع عسكره وتسليم البلاد الى ابراهيم

فاذ كر يوما كنت جالسا فيه بين يدي الاستاذ الرئيس وهو يحدثني بالاشدة التي قاساها هو وعسكره في سفرته وقلة جدواها ونمرتها وانها لو أثمرت نعمة باقية عند ابراهيم لكان محتملا لها وراغبيا فيما ينشر^(٢٩٤) من الاحدثة الجميلة عنه بعدها ثم قال : ولكنى سأضرب لك مثالا لما نحن فيه وتأمله الآن لتذكره فيما بعد . اما شهدت من يغزل الابرسم ويقتله بالمنازل الكثيرة المعلقة بالصنارات على شبيه الصوالجة من الزجاج . قلت : بلى . قال : اما تعلم أن الصانع انما يتعب حتى ينصب هذه الالة وينظمها ثم يكفيه بعد ذلك أن يتبع أذئاب تلك المغازل ويتعاهدها بالقتل ؟ فنحن قد أحكمنا الالة والمغازل دائرة والابرسم ممدود والقتل مستمر به فاذا فارقتا الموضع ابتدأت القوة التي في الدوران تضعف وليس لها من يعدها بحركة فيبتدى في الاسترخاء وتضعف سرعة دوران المغازل ثم تبتدى في

الاتسكات وتنتاب راجعة بعكس ما كانت تدور ثم لاتجد أيضا من يتعاهدها
فيمساقط أولا أولا حتى لا يبقى منها شيء . فكان هذا المثل كان وحيا فانه
ما أخطأ شيئا من صورة ابراهيم بعد خروجهنا وانتهى أمره بعد ذلك الظلم
الذي نظم له الى أن طمع في ملكه حتى انسلخ منه شيئا بعد شيء الى أن أسر
وحبس في بعض تلك القلاع كما سنحكيه فيما بعد ان شاء الله ^(٢٩٥)

و دخلت سنة ست وخمسين وثلاثمائة

وفيها قصد معز الدولة عمران بن شاهين صاحب البطائح وكان قد
صمم على مناجزته وأبى أن يقبل منه صلحا ومالا أو يرضى منه الا بحضور
بساطه . فاتفق ان اعتل من ذرب لحقه وأحس بالضعف فعاد الى واسط
وخلف على عسكره سبكتكين الحاجب وظن انه يتأمل فيما ود واشتدت به
العملة وكان لا يثبت في معدته طعام وأحس بالموت ورجع الى بغداد . وعهد
الى ابنه بختيار عز الدولة وأظهر التوبة وأحضر وجوه المتكلمين والفقهاء
وسألهم عن حقيقة التوبة وهل تصح له فاقوه بصحتها ولقنوه ما يجب ان
يقول ويفعل ^(١) وتصدق باكثر ماله وأعتق ممالিকে ورد شيئا كثيرا من
المظالم ^(٢) وتوفي في شهر ربيع الآخر سنة ٣٥٦ ^(٣) وكانت له أخبار

(١) قال صاحب التكملة : وأحضر أبا عبد الله البصري وتاب على يده وكان مع
أبي عبد الله صاحبه أبو القاسم الواسطي فكانا اذا حضر وقت الصلاة خرجا من الدار
وصليا في مسجد على بابها فمألهما عن السبب في خروجهما فقال أبو عبد الله : الصلاة
في الدار المنصوبة عنها لا تصح . وسأله عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وعن الصحابة
رضوان الله عنهم فذكر أبو عبد الله الله سابقهم وان عليا زوج عمر ابنه أم كانوا رضى الله
عنهم فاستعظم ذلك وقال : ما سمعت هذا قط . (٢) وفي الاصل : الممالك

(٣) قال صاحب التكملة : ومولد معز الدولة سنة ٣٠٣

وأحوال منها أنفاده جيش الماء والديلم الى عمان حتى فتحت له ولم يكن فيها ما يستفاد منه تجربة فطوينها

وكان اتفق عند موته اتفاق حسن لعز الدولة فرأينا أثباته ليكون ممدودا في جملة أمثاله من الاتفاقات العجيبة

﴿ ذكر اتفاق حسن ^(٢٩٦) ﴾

لما مات معز الدولة أُلحَّ المطر ببغداد ثلاثة أيام بلياليها الحاحا شديدا منع الناس من الحركة ولم يتمكن الديلم من اطلاع رؤسهم ومنع سائر الناس من البروز وتردّد النقباء الى رؤسائهم فارضى كل احد بما سكن اليه وانجأت السماء عن سكون الجند ورضاء الكافة . فكتب عز الدولة سبكتكين وسائر العسكر بمصالحة عمران بن شاهين والانصراف عنه الى بغداد فعمل ونقّس خناق عمران . ووصل صاحب الموصل واستقرت الامور بيده

وفيهما وردت الاخبار باقبال جيش قوى من خراسان مع ابن سمجور ليجتمع مع وشمكير

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

لما اعتل أبو علي [محمد] بن الياس وفلج بكرمان وخالفه أولاده وقصده عضد الدولة رحل الى خراسان ولقي صاحب خراسان وبرى بمض البرء وصار نديما له يماشره ويؤانسه فسؤل له قصد ممالك الديلم وأطامه فيها وزعم ان أصحاب جيوشه ليس يناصحونه ويقبلون الهدايا والرشي . فوافق ذلك ما كان يشكوه اليه وشمكير حالا بعد حال فاتصت المكتابة بن وشمكير [وبين] صاحب خراسان وكذلك الحسن بن

الفيروزان الى ان وقمت المعاوضة والموافقة على^(٢٩٧) ان يدبر جميع الجيوش وشمكير . وأخذ صاحب خراسان الى وشمكير والى الحسن بن الفيروزان هدايا كثيرة من دواب وغلان وآلات وسرب اليهما امداد الجيوش مع صاحب جيشه محمد بن ابراهيم بن سمجور وعلى ان يكون الرئيس على الجميع وشمكير . فورد من ذلك على ركن الدولة ما لم يكن في الحساب وعلم ان الامر قد بلغ الناية وليس الا الفصيل فكاتب عضد الدولة يستمدّه الرجال والمعونة وكاتب عز الدولة بمنزل ذلك . فاما عضد الدولة فامدّه بخيل عليها أبو جعفر ابن روزمان وشخص بنفسه الى اصطخر ليسير الى خراسان وسير أحد حجّابه في جيش المقدمة الى طريث وأظهر في عسكره ان جيش خراسان قد ساروا باجمعهم مع لقيف البلدان وغزاتهم الى الري وخراسان خالية وليس دون ملكها شيء واتصل ذلك بالقوم فاحجموا قليلا . واتفق سقوط وشمكير بضربة الخنزير وموته فانتقض ذلك الامر كله .

﴿ ذكر هذا الاتفاق المجيب ﴾

اتفق ان استعرض وشمكير خيله وما قيد اليه من جهة صاحب خراسان فكان في جملها فرس أدهم حسن الصورة فاعجبه وأمر بإسراجه وعزم على ركوبه والتصيّد في ذلك اليوم . فدخل اليه منجمه فنهاه عن الركوب فخالفه فلما أصبح عارضه خنزير قد أفلت من أصحابه وقد رُمي بحربة^(٢٩٨) فثبتت فيه فحمل الخنزير على وشمكير وهو كالهافل فضربه وفرسه فشبّ الفرس وسقط وشمكير على دماغه فخرج من أنفه وأذنيه دم وحمل ميتاً وذلك يوم السبت في أول يوم المحرم سنة ٣٥٧ .

وقد كان يختار عز الدولة اجتمهـد في اخراج سبكتكين مع جيش
كثيف على الرسم فامتنع سبكتكين عليه فلو حشه بذلك واضطرب بختيار
لانه لم يجد من يطيعه في الخروج الى ان اتدب الفتيكين وقد كان يتلو
سبكتكين في المرتبة وأحب أن يظهر في تلك الحالة فضلا وحسن طاعة
للمنافسة التي كانت بينه وبين سبكتكين فضم اليه جيشا وورد الري وقد
استغنى عنه فعاد

﴿ ذكر سوء تدبير بختيار لمملكته ولنفسه حتى فسد جنده ﴾
﴿ وطعموا فيه ثم طمع أعداؤه أيضا فيه ﴾
(وأفضى أمره الى الهلاك)

كان أبوه معز الدولة حين أيقن بالتلف وصاه بطاعة ركن الدولة
واستشارته في كل ما يمرض له من مهم وكذلك بطاعته لابن عمه عضد
الدولة لانه أسن منه وأقوم بالسياسة . ووصاه بأقرار كاتبه أبي الفضل
العباس بن الحسين وأبي الفرج محمد بن العباس فانهما أ كفي من غيرهما
وأعرف بوجوه الخدمة . ووصاه بمداواة الديلم وازاحة عنهم عند أوقات
استحقاقهم ثلثا يخرقوا هيئته بالشغب وطلب الفتن . ووصاه بالاحسان
الى الاتراك فانهم جرة عسكره واذا ^(٢٩٩) رابه من الديلم ريباً أمكنه ان
يقومهم به . ووصاه بعد الاحسان الى الاتراك بكبار الحاشية وصغارهم
وان يجريهم على عادتهم ورسومهم . فخالف هذه الوصايا كلها واشتغل باللهو
واللعب ومماخرة المساكين والمفنين والنساء وأوحش كاتبه وضرب بينهما
حتى استوحشا جميعا منه وطمع في اقتطاعات كبار حاشيته وفي سبكتكين
خاصة وهو صاحب جيشه وكان معز الدولة وصاه بالآ يقطع أسراً دونه

وكان ذا ارب وسمياسة وله رئاسة في العسكر قديمة متمكنة يهابه الجميع
ويطيعونه واحتجب عن عسكره بما ذكرته من الشغل باللعب والعسكر
الدائم . وابتدأ بمناوأة عضد الدولة وذلك انه منع صاحبه المقيم ببغداد من
شرى الدواب وآلات خدمته التي كان يستدعيها وجرت عادته بالتمكن منها
وترك استشارة عمه ركن الدولة في كل ما عرض له . فكان من عاقبة ذلك
ان سبكتكين صاحب جيشه لما أحسن بطمعه فيه وفي نعمته اقتبض عنه
فصلار لا يركب اليه ولا يثق به واقتصر على التراسل على أيدي المتوسطين
وكان لسبكتكين أصحاب أخبار في العسكر وفي دار بختار خاصة وله عيون
وجواسيس من خاصة حاشيته وبطائه فكان لا يخفى عليه شيء من حركاته
(٣٠٠) فضلا عن تدبيره . فاما كتاباه أبو الفضل العباس بن الحسين وأبو
الفرج محمد بن العباس فانهما لما عرفا قصده في افساد نية بعضهما البعض
(فقد كان بينهما قبل ذلك منافسة في المرتبة وتحاسد في النعمة) أخذوا
جميعا أهبة التحرز منه وأخذ هو في الحيلة عليهما حتى أزال باحدهما نعمة
الآخر . ثم قبض عليه باصاغر الخاشية وأداني الحشم ومكّن منهما الاوغاد
والسفلة فاضطربت أحوال المملكة واضطر الى الاستعانة بمن رفعه من
السُّقَّاط ومن لا يكمل للنظر في قرية ولا يصاح للتوسط بين نفسين فضلا
عن العسكر المضطرب فاحتلت أصول أمره وفروعها

وأما كبار الديلم ووجوهم فانه نفاهم عن مملكتهم طمعا في اقطاعهم
وأموالهم وأموال المتصالحين بهم فتبسط أصاغرهم واستلنوا جانبهم وتحالفوا
عليه وطالبوه بزيادة في رسومهم واضطر الى النزول على حكمهم ثم عجز عن
ارضائهم . وأما الأتراك فانهم نظروا الى ما تم للديلم من التحكّم فعملوا مثل

علمهم من الاشتطاط والنسحب والمواجهة بالمخاطبة الفليضة واضطر الى
التدبير عليهم والراحة منهم . وابتدأ بسبكتكين وكان متحرزاً متيقظاً
فما تم له عليه شيء من تدبيراته فتحزب الاتراك وصاروا يداً واحدة .
وتحركت الاحقاد والحفاظ^(٣١) التي كانت في نفوس الديلم على معز الدولة
فبرزوا الى الصحراء مع الاسلحة والجن وساموه ان يثبت من أسقطه
معز الدولة وان يعطيهم أرزاقهم ويعجل لهم رزقه منسوبة الى البيعة غير
محسوبة . فجمع مختار الاتراك الى داره مع أسلحتهم ليعتصم بهم وترك الديلم
في الصحراء ثلاثة أيام فعاظم ذلك وازدادوا تباعداً في الاشتطاط عليه
وفي الاشتداد بالمطالبة الى ان نزل على بعض حكمهم وأعطاهم ثلث رزقه
غير محتسب به

وخير أصحاب الاقطاعات بين الإقامة في أيديهم والتسك بنواحيهم
وبين تعريضهم منها . وأثبت من الديلم الساقطين كل من كان صريحاً في
الديلم أو صريحاً في الجبل دون من اختلط بهم من ليس منهم . فلما تم لهم
ودخلوا البلد اجتمع الاتراك أيضاً على الشغب فخرجوا الى الصحراء
واستدعوا الاصاغر من غلمان الحजर في دار بختيار حتى برزوا معهم وتحالفوا
وتماهدوا ان تكون كلمتهم متفقة . وان ينصر كبيرهم صغيرهم وقوتهم
ضعيفهم وقد كانت اجتمعت لهم أموال مسببة من تلك الزيادات المضافة الى
الاصول التي زادها معز الدولة فطالبوا بتوفيتهم ذلك كله وان يسلك فيهم
سبيل أيه في الاستحجاب والتقويد والتقيب والزيادة^(٣٢) في المنازل
والمراتب . ثم اتفق الديلم والاتراك على الأيماض كل فريق منهم صاحبه
في طلب الحظ لنفسه وتماهدوا على ذلك فقاده الضرورة الى ان ضمن لهم

جميع ما التمسوه وازاحه الملل فيه ولم يتسع لذلك ولا لبعضه فاضطر الى مناظرة وزرائه على الاحتيال لهذا السال والنظر في جمعه من أين كان وكيف كان

وكان أبو الفضل العباس أشد جسارة واقداً من أبي الفرج فضمن ذلك لهم واستعان بكتاب الفارسية شيرزاد بن سُرخاب وكان متبكناً من مختيار قرياً منه بسمع كلامه ويتدبر برأيه وضمن له مرفقا على ذلك ومالا بحمله اليه في كل سنة فسمى له شيرزاد في الوزارة ووعد بها وقيل له « اذا ظهرت كفايتك فيما ضمنته من ارضاء الجند وغيره كانت الوزارة مقصورة عليك » فآخذ في مصادرة الخاشية وألزمهم أموالاً علم انهم يفون بها ولا يُجحف بهم وافتتح الخراج واجتهد حتى وفي الديلم ما ضمن لهم وفرد الاثراك في النواحي لتنجز تسبيباتهم فتم لهم أيضاً ما التمسوه وذلك للجمام الامر وانه كان مبدأ فوجد أموال الخاشية جامة والنواحي في بقايا العمارة ففتى أمره في هذه السنة .

واتصل خبره بابي الفرج محمد بن العباس وهو يومئذ إيمان وكان خرج اليها في حياة^(٣٠٣) معز الدولة وكانت له بها وقائع بين العمانيين حتى استوسقوا له فلما عرف وفاة معز الدولة وطمع أبي الفضل في الوزارة وسمى شيرزاد له فيها لم يلبث ان سلم الناحية الى رجل من أهل عمان يعرف بابن نهبان وأظهر ان الامر ورد عليه بالافراج عن البلد وتسليمه الى صاحب عضد الدولة وأقبل مسرعاً الى العراق فلما قرب منها استقبله أصحاب أخيه أبي محمد علي بن العباس الخازن وكتابه وكتبه يشيرون عليه بالمبادرة وتركه التأخر عن الحضرة قبل ان يتم لابي الفضل العباس بن الحسين تقلد الوزارة

فورد وصار الناس حزينين وطلب كل واحد منهما عثرات صاحبه وخطب الوزارة لنفسه . ثم تمكن أبو الفضل بمعاونة شيرزاد الى ان تمت له الوزارة
(ذكر رأى صواب بنى حمدان رآه ناصر الدولة فخولف)

لما سمع أولاد ناصر الدولة بأضطراب بختيار وسوء سياسته وشغله عن تدبير الملك باللعب والسكر الدائم وشغب جنده وانخراط هيئته هموا باخراج الاموال والانحدار الى بغداد ومقارعه بختيار عن سرير الملك فقل لهم أبوهم ناصر الدولة : لا تجعلوا فلن معز الدولة قد خلف لابنه خيرة من المال يسيرة وسيفرقتها على جنده هؤلاء وسيجذب أيضا كتابه وعماله أيضا من نواحيه ومن مصادرات أسبابه ما أمكنهم ولستم بمستظهرين عليه ولا^(٣٠٤) متمكنين من دولته الا بعد ان تفي بحيله وتخلو يده فاذا كان ذلك الوقت فاندروا اليه وكأروه بالمال وافسدوا عليه قلوب الرجال فانكم تملكونه لا محالة . وكان رأى ما قال فان معز الدولة كان أتلف ماله على البناء الذي أحدثه وعلى الاتراك الذين اصطنعهم وكان مقدار ما خلفه أربعمائة ألف دينار فأخرجها بختيار شيئا بعد شيء عند الضرورات وعند اجتداد المطالبات . وكان كتابه يستقرضون منه لهذه المهمات على ان يردوا العوض عنه ثم لا يتمكنون من الوفاء حتى استقرقت النفقات والنواب جميع ذلك بعد صديدة يسيرة .

واختلفت كلمة بني حمدان فشغلوا عن مشورة أبيهم وكان مبدأ الشر بينهم ان أبا تنطب قبض على أبيه ناصر الدولة لما رآه قد كبر ولم يبق فيه بقية غير سوء الخلق والتفتير على أولاده وعلى حاشيته فلما قبض عليه أصعده الى قلعه ووكّل به من يخدمه ويزيح عنه في حاجاته . فامتنع بعض اخوته

وانتشر النظام الذى كان يجمعهم فثقتهم حفظ ما فى أيديهم عن طلب ما ليس لهم . واحتاج أبو تغلب الى مداراة السلطان وتجديد عقد الضمان والتماس الخلع والمهد والعقد ليحتج بذلك على الجند ويستظهر به على اخوته^(٣٠٥) المخالفين والموافقين فانفذ كاتبه أبا الحسن على بن عمرو بن ميمون حتى أخذ له من السلطان ذلك وبذل لبختيار ألف ألف ومائتى ألف درهم فى كل سنة على الرسم وانصرف الى صاحبه بقضاء حاجاته قرر المين بما تم على يده غير مفكر فى شيء مما كان بهم به .

وفى هذه السنة تلاحق مشايخ الملوك بالموت وتبادوا وكان مدخل القران التاسع فهلك معز الدولة أحمد بن بويه وقبض أبو تغلب على أبيه ناصر الدولة وهلك سيف الدولة^(١) وهلك نقفور ملك الروم وهلك كافور صاحب مصر^(٢) وهلك وشكير بن زيار وهلك الحسن بن الفيرزان وهلك

(١) زاد صاحب التكملة : وحكى ان سيف الدولة لما ورد الى بغداد وقت توزون اجتاز وهو راكب فرسه ويده رمحه وبين يديه عبد له صغير وقصد الفرجة وان لا يعرف فاجتاز بشوارع دار الرقيق على شور بني خاقان وفيها فتيان فدخل وسمع وشرب معهم وهم لا يعرفونه وخدموه . ثم استدعى عند خروجه الدواة فكتب رقعة وتركها فيها ثم انصرف ففتحوا الدواة فاذا فى الرقعة « الف دينار » على بعض الصيارف فتهيجبوا وسعوا الرقعة وهم يظنونها ساذجة فاعطاهم الصيرفي الدنانير فى الحال والوقت فمالوا عن الرجل فقال : ذاك سيف الدولة بن حمدان . (٢) وزاد فيه أيضا : قال أبو جعفر مسلم بن طاهر العلوي : ما رأيت أكرم من كافور كنت أسأله يوما وهو فى سوكب خفيف مؤيد منبرها وبين يديه غلمان وعدة جنائب يراكب ذهب ومراكب فضة وخافه بالاوكل والفرس كما تكون الملوك فسمعت مفرغه من يده ولم ترها ركابته فزلت من دأبى وأخذتها من الارض ودفعها اليه فقال : يا أبا جعفر أعوذ بالله من بلوغ الغاية ما ظننت ان الزمان يطفئ الى ان تفعل هذا . ثم ودعنى فلما مرت انفت

أبو على محمد بن الياس وجماعة أمثالهم وبقي ركن الدولة من بينهم وغير إلى أن استوفى أجله^(١).

﴿ ودخلت سنة سبع وخمسين وثلاثمائة ﴾

ذكر ما دبر كل واحد من الكاتين في خطبة الوزارة

وسمي كل واحد منهما على صاحبه

قد ذكرنا ما كان من أبي الفضل العباس بن الحسين من تمشيته للأمور في السنة التي مد يده فيها إلى الحاشية وما وجده في النواحي وما تأول به على العمال حتى أرضى الجند . فاستطال على بختيار وانطلق لسانه وزعم أنه قد أظهر الكفاية التي وعده بها وذكر أن دخل المملكة يمجز عن خرجها وأنه أن قلد الوزارة جبر هذا المعجز وقام بالامر كما قام به^(٢٠٦) في تلك السنة وضمن لشيرزاد إذا تم له الوزارة مآلاً . وشخص إلى الكوفة لتقرير أمور المقطعين بسقى الفرات فاجتهد له شيرزاد في الوزارة حتى أنعم له وبلغ أبا الفرج ذلك فشمع عن ساقه في فسخ نية بختيار وزعم أن الذي ذكره أبو الفضل^(٢) من عجز الدخل عن الخرج لاحقيقة له وأن الأموال التي استخرجها ومشي بها الأمور إنما كانت من مصادرات الناس ومن بهايا في النواحي وأنه لم

فاذا خافني البغال كلها والجنائب فقلت : ما هذا ؟ فقالوا : أمر الاستاذ أن يحمل هذا البيلك فاصخلته دارى . وكانت قيمته زيادة على خمسة عشر ألف دينار (١) قال صاحب التسلية : وفي شهرين هذه السنة خلع على القاضي أبي محمد ابن معروف ، وولى القضاء بالحلب الغربي وخام على ابن سيّار وقد القضاء بالحلب الشرقي . وقد أيضا في ترجمة سنة ٣٥٩ : وفي شهر ربيع الاول صرف القاضي أبو بكر ابن سيّار عن القضاء في حرم دار الخلافة وتولاه أبو محمد ابن معروف . وفي رجب سنة ٣٦٠ قلد ابن معروف قضاء القضاء . وكان وفاة ابن سيّار سنة ٣٦٨ (٢) في الاصل أبا الفرج

يؤثر أثرا ولافتح فتحا ولا أستحق من المراتب ما لا يستحق مثله واتصل
ذلك بأبي الفضل فوافى من الكوفة ركضا وجرت بينهما مناظرات استقرت
على أن يعمل كل واحد منهما عملا لاصول الارتفاعات وما ينضاف اليها
وعملا لاصول النفقات الراتبية وما ينضاف اليها من الحوادث لتعرف الصورة
فيما اختلفا فيه ولازما الديوان مع كتابهما حتى ارتفعت هذه الاعمال .
فاما أبو الفرج محمد بن العباس فانه أورد في عمله اصول العقود على غيرها
وأبوابا ينكسر بعضها ثم خفف النفقات الحادثة وحذف الاستظهار لها حتى لم
يظهر العجز وقام الدخل بالخرج . وأما أبو الفضل فانه وضع من الاصول ما
نسبه الى المنكسر وما ينظر به للضمناء واعتد بالزاجي دون التاوي^(٣٠٧)
واستظهر في تقدير النفقات الحادثة وزاد في مبالغه حتى أوجب في عمله عجزا
في الدخل عن الخرج . ثم حكى في عمله انه يقيم وجوها لهذا العجز وانه
ان بقيت منه بقية نقلا في كل سنة الى التي تليها على الرسم الجاري في ذلك .
وتقابلا على حسابهما وتناظرا على الخلاف بينهما ووقف الكلام بين المتوسطين
وفيهما شيرزاد على ابطال الوزارة والتراضى بالاشتراك في الكتابة . ثم جد
شيرزاد سرا في أوقات خلواته ببختيار في السعي لابي الفضل وبذل عنه لبختيار
مالا على سبيل الهدية وأعلمه أن فيه اقدا ما وبسالة يحتاج اليهما في الوقت
وانه ذو مال ويسار يزيد على مال أبي الفرج اضمافا وانه ذو حيلة وتأول
وبطش وأبوالفرج صاحب نقشف وتوقف وتعمد وأن الامر بمنزله لا يمشي
فلم يزل بهذا واشباهه حتى أمضى بخيار العزيمة
وقلد أبا الفضل الوزارة وخلع عليه القباء والسيف والمنطقة المحلين بالذهب
وحمله على فرس بمركب ذهب وأقطعه اقطعا بخمسين الف دينار على رسم

الوزراء وضم اليه عددا كثيرا من الديلم على رسوم الوزراء . فصار اليه أبو الفرج مسلما وأظهر الامتناع من العمل وكره^(٣٠٨) أبو الفضل ذلك لانه أحب أن يجرى على رسمه في تقلد الديوان ليشمله عن تتبعه والطنن عليه وأيضا ليراه بمن من يمدو ويروح اليه وينحط عن رتبة المساواة التي كان فيها الى رتبة الاتباع . وكره أبو الفرج جميع ذلك فخوطب فيه وأعلم أنه (ان) لم يصبر على هذه الحال والقناعة بها انقطعت العلائق بينه وبين صاحبه بختيار ونصب للديوان غيره ثم يكون مطرعا بعرض النسيبة وربما تأدى الامر الى أكثر من ذلك من تسلط أعدائه عليه وانبساط أيديهم فيه وفي أعزته فاستجاب الى عمل الديوان واستوقف بتقليده اياه وخلع عليه الدراعة على رسم الكتابة . وكان مما وفره أبو الفضل في وزارته أقطاعات استرجعها من قوم مثل أبي الفتح أخى عمران بن شاهين ومثل أبي عبد الله الايسر المعروف بالجلب ثم تجرد للاهواز ومحاسبة آذاذرويه وكتابه

واتفق في وزارته ان أظهر الحبشى بن معز الدولة عصيان أخيه وطمع في البصرة والتفرد بها

﴿ ذكر السبب في عصيان الحبشى وتمكن أبي الفضل منه ﴾

(وحصول أمواله وذخائره وأسبابه له)

لمساتوفى معز الدولة احتوي على الحبشى ابنه بالبصرة جماعة من حاشيته وجند البلد وأطمعوه في البصرة وأقاموا في نفسه أن المال الذى يرتفع من البصرة ينصرف معظمه الى الجيش^(٣٠٩) المقيمين بها وباقيه مصروف الى تقفاته وليس يبقى بعد ذلك الا ما لا يستكثر أن يجعل حظه من ميراث أبيه وينفى عنه . ثم أوهموه مع ذلك ان أخاه بختيارا لا يتمكن من الوصول

اليه مع حصاتها لوهم بذلك فابتدأ يستبد بالاموال والامور ويستولى على
العمال ويتعيفهم . وكان مغيظا على عامل البصرة الحسين بن الحسن المسكنى أبا
طاهر فعمل على القبض عليه والتشفي منه وازالة الحشمة فيه ونفى الخبر الى
العامل فهرب الى الحضرة . وكتب الحبشي في أثره الى بختيار يذمه ويطن
عليه وينسبه الى الخرق والجهل وأنه لم يخف شيئا أنكره ولكن قصد التشنيع
وذكر في الكتاب أنه قد تقدم بحفظ الاعمال والاموال الى أن يعود فيجري
على رسمه في التدبير لها . ثم سأل في هذا الكتاب أن تسلم اليه المدينة ويخلى
بينه وبين تديره وأن يوافق على ارتقاعه ويحتسب له بنفقاته التي تخصه
وباموال الجند المقيمين بحضرته وان بقيت بقية سبب عليه ليزيح العلة فيها
فاجابه بختيار بالتصديق لقوله ووعدته أن يعمل بمحبته . ثم زاد بتسط الحبشي
حتى كان يشرق الامر ويظهر الخلاف وكتب اليه بختيار بالتأنيس والاستمالة
والمعاطبة اللطيفة^(٣١٠) وأعلمه أن وزيره العباس بن الحسين شاخص الى الاهواز
وأنه سيراسله منها ويبلغ محابه في الامور التي التمسها . وندب وزيره العباس
للشخص وأمره بالحيلة عليه حتى ينزع البصرة من يده اما مكرأ وخديعة
واما حربا ومكاشفة فاستخلف أبا العلاء صاعد بن ثابت النضراني بالحضرة
وانحدر وأخذ معه أبا الفرج محمد بن العباس صاحب الديوان وأبا سهل
ديزويه العارض وجرد معه عسكرا وأزاح عنته في السلاح والجن والآلات
سرا . فلما وصل الى واسط أقام بها شهرا ونظر في أمورها ومصالح أعمالها
ومظالم أهلها وأظهر أنه راحل الى الاهواز وكتب الى ليلى بن موسى
فياذبه وكان بالاهواز يأمره بالاستعداد لقصد البصرة والمسير الى بيان وقدم
جديدياته وسفته على أن فيها أقاله وكانت مملوءة بالسلاح وأمر أصحابه

المنحدرين فيها بأن يتجاوزوا الابلّة ولا يدخلوها ويقصدوا بيسان ويظهروا أنهم يحملون ما معهم الى الاهواز على طريق حصن مهدي وحدر الطيارت والزبازب تفاريق . وكتب الى أحمد بن محمد المعروف بالطويل بأن يصير الى بيان وكان يتقلد حصن مهدي وأن يحفظ هذه الآلات واطلمه على التدبير . وكتب الى الحبشي بن معز الدولة ^(٣١١) من واسط بأنه يفعل كل ما يوتره ويهواه ويتعهد عليه بأن مصيره عاجلا الى الاهواز ليستدعي كاتبه اليها ويوافق على ارتفاع البصرة ويسلمها اليه وأوفاً في آخر الكتاب الى التماس صلح ^(١) منه على ذلك ويقول في جملة تعريضاته « أنه قد التزم عن الوزارة غرماً ثقيلاً » ويستلّه معونة بما يحمله اليه فسكن الحبشي الى قوله ووعدته وحمل اليه عاجلاً مائتي ألف درهم ولم يشك أنه قد اشترى بها منه البصرة فلما وصلت اليه أتقدها الى بختيار . ورحل كأنه يريد الاهواز الى الخويزة ونهر العباس ثم عدل عنها الى نهر البصرة وكان للحبشي رسل قد أتقدهم بالطيار ليكاتبوه بخبره فأرسلت الاطيار اليه بخبره فثار الحبشي وهاج ولم يملك نفسه وأظهر المنابذة والخلاف . واستوحش من كان بالبصرة مقبياً من الفلمان الاثراك في تسبيحاتهم فهربوا الى بيان فصادفوا بها عسكرياً قويا مع ايلي بن موسى فياذه وأحمد الطويل فانضموا اليهما وكانت قد حصلت الزبازب عندهم والملاحوز والجن والآلات والسلاح . وأخرج الحبشي عسكريه الى الابلّة ورتب غلماناً وأثبت من عشائر العرب قوماً رتبهم على أفواه الانهار وقلد حاجبها تركيا يقال له بكتيجور ^(٣١٢) رياسة عسكري الماء وجعل اسفهلار الديلم في عسكر الظهر صملوك بن باطاهر ^(٣) أحد وجوه قواد

(١) يبقى مرفق كذا في التكنة وفي النسخة التي في إكسفر د (٢) كذا في الاصل

البصريين . فلما ورد الوزير أبو الفضل عسكر أبي جعفر وجه الى ليلى بن موسى فياذة والى أحمد الطوبل ومن معهما يأمرهم ان يشحنوا تلك الزبازب والطيارات بالرجال والسلاح وبصعد اليه على تمية من جانب دجلة الشرقي المعروف بالفرات ولا يمربوا في طريقهم الى الابله ولا يقاتلوا أصحاب الحبشى ولا يهيجوهم الى أن يصلوا اليه فيضيف اليهم من معه من الخواص والغلمان وقد كانوا مستقلين بنفوسهم ومن حصل عندهم من الاتراك الذين هربوا اليهم من البصرة وأقام ليلته يتنظروهم وتعذرت الميرة عليه وانقطعت المادة عن عسكره وتخير في أمره حتى لو تأخر الفتح يوما لما أمكنه المقام ولاحتاج الى الرحيل فتكون هزيمة عليه . فلما كان الغد أصعد ليلى بن موسى والجماعة على أهبة وتمية وعملوا على امثال الامر وترك التعرض لمن في طريقهم من أصحاب الحبشى فلما جازوا الابله خرج أولئك نحوهم وبدأوهم بالحرب فعدل حينئذ ليلى بن موسى ومن معهم اليهم وواقموهم وغرقوا عدة من زبازبهم واستأمنت عدة أخرى وهرب بكتيجور صاحب الحبشى ناجيا^(٣١٣) بحشاشته واشتملوا على بقية عسكر الماء . ثم طعموا في الظهر فتقدموا الى الديلم هناك وقاتلوهم ساعة ثم تهباً لطائفة انصعدوا الى شاطئ الابله وصاروا في ظهورهم فاضطربوا وانهمزوا وقتل منهم نفر وانهمز قوم واستأمن آخرون وملك الابله .

وأنفذ ليلى غلاما له في بعض الزبازب الى الوزير أبي الفضل مبشرا بالفتح فالتمس السفن والزبازب وعبر الى قرية فوق الابله وعسكر بها وكتب الى الحبشي يشير عليه بالخروج الى الاهواز فالتمس منه الامان والتوثيق فآمنه على النفس والولد والحرم وتوقف عن ذكر المال والحال فتنبه الخياني

على ذلك وترددت فيه الرسل فلم يسكن ولم يخرج . فعبي الوزير أبر الفضل
عسكره وزبازبه وزحف الى البصرة وملك منها الموضع المعروف بالسيالجة^(١)
ولم يزل ينفذ اليه رسولا بعد رسول من شجعان الاتراك والديلم وبأمرهم
أن يقيموا عنده ويتوكلوا به ولا ينصرفوا بالجواب الى أن أحاط به منهم
بضعة عشر رجلا بالسلاح ثم أنفذ أباسهل ديزويه العارض في طائفة وافرة
من العسكر فدخلوا اليه وأخرجوه اخراجا بين الجميل والقبيح وحمل معه
أهله وولده وما خف من ماله وجواهر كانت له فلم يوصله الوزير^(٢) اليه
وامر بأن يسلم الى أحمد الطويل ليصير به الى حصن مهدي ففعل ذلك وأقام
هناك معتقلا أياما ثم حمل الى الاهواز وبقي مدة أخرى ثم الي رامهرمز
واعقل بها اعتقالا جميلا ثم أزيل التوكيل عنه وحمل الى عمه ركن الدولة
بحديث يطول ولا فائدة في ذكره ثم حصل عند عضد الدولة فأقطعه أقطاعا
يسعه ومن ماله وأمره أن يحصل بسابور وهي كورة من كور فارس نزهة
كثيرة العيون والاشجار والصيد فأقام بها الى أن توفي في آخر سنة ٣٦٩

وملك الوزير أبو الفضل البصرة عنوة وأنفذ اليه بختيار خلعاً جليلاً
فلبسها وركب فيها ونصبت له القباب فانبسطت يده وقوى سلطانه وصادر
أصحاب الحبشى وكتابه وحاشيته ومعاليمه وارتجع منه ما كان حمله معه من المال
والجواهر واستخرج من الاموال شيئاً كثيراً وظفر بجزائره كلها فسكران في
جماعتها خزانة كتبه وفيها خمسة عشر الف مجلد سوى الاجزاء والمرس^(٣) وغير

(١) في نسخة ١ كسفر بالسباحية » (٢) كذا في الاصل وعند ابن الاثير .

وفي القاموس المهرس قال صاحب تاج العروس يقال مصحف مشرز ومسررس المشرز

المشردد بعضه الى بعض المضموم طرفاه فان لم يضم طرفاه فهو مرسس إسبنين

المجلد ووجد له من خزائن الاسلحة والفرش والسياب الفاخرة والآلات شيئا يستكثر لمثله فحمل ذلك كله الى بختيار وقلد بختيار ابنه المرزبان البصرة وسنه ثمان سنين^(٣١٥) واستكتب له أبا الفناهم المفضل بن أبي محمد المهلبى وهو خال ولد الوزير أبي الفضل .

وفي هذه السنة ظهرت دعوة بين الخاص والعام يدعى فيها الى محمد بن عبدالله القائم من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل انه الرجل الذى ورد بذكره الخبر وانه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويجهاد أعداء المسلمين ويجدد ما عفا من رسوم الدين فتطلعت اليه نفوس العامة وجعلت دعائه يأخذون البيعة على الرجل بعد الرجل فمن كان من أهل السنة قيل له انه عباسى ومن كان من أهل التشيع قيل له انه علوى وكتبت عنه رسالة على عدة نسخ وطرحت فى المساجد والمحافل يدعو فيها الى مثل ما حكيناه عنه فحصلت نسخة منها عند الوزير أبي الفضل فى أول وزارته فتقدم باذكاء العميون على الطائفة الخائضة فى هذا الباب والقبض على من يوجد منها ثم انحدروا قبل ان يظفر بأحد منهم وتقدم الى خليفته أبي الملاء صاعد بن ثابت بالجند فى طلبهم . فلما نظر فى ذلك وجد جماعة من وجوه الكتاب وأماثل الناس قد دخلوا فى هذا الامر وبايعوا الدعوة اليه وكذلك وجدوا خلقا كثيرا من الديلم والأتراك والعرب^(٣١٦) قد بايعوه وكان فيهم سبكتكين العجمي أحد اكابر القواد قواد معز الدولة ممن قاد الجيوش وتقلد الاعمال وكان شجاعا مطاعا جوادا نازلا عند الأتراك بمنزلة من لا يخالف فى الرضاء والسخط وكان يتشيع وقيل له ان الرجل علوى وانه يقلدك أمرة الامراء فاستجاب واستفحل أمر القوم

﴿ ذكر السبب في اضمحلال أمره حتى ظفر به وبأسبابه ﴾
(ودعائه وجميع من دخل معه في بيعته)

كان هذا الرجل محمد بن المستكفي طراً الى مصر فتقبله كافر الاخشيدى الخادم واحسن اليه واجري عليه رزقا سنيا فكتب جماعة من أصحابه بالدعاء اليه بجرى أمره كما حكيناه ^(١) فلما كثر المستجيبون له وهم لا يعرفونه وتقووا بمكان سبكتكين العجمي كاتبوه بالحضور وكتب اليه سبكتكين : انى أقوم لك بالامر . فورد هيت وهو لا يشك ان الامر مستقر له ومستتب على ارادته . وخرج سبكتكين العجمي وكان يتقلد حماية طريق الفرات الى الانبار وأظهر للسلطان انه ينظر في مصالح عمله فلقاه وترجل له وأكرمه ثم أدخله البلد مستترا وانفذ اليه فرشا فاخرا وثيابا نفيسة وطعاما كثيرا وشرايا . وعمل على ايقاع حريق وفتنة في ليلة النيزوز المعتضدى لتشاغل الناس بذلك ويهجم على بختيار ويوقع ^(٢١٧) به وواطأه على ذلك خاق من الجند فظهر له قبل النيزوز انه عباسى وليس بعلوي فتغيرت نيته وتصوره بصورة المحتال وواجه بمض أوائك الدعاة بذلك وأعلمه أنه كذاب مموه وتماقل عن نصرته وأظهر الندم . وخاف محمد بن المستكفي أن يقبض عليه وأحس أصحابه ودعائه بذلك فاستوحشوا وتفرقوا فبعضهم هرب الى ناحية السواد وبعضهم أمعن في الهرب وعرف السلطان خبرهم فكتب العمال بالتيقظ

(١) قال صاحب تاريخ الاسلام : فلاذ به جماعة وأطعموه في الامر فقالوا : ان رسول الله صلعم قال « المهدي من يعدي يواطي اسمه اسمى واسم أبيه اسم أبي » وان أنت ندمت بنداك بإيمك الدليم . ومن يأموه أبوا القاسم اسمعيل بن محمد المعروف بزنجي وترتب له وزيراً .

في طالبهم واذكاء العيون عليهم فظفر ببعضهم فامر بتقريره بالسوط فاقر على جماعة أخذوا ولم يزل التتبع يقع حتى حصل محمد بن المستكفي وأخوه فاوله بختيار اليه واستشرحه الامر فشرحه بعد أن آمنه على نفسه . فالتمس المطيع لله من بختيار أن يسلمه اليه مع أخيه فأبي عليه ودفع عنه وقال : قد آمنت . فبذل المطيع لله لهما الامان على النفس فلما حصل الجميع في يده تقدم بجذع أنف محمد بن المستكفي وقطع أنف أخيه وجبهما مدة ثم هربا وخنفي خبرهما ووقع الاستعصاء على كل من دخل في بيته فصوروا وأدبوا ضروب التأديب^(١) ولم يقع الاقدام على سبكتسين العجمي ولا على أحد من وجوه الجملة وإنما خوطب سبكتسين خطابا خفيفا فجنح في الجواب الى الانكار وأغضى عنه وعن الجند^(٢١٨)

وفي هذه السنة صفت كرمان لعضد الدولة وملكها وفتح قلعة بردسير وهي خزائن أبي علي ابن الياس التي جمع فيها ذخائره على مر السنين من الاموال والجواهر والامثلة الفاخرة

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان أبو علي ابن الياس لما عاود كرمان بعد ابراهيم بن كاسك جرى مجرى بعض المتصمكسين وآمن ناحية عماد الدولة على بن بويه لما ذكرناه فيما تقدم فشارك اللصوص وصعاليك الققص والبلوص فحصل عنده على طول السنين

(١) قال صاحب تاريخ الاسلام : ثم جدع أنفه وقطع شفته العليا وشجمة أذنيه وسجن بدار الخلافة وكان معه أخوه علي وانهما هربا من الدار في يوم عيد واختاطا بالناس ومضيا الى ما وراء النهر وروى بهراة شيئا عن المتنبي من شعره وله شعر وادب ومات بخراسان خائلا بعد .

من جهتهم مال عظيم في القلعة التي وصفناها . ولما مات علي بن بويه عماد الدولة وترعرع عضد الدولة فناخسره كان في نفسه من هذه القلعة مالا يظهره فلما استوحش اليسع بن محمد بن الياس من أبيه صار الى عضد الدولة وأقام عنده حتى أصبح له نية أبيه وعاد اليه فوعده بولاية المهدي ورياسة العسكر . ولما كان في هذه السنة وقم القفص على قافلة عظيمة وغنموا أموالا عظيمة للتجار فخرج اليهم محمد بن الياس يطلب نصيبه من غنيمتهم فأصابه في الطريق علة الفالج ورُدَّ الى منزله واستمرت به العلة فجمع أكابر أولاده وهم ثلاثة اليسع وسليمان والياس فخطبهم بما ظن انه يجمع كلمتهم واعتذر^(٣١٩) الى اليسع من النبوة التي سبقت منه حتى فارقه ثم جمع اليه تدير عسكره وولاية عهده ومن بعده الياس فاما سليمان فانه أشار عليه بان يرجع الى بلده وهو الصغد وأظهر له تذكرة فيها ثبت دفائمه وودائمه هناك وأراد بذلك إبعاده عن اليسع لعداوة كانت بينهم فأظهرت الجماعة قبول أمره والانهاء الى رأيه . وشخص سليمان نحو الصغد بما قسمه له فلما صار بظاهر المدينة عدل عن ذلك السمى وقصد القفص وطلب منهم ذلك القسم الذي كان أبوه شخص لتسلمها فتم له الوصول اليه وأخذ منهم مالا جليلا واستضم الى نفسه جماعة منهم ليقوى بهم ثم عاد الى السرجان وكان يتولاها من جهة أبيه . فلما بلغ أباه ما صنع غضب من مخالفته إياه واعتاظ منه فامر اليسع بطابه وقواه بالرجال وقد كان العسكر مطيعين له وأمره أن يضطره الى الخروج الى الصغد أو معاودة حضرته ليقبض عليه ووصاه ان يخرج نحو الصغد أن يخلى له الطريق ولا يتبعه . فخرج اليسع الى السرجان وتحصن سليمان منه واقتلا أياما ثم استظهر اليسع فخلع سليمان جميع ما كان حصل له وخرج من باب من أبواب المدينة قاصدا

(٣٢٠) خراسان فتركه اليسع امثالاً لآمر أبيه وعاقب جماعة من أهلها الذين كانوا عاونوا سليمان عليه ثم صفح عنهم

﴿ ذكر اضطراب أمر اليسع مع أبيه حتى استبدل به وما آل ﴾
(اليه امره حتى أخرج أباه الى خراسان مكرها)

كان في جملة محمد بن الياس رجل يعرف بعبد الله بن مهدي ويلقب بدسويته شديد الغلبة عليه والتمكن منه ويذنه وبين اليسع وحشة متأكدة. فخافه على نفسه فاجتمع مع اسراييل المتطبب وكان أيضا مكيئا عنده ومهندس يدان معه يقال له المرزبان على إفساد نية أبي علي ابن الياس على ابنه اليسع وشككوه فيه وحرکوا ما كان في نفسه قديما منه وأشاروا عليه بان ينقض ما عقده له من تدبير جيشه ويجعله لحاجب من حجابيه يقال له ترمش ليكون الامر غير خارج عن يده مادام حيا وليكن غلامه صاحب جيشه فيتصرف معهم على رأيه فقبل منهم هذا الرأي وكتب الى اليسع بان ينكفي اليه واستدعاه الى القلعة وكان لا يصعدها الا وحده دون كل أحد على رسم القلاع . فلما حصل عنده وليس فيها الا هو وهؤلاء الثلاثة ونفر من ثقات أصحابه وجماعة حرمة وجواريه قبض عليه وقيده وفوض أمر الجيش الى ترمش الحاجب فلم يجتمعوا عليه ولا رضوا به . فمشت الادة (٣٢١) اليسع الى الادة الياس وقالت لها : ان صاحبنا كان عقدا لولدنا عقدا هو الصواب لكنه قد اختل عقله وعزب رأيه بهذه العلة وغلب عليه هؤلاء الثلاثة وتم لهم على ابني ما سيتم مثله على ابنك وحينئذ نخرج هذه المملكة عن آل الياس وتنقل اليهم والي من نصبوه (يعني ترمش الحاجب) والصواب أن تساعدني على

تخليص ولدى ليكون الامر جاريا مجراه الاول فساعدتها وقبلت رأيها .
 وكان ابن الياس ربما أغنى عليه في علته فاتفقت المراتان على أن جمعنا
 الجوارى وكان عددهن كثيراً وقصدن عبد الله بن مهدي بسوية لبوة من به
 فاتفق له ان أفلت وهرب واستنقذن اليسع وعالجن قيده فلم يكمن لكسره
 وخشين فوت الامر فاتخذت له أمه حبالا متينة من ثياب دياج حتى تدلي
 من القلعة الى الارض لانها لم تتمكن من اخراجه من باب القلعة فلما حصل
 في الارض رآه بعض الجند فكسر قيده وأعطاه دابته فركب وتوسط العسكر
 فاستبشروا به وعادوا الى طاعته وخدمته . وهرب ترمش الحالب وجمع
 اليسع الجيش ليسير بهم الى تحت القلعة ويحاصرها ويتغلب عليها وكان الشيخ
 في جميع ذلك ^(٣٢٢) مغنى عليه لايقل شيأ مما جرى فلما أفاق بن غمرته
 وعرف الصورة راسل اليسع واطلع عليه وسأله أن يكف عنه ويؤمنه على
 نفسه وحرمة ومن معه حتى يسلم اليه القلعة مع جميع أعمال كرمان ويرحل
 الى خراسان ويكون عوناً له هناك متى احتاج اليه . فأجابته ابنه الى ذلك ومكنه
 من جميع ما أراد فاحتمل مائة وقر من المال والثياب والجوهر وفاخر المتاع
 واستصحب ثلاثمائة غلام من غلمانته وما احتاج اليه من الآلات والكرراع
 وشعث القلعة وأحرق بقية ما كان فيه من الآلات والكسوة ورحل فلم
 يؤاخذه اليسع بما فعل بل احتمله ووفي له بالامان الذي بذله له وتركه حتى نفذ
 الى مقصده . وتسلم اليسع القلعة وظفر بأولئك النفر الثلاثة وسامهم الي كاتبه
 ومدير أمره أبى نصر محمد بن اسمعيل البعي وأمره بمطالبتهم فاستخرج
 منهم مالا عظيما . وتلف اسرائيل الطيب ثم وجهه للعروف يسويه كتابا
 كتبه الى خراسان فيه الاغراء به والذم له وكان قد عفا عنه فأعادته الى العقوبة

حتى هلك فيها

وابتداً فناخسره عضد الدولة في نخيب رجال ابن الياس فاستأمن اليه أكثر الديلم والأتراك وكان حينئذ أبو علي ابن الياس بخراسان يطعم صاحبها في مملكة^(٢٢٣) الديلم فكان من عاقبته ما شرحناه من موت وشمكير وغير ذلك . وتفرغ عضد الدولة لقصد كرمان ودس الي كل من له رأي أو نجدة من خبيته وأصلح قلبه له ثم توجه اليها فافتتحها ودخلها في شهر رمضان سنة ٣٥٧ واستولى على جميع أعمالها وملك قلعة بردسير وهي عظيمة فيها عدة قلاع متصلة بعضها ببعض وانهمز اليهم الي خراسان وصادف وصول اليهم الي خراسان موت والده فاحتوى صاحب خراسان على ماسلم معه من بقية ماله وكرامه . ولما تمّ عضد الدولة فتح كرمان واتصل خبره بصاحب سجستان كاتبه وترددت بينهما الرسل حتى صالحه وخطب له وهو أبو أحمد خلف بن أبي جعفر المعروف بابن بانويه . وأتقذ الي عضد الدولة من الحضرة ببغداد عهد الخليفة وخيامه من الطوق والسوارين والعقد على أعمال كرمان كلها فقلد عضد الدولة هذه الاعمال أكبر أولاده أبا الفوارس شيرزيل واستخلف له عليها كوركيز بن جستار وكان وجه قواد عسكره وانصرف الي شيراز^(١)

(١) وزاد في ترجمة هذه السنة صاحب تاريخ الاسلام : وفي ذى القعدة أقبل عظيم الروم نقفور بجيوش الي الشام فخرج من الدرب ونازل انطاكية فلم يانفتوا اليه فهددهم وقال : ارحل وأخرب الشام كله وأعود اليكم من الساحل . ورحل في اليوم الثالث ونازل معرة مصرين فأخذها وغدر بهم وأسر منهم أربعة آلاف ومائتي نسمة ثم نزل على معرة النعمان فأحرق جامعها وكان الناس قد هربوا في كل وجه الي الحصون والبراري والحيايل المنيعه ثم سار الي كفر طاب وعشيز ثم الي حماة وحصي فخرج من يقي بها

﴿ ودخلت سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ﴾^(٣٢٤)

وفيها استأمن حمدان بن ناصر الدولة الى بختيار ودخل الى مدينة السلام

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان ناصر الدولة قلد حمدان ابنه الرحبة وسوَّغَه ارتفاعها وكان أبو

فأمنهم ودخلها فصلى في البيعة وأخذ منها رأس يحيى بن زكريا وأحرق الجامع ثم سار الى عرقة فافتتحها ثم سار الى طرابلس فاخذ ريفها وأقام في الشام أكثر من شهرين ورجع فارضاه أهل انطاكية بمال عظيم . وقال أيضا : ووصل ملك الروم لعنه الله الى حمص وملها بالامان وخافهم صاحب حلب أبو المعالى ابن سيف الدولة فتأخر عن حلب الى بلس وأقام بها الامير قرعويه ثم ذهب أبو المعالى الى ميفارقين لما تفرق عنه جنده وصاروا الى ابن عمه صاحب الموصل أبي تغلب فبالغ في اكرامهم ثم رد أبو المعالى الى حلب فلم يمكن من دخولها واستضعفوه وتشاغل بحب جارية فرد الى سروج فلم يفتحوها له ثم الى حران فلم يفتحوها له أيضا واستنصر بابن عمه أبي تغلب فكتب اليه بمرض عليه المقام بنصيبين ثم صار الى ميفارقين في ثلثائة فارس . قتل ما يده ووافى الروم الى ناحية ميفارقين وارزن يسيثون ويقتلون وأقاموا يلد الاسلام خمسة عشر يوما ورجعوا بما لا يحصى .

وكان الحج في هذا العام ضعيفا الى الغاية لما لحقهم من العطش والقتل مات من حجاج خراسان فوق الخمسة آلاف وقيل بل ثلاثة آلاف بالعطش فلما حصلوا بمكة خرج عليهم الطليحيون والبكربون فوضعوا في الحجاج السيف وأخذوا الركب بما حوى ولم ينج من مصر ولا الشام أحد . وكان حجاج المغرب خلافا فرجع معهم خلق من التجار فأخذوا فيقال أنه أخذ لتجار فيها متاع بنحو مائتي الف دينار فانا لله وانا اليه راجعون .

وفي آخر السام جاءت القرامطة من البرية وتوَّثبوا على دمشق فلكوها وساروا الى الرملة فالتفاهم الحسن بن عبيد الله الاخشيدى فجزمهم ثم قاتلوا أهل الرملة أشد قتال واستباحها بعد يومين ثم ان أهلها دافعوا عن نفوسهم بمائة الف وعشرين الف دينار وسبوا من أعمال الرملة عشرة آلاف نسمة وعزموا على قصد مصر ليلكوها فجاء البيديون فاخذوها وقامت دولة الرض في الاقاليم المغرب ومصر والعراق وغير ذلك

تغلب وأخوه أبو البركات وأختها المسماة جميلة بني زوجته فاطمة بنت أحمد الكردى وكانت مالكة أمر أبيهم فاستولي أبو تغلب على مالها وأموال ناصر الدولة وقلاعه وكانت هي مدبرة جميع ذلك وتطابقت الجماعة على الشيخ وغلبوه على جميع ذلك ولم يكن له بهم طاقة لتناهيه في الكبر والضعف فابتدأ يدبر القبض عليهم وكاتب ابنه حمدان ليستظهر به ويعتمده فيما هم به فظفروا بكتابه هذا ولم ينفذوه وزاد ما بينهم شروقا وانفراجا حتى خافوه ودخل معهم في الخوف كاتبه وأكابر غلمانه الذين تابعوا أبا تغلب فاجتمعوا وقبضوا عليه ليلا وحملوه الى القلعة . واتصل ذلك بحمدان فامتعض لايه وكان عدواً مبايناً لاختوته هؤلاء . وهو أشجع أولاد ناصر الدولة وأفرسهم وكان قد سار عند وفاة عمه سيف الدولة من الرحبة الى الرقة فملكها ثم سار من الرقة الى نصيبين . واستفر على أبي تغلب من أطاعه ^(٣٢٥) من أهله واخوته وجندهم وطالهم بالافراج عن أبيه وردّه الى منزله وأمره فتوجه اليه أبو تغلب فانهزم حمدان من بين يديه قبل اللقاء وتحصن بالرقة ومنها في الرفاقة ونازله أبو تغلب عليها طويلا ثم اصطالحا على ذحل وعاد كل واحد منهما الى موضعه

وعاش ناصر الدولة شهورا ومات في سنة ٥٨ واستعمل أبو تغلب وعماله كل قبيل مع حمدان في ضياعه وأملأه وطرد عنها وكلاؤه ^(١) وانخرقت

(١) زاد صاحب التكملة : وكتب اليه حمدان يخاف بطلاق ابنة سعيد بن حمدان وبكل يمين انه ان أحوجه اليه استعان عليه بالديلم فان اتصف والا استعان بالقرامطة فان بلغ غرضه والا استعان بملك الروم فكان جواب ذلك من أبي تغلب ان قبض ضياعه وطرد وكلاؤه وأتخذ أخاه الخ

الحشمة بينهما فانفذ اليه أخاه أبا البركات في جيش كثيف فلما قرب منه استأمن اليه معظم أصحاب حمدان فخرج عن البلد منهزما واحتمل حرمه وعياله وغلماناه ومن تبعه وورد هيت مستأمننا الى بختيار وكتب اليه يستأذنه في الدخول فاجابه بالاذن والقبول وخرج فلقاه ومعه سبكتكين الحاجب وجماعة جيشه وأنزله في دار حسناء^(١) وفرشها فرشاً فاخراً رحل اليه هدايا من مال وافر وثياب فاخرة وطيب وفرش وبغال ودواب بمراكب ذهب وفضة وتكفل بالتوسط بينه وبين أخيه أبي تغلب وأنفذ اليه أبا أحمد الحسين بن موسى الموسوي ثقيب الطالبين برسالة في الصلح فتم بينهما وحلف لكل واحد صاحبه وشخص حمدان الى الرحبة^(٢٢٦) وحمل اليه ببختيار هدية مثل الاولى وزيادة مع جمال وآلات السفر فرحل وشيعه ببختيار مع جيشه^(٢) ثم عاد

(١) وفي التكملة: وأنزله في دار ابن رزق الكاتب النصراني وحمل اليه مائة وخمسين الف درهم وثلاثمائة ثوب أصنافاً من ديباج وعتابي وديقي .

(٢) وقال صاحب تاريخ الاسلام في ترجمة سنة ٣٥٧: وفيها مات ناصر الدولة وقيل أبو فراس الحارث بن سعيد بن حمدان وكان قد طعم في تلك الشام وجاء اليه خلق من غلمان سيف الدولة وأطمعوه فصادر أهل حمص وغيرهم وقتل قاضهم أبا عمار وأخذ من داره ستمائة الف درهم . فلما أحس بان أبا المعالي ابن سيف الدولة يقصده صار فزعز على بني كلاب وخلع عليهم واعطاهم الاموال ونفذ حرمه معهم الى البرية ثم سار أبو المعالي وفرغوه الحاجب الى سلمية فاستأمن الى أبي المعالي جماعة من بني عقيل وتأخر أبو فراس وقال: قد أخابت لهم البلد . ثم سار الى قرغويه وأحاط به فقاتل أشد قتال وما زال يقاتل وهم يبنونه الى ناحية جبل سنير فقتلوه به فرسه بعد العصر فقتلوه وله شعر رائق .

ومات الخادم كافور صاحب مصر ورد أمرها الى الملك أبي الفوارس أحمد بن علي ابن طنج الاخشيدى فوق الحلاف بين الكافورية وبينه وتحاربوا ونظم البلاه يقتل بينهم خاق ثم هزمت الاخشيدية الكافورية وطردهم عن مصر فصاروا الي الرملة وفيهم ابن

مستأمننا دفعة ثانية على ما سذكروه

وفي هذه السنة ورد الخبر بدخول جوهر صاحب أبي تميم العلوي صاحب المغرب مصر فاشتمل عليها وتقطع جيش كافور وجماعة الاخشيدية وتمزقوا وفيها نفي شيرزاد بن سرخاب كاتب الفارسية عن مدينة السلام ﴿

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان شيرزاد مستوليا على بختيار كما حكيناه وأسرف في التجرير وحلف بختيار على ان لا ينفذ عزمه ولا يقرر أمرا الا بعد مشاورته ورضاه وتحقق بالجندي وادعى الشجاعة وأعاره الناس من ذلك ما لم يكن عنده تقربا اليه وكثر تعلقه بالاموال والتلاجي " وشره الي اكتساب الارباح من غير وجوها ولم ينقبض عن شيء هم به ولم يمكن أحد ان يمتص منه . ومنم بختيار من صفاياه التي كان يذلها للديلم والأتراك وقوى عزيمته على الثبات والتماسك

محمد بن رائق وأبو نحل وقتك وفاتك الهندي قدموا على صاحب الرملة الحسن بن عبيد الله بن طنج فلم يقبل عليهم وقال : لا أحارب ابن عمي . ثم ضاق نفقاتهم فتوجهوا الي دمشق ومتولم فأتك الاخشيدى فم بينهم قتال وبلاء . وقال في ترجمة هذه السنة : وفيها ولي أمرة دمشق الحسن بن عبيد الله بن طنج الاخشيدى فاقام شهرا ورحل في شعبان واستتاب بها شمون الكافوري ثم سار الي الرملة فالتقى العبيديين في ذي الحجة بالرملة فانهم جبهه وأخذ أسيرا وحمل الي المغرب الي المغرب . وأما ابن سبغ الدولة فان جند حلب عصوه فجاء من ميفارقين ونازل حلب وبقي القتال عليها مدة . واستولي على انطاكية الرعيلى رجل شاطر فجاءت الروم فنزلوا على انطاكية وأخذوها في ليله وهرب الرعيلى من باب البحر هو وخمسة آلاف انسان فقبجوا الي الشام وكان أخذها في ذي الحجة وأسرا أهلها وقتل جماعة من أكابرها

(١) الثلجثة هي أن ياجيء الضيف ضيمته الي قوي ليحامي عليها قاله صاحب مفاتيح العلوم

وخاض معه في إيقاع حيلة على سبكتكين الحاجب وقيل انه واطلاً بعض
الديلم على الفتك به اذا حضر الدار ليتسع بأمواله ونعمته. وعزم على قتله
الجيش والتسمية ^(٣٢٧) بالاسفهلار فبلغ ذلك سبكتكين وامتنع ان يلقي
بختيار او يدخل داره الا في الاحايين البعيدة على تحرز واستظهار . وثقل
أمر شيرزاد على الجنود لان بختيار كان عودهم الا يردم عن شيء ياتسونه
من واجب ومحال وقليل وكثير فنه شيرزاد من ذلك وناصبه الكتاب
أيضا العداوة للخوف من شره واتقباض أيديهم عن يلنجي اليه وكثر الدعاء
عليه من أفناء الناس . واجتمع الاتراك على عداوته وصاروا ينسبون كل حال
يكرهونها وينكرونها اليه وأخذ الوزير أبو الفضل يتحرز منه لما فسد بينه
وبينه ويستميل الاتراك ويوسع عليهم فشى بعضهم الى بعض وتوافقوا على
الفتك به ثم رأوا ان يستأذوا سبكتكين الحاجب فقصده جماعة لذلك . ونعى
الخبر الى بختيار فتقدم اليه بالمصير الى سبكتكين واستصلاحه وطرح النفس
عليه ومسلته كف القوم وضم اليه الوزير أبا الفضل ليعاونه وبينهما اذ ذاك
مناقفة لم ينهك سترها فقصدا سبكتكين ووجدا طائفة كثيرة من الاتراك
عنده يستأمرونه في قتل شيرزاد فلم يأذن لهم ولكن أمرهم بتخوينه حتى
يهرب والا يقرأوه بالحضرة فامسكوا عن قتله ^(٣٢٨) بعد ان هموا به .
وكان يجرى أمره مجرى صالح بن وصيف بسر من رأى أيام المهدي بالله ^(١)
فلما وصل شيرزاد وأبو الفضل الوزير اليه وخاطباه وتضرعا اليه
صدقهما عن الصورة واعلمهما انه لولا خطره على الاتراك لقتل شيرزاد ولما
تركوه ان يصل اليه وأشار عليه بالرحيل من ساعته الى حيث شاء . فخرج

وهو يأس من صلاح حاله وخائف على مهجته فصادف الاثراك مجتمعين في دار سبكتكين يوجون في أمره ويتوعدونه وينظفون له ويشتمونه فاسرع الخروج الى حضرة بختيار وعرفه ماجرى ثم التفت الى الوزير فاسمعه غليظ ما يكره وقال له : هذا من عملك وتديرك . خلف له بالطلاق على برأته مما ظنه به فأجابته بيمين الطلاق انه كاذب في جعوده .

ثم خلا بختيار بشيرزاد فخره شيرزاد من الوزير أبي الفضل وعقد معه عقداً وعهد اليه عهداً في صرفه عن الوزارة والقبض عليه واستصفاة نعمته ونيم أسبابه ووافقه على ان يحرس عليه بعد خروجه داره وأهله وولده وضياعه وان يوقع عليه اسم ابنه سلار بن بختيار لتعسم عنها اطماع الديلم والجند الى ان يستصلح نيات الاثراك ونيات سائر العسكر^(٣٢٩) ثم يعود الى حاله ويحري على رسمه في الخدمة والتجدر في الوقت الى الاهواز ثم صار منها الى ارجان وبها يومئذ الاستاذ الرئيس أبو الفضل ابن العميد . وكان حاجبه روين قريبا لشيرزاد وكان قد توفي ففجع به جدا ووجد به وجدا شديدا فلما وصل اليه شيرزاد رأي فيه شها منه وتحيل فيه شمالكه فمطف عليه وتحفى له وأكرمه وحمل اليه مالا وكسوة وكتب له الى ركن الدولة كتباً مؤكدة ووعدته بتوسط أمره وأشار عليه ان يخرج الى حضرة ركن الدولة بكتبه ويقيم بابه الى ان يرد بنفسه فيتوسط أمره فاتفق ان خرج الى الري وتوفي بها .

وكان من سوء ملكة بختيار وقلة وفائه انه نأى يوم خروجه قبض اقطاعه وضياعه وأملاكه وجواريه ودوره ونسكب كاتبه وأسبابه واستثار أمواله وودائعه ونقل ابنه سلار الى داره وسلم اليه اقطاعه لا على الاصل

الذي قرره معه شيرزاد بل علي ان يصير له ذلك خاصة يتوفر عليه . وحكى أيضا ان نفي شيرزاد كان في سنة ٣٥٩ ثم انه بعد شهرين من نفي شيرزاد قبض على وزيره أبي الفضل العباس بن الحسين وكتابه وأسبابه واستصفى اموالهم وقلد الوزارة^(٣٣٠) ابا الفرج محمد بن العباس وقلد الدواوين أبا قرّة الحسين بن محمد القنّائي .

و دخلت سنة تسع وخمسين وثلاثمائة

(ذكر السبب في القبض عليه)

كان أبو الفضل الوزير استخدم أبا قرّة وهو زجل من دير قنّى حسن الذكاء قد نشأ بين كتاب واسط وعمّالها وتخرّج معهم واختص بإحده ابن علي القنّائي فتمهر ولم يزل يتدرّج في التصرف حتى تقلد واسط رئاسة من قبل السلطان فاقتنى أموالا جليّة وصارت له نعمة ضخمة وكان شديد الجراءة على السلطان يقدم على أمواله اقدا ما لا يقدم عليها غيره هذا مع اهتدائه الى وجوه الحيل عليه ومعرفة بوجوه الارتفاق والارفاق فانه كان يرفق الوزراء والعمال بالنسيير ويتوصل به الى الارتفاق الكثير . فاضطر أبو الفضل في وزارته لبختيار عند الحاجة والاضافة الى معاملته وكان يشتري منه غلات القضم بالثمن الرائد ويحتسب له بالمال غلات ضمانه يسرها في وقت البيدر فربما قام عليه السكر بثلاثة اكرار هذا الى أمثال ذلك في معاملات الخنطة وغيرها وعظمت نعمته وتمكن من رعيته بواسط فانبسطت يده عليهم^(٣٣١) فتأول عليهم وقوى باموالهم . وكان الواحد منهم اذا تظلم منه لم ينصف وردّ اليه أمره فيبسط المكروه عليه فصارت رعيته تشكره على طريق الخوف منه .

ولما غاب أبو الفضل الوزير الى الموصل أيام معز الدولة .
 واستخلفه ببغداد ووصل بينه وبين شيرزاد كاتب الفارسية ليعزه ويمنع منه
 من اغتامة أبي الفرج محمد بن العباس . فكان أبو قرّة يُهدى الى شيرزاد
 ويلاطفه ويكثر وجوه المرافق والمباراة له لئلا يمنع من الاستيفاء عليه وتأكدت
 الحال بينهما حتى انقطع اليه ولم يتمكن أحد من الرجلين منه أغنى أبا الفرج
 وأبا الفضل وكانا يومئذ كاتبين لا يتسمى أحد منهما بالوزارة طول أيام معز
 الدولة . وكان أبو قرّة يرفع حسابه على ما يريد ولا يتمكن أحد من
 الكتاب ان يستوفيا عليه فيقرر باكثر ارتفاع ضمانه سوى الأرباح التي
 ذكرناها وسوي ما يستغله من أملاكه وسوي ما يستخرجه من المصادرات
 والمصانعات . وكان شيرزاد يطالب الوزير أبا الفضل بما كان وافقه عليه اذا
 تم له الوزارة وكان أبو الفضل يعتد عليه بما يصل اليه من جهة أبي قرّة
 وقال له : هذا الرجل عاملي وانما ضمته اليك لينوب عني ^(٣٣٢) عند غيبي
 عن مدينة السلام وقد حصل لك من جهته ما ينبغي ان احتسب به عليك
 وتعتد به . ويستجيبه شيرزاد بأنه لا يختبئ له الا بما يصل اليه من صلب
 ماله وخاص اقطاعه وارتفاقاته ولم يزل ذلك يتردد بينهما حتى استوحش كل
 واحد من صاحبه واستوحش أبو قرّة أيضا واختص زيادة اختصاص
 بشيرزاد . فطمع في المنازل العالية لما يرجع اليه من الكفاية في نفسه ثم
 للحال المتأثرة واليسار العظيم واضطر الوزير الى مغالطته عن نفسه وايناسه
 والاستعانة به على شيرزاد وهو كان سبب اتصاله به . فلما تم على شيرزاد ماتم
 من النفي ثم الوزير بالقبض عليه ثم أمهله ودبر أمره على ان تدرك غلاته
 وخشى في الحال ان مده اليه ان تنقطع مادة ما كان يقيمه من قضيم

الكرام ووافق بختيار على انه يستخرج منه عند حضور الوقت مائتي ألف دينار .

وكان بختيار لا يضبط لسانه ولا يكتم شيئاً من اسرار نفسه ولو فيما جرى عليه ذهاب النفس والملك فلخرج حديثه وسره فبلغ أبا قرة ما جرى وكان يخشى مداوة أبي القرج فصار يخشى مداوة الوزير ولم يكن له وِزْرٌ^(١) غير شيرزاد^(٢) وكان قد نفى فاضطرب واحتال حتى توصل الى سبكتكين الحاجب وبذل له على يد أبي بكر الاصبهاني صاحبه وثقته ذلك المال الذي كان يرتفق به شيرزاد بن سرخاب فنصره سبكتكين نصرة زادت على نصرة شيرزاد فصار في ظل أحسن من الظل الاول وتعدر على الوزير ان يلاً عنه منه فضلاً (عن) أن يمد يده اليه . فحينئذ اجتمعت على أبي الفضل الوزير أمور منها الاضاقه واقتباض يده عن استيفاء الحقوق ومنها مطالبة بختيار له بالقرض^(٣) التي كان اقترضها ولم يتسع ردّها عليه ومنها عداوة سبكتكين له وخوفه من حيله ومكايده ومنها حسده له على ظاهره حاله وما جمع من الغلمان والحجاب والروءة الظاهرة ومنها استمالته وجوه الأتراك ومكائده اياه في الاحسان اليهم ومنها عداوة بختيارين آذرويه وكتبه سهل ابن بشر اياه لقصده اياهما بالاهواز واستقصائه عليهما ومصادرتة اياهما ومنها عداوة صاحب الديوان أبي القرج وأخيه على بن العباس على قديم الايام ومنها انقلاب أبي قرة عليه للاسباب التي ذكرناها فخلا من كل صديق

(١) يعني ملجأ ومن آيات اليتيمة (٤) ٣٣٢

شر السباع العوادي دونه وزر والناس شرهم مادونه وزر

(٢) لعله القروض

ومعين واصطلحت هذه الطائفة عليه . ثم اضطر ^(٣٣٤) أبو الفرج محمد بن العباس الى مصادقة أبي قرّة ليتعاقد على أبي الفضل لا لمودة حقيقية فاتفقا على ان يخطبا سبكتين الحاجب في مسألة بختيار وموافقة على القبض على أبي الفضل وضمنه أبو الفرج محمد بن العباس تسعة آلاف الف درهم يستخرجها منه ومن خلفائه وكتابه وجميع المتصلين به على ان يتقلد الوزارة ويتقلد أبو قرّة الديوان ففعل ذلك وقبض على أبي الفضل كما سبق اقول فيه . فلم يلبث محمد بن العباس أبو الفرج في وزارته الا يسيرا حتى اضطربت أموره ولم يف بما ضمنه لبختيار وتمكن أبو قرّة من السعي عليه وردّ أبي الفضل الى وزارته وضمن لبختيار تصحيح سبعة آلاف الف من جهته بضمان سبكتين عنه

﴿ شرح الحال في ذلك وسبب تمكن أبي الفضل بعد نكبه ﴾

(حتي أعيد الى الوزارة ومكن من أبي الفرج)

لما خلع على أبي الفرج الخلع التي تخلع على الوزراء ومكن من أبي الفضل وسلم اليه مع جميع أسبابه والمتصلين به اتسع بما راج له من جهاتهم وحبس أبا الفضل في داره وضيق عليه وبحث عن أمواله وأموال أهله وحرمه بغاية ما أمكنه فلما وقف عليه الامير طالبه بالمال وناظره فاستقر ما بينهما على ان النزم ثلاثة آلاف الف درهم يحتسب منها ^(٣٣٥) بما يصح من خاص أمواله وأثمان غلاته وآلاته وكراعه وبوفي ما يبق واشترط أن يوسع عليه ويسهل الاذن لمن يدخل اليه ليستسمفهم ويقرض منهم . فأحجم أبو الفرج محمد ابن العباس عن التنفيس عنه خوفا من تفاذ حيلته عليه وأعادته الى الحبس والتضييق وانفسخ ما قرره معه وعطف على أسبابه ففتي المصادرات عليهم

وعسفهم وأرهقهم وجازقهم ومات في حبسه صهر لابي الفضل العباس بن الحسين يقال له ابراهيم بن محمد الدهكي فاتهم به وانه قتله بالمذاب والمطالبة . وخلع على أبي قرة لتقلد الديوان بعد ان أرفق بختيار بمال على ذلك وأثرت واسط في يده فصار ضامنا لها خاصة مستوفيا على غيره من الضنماء وتلقب بالرئيس لان أبا الفرج كان أيام تقلده الديوان متلقبا بهذا اللقب فانكر أبو الفرج ذلك على أبي قرة وأمر الناس أن يخاطبوه بالوزير الرئيس تحسينا لهذا اللقب عن أبي قرة

﴿ ذكر فساد الحال بين الوزير وبين أبي قرة وماتم له من ﴾

(عزله وتولية أبي الفضل)

وابتدأ أبو قرة يطالب بجميع مراتب أبي الفرج التي كانت له قبل الوزارة وزعم انها من ^(٣٣٦) حقوق صاحب الديوان ويجب أن يستوفيا فاضطربت الحال بينه وبين الوزير أبي الفرج ولم يزل يتزايد حتى ترامت الى نهاية الفساد وضمن أبو قرة عن هذا اللقب مالا ثانيا حتى أمضى له وخرج الامر بان يخاطب به . وكان معز الدولة اطلق لابي الفرج وأبي الفضل عند اخراجه اياهما الى جهتي عمان والبطيحة للحرب عليهما أن يضربا على أبوابهما بالدبابد في أسفارهما عند حضور أوقات الصلوات فصار ذلك رسما لهما استمرا عليه ولم يقطعهما عند انصرافهما من وجسه الحرب فلما تقلد أبو قرة الديوان أجراه مجرى حقوق العمل التي تستوفي واحب أن يضرب على بابه بالدبابد فسأل بختيار ذلك فأجابه اليه ومنعه أبو الفرج الوزير منه وأنكر ثم بذل فيه أبو قرة مالا فخرج أمر بختيار بان يطلق له ذلك . ثم خرج الوزير أبو الفرج وأبو قرة في التنافس الى أبعد غاية وفي العداوة الى أقصى نهاية وكانت

صاحبها لاهيا عنهما واتصلت المنازعة بينهما في أمثال هذه الاشياء ولم تحفظ
مرتبة الوزارة وفضلها على غيرها حتى لم تميز من سواها
فتقدم الوزير أبو الفرج إلى كتابه بعمل لابي قرة ومؤامرة تشتمل
على ما يجب عليه في مردود حساباته التي عملها في سنى ضبابه واثارة جميع
ما غبن فيه السلطان ومرافقه القديمة^(٣٣٧) والحديثة فعملت هذه المؤامرة
واشتملت على ستة آلاف الف درهم ونسبت هذه الاموال الى جهاتهما
وعرضت على بختيار وأطعم في وجوبها وأن حاله تقي بها فامر بمطالبتها .
واهتم بسبكتكين الحاجب فحامي عليه واعتاظ بختيار من تعززه عليه ووجد
خصومه الطريق الى اغرائه به واقاموا في نفسه أنه سيجعل سبكتكين على
خلع طاعته وازالته عن مملكته فانفذ بختيار اليه نقيبا ووكله به في دار
سبكتكين ثم أنفذ ثانيا يستدعيه وضمف سبكتكين عن مقاومة صاحبه
بختيار ومنابدته وكان شاع عنه انه انما يحامي على أبي قرة لمرق يأخذه
منه فترك الاغراق في نصرته وسلمه الي بختيار على موجدة في نفسه وحمية
في قلبه ووعد أبا قرة انه سيتكلم فيه ويستنقذه . فلما صار عند بختيار سلمه الي
الوزير أبي الفرج وأمره باستخراج المال فضمف الوزير عن منابذة سبكتكين
فيه ولم يقدم على عسفه ولم يسكن الى اطلاقه فحصل معتقلا اعتقالا جميلا
ووقفت الامور التي كان ينظر فيها من إقامة القضيض للكراع ومهمات
التسيبيات عليه . وندم سبكتكين على تقليد أبي الفرج الوزارة ومساعدته
على نكبة أبي الفضل وتذكر ما كان بملأه به من المجاملة والنفاق ورأي
انه على علانه كان أصلح له من أبي الفرج وضمف قلب أبي الفرج^(٣٣٨)
بفساد رأيه .

وكان أخوه أبو محمد على بن العباس الخازن مستوليا على بختيار مالكا لقياده لا يفارق مجلسه عند الانس والمنادمة فاشفق أن يجري عليه من سبكتكين ما جرى على شیرزاد منه فاتفقا على إرضاء سبكتكين باطلاق أبي قرة وتقرير أمره على مال قليل لا يؤثر في حاله وان يصير الى واسط على رسمه الاول وبتمزل الديوان فلما أفرج عنه أقام القضاء وتقذ الامور المتعلقة به وانحدروا الى واسط بعد أن واطأ سبكتكين على السعي لابی الفضل في الوزارة وانقاده من محبسه والقبض على أبي الفرج وأبى محمد على بن العباس وأسبابهما وقد كان الوزير أبو الفرج عطّل ديوان أبي قرة ونقل الاعمال عنه واستبد بمكاتبة المال وكان له كاتب اهوازي يعرف بان السكر قد اتسمت حاله فشرع في تقلد هذا الديوان وبذل لبختيار مالا يصححه له في كل سنة من حقوق المحاسبات وأعلمه أن هذا الديوان زمام له على الوزراء وأن الوزير الآن مستبد بالجميع وفي ذلك ضياع الدخل والخرج وفساد الاصل والفرع . واتصل الخبر بأبي الفرج فغلظ عليه وعظم في نفسه وراسل بختيار بأنه لا يصبر^(٣٣٩) على أن يتقلد كاتبه هذا الديوان على مراغمته فاجابه بأنه لا بد من صاحب ديوان يكون معه « فاختر أنت من تحب » فهان عليه رد أبي قرة الى نفسه وكان أخف على قلبه وأيسر محملا من نظر ابن السكر فيه فكتب بالاصعاد فوررد وجددت له الخلع وقلد الديوان . وكانت المراسلات بينه وبين أبي الفضل متصلة وذلك ان أبا الفضل كان واسع الصدر فافضل على الموكلين به من غلمان الوزير أبي الفرج ووسع عليهم وأكثر في برم والاحسان اليهم فلم ينموه من مكاتبة من يريد مكاتبته وواصلوا اليه كتب من كاتبه فاحتال ضروب الخيل وتم له أكثر ما حاوله فلما ورد أبو قرة

بغداد تمكن من اتمام أمره والسمي له .

واشتدت الاضاقة بابي الفرج ووقفت عليه أموره ومطالبه لان واسط
انقلقت عليه بابي قره والبصرة والاهواز انقلقتا عليه بالآراك الذين استبدوا
بأموالهما في تسيبائهم ولم ينهض بما ضمنه عن أبي الفضل لانه اقتصر على
أخذ ظاهره وخاف أن يطلقه ليضطرب فيحتال عليه ويسمى في الوزارة
(وهو لا يعلم انه قد سمى وفرغ) واجتمعت عليه مطالبات كثيرة وصارت
حاله في انحراف بختيار عنه وعداوة سبكتكين الحاجب له ^(٢٤) ولاخيه
وتعصب الجند عليهما كحال أبي الفضل لما قبض عليه
﴿ ذكر ما احتال به في هذه الحال وما عرض له ﴾

﴿ من سوء الاتفاق ﴾

لما أحس باضطراب أمره خاف أن يعاجله بختيار بالقبض عليه فأحال
على أموال ووقفت عليه بالاهواز وانه يريد الشخص اليها فنه بختيار من
الخروج الابد إقامة الوجوه للنفقات التي بحضرته لثلاث توجه عليه المطالبات
بعد خروجه ويقع اخلال بالاقامات فاحتاج أن يستخلف أخاه بحضرته حتي
ضمن له ذلك . ووافقه على وجوه ظن انها راجية وأضاف اليه ابن اخته
المعروف بابي القاسم علي بن الحسين المشرف علي أنه ناظر في الدواوين
والحسابات وشخص الي واسط . وشخص أبو قره علي أثره بعد أن قرر
أمر أبي الفضل وفرغ منه . ولكن تفاق طمع بختيار بالمواعيد التي وعده
بها أبو الفرج والضمانات التي ضمنها أخوه فلما حصل بواسط ضايقه أبو قره
في الامور وعارضه في التدبير وكان مستوليا على البلد بالضممان ثم علي سائر
الاصمال بحق النظر في الديوان ثم بالعباية التي كانت له من سبكتكين فغضب

الوزير أبو الفرج المقام بواسط وبرز عنها يريد الاهواز . فحدث عند تديره وعمله^(٣٤١) على المسير ان توفي رجل كان متغلبا على أسافل واسط وهي أعمال نهر الصلة ونهر الفضل وكان يعرف هذا الرجل بإحد بن خاقان وهو جار محمد بن عمران بن شاهين واستولى على هذه النواحي وكان يقاطع عنها السلطان كما يريد ولا يمكن الاستيفاء عليه وله حال قوية ونعمة عظيمة فقدر محمد بن العباس الوزير ان يصل الي أمواله فاتمّل الى هذا الوجه وسبقه ابن له يقال له خاقان فاحتمل غلات أبيه وأمواله ودخل الى مضائق البطيحة . ووجد أبو قرّة فرصته فاخذ في مراسلته وتقويته وتشجيعه واعلمه انه معه وعونه ثم عمل اعمالا أوجب بها لنفسه بحق الضمان الذي له في واسط . على هذا المتوفي شيئا كثيرا من الغلة والمال ثم قال للوزير أبي الفرج محمد بن العباس انه لا حتى له في شيء مما يصل اليه من أهوال هذا المتوفي الا بعد ان يستوفي منه هذه البقايا أو يحتسب بها له من مال ضمانه . فسار الوزير أبو الفرج الى بلاد لم يجد فيها شيئا ولو وجده لنازعه فيه أبو قرّة وحصل منازل خاقان بحيث لا يمكنه الدخول اليه ولم يصادف في تلك الاعمال انسانا يكلمه ولا حبة من غلة ولا أرا من مال فجئح الى مراسلة خاقان والتماس مصالحه فامتنع عليه ونازله أياما كثيرة حتى مل^(٣٤٢) وساءت حاله وحال من معه واقطعت عنهم المواد فاضطر الى الرحيل ورضى بمال يسير لم يتمكن من استيفائه وحصل من هذا اليسير شيء يسير . ووقعت المنازعة فيه بينه وبين أبي قرّة حتى اتفقا على اقتسامه وبادر بالخروج الى الاهواز .

وكتب أبو قرّة بخيار يعلّمه انه ليس له وجه درهم واحد وانه خرج « ستر وحا الى البعد عنك لتدفع عنه النسيئة التي خافها من جهتك » وكتب

الى مختكين آذاذ رويه يحذره منه فكتب مختكين الى مختيار بانه لم يبق عليه شيء وان تسبيبات الاتراك وانزالهم تستغرق الواجب وزيادة كثيرة وان محمد بن العباس الوزير انما يصير الى أعماله ليتأول عليه بالمحالات ويعمل له المؤامرات ويمد يده الى أموال السنة المقبلة . ووافق ذلك ان أخاه أبا محمد على بن العباس الخازن صحح البعض من تلك الوجوه التي أقيمت بالحضرة ووقف عليه الباقي لضعف يده ولكثرة الإراجيف بأخيه ومعه وبان بمختيار قد تمت الموافقة بينه وبين أبي الفضل على اعادته الى الوزارة . وأخذ خطه في أبي الفرج وأبي محمد أخيه وأسبابهما بسبعة آلاف درهم وانه يطلق الاستحقاقات ويدبر النفقات . فكتب مختيار الى مختكين بالقبض على أبي الفرج ومن معه في يوم وصولهم ^(٣٤٣) الى الاهواز وكتب الى أبي قرة بمثل ذلك وبالاحتياط عليهم حتى لا يفوت أحد منهم وقبض بمختيار على أبي محمد الخازن أخيه وكان جالسا معه يشرب على رسم كان له في منادته وأطلق أبو الفضل العباس بن الحسين من محبسه وكان في دار أبي الفرج وخلع عليه للوزارة ^(١)

(١) قال صاحب التكملة . فاما أبو الفضل العباس بن الحسين الشيرازي فوله بشيراز سنة ٣٠٣ وورد مع معز الدولة بغداد وناب عن المهدي وصاهره على بنته زينة وكان ذلك سبب تقدمه ثم فسد ما بينهما . وكان واسع المروءة والصدر وداره على الصراة ودجلة وهي التي كانت إستانا لقباب النقباء الكامل وانتقلت الى الفضلوني وانفق عليها أبو الفضل زائدا على مائة الف دينار ثم احترقت فامر معز الدولة بسطها بإستانا . وعمل دعوة لمعز الدولة وجعل في وسط السباط قصر من السكر فيها مخاينث وأغانى بنون وبرقصون ولا يشاهدون وقطع دجلة من فوق الجسر الى دار الخلافة بالقلوس الغلاظ وطرح الورق فيها حتى ملاها وغطا دجلة . ولم تنزل بغداد قيان حتى احضرها وذلك في سنة ٣٥٤ فلما كان في سنة ٥٥ قال له معز الدولة : يا أبا الفضل تلك الدعوة فريدة

وفي هذه السنة خرج الاستاذ الرئيس أبو الفصل ابن العميد الى الجبل
في خيل عظيمة لتدبير أمرها وتقرير أمر حسنويه بن الحسين الكردي
﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾^(١)

كان حسنويه بن الحسين الكردي قد قوى واستفحل أمره لما وقع
من الشغل عنه بالفتوح الكبار ولأنه كان اذا وقع حرب بين الخراسانية
وبين ركن الدولة أظهر عصبية الديلم وصار في جملتهم وخدم خدمة يستحق
بها الاحسان الا أنه مع ما أقطع وأغضى عنه من الاعمال التي يتسط فيها
والاضافات التي يستولي عليها ربما تعرض لاطراف الجبل وطالب أصحاب
الضياع وأرباب النعم بالخفارة والرسوم التي يبدعها فيضطر الناس الى اجابته
ولا يناقشه السلطان فكان يزيد أمره على الايام وتتشاغل الولاة عنه الى أن
وقع بينه وبين سهلان بن مسافر خلاف ومشاحة تلاحا فيها الى ان قصده
ابن مسافر بالحرب^(٢) فهزمه حسنويه وكان يظن ابن مسافر انه لا يكشفه
ولا يبلغ الحرب بينهما الى ما بلغت اليه فلم تقف الحرب حيث ظن وانتهى

بلا اخت . فقال : بل هي في كل سنة . وعمل دعوة اتفق فيها الف الف درهم
ووهب فيها جوارى وغلمانا وأراكا وضياعات واستمد بعد عملها عند الشرائين الف عمل
مشوى وحمل الى أبي الفضل اصحابه ما امكنهم من الهدايا

واما أبو الفرج محمد بن العباس بن فسانجس فوالده بشيراز سنة ٣٠٣ وورد مع معز
الدولة في ذى الحجة سنة ٣٣٨ وابوه من اصحاب النعم الوافرة بفارس صادرة عماد الدولة
على ستائة الف دينار وقال : اني كسبت معه خمسين الف درهم . وجاء مع معز الدولة
الى بغداد وولاه الزمام على المهلب وتوفي سنة ٣٤٢ وتكفل المهلبى بأمر ابنه حتى رد
اليه الديوان

(١) روي هذه الحكاية ياقوت الحموي في كتابه ارشاد الارباب (٥ : ٣٦٨) من

أبي على مسكويه

الامر بينهما الى ان اجتمع الديلم وأصحاب السلطان بعد الهزيمة الى موضع شبيه بالحصار ونزل الاكراد حواليتهم ومنعواهم من الميرة وتفرقوا بازاءهم . ثم زاد الامر وبلغ الى أن أمر حسنويه الاكراد ان يحمل كل فارس منهم على رأس رمحه ما أطاق من الشوك والعرفج ويقرب من معسكر سهلان ما استطاع ويطرحه هناك ففعلوا ذلك وهم لا يدرون ما يريد بذلك فلما اجتمع حول معسكر سهلان شيء كثير في أيام كثيرة تقدم بطرح النار فيه من عدة مواضع فالتهب وكان الوقت صيفا وحيت الشمس عليهم مع حر النهار فاخذ بكظمهم واشرفوا على التلف فصاحوا وطلبوا الامان ففرق بهم وأمسك عما هم به . وبلغ ذلك ركن الدولة فلم يحتمل هذا كله له وتقدم الى وزيره أبي الفضل محمد بن الحسين العميد وهو الاستاذ الرئيس بقصده واستئصال شاقته وأمره بالاستقصاء والمبالغة . فانتخب الاستاذ الرئيس الرجال وخرج في عدة فوزينة وخرج ركن الدولة مشيعاً له وخلع على القواد ووقف حتى اجتاز به المعسكر قائد بعد قائد وكوكبة بعد كوكبة ورضى العدة والقوة^(٣٤٥) فودع حينئذ الوزير ابن العميد وعاد الى الري .

وسار الوزير ومعه ابنه أبو الفتح وكان شاباً قد خلف أباه بمحنة ركن الدولة وعرف تدير المملكة وسياسة الجند فهو بكائه وحدة ذهنه وسرعة حركته قد نفق نفقا شديدا على ركن الدولة وهو مع ذلك لقالة حنكته ونزق شبابه وتهوره في الامور يقدم على ما لا يقدم عليه أبوه ويحب ان يسير في خواص الديلم ويمشون بين يديه ويختلط بهم اختلاط من يستميل بقلوبهم ويخضع عليهم خلعا كثيرة ويحمل رؤسائهم وقوادهم على الخيول المزمرة بالمراكب الثقال ويريد بجميع ذلك ان يسلموا له الرئاسة حتى لا يأنف

أحد من تقبيل الارض بين يديه والمشي قدامه اذا ركب وكان جميع ذلك مما لا يؤثره الاستاذ الرئيس ولا يرضاه لسيرته وكان يعظه وينهاه عن هذه السيرة ويعلمه ان ذلك لو كان بما يترخص فيه لكان هو بنفسه قد سبق اليه .

ولقد سمعته في كثير من خلواته يشرح له صورة الديلم في الحسد والجشع وانه ما لم يكن أحد قط الا بترك الزينة وبذل مالا يطرهم ولا يخرجهم الى التحاسد ولا يتكبر عليهم ولا يكون الا في مرتبة أو سطهم حالا وان من دعاهم واحتشد لهم وحمل على حالة فوق طاقته لم يمنهم ذلك من حسده على نعمته ^(٣٤٦) والسعي على ازالتها وترقب أوقات الغرة في آمن ما يكون الانسان على نفسه منهم فيفتكون به ذلك الوقت . وكان يورد عليه مثل هذا الكلام حتى يظن انه قد ملأ قلبه رعبا وانه سيكلف عن السيرة التي شرع فيها فها هو الا ان يفارق مجلسه ذاك حتى يعاود سيرته تلك فاشفق الاستاذ الرئيس في سفرته هذه ان يتركه بمحضرة صاحبه فيالج في هذه الاخلاق ويفتر بما يراه من احتمال ركن الدولة حتى ينتهي الى ما لا يتلافاه فسيرته واستخلف بمحضرة ركن الدولة أبا على محمد بن أحمد المزوف بابن البيع وكان فاضلا أديبا ركيذا حسن الصورة مقبول الجملة حسن الخبير بخلقا وأدبا .

فلما كان في بعض الطريق وكان يركب العماريات ولا يستقل على ظهور الدواب لا فراط علة القرس وغيرها عليه التفت محوله فلم ير في موكبه احدا وسأل عن الخبر فلم يجد حاجبا يخبره ولا من جرت العادة بمسيرته غيري فسألني عن الخبر فقلت له : ان الجماعة باسره مالت مع أبي القتح الى الصييد فامسك حتى نزل في معسكره ثم سأل عن جرت العادة باستدعائه للطعام

وكان يحضره كل يوم عشرة من القواد على مائده التي تخصه وعدة من القواد على أطباق توضع لهم وذلك على نوبة معروفة يسمى فيها نقباؤهم فلما كان في ذلك اليوم^(٣٤٧) لم يحضره أحد واستقصي في السؤال ف قيل « ان أبا الفتح أضافهم في الصحراء » فاشتط من ذلك وساء له ان يجري مثل هذا ولا يستأذن فيه . وقد كان أنكر خلوة موكبه وهو في وجه حرب ولم يأمن ان يستمر هذا التشتت من المعسكر فتم عليه حيله فدعا كبر حجابيه ووصاه بان يحجب عنه ابنه أبا الفتح وان يوصى النقاء بمنع الديلم من مسيرته ومخالطته وظن ان هذا المبلغ من الانكار سينفض منه وينهى المعسكر من اتباعه على هواه فلم يؤثر كلامه هذا كبير أثر . وعاد الفتى الى عادته واتبعه المعسكر ومالوا معه الى اللعب والصيد والاكل والشرب وكان لا يظلمهم من الخلع والالطاف فشق ذلك على الاستاذ الرئيس جدا ولم يحب ان يخرق هبة نفسه باظهار ما في قلبه ولا ان يبالغ في الانكار وهو في مثل ذلك الوجه فيفسد عسكره ويطمع فيه عدوه فدارى أمره وتجرع غيظه وأداه ذلك الى زيادة في مرضه حتى هلك بهذان وهو يقول في مجلس خلواته : ما يهلك آل العميد ولا يمحو آثارهم من الارض الا هذا الصبي (يعنى ابنه) ويقول في مرضه : ما قتلتى الا جرع الفيظ التي تجرعتها منه .

ومما حصلته عنه في وجهه هذا وقد سأله عن عاقبة أمر حسويه معه وهل الى استئصاله سبيل فقال : اما بهذه^(٣٤٨) السرعة وفي هذا الزمان فلا ولكننا سنعود عنه ونحن كما كنا وزيادة شيء ويعود حسويه وهو كما كان ونقصان شيء ثم يدبر أمره على الايام . فلما حصل بهذان اشتدت علته فتوفي بهارحه الله وانتصب ابنه أبو الفتح مكان أبيه وكان المعسكر كما

ذكرت ماثلا اليه فزاد في بسطهم وتأنيسهم ووعدهم ومنأهم وبذل لهم طعامه
ومنادمته وأكثر من الخلم عليهم وراسل حسنويه وأرغبه وأرهبه وحضه
على الطاعة وأوماً الى مصالحته على مال يحمله يقوم بما أتفق على ذلك العسكر
وتتوفر بعد ذلك بقيته علي خزانة السلطان ويضمن اصلاح حاله اذا فعل
[ذلك] مع ركن الدولة . وكان يشق على سهلان بن مسافر لما في نفسه من
حسنويه ولأنه يحب الانتقام منه ويكره ان ينصرف مثل ذلك العسكر عنه
ولم يؤثر في أمره أثر ايسمع به وليه وعدوه الا ان أبا الفتح كان يرى ان
مقاربة حسنويه والعود الى صاحبه يباه لم يثلم عسكره ولا خاطر بهم وان
يلحق مكانه من الوزارة قبل ان يطمع فيه [غيره] أولى وأشبه بالصواب
(وقد كان أبو علي محمد بن أحمد خليفة أبيه قد تمكن من ركن الدولة وقبل
ذلك ما عرفه بالكفاية والسداد) فسفر المتوسطون بينه وبين حسنويه الى
ان تقرر أمره على خمسين^(١١) ألف دينار ينكسر بعضها وجبي كورة الجبل
وجمع من الدواب والبنال وسائر التحف ما بلغ مقداره مائة ألف دينار
ووردت عليه كتب ركن الدولة بما قوى نفسه وشد مئته وأحمد جميع
ما كان دبره وأمر بالعود الى الحضرة بالرى

وكانت وفاة الاستاذ الرئيس بهمدان في صفر ليلة الخميس السادس منه
سنة ستين وثلاثمائة فقدم به الفضل اجمع وعدمت المحاسن التي ما اجتمعت
لغيره في الاسلام^(١٢)

(١) قال صاحب التكملة : قال ابن الصابي : قيل ان ما تفق به ابن العميد على ركن
الدولة ان ركن الدولة أراد أن يحدث بناء بالرى واختار له موصفاً وكانت فيه شجرة
ذات استدارة عظيمة وعروق نازلة متشعبة قدر لفلها واخراج عروقها جملة كثيرة ولم

﴿ ذكر جملة من فضائل أبي الفضل ابن العميد وسيرته ﴾

كان هذا الرجل قد أدى من الفضائل والمحسن ما بهر به أهل زمانه حتى أذعن له العدو وسلم الحسود ولم يزاحمه أحد في المعاني التي اجتمعت له وصار كالشمس التي لا تخفى على أحد وكالبحر الذي يتحدث عنه بلا حرج ولم أر أحدا قط زادت مشاهدته على الخبر عنه غيره . فمن ذلك أنه كان أكتب أهل عصره وأجمعهم لآلات الكتابة حفظا للغة والغريب وتوسعا في النحو والعروض واهتداء الى الاشتقاق والاستعارات وحفظا للدواوين من شعراء الجاهلية والاسلام . ولقد حدثني أبو الحسن علي بن القاسم رحمه الله قال : كنت أروى أبي أبا القاسم القصائد الغريبة من دواوين القدماء لان الأستاذ الرئيس كان^(٣٥٠) يستنشد اذا رآه وكان لا يخلو اذا انشده من رد عليه في تصحيف أو لحن مما يذهب علينا فكان ذلك يشق عليّ وأحب ان تصح له قصيدة لا يعرفها الأستاذ الرئيس أو لا يرد عليه فيها شيئا فأعياني ذلك حتى وقع الى ديوان الكميّ وهو مكثّر جدا فاخترت له ثلاث

يقع في نفسه أنها تستأصل استئصالا قاطعا فقال ابن العميد : أنا أدق الأمير هذه الكلمة وأقطع هذه الشجرة بعروقها بأهون شيء وفي أقرب امد وأقل عدد . فاستبعد ذلك ركن الدولة وقال من طريق الأزرار : افعل . فاستدعاجبالا وأوتادا وسلك هذا المسلك المعروف في جر الثقل فلما رتب ما رتبته ولصب ما نصبه أقام نورا قليلا حتى مدوا ومنع ان يقف احد على جريان كثيرة من الشجرة بحسب ما قدره من وشوج اصولها ووشوج عروقها . ووقف ركن الدولة في موكبته ينظر ذراعيهم الاتزعزع الأرض وانفاسها وانهالاب قطعة كبيرة منها وسقوط الشجرة مناسبة بمجيب عرونها فوجب ركن الدولة من ذلك واستظرفه واستعظمه ونظر الى امي الفضل بعين الجلالة . وهذا امر لا يعظم عند من يعرف للحيلة فيه والطريق المقصود اليه .

قصائد غريبة ظننت أنها ما وقعت الى الاستاذ الرئيس وحفظته اياها وتوخيت الحضور معه فلما وقع بصره عليه قال : هات أبا القاسم أنشدني شيئاً مما حفظته بعدى . فابتدأ ينشده فلما استمر في قصيدة من هذه القصائد قال له :قف فقد تركت من هذه القصيدة عدة أبيات . ثم أنشده اياها فجلت خجلة لم أخجل مثلها . ثم استزاد فالنشده القصيدة الاخرى فأسقط فيها كما أسقط في الاولى واستدركه عليه أيضا . قال : فعلمت ان الرجل بحر لا ينزف ولا يؤتى ما عنده . فهذا ما حدثني به هذا الرجل وكان أدبيا كاتباً .

وأما ما شاهدته منذ مدة صحبتي اياه وكانت سبع سنين لازمته فيها ليلا ونهارا انه ما أنشد شعراً قط لم يحفظ ديوان صاحبه ولا غرب عليه بشعر قديم ولا محدث ممن يستحق ان يحفظ شعره ولقد سمعته ينشد دواوين قوم مجهولين أتعجب من تعاطيه حفظ مثلها حتى سألته يوماً وقلت : أيها الاستاذ كيف تفرغ^(٣٥١) زمانك لحفظ شعر هذا الرجل . فقال : وكانك تظن أنى تكلف حفظ مثل هذا انما ينحفظ لى اذا مر بسمي مرة . وقد صدق رحمه الله فاني كنت أنشده لنفسى الابيات التى تبلغ عدتها ثلاثين وأربعين فعيدها بعد ذلك مستحسناً وربما سألتى عنها ويستنشدنى شيئاً منها فلا أنرم باعادة ثلاثة أبيات منتظمة على نسق حتى يذكرنيها ويعيدها . وحدثني غير مرة انه كان في حدائته يخاطر رفقاءه والادباء الذين يعاشرهم على حفظ الف بيت في يوم واحد وكان رحمه الله أثقل وزناً وأكثر قدراً من أن يزيد فقلت له : كيف كان يتأتى لك ذلك . فقال . كانت لى شريطة وهى أن يقترح على من شعر لم أسمع به الف بيت في يوم واحد يكتب

واحفظ منه عشرين وعشرين وثلاثين ثلاثين أعيدها وأبرأ من عهدتها . فقلت وما معنى البراءة عن عهدتها . قال : لا أكلف أعادتها بعد ذلك . قال : فكنت أنشدتها مرة أو مرتين وأسلمها ثم اشتغل بصيرها حتي أفرغ من الجميع في اليوم الواحد .

وأما كتابته فمعروفة من رسائله المدونة ومن كان مترسلا لم يخف عليه علو طبقته فيها وكذلك شعره الذي جسد فيه وهزل فانه في أعلى درجات الشعر وأرفع منازلها . فأما تأويل القرآن وحفظ مشكله ومتشابهه والمعرفة باختلاف فقهاء الامصار فكان منه في أرفع درجة ^(٣٥٢) وأعلى رتبة ثم اذا ترك هذه العلوم وأخذ في الهندسة والتعالم فلم يكن يدايه فيها أحد . فأما المنطق وعلوم الفلسفة والالهيات منها خاصة فما جسر أحد في زمانه ان يدعيها بحضرته الا أن يكون مستفيدا أو قاصدا قصد التعلم دون المذاكرة . وقد رأيت بحضرته أبا الحسن العامري ^(١) رحمه الله وكان ورد من خراسان وقصد بغداد وعاد وعنده انه فيلوف تام وقد شرح كتب أرسطاطالينس وشاخ فيها فلما اطلع على علوم الاستاذ الرئيس وعرف اتساعه فيها وتوقد خاطره وحسن حفظه للمسطور برك بين يديه واستأنف القراءة عليه وكان يعد نفسه في منزلة من يصلح أن يتعلم منه فقرأ عليه عدة كتب مستخلقة ففتحها عليه ودرسه اياها

وكان الاستاذ الرئيس رضى الله عنه قليل الكلام نزر الحديث الا اذا سئل ووجد من يفهم عنه فانه حينئذ ينشط فيسمع منه ما لا يوجد عند غيره

(١) هو محمد بن يوسف وفي ارشاد الاريب (١ : ٤١١) انه توفي سنة ٣٨١

فليراجع ايضا (٣ : ١٢٤)

مع عبارة فصيحة وألفاظ متخيرة ومعان دقيقة لا يتجسس فيها ولا يتلعم .
ثم رأيت بحضرته جماعة ممن يتوسل اليه بضروب من الآداب والعلوم فما
أحد منهم كان يمتنع من تعظيمه في ذلك الفن الذي قصده به وإطلاق القول
بأنه لم ير مثله ولا ظن أنه يخلق . وكان رحمه الله لحسن عشرته وطهارته (٣٥٣)
أخلاقه وزاهة نفسه إذا دخل اليه أديب أو عالم متفرد بفن سكت له
وأصغى اليه واستحسن كل ما يسمعه منه استحسن من لا يعرف منه الا
قدر ما يفهم به ما يورد عليه حتى إذا طاوله وأتت الشهور والسنون على
محاضراته واتفق له أن يسأله عن شيء أو يجري بحضرته نبذ منه فرغب اليه
في إتمامه تدفق حينئذ بحره وجاش خاطره وبهت من كان عند نفسه انه
بارع في ذلك الفن والمعني وما أكثر من خجل عنده من المعجبين بأنفسهم
ولسكن بعد أن يمد لهم في الميدان ويرخي من أعنتهم ويمسك عنهم مدة حتى
ينفد ما عندهم ويحزل لهم العطاء عليه . فهذه كانت مرتبته في العلوم والآداب
المعروفة ثم كان يختص بفرائب من العلوم الغامضة التي لا يدعيها أحد كعلوم الحيل
التي يحتاج فيها الي أواخر علوم الهندسة والطبيعة والحركات الفريية وجرا الثقيل
ومعرفة مراكز الانتقال وإخراج كثير مما امتنع على القدماء من القوة الى
الانفط وعمل آلات غريبة لفتح القلاع والحيل على الحصون وحيل في
الحروب مثل ذلك واتخاذ أسلحة عجبية وسهام تنفذ أمداً بعيدا وتؤثر آثارا
عظيمة ومراي تحرق على مسافة بعيدة جدا ولطف كلف لم يسمع بمثله
ومعرفة بدقائق علم (٣٥٤) التضاوير وتعاط له بديع ولقد رأيت يتناول من
مجلسه الذي يخلو فيه بثقائه وأهل أنسته التفاحة وما يجري مجراها فيبحث بها
ساعة ثم يدحرجها وعليه صورة وجه قد خطها بظفره لو تأمدها لها غيره

بالالات المدة وفي الايام الكثيرة ما استوفى دقائقها ولا تأتي له مثلاً
فاذا حضر المارك وياشر الحروب فانما هو أسد في الشجاعة لا يصطلي
بناره ولا يدخل في غباره ولا يناويه قرن ولا يبارزه بطل مع ثبات جأش
وحضور رأى وعلم بمواضع الفرص وبصر بسياسة المساكر والجوش
ومعرفة بمكايد الحروب

فاما اضطلاع بتدبير الممالك وعمارة البلاد واستغزار الاموال فقد
دلت عليه رسالته ولا سيما رسالته الى أبي محمد ابن هندو^(١) التي يجبر فيها
باضطراب أمر فارس وسوء سياسة من تقدمه لها وما يجب ان يتلافى به حتى
تعود الى أحسن أحوالها فان هذه رسالة يتعلم منها صناعة الوزراء وكيف
تتلافى الممالك بعد تناهي فسادها وما منعه من بسط العدل في ممالكه
وعماره ما يدبره منها الا ان صاحبه ركن الدولة مع فضله على أقرانه من
الديلم كان على طريقة الجند المتغلبين بتغم ما يتمجل له ولا يري النظر في
عواقب أمره وعواقب أمور رعيته وكان يفسح لجنده وعسكره على طريق
مداراتهم ما لا يمكن أحداً^(٢) تلافيه وردم عنه وكان مضطراً الى فعل ذلك
لانه لم يكن من أهل بيت الملك ولا كانت له بين الديلم حشمة من يمثل
جميع أمره وانما يرأس عليهم بساحة كثيرة كانت فيه ومساعدة في أشياء
لا يحتملها أمير عن أمور وهذه سيرة اذا عودها الجند لم يمكن ان يفظموا
عنها بل تزداد على الايام وتتمادى حتي ينتهي الى ما انتهى اليه جند عصرنا
من تسعيبهم على الملوك واقتراحاتهم ما لا يفي به دخل المملكة وخروجهم في
سوء الادب الى ما يخرج اليه السباع التي تضرأ ولا تحمل الادب

(١) هو علي بن الحسين وكنيته أبو الفرج وترجمه في ارشاد الاريب ٥ : ١٦٨

ثم كان الاستاذ الرئيس ابن العميد رحمه الله مع هذه السيرة قد دلرئ جنده ورعيته وصاحبه مداراة لو ادعى له فيها المعجزة لاشتبه على قوم وذلك انه لما استوزر لركن الدولة كان تقدمه قوم عجزة وباشروا مع عجزهم أموراً مضطربة وجندا متحكين والدنيا في أيديهم يملكونها كيف شاؤوا لا ينهم أحد منها وإنما أميرهم يسمى بالامرة ما دام يستجيب لهم الى اقتراحاتهم ومتى خالفهم استبدلوا به . وكان ركن الدولة وقبلة عماد الدولة يوسفان عليهم في الاقطاعات ويذلان لهم من الرغائب ما لا يبق لهم معها حجة ولا موضع طلبة وهم مع ذلك يتحكمون ويسطون أيديهم ويطمعون فيما لا مطمع فيه وكان قصارى الوزير والمدير ان يقيم^(٣٥٦) كل يوم وجها لنفقة الامير يومه ذلك من مصادرة العامة أو قرض من الخاصة أو حيلة على من يثم ينسار كائنا من كان وربما تعذر عليهم قضيم الكراع يوما ويومين فاما ثقافات الحشم وجراياتهم وما يقيم ارماقهم فكلت تتمحل وربما امتنع عليهم اقلمتها أياما ومع ذلك فان هؤلاء المدبرين كانوا لا يتمكنون من الفكر في وجوه الحيل لكثرة من يزدهم عليهم من الجند أغنى الديلم والأتراك وخاصة من يطالبهم بالمحالات فيهربون منهم ويتواعدون من الليل الى مواضع غامضة يجتمعون فيها وربما خرجوا الى الصحراء ويجمعون على ظهور دوابهم وينتجون أرجلهم على أعناقها بقدر ما يدبرون الرأي في وجه الحيلة واقامة وظيفة ذلك اليوم فاذا تم لهم ذلك فهو عيدهم ونشاطهم وغاية كفياتهم في صناعتهم . فلما تولى الاستاذ الرئيس ابن العميد رحمه الله وزارة الامير ركن الدولة استقام الامر حتى رأيناه يركب الى ديوانه من دار السلطان ولا يلقاه غير خاص كتابه ثم يلقى صاحبه فلا يدور بينهما الا عوارض المهم الذي لا تخلوا من مثله

ملك ووزير وضبط أعماله ونظم أموره ورتب أسباب خدمته حتى كان أكثر نهارة مشغولا بالعلم وأهله . وبسط عدله وأقام هيئته في صدور الجند والرعية حتى كان يكفيه رفع الطرف الى أحدهم على طريق الإنكار^(٣٥٧) فترعد القرائن وتضطرب الاعضاء وتسترخي المفاصل وقد شاهدت من ذلك مواقف كثيرة لو شرحتها لاطلت هذا الفصل اطالة تخرج عن غرض الكتاب . ولولا ان صاحبه كان لا يستجيب الى عمارة نواحيه كما حكيت في أول هذا الجزء خوفا من اخراج درهم واحد من الخزانة ويقنع بارتفاع ما يحصل للوقت ويرى ان دولته مقرونة بدولة الاكراد فلذلك لا يمنهم من العيث ولا يطلق يد حماة الاطراف في قصدهم ويرضى ان يقال له « قطعت القافلة وسيقت المواشي » فيقول « لان هؤلاء أيضا [يعني الاكراد] يحتاجون الى القوت » ولقد قيل مرة ان الاكراد وقعوا على بغال له خرجت للملوفة فساقوها وذلك بالقرب من البلد وبحيث يلحقون ان طلبوا فقال في الجواب : كم كانت البغال . فقيل : ستة . فقال : وكم كانت عدة الاكراد . فقيل : سبعة . فقال : سبعة بينهم الخلاف كان يجب ان تكون البغال سبعة بمددكم . فاذا كان هذا رأيه في الإنكار على أهل العيث وذلك رأيه في توفير المهارات واستنزار الاموال فسا حيلة وزيره ومدبره . فتأمل هذه الصورة وانظر الى سيرة ملك قد عود وزراءه هذه العادات ورضى منهم بما تقدمت حكايته من تمشية^(٣٥٨) أمره يوما بيوم

ثم آتت الحال الى النظام الذي ذكرته واطردت الامور اطراها المشهور الذي دبره الاستاذ الرئيس ابن العميد رحمه الله أي كفاية كانت له وأي سياسة مشتمل بين يديه ولكنه رحمه الله لما حصل بفارس علم عض

الدولة وجوه التدابير السديدة وما تقوم به الممالك وصناعة الملك التي هي صناعة الصناعات واقته ذلك تلقينا فصادف منه متعلما لقما وتلميذا فهما حتى سمع من عضد الدولة مرارا كثيرة ان أبا الفضل ابن العميد كان أستاذنا وكان لا يذكره في حياته الا بالاستاذ الرئيس وربما قال الاستاذ ولم يقل معه الرئيس ولا يحفظ عليه انه ذكره قط بعد موته الا بالاستاذ وكان يمتد له بجميع ما يتم من تدابير وسياسته ويرى ان جميع ذلك مستفاد منه وماخوذ عن رأيه وعلمه . ولعلنا نذكر منه طرفا اذا اتينا الى سيرة عضد الدولة وما تم له من حيازة الممالك وحفظ الاطراف وقمع الاعداء والحرص على العمارة مع الشدة على المريب واطفاء نائرة الاكراد والاعراب واعادة الملك الى رومة القديمة ان أخر الله في الاجل . ولعل من يطالع على هذا الفصل من كتابنا ممن لم يشاهده يظن انا أعرفناه شهادة أو ادعينا له أكثر من قدر علمه^(٣٥٩) ومبلغ فضله لا والذي أنطقنا بالحق وأخذ علينا القول الا به .

﴿ ودخلت سنة ستين وثلاثمائة ﴾

وفي هذه السنة رأى بختيار ورثي له ان يعقد بين رؤساء الاتراك ورؤساء الديلم مصاهرات لنزول العداوات التي نشأت بينهم فابتدىء بمقد مصاهرة بين المرزبان بن عز الدولة وبين بختكين المعروف بأزادويه مولى ممز الدولة وثنى بمصاهرة بين سالار بن عز الدولة وبين كتجور مولى ممز الدولة وفعل مثل ذلك بجماعة وأصلح بين الديلم والاتراك واستحلف كل فريق منهم لما لصاحبه خلفوا جميعا على موالاة عز الدولة بختيار بن ممز الدولة وسبكتكين الحاجب وحلف بختيار لسبكتكين الحاجب

وسبكتكين لبختيار بعد وحشة كانت بينهما فزال الظاهر ولم يزل الباطن .
ثم غلبت علة الفالج على المطيع لله ^(١) فنقل لسانه وجانبه الايمن وذلك في
يوم السبت لليلة خلت من صفر سنة ٣٦٠ ثم تماثل وتماسك وعاش على هذه
الحال الى الوقت الذى سلم فيه الامر الى أمير المؤمنين الطائع لله

وفي هذه السنة ورد حاجب ^(٢) لابي تغلب ابن حمدان وهو
عدة الدولة فعقد مصاهرة بين أبي تغلب باحدى بناته وبين عز الدولة بختيار
على صداق مائة الف دينار وجدد على أبي تغلب عتد ^(٣٦٠) أنعماله لاربعم
سنين حساب كل سنة ستة آلاف الف درهم ومائتا الف درهم وأنفذت
اليه الخلع

وفي هذه السنة كانت وزارة أبي الفضل العباس بن الحسين الثانية
لعز الدولة والقبض على أبي الفرج محمد بن العباس

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

قد كنا ذكرنا فيما تقدم ان عز الدولة كتب الى آذرويه بالقبض على أبي

(١) وفي الأصل : على سبكتكين . وهو غلط واضح قال صاحب تاريخ الاسلام : وفي
أول صفر سلق المطيع لله سكتة آل الامر فيها الى استرخاء جانبه الايمن ونقل لسانه

(٢) قال صاحب التكملة : وفي شهر ربيع الاول وصل أبو الحسن على بن عمرو
ابن ميمون وقد ثبتت مكانته عند القاضي أبي محمد ابن معروف من أبي تغلب وتزوج له
بنت عز الدولة وسنها ثلاث سنين على صداق مائة الف دينار وكفى الخليفة أبا تغلب
وجدد له ضمان الموصل وسائر أعماله بديار ربيعة ومضر في كل سنة بالف الف ومائتي
الف درهم ووصل ابن عمرو الي المطيع لله مع أبي عمر محمد بن فسانجس الخازن حتى
سلم اليه الخلع لصاحبه والسيوف . والراجح ان الخازن المذكور هو أبو محمد على كما
تقدم ذكره .

الفرج ومن معه في يوم وصولهم الي الاهواز وانه كتب أيضاً الى أبي قرة
بمثل ذلك وانه قبض على أبي محمد الخازن أخى أبي الفرج في مجلسه وكان
يحضره للمنادمة وأطلق أبو الفضل العباس بن الحسين من عيسه وخلع عليه
للوزارة وذلك يوم الثلاثاء آخر ليلة بقيت من رجب سنة ٣٦٠ . فلما تمكن
من الوزارة لم تكن له همة الا استصلاح سبكتكين وعول عليه وعلى كاتبه
أبي عمرو ابن آدمي وصاحبه أبي بكر محمد بن عبد الله الاصمعياني وتقرب اليه
في مظاهرة أبي قرة ومساعدته . وقلد أخاه الحسن بن محمد القنائي خزانة
عز الدولة مضافا الى ما كان يتولاه من خلافة أخيه أبي قرة على الدواوين
وقلد أبا أحمد ابن حفص ديوانا كانت تجري فيه نواحٍ اختصها بختيار
لنفسه وسماه ديوان الخصاص وكتب الى أبي قرة يستدعيه من الاهواز الى
الخرقة وأمر بإفاد أبي الفرج محمد بن العباس^(٣٦١) الى البصرة موكلًا به .
فورد أبو قرة بغداد ومعه أسباب أبي الفرج المقبوض عليهم فبلغ الوزير
أبو الفضل في اكرامه كل مبلغ وعظمه وتجددت بينهما معاهدة ومحاطة بأمر
عز الدولة وسبكتكين اياهما واتفقت كلمة الجماعة

ثم نظر الوزير أبو الفضل في أمره وزيادة خرجته على دخله وقلبه ظهر آ
لبطن فلم يروجهما غير اطماع عز الدولة في أوال عمران فخرضه عليه وقرب
عليه أمره واتفق ورود أبي قرة وقد تمت العزيمة . فشخص بختيار متقدما
وسار في الجانب الغربي على الظهر والوزير أبو الفضل وأبو قرة انحدرا
في الماء واجتمعت الجماعة بواسطة وذلك في شوال سنة ٣٦٠

وفي هذه السنة ارتفع امر ابن بقية مع عز الدولة وعلا شأنه حتى بلغ
الزيادة كما سنحكه بأذن الله

﴿ ذكر ارتفاع ابن بنية ﴾

كان هذا الرجل من القرية المعروفة باوانا وكان أبوه مزارعا وجده بنية واليه كان ينتسب ونشأ في أيام الفتنة وغلبه أهل الرستاق على طريق دجلة العليا ودخل في غمارهم وانتسب إلى بعض عيارهم وكان جرى رسمه بتقليد المآصير . واتفق له أن اتصل بصاحب مطبخ معز الدولة المعروف بممله وكان ضامنا لتكريت^(٣٦٢) وما يجري معها من المآصير العليا وأبواب المال فلما خدم ممله توجه معه وخف على قلبه فتدرج من حال إلى حال حتى استعمله على هذه الأعمال كلها وفوضها إليه وكان فيه سماحة نفس وخفة مع اقدام وتهور استفادهما من الحال التي نشأ عليها . واتفق على ممله اتفاق سيء من عال اتصلت به واعراض من معز الدولة عنه فشرع أبو طاهر ابن بنية في ضمان أعماله وعنى به جماعة من الكتاب لاجل ما كان يبذله لهم فمقدت الاسمال عليه الا انه لم ينفق على معز الدولة ولا وثق به على مطبخه فقلده غيره^(١) ووفى بمال ضمانه وأقبلت حاله تنزايد وصدره يتسع للبذل حتى غلب على الوزير أبي الفضل وقرب منه وتعلق منه بعناية . وتوفى معز الدولة فنفق على عز الدولة بخيار وبذل له مرفقا يوصله اليه مما ينظر فيه فقبل

(١) قال فيه صاحب التكملة : وكان يخدم في مطبخ معز الدولة حتى خدم أبا الفضل الشيرازي وكان واسع النفس وكانت وظيفته في كل يوم ألف رطل نلجا وفي كل شهر أربعة آلاف منا شعما وكان يفعل كما تفعل وزراء الخلفاء من الجلوس في الدسوت الكاملة وبيضع وراء مجلسه أساطين الشمع وبين يديه عدة أنوار فيها الموكيات والثلاثيات وفي كل مجلس من الدار تورقيه ثلاثية وان كان المكان خاليا وفي أيدي الفراشين الموكيات بين يدي من يدخل ويخرج وفي الشتاء يترك بين يديه كواخين الفحم فيها حجر الغضا ويترك عليه اقطاع الشمع فكان يشتعل أحسن اشتعال

بختياره ذلك وردت اليه الوكالة وتلد المتبخر فبلغ بالمرنق الذي بذله لبختيار
عشرة الاف درهم في كل شهر واشترط أن ينصره على الكتاب وأصحاب
الدواوين ومنعهم من الاستقصاء عليه ويشد على يده في استيفاء أموال
تسبيباته من الوكالة فوفى له وكان يحمل اليه هذا المرفق الذي ذكرته مشاهرة
ثم أنس به في خلواته ومجالس لهوه وانبط اليه بانواع من المزاح^(٣٦٣) كان
يستعملها في مجالسه مع ندمائه فلطف وقومه ودخل معه كل مدخل . ثم صار
يهاديه بالخييل والبغال والجوارح والالطاف والجواري والمبيد ودخل
في جلالة العز فعرض جاهه عنده حتى صار يتوسط يده وبين كل رافع
ظلامة وطالب حاجة فلما أفضت هذه الوزارة الثانية التي نحن في ذكرها
الى أبي الفضل كان ابن بقية قد استولى غاية الاستيلاء وصار في مثل منزلة
شيرزاد اختصارا ومنزلة وغلبة على أمره واحتاج الوزير أبو الفضل اليه
لبحفظ غيبه وانحدرت الجماعة الى واسط لحرب عمران

واستدعى الوزير أبو الفضل أبا الفرج محمد بن العباس الى واسط
وكان معتقلا بالبصرة وأخذ خطه بمال عظيم لا ينهض به وأنقذه الى بغداد
ليصححه هناك وكذلك فعل بأخيه أبي محمد فجري عليهما ببغداد أمر قبيح
يجري مجرى التشفي من غير ضرب ولا مكروه في الجسم بل بضروب من
الاستخفاف والاهانة والاسماع فتم لهما الهرب واستترا عند بعض أسباب
سبكتكين . فعادت الوحشة بين أبي الفضل وبين سبكتكين واتهم بأنه يسفر
له في السواد الى الوزارة والجائته الحال الى مطالبة عز الدولة بختيار باليمين
القومس على الا يستوزره أبدا ولا يستعين به في شيء من الاعمال إن لم
يظهر بعد شهر من تاريخ اليمين^(٣٦٤) وحالف له عز الدولة بحضرة القواد

والقضاء والشهود ووجوه الخاشية وكان في اليمين كل ما يكون في إيمان
البيعة ولقنه نفسه حرفا حرفا وبقي الامر كذلك وأبو الفرج مستر الى
أن عاد عز الدولة الى بغداد بعد سنتين وأخذ له ولاخيه امان فظهرا بعناية
سبكتكين . وضمف أمر الوزير أبي الفضل وضمفت منته وتأدى أمره الى
النكبة التي هلك فيها ووفى بمختيار باليمين وقلد أبا طاهر ابن بقیة الوزارة
فكف عن أبي الفرج لانه علم انه لا يستوزر ولا يشرع في شيء من فساد
حاله ونفى أخاه أبا محمد الى واسط وأجرى عليه رزقا . ثم ان أبا محمد أصد
الى بغداد بغير أمره وذلك لارجاف ارجف عنده بالقبض على ابن بقیة
فاغتاز لذلك وقبض عليه ونقاه الى البطيحة فحصل عند عمران مدة ثم أصد
سرا واستتر ببغداد في عرض القن التي كانت تجري ثم تمكن ابن بقیة منه
ومن أخيه وطالبهما ثم نقاه ونفى أبا الفرج الى سر من راي واعتقله بها

﴿ ذكر ما انتهى اليه أمر أبي قرة بعد حصوله بواسط ﴾
(وقوة أمره وعناية سبكتكين وأصحابه به)

لما أنس أهل واسط بقرب عز الدولة منهم وطال مقامه بينهم تظلموا
اليه سرا ولقيه نفر منهم فاعلموه انه قد أخرج بلادهم وأفقرهم وظلمهم
وغشهم وصادرهم وملك عليهم ضياعهم^(٣٦٥) وانه استحصل منهم ما حرمه
الله وصححوا عنده سعة حاله وكثرة ماله وجلالة ضياعه فاستعظم بمختيار
ذلك وغازله فعلمه وتمكنه من النعم الكبيرة حتى أزالها واستبد بها فعرفه
عن واسط وتقدم الى ابن بقیة أن ينظر فيها على سبيل الامانة . فاتهم أبو قرة
الوزير أبا الفضل بأنه عن رأيه ومساعدته ولم يكن كما ظن فكتب الى

سبكتكين الحاجب يعرفه ماجرى ويحرضه على أبي الفضل ويعلمه انه فد حنث في يمينه وعقوده التي بينهما وعاد الى أسوأ فعله واعتقاده . ثم عطف أبو قره على أبي طاهر ابن بقية فخاعله بكل ما كره وتوعده وهدده بالنكبة وطالبه بالحسابات لما يجرى على يده دخلا وخرجا فاستطال عليه ابن بقية واتصف منه ونصره بختيار فانخزل أبو قره . واتصل بسهل بن بشر النصراني كاتب بختكين آذرويه وهو بالاهواز ماجرى على أبي قره وضمف أمره وكانت بينهما عداوة قديمة فكتب الى بختيار يضمه بمال عظيم وساعده ابن بقية فقبض على أبي قره وأسبابه واستبيح ماله وقبضت ضياعه وغلانه فسارع الى التزام مصادرة ثقبلة عن نفسه واسبابه وبذل بعد ذلك أموالا عظيمة يثيرها من محاسبات الضمنا واستعمال ابن بقية وعاهده على أن يكون كل ^(٣٦٦) واحد منهما ناصرا لصاحبه . ثم ان بختيار مال الى ما بذله أبو قره فامر بأن يخلع عليه ولم يكره الوزير أبو الفضل ذلك لتزول التهمة التي سبقت الى سبكتكين في أمره

﴿ ذكر السبب في انتقاض أمر أبي قره بعد تماسكه ﴾
(وبعد اشرافه على الخلاص من النكبة)

كانت الخلع أحضرت ليلبسها فكره المنجبون له الوقت واشاروا عليه بالتوقف إخباره يوم فورد للوقت غلام لسهل بن بشر على البريد برسالة منه ومن بختكين آذرويه صاحبه يستلان تسليم أبي قره اليه بزيادة بذلها وضمه بها وصادف ذلك خوف الناس من عوده بعد سماعتهم به وانه عدو لهم يستأصلهم فسدوا الى ابن بقية به حتي أشار على عز الدولة بتسليمه الى

سهل بن بشر وعرفه انه انما ضمن تلك الاموال حيلة في الخلاص والعود الى التعزز عليه بسبكة كين فسلمه الى رسل سهل بن بشر وحمل من ليلته الى الاهواز وصودر هناك وتشفى منه وتلف في أنواع المسكاره التي جرت عليه^(١) وقد ديوانه أبو احمد ابن حفص^(٢) ثم أفضت الوزارة الى ابن بقية فضعفت يده وقل نظره لاستيلاء ابن بقية على المملكة فلم يبق من هذا الديوان الا الاسم

وفي هذه السنة قتل حمدان أخاه أبا البركات

﴿ ذكر السبب في ذلك والاتفاق الحادث ﴾

﴿ عن قصد وغير قصد^(٣٦٧) ﴾

كنا ذكرنا ورود حمدان ورجوعه الى الرحبة وتسام الصلح بينه وبين أخيه أبي تغلب ولم يلبث الامر بينهما ان عاد الى فساد فاتفق أبو تغلب أخاه المكني بابي البركات اليه حتى دفعه عن الرحبة فسلط طريق البرية يريد دمشق وملك أبو البركات الرحبة خلف بها طائفة من جيشه مع غلام من غلمانه وعامل من عماله ورحل منصرفا

وانتهى حمدان الى بعض طريق البرية ولحقه وأصحابه عطش ولم يمكنه الاتمام فرجع مخاطرا بنفسه ووصل الى باب الرحبة ليلا والقوم الذين فيها غافلون نيام ونهياً لنفر من غلمانه ان دخلوا البلد من ثلثة في السور غامضة كانوا

(١) قال صاحب النكمة : وفي هذه السنة قبض على أبي قرّة بالجلمدة وحمل الى جندبادور فمات تحت المطالبة وكان قد نفل الفبة التي على قبر الوزير القاسم بن عبيد الله وهي قبة مشهورة بالشؤم ونصبها على مجاس في داره وكان القاسم قد تقوى في عملها فدفن تحتها حين تمت (٢) هو محمد . كذا في النكمة

يبتدون اليها وفتحوا له باب الرحبة فدخلها واستروا السور وضرب
بالبوق فنادى القوم الى الباب منقطعين متفرقين واپس يعلون بحصول حمدان
من داخله فكان يوقع بهم أولا أولا وأسر عاملي الخراج والمعونة ووجد
في أيديهم غلات قد وردت في السفن فغنمها وغنم سوادهم وآلاتهم وسلاحهم
وكراعهم وصادرهم وأصعد على الفرات في الجانب الشامي الى قرقيسيا .
واتصل خبره بابي البركات وهو سائر الى الموصل فمظف عليه وحازاه من
الجانب الجزرى وتخطبا وتراسلا فلم يتم بينهما صلح ولا اتفاق ولم يمكن أبا
البركات ^(٣٦٨) المقام لضيق الميرة على عسكره فرجع يريد الخابور . فاتفق أن
صار الى حمدان مائتا فارس من بنى غير مستأمنة وكانت عدته ثلثمائة غلام
فصار في خمسمائة فارس فتبعته نفسه العبور في أثر أخيه والتصمك على عسكر
وكان فيه جرأة واقدام تخاطر وعبر في جريدة خيل وسار حتى أذركه
بمنزل يقال له ماكسين وهو راحل مجتاز فنزل منه على فرسخين وبكر في
الفلس فزحف اليه فصادفه قد سبق بسواده وبعض جيشه وهو ماض على
غير استعداد لانه لم يقع في ظنه أن حمدان يقدم عليه مع التفاوت بين عدتيهما .
فلما قيل له انه قد وافى عطف اليه في طائفة من الرجال ليتلاحق به الباقون
فبث حمدان أولئك العرب في الاغارة على سواده ومنع العسكر ان ينتظم
شمله وحقق على أبي البركات في الحملة مع غلمانة فوجده متسرعاً في أول
الناس فاجتمعا ، تصادمين وعرف كل واحد منهما صاحبه فتضاربا بالسيف
ولم تكن على أبي البركات جنة فضر به حمدان على رأسه فسقط الى الارض
وأخذه أسيراً وبه رمق . واستباح سواده واستأمن اليه جماعة من أصحابه
وأسر جماعة وقتل بعض الاسارى واستبقى البعض وانكفأ الى قرقيسيا

ليمالج أخاه من ضربته وظن أنه ينجو فتلغ بمسد ثلاث^(١) فانفذه في تابوت الى الموصل واستحكمت العداوة بينه وبين أخيه أبي تغلب^(٢)

واختلف باقي الاخوة وتحاذلوا وتنافسوا وكانوا متفرقين في أعمالهم فبلغ أبا تغلب أن محمداً من بينهم المكنى أبا الفوارس وكان يتولى نصيبين قد كاتب حمدان وعمل على اللحاق به والاجتماع معه عليه فاحتال عليه واستدعاه وأطمعه في الاحسان والزيادة فاغتر محمد وصار اليه فقبض عليه واعتقله في قلعة أرد مشيت وضيق عليه هناك وثقله بالحديد حتى أطلقه عضد الدولة لما ملك تلك الديار^(٣) وكنت مندوباً لنقل ما في تلك القلعة من الذخائر مأموناً على ما فيها فجرى ما سأذكره اذا انتهيت اليه .

واستوحش باقي أخوة أبي تغلب لما جرى على أخيم محمد وأقبل أبو تغلب يستميلهم فخدعهم واحداً واحداً فصاروا اليه بعد أحوال تتقلب بهم بنوى أبي طاهر ابراهيم فانه لم يسكن اليه ورحل الى بغداد مستأمناً الى عز الدولة بختيار على طريق دجلة . وسار أبو تغلب الى قرقيسيا وأتخذ منها أخاه أبا القاسم هبة الله سرية في جيش كثيف الى الرجة بتقدير أن يكبس أخاه ويأخذه اسيراً فما أحسن به حتى أطل عليه فخرج هارباً واتبعه ابنه وطائفة

(١) قال صاحب التكملة : واعتذر حمدان بأنه دفع عن نفسه بقتله فقال أبو تغلب : والله لالطفته به ولو ذهب ملكي . ولما عرف هبة الله بن ناصر الدولة ما جرى على أبي الفوارس ثار به المرار وأذكر فعل أبي تغلب . وكتب الحسين بن ناصر الدولة الى أخيه أبي تغلب وهو صاحب الحديثة يقول : ان ابنه قد وفق الأمير في أفعاله ونحن وان كنا أخوة فنعن عيد ولو أمرني بالقبض عليه لفعلت . وقال أبو تغلب : هذا كتاب من يريد أن يسلم

(٢) وقصة أطالته من القلعة موجودة في الفرج بعد الشدة ٩ : ١٣٦

مرث غلمانة ولحقه هبة الله فابقى عليه حتى نجا . ثم وقعت ^(٣٧٠) عليه سرية للقرامطة كانت سائرة الى الشام لقتال صاحب المغرب فارادوا الايقاع به فتعرف اليهم وكان متعلقا بينهم بدمام فكفوا له وبذلوا له من نفوسهم ما أحبه فسألهم أن يسير معه فمر منهم الى طريق عانة فقبلوا وعدل الى مدينة السلام فاستقر الاخوان بها في ذى الحجة سنة ٣٦٠ وكتب بخنيار اليهما بالانحدار اليه الى واسط فانحدرا ووصلا اليه في صفر سنة ٣٦١ وتلقاهما واكرمهما ^(٣٧١) وأمر بحمل ازال كثيرة اليهما وردهما الى بغداد بعد أن حمل الى كل واحد عند رحيلهما هدايا كثيرة من الثياب والورق والطيب والدواب والبغال . والمراكب . وسندكر ما انتهت اليه أحوالهما بعد ذلك ان شاء الله

﴿ ذكر تدبير دبره الوزير أبو الفضل على سبكتكين ﴾

(لما استوحش منه فلأنمكس عليه)

قد قلنا ان أبا الفضل أتهم سبكتكين بأنه ستر أبا الفرج وأبا محمد وحامي عليهما وأنه يريد ان يسمى لابي الفرج في الوزارة وكان سبكتكين أتهم أبا الفضل بأنه دبر علي أبي قرة حتى قتل بعد ذلك بالمذاب الطويل فشرع أبو الفضل في استصلاح سبكتكين بكل وجه وحيلة فلم يجد الى ذلك سبيلا فصبر حينئذ على عداوته وأخذ في التدبير عليه . فكان من ذلك ان اشار على بخنيار بان يستدعي آزاد رويه من الاهواز ويزيد في حاله ومحله وقيمه كالنفس لسيبكتكين لينجذب الاتراك ^(٣٧١) الى هذا ويفلهم عن ذلك فقبل بخنيار بما أشار به عليه . وورد بختكين واسطا فعظم أتم تعظيم وفخم أمره أشد تفخيم

(١) زاد صاحب التكملة . وأزل حمدان دار أبي قرة وأزل أبا طاهر ابراهيم في دار أبي العباس ابن عروة

وعقدت عليه واسط مضافة الى الاهواز فلم يتم ما قدر من اقتضاض الاتراك
عن سبكتكين وذلك أنهم تذبها على المقصد وعلموا أنه انما دبر على تفريق
شملهم وايقاع التنافر بينهم وكانوا قد تحالفوا على المعاضدة والاي تفرقوا .
واشفق بختكين آذاذويه من أن يمتزلهم وينفرد عنهم فصار واحداً منهم
فانعكس تدبير الوزير أبي الفضل واضطر الى العود الى بابه والنزول تحت
حكمه وطلب سامه بعسد مما تابات ومراسلات . ولما عاد بختيار الى بغداد
زاد في منزلة سبكتكين وأمر بان يخاطب بالاسفهلار وتموهت الوحشة
واندرجت على غير وثيقة . ولما عزم بختيار والوزير على الاصعاد عن واسط
قدما أبا طاهر ابن بقة الى سبكتكين ليصالح ما اشعث بينه وبين الوزير
أبي الفضل ويستعيد له جميل رأيه فجرى الامر أيضا في ذلك على تقاق
ووحشة في السر واندمسل الجرح على فساد الى أن تم على الوزير الصرف
والنكبة واتصل بقتله وابادته

وفي هذه السنة هلك أبو طاهر الحسين بن الحسن عامل البصر
وكل من اتصل به وغفت آثارهم وزالت نعمهم ولم يبق منهم على وجه الارض
نافخ ضربة (٣٧٢)

﴿ ذكر السبب في اجتياح الزمان له ولهم ﴾

كان هذا الرجل فيه شهامة وكفاية وتهور مع ذلك ومخاطرة ولما
حصل بختيار بواسط أكثر الناس من حديثه وما وصل اليه من الاموال حتى
اتسعت فيه الظنون . وكان الوزير أبو الفضل يعلم ان ذلك باطل وليس
يجب أن يفسد نظام أمور البصرة بصرفه والطمع في يسير ماله وكانت
البصرة معتدلة الحال مستقيمة الامور . فأغرى بختيار بالمصير الى البصرة

وأقيم في نفسه أنه يصل منها الى مال كثير ولم يكن وراءها فساد اليها ولم يجد بها ما كان مولعا به من المتصيدات ولا تمكنت البزاة والجوارح من الصيد لكثرة نخلها وشجرها ولا تطفه هذا العامل بالهدايا والتحف ووافقه على صرفق يرفقه به ومشاهدة يقيمها له وتجاوز ذلك الى أن ضمن له ائارة مال من البصرة على طريق التأريلات على التجار والماملين وأراد بذلك الدفع عن نفسه . ووافى الوزير أبو الفضل البصرة بعد أن رتب عساكره على طفوف البطيحة . لان المد وافي وكثر فلم يمكن طلب عمران بن شاهين واحتيج الى الانتظار الى وقت النقصان فامره بختيار بالخلع على أبي طاهر المامل وتقبل ما بذله له . ولم يستطب البصرة لعدم الصيد الذي ذكرته فماد الى واسط ووصى الوزير بتقوية يد المامل والزيادة في بسطه^(٣٧٣) والرفع منه فاضطر الوزير الى امثال مارسه له وهو لا يختاره ولا يستصوبه . فبسط أبو طاهر المامل يده في القبض على التجار والعوام وتأول عليهم بالمال واستخرج منهم أموالا كثيرة وظن أنه قد تمسك من بختيار بمهد يثق به وأنه من يعتمد على قوله وذمامه وحدث نفسه بمنزلة أبي قرة وان يرتقى منها الى منزلة الوزارة فسأ رأي الوزير أبي الفضل فيه وأخذ في التدبير عليه والسمي على دمه فكاتب الى بختيار يعرفه انه قد أخرب البصرة وأفسد نيات أهلها وأنهم عيب لا يحملون ما يحملونه غيرهم ويزعم ان أموالهم الآن قد حصت والذواب يقتضي ارضاءهم بالقبض على هذا العامل والاستبدال به ومصادرته على مال يضاف الى مصادرتهم ثم دس الى عز الدولة من يغريه به ويعظم عليه جناياته ويعظمه في ماله الى أن أمر بالقبض عليه فقبض الوزير عليه وعلى أخيه والمصلين به حتى زوجته وعياله وأقاربه وأسبابه كلهم وعقد

البصرة على علي بن الحسين المعروف بأبي القاسم المشرف وسلمه اليه اعداوة كان يعرفه بينهما وأخذ خطه بأن يستخرج منه ومن أسبابه مالا عظيما وأصعد عن البصرة لاستتمام منازل عمران بن شاهين . وكان هذا العامل (أعنى أباطاهر) من أهل الشر فكثير خصماؤه^(٣٧٤) وطلاب الطوائف عنده ففسقه علي بن الحسين وسلمه الى مستخرج كان قد وتره فثأنته منه مكاره عظيمة خاف معها ان يسلم فيكون بواره على يده فأتى على نفسه ثم ألحق به أخاه وأقاربه وزوجته فأتاف الجماعة بأسرها وعنى آثارها . ثم عطف على بن الحسين على معامليه ومخاطبيه وقوم تأول عليهم فصادروهم لصحة المال الذي ضمنه فما صح له من جميع الجهات الا البعض وانكسر الباقي وانعمت آثار أبي طاهر من الارض فلم يبق له بقية

﴿ ذكر سوء تدبير بختيار لامر عمران منذ انحدر من ﴾
 ﴿ بغداد الى أن خرج عائدا اليها وماتم لعمران ﴾
 (من الطمع فيه والاستظهار عليه)

كان بختيار لما خرج عن بغداد لمحاربة عمران أظهر أنه يريد الخروج الى البصيرد بناحية النعمانية مغالطة لعمران وظن أنه يرهقه عن التعرز منه والاستعداد له . وقد تفعل الملوك مثل هذا ولكن مع اتنام العزائم والصبر على مطاولة العدو بالمكايد التي تشبه هذا الابتداء لا بان يكون مبدأ التدبير صوابا يشبه الآراء الوثيقة ثم يتبعه باللب والاشتغال عنه بالعبث وبترك الاستظهار واهمال الجند حتى تحرق الهيبة وتزول الحشمة ويظهر لاسدو عصيان الجند وقلة النظر في الحرب والتعويل على الجد دون الجهد حتى يظلم

على الحيرة والتبلد ومكان^(٣٧٥) العورة والضرورة الداعية الى مقاربتة في طلب الصلح منه والجنوح الى السلم بعد النزاع الى الحرب فان بختيار عمل في المبدء ذلك العمل الواحد ثم اتبعه بجميع ما ذكرته وذلك انه استطاب التصيد الذي أظهره مكيدة لعدوه وأقام بالذمائية شهرا مع عساكره التي علم معها عمران ان قصده بهم اياه^(١) لا غيره . ثم أمر وزيره أبا الفضل ان ينحدر الى الجلمدة وطقوف البطيحة وبني أمره معه على ان يسد أفواه الانهار ومجارى المياه الى البطيحة ويمد بها الى غيره وان يبنى مسنة عظيمة يمكن سلوك الدليل عابها مشيا الى معقله وهذا ضد ما بنى عليه أمره في الابتداء ولا يشبه الحيلة التي تؤدي الى ارهاق العدو ومنعه من الفسك فان الهجوم والكبس والبيات يتم بالمساجلة والركض الى الغاية دون التمهل والاخذ والتدابير البعيدة والاعمال الطويلة

فلما طالت المدة في عمل هذه السدود وجرت في اضماها وقائع لحقت المدود وغلب الماء والسيل علاج السكور فاحتيج الى الامساك عنها والانصراف عن اتقانها الى حفظ ما عمل منها بالرجال حتى لا يفسدها العدو لاسيما وعمران متدرب بذلك قد اعتاد في جميع حروبه ان يمسك عن عدوه حتى ينفق ماله ويكد رجاله فاذا أحس بالمد ومجيء السيول^(٣٧٦) احتال في تخريب ما يبنى له من السكور وانما يكفيه ايقاع ثلثة يسيرة في احد نواحي السد ثم يحمل الماء فيتولى كفايته في الهدم والتخريب فربما أفسد في ساعة من الليل أو النهار تب سنة أو نحوها . وذلك ان هذه السدود تكون من قصب وتراب يُقام في وجوه المياه الجارية عند ضعف

(١) لعله انه قصد بهم

جريانها وغاية نقصانها فاذا وردت المياه القوية ومنعت من حـدورها كفى
 منها اليسير من المعونة حتى تنبث ويدفع بعضها بمضا وربما كان سبب
 انبثاق الماء نـقب فأرة ثم بوسعه الماء وينتهي فيه الى حيث لا حيلة في سده
 ولما عمل بختيار ووزيره ما ذكرته من السدود وأتى البدكان قصاراها حفظ.
 ما عمل بالرجال حتى لا يتم لعمران حيلة في هدمه فعدل عمران عن هدم
 سكوره الى الانتقال الى معقل آخر من معاقل البطيحة ونقل غلاته
 وزواريقه وجميع أمتعته الى هناك فلما انحسر الماء وجاءت أيام الجفاف من
 السنة الثانية وجد مكان عمران خاليًا منه ولم تكن له آلة يطلبه بها فطلب
 غلاته فلم يجد فيها شيئاً فانصرف خائباً . وضجر المسكر من المقام على الشقاء
 ولم يصبروا على أذى البق وحر الهواء وانقطع المواد التي انفوها فشغبوا
 عليه وتناولوا الوزير بالسنتهم وهموا بالايقاع به وتحالف الديلم والأتراك
 (٢٧٧) على النعصب واتفاق الكلمة وأبوا ان يقيموا أكثر مما أقاموا فاضطر
 بختيار الى طلب مصالحته على مال يلتمسه منه (وقد كان هابه في أول الامر
 فبذل له خمسة آلاف الف درهم) فلما طاب هذا المال بعد اضطراب الجند
 وطول المقام وانقطع الحيلة امتنع عليه منها وبذل الى الف درهم بواسطة
 سهل بن بشر كاتب بختيارين آراذرويه وكانت بينه وبين عمران صداقة فنجم
 عليه هذا المبلغ ثم تماسك عمران وامتنع من التوثقة بما وافق عليه واقتصر
 منه على اليمين أيضاً فاضطر الوسائط الى ان يقولوا لبختيار انه قد حلف وما
 حلف . وانصرف بختيار عنه مع عسكره خائبين عليهم الزلة
 وحدث للمسكر زيادة على المهود من سوء الخدمة وقلة الطاعة
 والاستطالة حتى وثبوا على سهل بن بشر مرة لاجل مال كان حمله معه

فاحسوا به وطمعوا فيه ونهبوه واجتهد بختيار في ارتجاع شيء منه فما أمكنه ذلك . ثم وثبوا أيضا على محمد بن أحمد الجرجاني (وكان ينظر في أمورهم ويخلف الوزير عليهم) لاشياء كانوا اقموها عليه وأبوا ان يكون متوليا عليهم فارضاهم الوزير بصرفه عنهم ووجد السبيل الى مصادرتة فاستخرج منه عشرة آلاف دينار كانت سبب حقه حتى صار في جملة من سمى به ودبر في هلاكه ^(٣٧٨)

وقد كان قبل هذه السنة ندب عضد الدولة كوركير بن جستان لمحاربة سليمان بن محمد بن الياس وكان سليمان هذا بخراسان وأطعم صاحبها في كرمان والقفص والبلوس في طاعته فضم اليه صاحب خراسان جيشا وجاء الى كرمان فاستنوى هاتين الطائفتين وغيرهم من الامم المفارقة لطاعة السلطان الاكبر فصارت هذه الطوائف يدا واحدة في شق العصا . فلقية كوركير بين جيرفت وبتم وجرت بينهما حرب أجات عن قتل سليمان ^(١) وبكر والحسين ابني اليسع أخيه وعدد كثير من قواد خراسان والرجال المضرمين اليه وحملت رؤسهم الى شيراز وأنفذها عضد الدولة الى حضرة أبيه ركن الدولة

واجتمعت المنوجانية وسائر القفص والبلوس وفيهم أبو سعيد البلوصي وأولاده وغيرهم من الرؤساء على كاة واحدة في الخلاف وتحالفوا على الثبات والاجتهاد فضم عضد الدولة الى كوركير عابد بن علي فسارا الى جيرفت فيمن معهما من العساكر فوتمت الوقعة يوم الاربعاء لعشر ليال خلون من صفر سنة ٣٦٠ وأجلت عن هزيمتهم وقتل خمسة آلاف رجل من

(١) قتله زريزاد ودفن بدارزين . كذا في تاريخ هلال الصابي فيما بعد

أشدائهم ووجوههم وقتل ابنان لابني سعيد البلوصي وحصل المعروف بابي
 الفوارس الموحاني في الاسر وابن أخيه^(٣٧٩) أبو الليث وجماعة يجررون مجراهم
 ثم صمد عابد بن علي أقص آثارهم والتولج الى مكانهم ليبيد غصراءهم
 فتابع الايقاع بهم والائتخان فيهم وانتهى الى هرموز فللكها واستولى
 على بلاد النيز ومكران وحصل في يده بعد من هلك في الحروب القاسية
 من رجالهم ونسائهم وذرايعهم فلأذوا بطلب الامان وبدلوا تسليم المعاقل
 والجبال على ان يدخلوا في السلم وينزعوا شعار الحرب ويقتنعروا بالاقوات
 التي تحل وتطيب ويتحلوا بسماء المسلمين وقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة
 ويصوموا شهر رمضان وتمسكوا بشروط الايمان فعدوا على أنفسهم
 بذلك عمدا وثيقا. ثم عدل عابد بن علي الى طوائف آخر من الامم المخالفة
 في حال تصاقبهم يرفون بالحرمية والجاهلية يخيفون السبل في البر
 والبحر وكانوا ضاموا سليمان بن محمد بن الياس فوقع بهم وقتل كثيرا
 منهم وحصل في يده رئيسهم أبو علي بن كلاب ففرض عليه قبض على
 خلق منهم فاقبضهم الى شيراز فوطأت تلك الاعمال وصاحبت مدة
 من الزمان

ثم لم يلبث البلوص وكانوا أشد هذه الطوائف بأسا وأوعدهم جانبا
 وأشدهم كفرا ان اشتاقوا الى عاداتهم من اخافة السبل وسفك الدماء
 الحرام ونقض^(٣٨٠) ما كانوا تمسكوا به من تلك اليهود فلما فعلوا ذلك
 اعتقد عضد الدولة الاحيلة في صلاحهم ويثس منهم فرأى الا يبقى عليهم
 وعزم على السير بنفسه الى كرمان فسار في ذي القعدة سنة ٣٦٠ فلما انتهى
 الى السيرجان وجد البلوص قد تبسطوا في الاعمال وسعوا فيها بالفساد

ونصبوا للرئاسة عليهم على بن محمد البارزي ولقي الناس منهم عنتا شديدا في جميع طرق كرمان وسجستان وخراسان فجرد عابد بن علي في عسكر كثيف من الديلم والجيل والاتراك والاعراب والاكراذ والزط والرجال السيفية وأنقذه اليهم فلما أحسوا باطلا له عليهم أوغلوا في الحرب وملكوا طرقا ضيقة شاقة ظنوا ان العسكر لا يمكنه سلوكها ولا اتباعهم فيها ثم ان عابدا أنفذ أخاه في سرية قوية خلفهم وسار هو في باقي الجيش من طريق آخر الى بلادهم التي يأوونها الى جبال البارز ففتحها^(١) بغزوة واستنزل عنها محمد بن علي البارزي وظفر بصهره أبي دارم وقد كانوا أنفذوا طلائع لهم وعيونا ليأتيهم بالاخبار فنذر بهم وقبض على جماعتهم فلم يرجع اليهم مخبر منهم فكانوا ساكنين غارين الى ان أطل الجيش في الموضع الذي ظنوا انهم آمنون فيه فلم يجدوا مهربا ولا مدلا عن المجاهدة فثبتوا سحابة^(٣٨١) يوم الاثنين لاحدى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الاول سنة ٣٦١ منذ طلوع الشمس الى غروبها ثم انجلت الواقعة عن قتل الرجال المقاتلة الا القليل وعن الاحاطة بحرمهم وذرائعهم وأملأهم ونجا في الوقت رئيسهم المعروف بابن أبي الرجال البلوصي مع جماعة من الوجوه ثم ظفر بهم من بعد فقتلوا جميعا ودخل نفر يسير ممن بقي تحت الامان وتشبهوا بالعهد والذمام فنقلوا عن تلك الجبال وأسكن عضد الدولة مكانهم الاكرة المزارعين والمستورين من أجناس الرعية حتى طبقت تلك المواضع بالمارات وطهرت تلك الجبال من معرة أوائلك المفسدين

ثم عاد عابد بن علي الى الامة المعروفة بالجاشكية ومن يجري مجراها

من الدعار وكانوا وراء جبال القفص مما يلي التيز ومكران والسواحل الى حدود عمان ولهم معرفة شديدة وفساد كثير وجنابات عظيمة على الناس وأنفذ عابد أخاه في عسكر قوى من الديلم والأتراك والعرب وغيرهم وحمل معه الزاد على الجمازات في البر وعلى الشذاآت والمراب في البحر من سيراف الى مكلي هر موز وسواحل كرمان فقطع عدة مضايق حتى وصل اليهم وهم غافلون لا يظنون ان أحدا يصل اليهم فوقع بهم وقتل وأسر واصطلم ولم يبق من طبقات ^(٣٨٢) الدعار في تلك النواحي أحدا . وفي هذه السيرة تنكر عضد الدولة لكروركير فقبض عليه وردّه الى سيراف واعتقله اعتقالا جميلا فيه بقية للصلح

ودخلت سنة احدى وستين وثلثمائة

وفيها تمكن الاستاذ الجليل أبو الفتح ابن أبي الفضل ابن العميد رحمه الله من الوزارة ^(١) بعد أبيه وفوض اليه ركن الدولة تدبير ممالكه ومكنه من أعنة الخيل فصار وزيرا وصاحب جيش على رسم والده الا أن والده باشر هذه الامور في كمال من أدواته وتعمام من آلاته على ما شرحناه فيما تقدم وكان لوفور عقله يدارى أمره مع صاحبه ومع عسكره ثم يسوس رعيته والممالك التي يراعيها ويدبر الجميع تدبيرا ملائما لوقته موافقا لزمانه فلا يظهر من الزينة وأبهة الوزارة الا بمقدار ما يقيم به مرتبته ولا يجاوز ذلك الى ما يحسد عليه وينافس ثم يتواضع تواضعا لا يخرج به الى غضاضة تلحقه في جاهه أو تحطه عن المنزلة العالية التي يرقب اليها وكانت سلامته طول مدته على أصناف الناس وطبقاتهم وقيام هيئته وتتمام سياسته متصلة تزيد على الايام ثناء وثباتا .

(١) ايراجع ترجمته في ارشاد الاربيب ٥ : ٣٤٧

فاما ابنه أبو الفتح فكان فيه مع رجاحته وفضله وأدب الكتابه وتية ظه
وفراسته^(٢٨٣) نزع الحداثة وسكر الشباب وجرأة القدرة فتطلعت نفسه الى
اظهار الزينة الكثيرة واستخدام الديلم والاتراك والاحتشار في المواكب
التي يركب فيها واتخاذ الدعوات لصاحبه وسائر عسكره التي يلتزم فيها الخلع
والحملان على الدواب والمراكب والامراف في الصلوات والنفقات تشبها
بوزراء عز الدولة بختيار الذين لا خبرة لهم بعواقب الامور ولا نظر لهم في
مصالح الملك وانما همة أحدهم في تناول شهواته والوصول الى لذاته واثارة
غیظ حسادهم باظهار الزينة التي فوق طاقته . وليس يعلم ان أول من ينسکر
ذلك في نفسه وان لم يیده له صاحبه فهو يحسده على مساواته له وعلى تمكنه
مما يتمكن هو منه ثم مزاحمته له في الاستظهار والجمع وتبذير الاموال التي
یرى انه أحق بها منه ثم خوفه من ميل الجند اليه واجتماعهم على جوده وسخائه
واعتمادهم بما يصل اليهم له دون صاحبهم وولى نعمهم . فكان أبو الفتح
ابن العمید يسرف في ركوب هذه الاهواء ويجب أن يبلغ غاية ما يقدر
عليه منها فخلب عليه ذلك ضروب الحسد من ضروب السلاطين وأصحاب
السيوف والاقلام فكان صاحبه ركن الدولة قد شاخ وسم ملاه امور
الجند وأحب الراحة والدعة فقوض اليه الامور ورآه شابا^(٢٨٤) قد استقبل
الدنيا استقبالا فهو يحب النعب الذي قاساه ركن الدولة ثم مله ويستلذ فيه
الانصباب للامر والنهي ومخالطة الجند والركوب الى الصيد ومشى خواص
الديلم وكبار الجند بين يديه ثم مشاربهم ومؤانستهم والاحسان اليهم بالخلع
والحملان . فاول من أنسکر عليه هذا الفعل عضد الدولة ومؤيد الدولة ابنا
ركن الدولة وكتابهم ثم سائر مشايخ الدولة ورأوه يركب في موكب عظیم

ويغشي الدار والديوان فاذا خرج تبعه الجميع وخلت دار الامارة حتى لا يوجد فيها الا المستخدمون من الاتباع والحاشية فقط . ثم ترقى أمره في قيادة الجيش والتحقق بها الى أن ندب للخروج الى العراق في جيش كثيف من الرى والاجماع مع عضد الدولة لنصرة بختيار بن معز الدولة في الخلاف الذى وقع بينه وبين الاتراك المستعصين عليه كما سنشرحه فيما بعد باذن الله . فأقام هناك ونظم أمور بختيار وتلقب بذى الكفائتين . من جهة الطائفة لله وأخذ الخلع وواطأ بختيار على أن يورخا في عضد الدولة وأوحشه وتأدي أمره الى الهلاك . وانما ذكرنا هاهنا جملة من سوء تدبيره لنفسه ونحن نشرحها مفصلة في الامور التى حدثت في سنة ٣٦٥ ليعتبر بها المتبرون ويمجى مجرى تجارب الامم التى يتكرر مثلها فيتجزز منها . فاما الآن^(٣٨٥) فانا نشرع في الامور التى حدثت في هذا الزمان الذى نحن في ذكره ونستقصى أخبار بختيار وما عمله في عوده من البصرة الى واسط ليتصل حديثه ولا ينقطع بدخول حديث غيره فيه

﴿ ذكر السبب في تجاسر العامة على السلطان والفتن ﴾

(الثائرة بهم حتى خربت بغداد)

وذاك ان السكتب وردت عليه بأن الروم غزوا نصيبين فلكوها وأحرقوها وقتلوا الرجال وسبوا الذراري ثم ورد خلق من ديار ربيعة وديار بكر مدينة السلام واستنفروا المسلمين في المساجد الجامعة والاسواق وحكوا افتتاح الطريق للروم وأنه لا مانع لهم من تورد ديارهم وهي متصلة بالعراق فلما تجمع معهم خلق من أهل بغداد صاروا الى دار المطيع لله وحاولوا الهجوم عليها وقتلوا البعض من شبائيكها فاغلقت الابواب دونهم بعد ان كانوا

يصلون اليه ويأتون عليه فاسمعه ما كره ونسبوه الى العجز عما أوجب الله على الأئمة وتجاوزوا ذلك الى ما يقيح ذكره . وكان يختار في هذا الوقت بالكوفة مظهرا لزيارة المشهد وغرضه التصيد بفرج اليه وجوه أهل بغداد^(١) منكرين عليه اشتغاله عن مصالح المسلمين^(٢٨٦) وانصرافه عن تدبيرهم الى مجاهدة عمر بن وهب من أهل القبة وامهاله الروم وهم أعداء الملة ثم تشاغله بالصيد والاهو عن جميع مهمات المملكة ووعدهم بالعود الى واسط ومصالحة عمران والانكفاء الى الثغور فسكنوا وانصرفوا . فلما عاد كاتب أبا تغلب وهو صاحب الموصل يعلمه فيه أنه عامل على الغزو ويلزمه أن يعد له من الزاد والعلوفة ما يسمه وجنده في الطريق وأنفذ في ذلك بمضخرواصه فقضى ابن حمدان حقه ورده بالانعام والمسارة الى مناسأل وهو يعلم أنه لا ينبغي بوعده ولا وعيد وأنه يقول ولا يفعل .

ثم أنفذ محمد بن بقية رسالته الى سبكتكين الحاجب وهو ببغداد يستصاحبه لوزيره العباس بن الحسين ويستنهضه للغزو معه ويأمره بأن يستنفر من يرغب في الجهاد فتقبل سبكتكين ذلك تقبل المنافق ثم ركب ببغداد

(١) زاد صاحب تاريخ الاسلام : وفيهم الامام أبو بكر الرازي الفقيه وأبو الحسن علي بن عيسى النجوى وأبو القاسم الداركي وإن الدقاق الفقيه . وعلى بن عيسى هو الرضى المتوفى سنة ٤٢٠ عن نيف وتسعين سنة وترجمته في ارشاد الاربيب ٥ : ٢٨٣ وأبو بكر الرازي هو أحمد بن علي تلميذ أبي الحسن الكرخي واليه رئاسة الحنفية أريد لقضاء الفضاة فامتنع توفي سنة ٣٧٠ وأبو القاسم الداركي هو عبد العزيز بن عبد الله بن محمد الفقيه الامام انتهى اليه مرفة مذهب الشافعي وله وجوه في المذهب منها أنه قال : لا يجوز السلم في الدقيق . وربما كان يجتهد في المسئلة والفتوي فيقال له في ذلك فيقول : ويحكم فلان عن فلان عن رسول الله صلعم بكذا وكذا والاخذ بالحديث أولى من الاخذ بقول الشافعي وأبي حنيفة ! توفي سنة ٣٧٥ كذا في تاريخ الاسلام

في الجيش واستنفر المسلمين فنار من العامة عدد كثير باصناف السلاح والسيوف والرماح والقسى حتي استعظم ما شاهده منهم ولم يوفق لتربيتهم وضمهم الى رئيس يقوم بهم بل جعلهم كالعدة لنفسه فصاروا وبالاعظما وضروا على المحارمات بينهم وأظهروا ضروب العصبية وأثاروا الفتن وأقدم بعضهم على بعض بالقتل واستباحة الاموال والهجوم^(٣٨٧) على الحرم والفروج وتقاوم الامر بينهم وبلغ كل المبالغ في الشر وعجز السلطان عن اصلاحهم وانطفاء ما أثاره من نائرتهم حتى صار ذلك سببا لخراب بغداد وسند كر شرح هذه الاحوال عند دخول سنة ستة بمون الله

وصالح بختيار عمران كما حكينا أمره فيما تقدم وطمع في مال الصلح واستضعفه ورجع بختيار الى بغداد وهي خراب بكثرة الفتن واستطالة العامة وحدوث الحروب فيها واغارة بعضها على بعض وكثرة رؤسائهم الناجين فيهم حتى حصل في كل محلة عدة رؤساء من العيارين يحامون على محلتهم ويجلبونهم الاموال ويحاربون من يليهم فهم لذلك متحاذون ينزرو بعضهم بعضا نهارا ولا يلا ويحرق بعضهم دور بعض وينير كل قوم على اخوانهم وجيرانهم . فاما الاتراك فتمسحون مقترحون ما لا تمكن منه متجاوزون حدود العامة في سفك الدماء والطمع في الاموال والفروج حتى قتلوا صاحب شرطة كان لبختيار يتال خمار لشيء حقير^(١) كان حقه على بعض اصاغر الاتراك فلقبهم

(١) قال صاحب التكملة : وفي شعبان قتل العامة والاتراك خازر صاحب المعونة برأس الجسر من الجانب الشرقي وأحرقوا جسده لأنه كان قد قتل رجلا من العوام وولى مكانه الحبشي . قتل أحد العيارين في سوق النحاسين فنارت العامة وقايلته وأخذ أبو النضل الشيرازي حاجبه صافي لمأونة صاحب الشرطة وكان صافي يبغي أهل الكرخ فاحترق النحاسين الى السماكين فذهب من الاموال ما عظم قدره وأحرق الرجال والنساء في

راكبا في موكبه فحملوا عليه وأجأوه الى الهرب والدخول الى دار بختكين المعروف بمجدويه وكان رئيسا معظما في الاتراك فهجموا عليه وأخرجوه وقتلوه قسلة الكلاب خفقا بالسيوف واللتوت^(٣٨٨) ثم سلموا جثته الى العامة ففصلوه آرابا حتى أخذ كبده بعض السفهاء وقلبه آخر وكل جراحة منه وجد في يد سفيه ثم أحرقوا باقي جثته بالنار. وفتحوا السجون وأطاعوا أهل الدعارة منها وقلعوا أبوابها ونقضوا حيطانها وعجز بختيار عن تدبير أمرهم وخاف معرفة الاتراك فاستدعى الديلم الى داره فخصروه بالسلاح وتكلموا في أمر المقتول أعنى خمار وأنكروا تبسط الاتراك وتحركت الاحقاد بينهم وعمل الديلم على قصد دار سبكتكين الحاجب ومنازل الاتراك وأحسوا بهم فتحرزوا واستعدوا وتعصبت العامة معهم فكن بخيار تلك الثورة وأغضى عن قتل صاحبه خمار ثم عول على الحاجب سبكتكين في تسكين العامة لان هيئته كانت في نفوسهم أكبر وقلد سبكتكين الشرطة بفسداد حاجبا له فسكنت الفتنة مدة أيامه الا أنه تعصب للطائفة المنتسبة الى السنة على الشيعة فنار أهل التشيع وعادت الحروب والفتن كاعظم ما كانت . فكانت الاموال تنهب والقتل بين العامة يستمر في كل يوم حتى صار لا ينكر ولا يمكن حسمه وظهر نقصان الهيبة وعجز السلطان .

الدور والحمامات وأحصى ما احترق فكان سبعة عشر الفا وثلاثمائة دكان وثلاثمائة وعشرين داراً أجرة ذاك في الشهر ثلاثة وأربعمائة الف دينار واحترق ثلاثة وثلاثون مسجدا . وكام أبو أحمد الموسوي لأبي الفضل الشيرازي بكلام كرهه فصرفه عن النقابة وولى أبا محمد الحسن بن أحمد الناصر العلوي . وركب أبو الفضل الى دار ابن حفص التي على باب البركة وأحضر التجار وطيب قلوبهم فقال له شيخ منهم : أيها الوزير أربتنا قدرتك ونحن نؤمل من الله تعالى أن يرينا قدرته فيك . فامسك أبو الفضل ولم يجه وركب الى داره

وعطف بخنثار على وزيره أبي الفضل العباس بن الحسين بمطالبة
الاموال واعطاء الرجال وأرضاء طبقات^(٣٨٩) الجند وكان لا ينظر في دخل
ولا خرج وانما يلزم وزيره تمشية الامور من حيث لا يعينه ولا ينصره
ولا يمنع أحدا من جنده شيئا يلتمسه ولا يقبض يده ولا لسانه عن كل ما
يفسد حاله وشانه ويحب أن تقضى أوقاته في الصيد والاكل والشرب والسماع
واللهو واللعب بالنرد وتمريش الكلاب والديكة والقباج فاذا وقفت أموره
قبض على وزيره واستبدل به فلا يلبث الامر أن يعود من الالتيات
والانحلال الى أسوأ ما كان . فلما بلغ الامر بوزيره أبي الفضل هذا المبلغ
ولم تبق له حيلة في درهم يأخذه من وجهه عدل الى طلب الاموال من
الوجوه المذمومة التي تقبح الاحدونة بها وتحرم ولا تحمل في شيء من
الاديان .

فبعث بخنثار على مطالبة المطيع لله بما له يوهمه أنه من وراء ثروة ومال
وانه يحتاج الى اخراجه في طريق الغزو وان ذلك واجب على الامام
﴿ ذكر الرسائل والجوابات التي دارت بين المطيع وبين ﴾
(بخنثار وما آل اليه امر أبي الفضل من الهلاك)

أجابه المطيع لله بان : الغزو يلزمي اذا كانت الدنيا في يدي والى تدبير
الاموال والرجال وأما الان وليس لي منها الا القوت القاصر عن كفاي
وهي في أيديكم وأيادي أصحاب الاطراف فما يلزمي غزو ولا حج ولا شيء
مما تنظر الأئمة فيه وانما لكم مني هذا الاسم الذي يخضب به^(٣٩٠) على
منابركم تسكنون به رعاياكم فان أحببتكم أن اعتزلت عن هذا المقدار
أيضا وتركتمكم والامر كماه . وترددت المخاطبات في ذلك والمراسلات حتى

خرجت الى طرف من أطراف الوعيد واضطر الى التزام أربعمائة الف درهم باع بها ثيابه وبعض أنقاض داره . وشاع الخبر ببغداد بين الخاص والعام وعند من ورد من حاج خراسان وغيرهم من الواردين عن الاقطار ان الخليفة صودر وكثرت الشناعات ^(١)

وعول أبو الفضل الوزير فيما يحتاج اليه من مال الجند والاقامات التي تلزمه للاتباع والحاشية على مصادرات الرعية والتجار والتأويل عليهم بالحال وابتدأ بأهل الذمة ثم ترقى الى أهل الملة فأخذ أموال الشهود ووجوه البلد من أهل الستروث السعاة والتمازين وسامع المال وأجرى عليهم الارزاق وكثر الدعاء عليه في المساجد الجامعة وفي الكنائس والبيع وفي المحافل والمجالس وزادت العامة على ما ذكرت من حالها في الاغارة والاقدام على النهب والحرق وأسرفت في ذلك حتى بطلت الاسواق وانقطعت المعاش وتمذر على أكثر الناس الوصول الى ماء دجلة حتى شربوا ماء الابار وحصلوا في شبه الحصار . ورام الوزير أبو الفضل تسكينهم فتعذر عليه حتى أركب اليهم طائفه من الجيش فواقعهم ^(٢٩١) وكسروهم ونقصت الهيبة أكثر مما كانت عليه وركب أبو الفضل بنفسه لقتال العيارين وواقعهم فلم يقدر عليهم .

وكان في حجاب رجل يعرف بصافي ذميم الاخلاق ذنى النفس يتمصب لاهل السنة فضرب محلة السكرخ وهى مجمع الشيعة ومعظم التجار

(١) زاد صاحب تاريخ الاسلام : فتددوا على المطيع لله حتى باع قماشه وحمل أربعمائة الف درهم فانفقها ابن بويه في اغراضه وأهمل الفزو وشاع في الاسنة أن الخليفة صودر كما شاع قبله ان القاهرة بالله كدى يوم جمعة فانظر الى تقلبات الدهر

بالنار فمظلم الحريق وتلفت البضائع وصارت المضرّة على الرعيّة فيما دبره
سلطانها أعظم مما جناه سفهاؤها . وكان بين أبي أحمد الموسوي (وهو الحسين
ابن موسى ويتولى نقابة الطالبين) وبين أبي الفضل الوزير مناظرة فيما جرى
على الشيعة فظهر امتعاضا وخرج في المناظرة الى المهاترة فصرفه الوزير عن
النقابة بابي محمد بن الناصر^(١) وهو الحسن بن احمد العلوي وحصل أبو احمد
الموسوي من أعداء أبي الفضل المكاشفين له المثرين عليه وحصل أبو الفضل
فريدا لا ناصر له اما سبكتكين فيطاب عنده نار أبي قرة وفي نفسه عليه ما كان
منه في استدعاء بختكين آذرويه من الاهواز الى واسط ليقم مقامه ويجعله
ضدّاء له وشيء آخر كان عظيما عنده فيحيا وهو أن سبكتكين كان يختص غلاما
تركيا من غلامه ففضب عليه وأمر يديه في السوق فنصب الوزير أبو الفضل
من اشتراه له بضعف قيمته وتمّظاه ونزل عنه . نزلة من كان في نفسه منه عشق
ثم . وله وأعطاه^(٢) شيئا كثيرا حتى صار أجل وأيسر من غلامان سبكتكين
فلحققت سبكتكين من ذلك غيرة شديدة وفسد عليه غلامانه الذين في داره بما
وصل اليه هذا الغلام . فهذه اسباب عداوة سبكتكين وقد حكينا عداوة
الجرجرائي له وعداوة أبي احمد الموسوي النقيب له ثم عداوة محمد بن بقية له
وكان ابن بقية قدم ملك قيادة بختيار وكان سبب عداوته له ان أبا ناصر المعروف
بأبن السراج (واسمه ابراهيم بن يوسف وهو من الاشرار المعروفين بالسماية)
قد جمع بالملكسب الخيث مالا عظيما وأعقد ضياعا جالية فشعثها أبو الفضل
تشعثا يسيرا أخرجه به الى عداوته والسعي على دمه وكان يجتمع مع المعروف
بمحمد بن احمد الجرجرائي كاتب شرمزن (الذي قدمنا خبره وسبب عداوته

(١) يعني الناصر لدين الله أبو الحسين احمد بن الهادي الى الحق يحيى قد تقدم ذكره ص ٢٠٩

لابن الفضل) ويدخلان محمد بن بقية ويعرضانه للمكاسب الجليلة والقوائد العظيمة ولم يزالا به حتى غيرا رأيه في الوزير أبي الفضل وأوهما أنه ساع عليه وأنه لن يبعد أن يضمه من بختيار بمال عظيم ثم تجاوزا ذلك إلى أن أشارا عليه بتقلد الوزارة وأن يسبقه إلى القبض عليه والراحة منه

﴿ ذكر السبب في تقلد ابن بقية الوزارة ﴾

لم يكن ابن بقية يستقل ولا يكمل الحمل دواة بين يدي وزير ولا يطعم في شيء من هذه المراتب^(٣١٣) ولكنه تقدم عند بختيار وقت خلافته لصاحب المطبخ في توفير وفره وخدمة في جملة ما تسخر وكان مستخرجا عسوقا شديد التسوطة جاهلا وفيه مع ذلك ساحة وسعة صدر وهو في هذه السيرة متشبه بأهل الشطارة والفنالك والدعار وليس يسلك طريقة أهل الكرم والرياسة ولما أشار عليه هذان بالدخول في الوزارة والقبض على أبي الفضل قبل أن يسبقه إلى ذلك دهش وعلم أنه يعجز عما أشارا به عليه

﴿ ذكر كلام سيد لابن بقية في تلك الحال ﴾

انه أجابهما بأن قال : لا صناعة لي ولا توجه فيما تدعوانني اليه ولي عند صاحبي منزلة كبيرة تمناج الوزراء إلى معها وأخاف أن أدخل فيما ليس من عملي وأتمجن ويقدح في منزاتي واحط عنها من غير أن أتنفع بالوزارة . فشجعاه وجسراه وضمن له محمد بن أحمد الجرجرائي أن يخفمه ويكفيه العمل كله ثم صارا إلى بكتكين الحاجب وذكراه بأفعال الوزير أبي الفضل وخلاه على الشروع في صرف أبي الفضل ونكتبته فقال لهما : اني لم أزل معتقدا لذلك وأما كان توقفي عنه طلبا لمن يقوم مقامه وبسد مسده اذ كان

محمد بن العباس^(١) قريب العهد بالصرف ولم يكن مرضياً في وزارته ولا^(٣٩٠) ناهضاً بها وقد حفظت على الامير بختيار ايمان البيعة بان لا يقلده وزارته . فخطابه في تقليد ابن بقية وضماً عنه أن ينهض ويغنى ويكفى وانهما يعضدانه ويشدان منه في التدبير والنظر في الامور فاستروح سبكتكين الى ذلك وجمع به التشفي من أبي الفضل وفساد أمر بختيار وتجشم احتمال النضاضة في توفية محمد بن بقية حقوق الوزارة بهـ ان لم يكن ممن يجوز أن يعده من أصاغر خدمه ولا يطمع في دخول داره وانما تجرع ذلك وطابت به نفسه لعظم ما كان في قلبه من أبي الفضل فراسل بختيار في ذلك وقد كان بختيار ساء رأيه في أبي الفضل جداً فاستجاب اليه .

وقد كان أبو سهل ديزويه العارض . رموقاً بمال عظيم ولم يتمكن منه المصاهرة كانت بينه وبين شیرزاد بن سرخاب فلما نفى شیرزاد احتج اليه في تسكين الجند مديدة فندفعت نكته ثم أن أبا الفضل . هم في هذا الوقت بالقبض عليه فاحب ابن بقية أن يتولى أبو الفضل القبض عليه ثم يتسلمه هو ويستخرج أمواله . فجرى الامر على ذلك فقبض أبو الفضل على أبي سهل ديزويه في يوم الخميس وقبض ابن بقيه على أبي الفضل يوم الاحد فكان بينهما ثلاثة أيام واستتم القبض على جميع^(٣٩٥) كتابهما ومن يتصل بهما من أسبابهما وكان ذلك في سنة ٣٦٢

وفي سنة ٣٦١ وقع الصلح بين عضد الدولة وبين أبي صالح منصور بن نوح صاحب خراسان ووقعت المصاهرة فتزوج منصور بن نوح بابنة عضد الدولة ونفذ في ذلك عابد بن علي مع عشرة أنفس مختارين من

الإشراف والقضاة والشيوخ المذكورين وتكلف صاحب خراسان مؤونة عظيمة للرسول والشيوخ وحمل هدايا كثيرة لم تحمل مثلها قط الى عضد الدولة وكتب بينهما كتاب اتفاق بين الجهتين وكتب فيه شهود العراق الحاضرون وشهود خراسان خطوطهم

وفي سنة ٣٦٢ خلع المطيع لله على أبي اسحق ابراهيم بن عمر الدولة وكناه ولقبه عمدة الدولة^(١)

وفي هذه السنة جرت وقعة بين الدمستق وبين هبة الله بن ناصر الدولة بناحية ميافارقين^(٢) وكانت عدة الدمستق عظيمة كثيفة لكنه اتفق ان لقيه في مضيق لا تجول فيه السائر وكان الدمستق في أول عسكره على غير أهبة تامة فانهمز الروم وأخذ الدمستق أسيرا وتمكن المسلمون منهم وأعز الله دينه وكثر القتل والاسر حتى أنفذ الى بغداد الرؤس والايدي وكانت كثيرة فشهرت وكانت^(٣) هذه الوقعة في آخر يوم شهر رمضان سنة ٣٦٢ وحبس أبو تغلب الدمستق الى ان جرح به جراح عظيم فبط وتأدت الحال به الى الموت بعد ان كان أحسن ضيافته واجتهد في علاجه وقد ران يبلغ

(١) زاد صاحب التكملة : خلع عليه من دار الخلافة بالسيف والمنطقة ورسم بحجة المطيع لله على رسم أخيه عز الدولة في أيام أبيه (٢) وقال أيضا : ثم وصل الخبر بان الدمستق قصد آمد فخرج اليه والباها هزارد مولى أبي الهيثم ابن حمدان وانضم اليه هبة الله بن ناصر الدولة وساعدهم أهل الثغور فنصرهم الله تعالى وكثر القتل والاسر لاصحاب الدمستق وأخذ مأسورا وذلك في ربي شوال . وكان أكبر السبب في خذلان الله تعالى الروم ان هبة الله تعالى متقدمهم في مضيق وقد تقدم عسكره ولم يأتهم وكانت الحال في أمره كما وصفنا . وكتب أبو تغلب كتابا الى المطيع لله يخبره بالحال وكتب الصابي الجواب عنه وهو المذكور في رسالته ومات الدمستق من جراح به

به من ملك الروم ما يريد

وفي هذه السنة خلع ثاني يوم قبضه على أبي الفضل وهو يوم الاثنين السابع من ذي الحجة سنة ٣٦٢ على محمد بن بقية وكان الى هذا اليوم يقدم الطعام اليه ويحمل الغضائر بيده ويتشج بمناديل الغمر ويذوق الالوان عند تقديمه اياها على رسم من يخدم في المطبخ خدمته فلما وزر عاديрид الخدمة في ذلك فمها بمختيار . وتعجب الناس من وزارته فانه كان دنيا لا يقع عينه الا على من كان فوقه ولا يرى نفسه الا دون كل أحد فازدادت دولة بختيار به سقوطا واخلاقا وتضاحك صفار الناس به قريبا وبعدا . واستخلف حين وزر محمد بن أحمد الجرجاني وناط الامور به وبالمعروف بابي نصر السراج واستقصى على أبي الفضل في المطالبة بالمال حتى تقرر أمره على مائة الف دينار فلما صح أكرها سلم الى أبي الحسن محمد بن عمر بن يحيى العلوي الكوفي على ان يخرج^(٣٩٧) الى الكوفة ويحبسه عنده فسلمه وعاش عنده مديدة وتنف فلم يشك أحد انه مات مسموما^(١)

وقبل ذلك توفيت زينة بنت أبي محمد المهدي رحمه الله وقد كان أخوها أبو الغنائم تقدمها وأكث أهلها وانقرضت الجماعة ثم تتبعهم جميع من اشترك في دم

(١) ذكر صاحب التكملة انه سقى ذرايح في سكينيين فتقرحت مئاته ومات من ذلك فال أبو حيان : قيل له في وزارته الثانية : كنت قد وعدت من نفسك ان أعاد الله يدك الى البسطة ورد حالك الى السرور والغبطة انك نجعل في المعاملات وتنسى المقابلة وتلقى وليك وعاءك بالاحسان الى هذا والكف عن هذا . فكان جوابه ما دل على هفوه لانه قال : أما سمعتم قول الله تعالى : ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه . فما لبث بعد هذا الكلام الا قليلا حتى أورد ولم يصدر ولم ينمش بمد ان عثر . وفي تاريخ الاسلاء : وله تسع وخمسون سنة

أبي الفضل قتلا من غير ان طال بهم الاعمار وسندكر ذلك في موضعه ان شاء الله ﴿ ذكر ما دبر به ابن بقية أمره حتى تماسك مديدة ﴾
 انه جد في مطالبة أبي الفضل وأسبابه من خائفاته وحجابه وغلمايه وكل من انتسب اليه والى ديزويه العارض حتى استصفي أموالهم واتسع بما وصل اليه مديدة ومشت الامور بين يديه فتبجح بذلك وادعي حسن الاثر وتوصل الى ان كناه المطيع ولقبه الناصح نخاع عليه الخلع السلطانية بامر بختيار واذنه . وكثر ذمه لاني الفضل والطعن عليه وادعى العدل والانصاف فلم تمض الا أيام حتى ارتكب من الظلم والنشم واثارة الفتن ماصارت أيام أبي الفضل بالقياس الى أيامه جارية مجرى أيام العمرين وكل ذلك لسوء نظر بختيار واهماله الامور واقباله على الشهوات واستئثاره مباشرة^(٣٩٨) التدبير حتى سقطت الهيبة وانبدسطت العامة وأغار بعضها على بعض وظهرت الاهواء المختلفة والنيات المتعادية وفشا القتل حتى كان لا يدمم في كل يوم عدة قتلى لا يعرف قائلوهم وان عرفوا لم يتمكن منهم فانتظمت مواد الاموال وخربت النواحي المتباعدة بخراب دار المملكة وظهر في كل قرية رئيس منها مستول عليها وتباغوا بينهم وحصل السلطان صفر اليد والرعية هالكون والدور خراب والاقوات معدومة والجند متهمارجون ﴿ ذكر تدبير دبره الترك وأكابر الحاشية والجند حتى سكن أمرهم مديدة ﴾
 (ثم عادت الحال كاسوأ ما كانت)
 شرع ابن بقية في اصلاح ما بين بختيار وسبكتكين وتوسطه الوجوه والاكابر فترددت المراسلات ووجوه^(١) الكتاب والقواد وأخذ لكل واحد

منهما على صاحبه عين مؤكدة على التصافي والتآلف فلما تم الاتفاق بينهما ركب سبكتكين الى بختيار مع جماعة من الاتراك فلقيه وسلم عليه وانصرف. ولم يمد اليه ولا اجتمعا الا في الموكب وعلى سبيلهما الاولى في التحرز ونشأت بينهما ظنون سيئة وبلاغات منكورة ووجد الاعداء والمتسوقون^(١) طريقا سهلا في الشر فسلكوه فنادا الى التنافر^(٣٩٩)

﴿ ذكر سبب قوى في عودهما الى الحال الاولى من العداوة ﴾
اجتاز ديلبي من سقط الجند سكران في فنا دار سبكتكين الحاجب فيما يلي دجلة وهو نائم فرمى الديامي أحد صوالة الروشن بزوين كان معه فأنبته فيه على سبيل العبث فظن سبكتكين انه مدسوس عليه ليرميه فتقدم باخذه فاخذ وسئل واستقصى عليه فلم يكن لذلك الظن أصل فامس بانفاذه الى بختيار وتعريفه ما كان منه فلما حصل بحضرته أمر بقتله فقتل وتحرك الديلم وانكروه واستشنعوا فله وشغبوا وحملوا السلاح ولزموا موضع الشغب ثلاثة أيام ثم استعطفوا فرجعوا الى منازلهم والقلوب نائرة
﴿ ودخلت سنة ثلاث وستين وثلثمائة ﴾

وفيها خرج بختيار الى الموصل طمعا في تناول بعض مافي تلك الاعمال والاتساع به وحرصا على التصيد في طريقه

(شرح هذه الاسباب وذكرها على التفصيل)

قد كان أبو الفضل قبل صرفه عن الوزارة الاخيرة اطمع بختيار في الموصل وقدر أن خروجه اليها يشغله عن نفسه وقصده ويدفعه عن انكبته وليتأمل بما يتناوله من تلك الاعمال غلة ومالا يستعين بها في القضم والاقوات
(١) يعنى السعاة قال أبو العلاء المعري في التزوييات (٢١:١) * ولا تقبلوا من كاذب متسوق *

فلما تقلد محمد بن بقية الوزارة سلك هذه السبل في بعثه على الخروج وحرص
ابن بقية على الموصل^(١)

﴿ ذكر سبب ذلك ﴾

وردت كتب أبي تناب على ابن بقية مع علي بن عمرو كاتب أبي تغلب
ووزيره بمخاطبة دون ما كانت تكتب به الوزراء قبل ذلك لانهطاط منزله
في نفوس الناس وأبت نفس أبي تغلب أن يوفيه جميع ذلك الحق فاعتناظ ابن
بقية من ذلك وذكر علي بن عمرو وصاحبه أبا تغلب بالقبيح وتوعدهما بالمسير
فتلافاه بالمكاتبة المستوفاة فلم ينصرف ابن بقية عن عزمته . وأحب بختيار
الخروج الى الموصل للامور التي ذكرناها وقد كان أبو المظفر حمدان وأبو
ظاهر ابراهيم ابنا ناصر الدولة حصلا ببغداد وطمع أبو تغلب في استصلاح
أخيه ابراهيم ولم يطمع في حمدان لو كيد العداوة بينهما فكاتب ابراهيم وأرغبه
ليقطع عن مضامة حمدان وصادف ذلك تقصيرا من بختيار . ونظر ابراهيم
فاذا أحوال اخوته الذين أقاموا مع أبي تغلب مستقيمة منتظمة وكاتبه « باني
سائر اليك » واستدعى منه نفرا من الفرسان والاعراب ليصبحوه فانفذهم
الى قرب بغداد على سمت البرية فهرب اليهم وأخذ معه أخاه المسمى ذا القرنين^(١)

وكان رهينة في يد معز الدولة ثم في يد بختيار وهرب من محبسه ليلا وخرج
مع أخيه فلما كان الصبح عرف بختيار الخبر فلم يكن له فيه حيلة وجعل ذلك
سببا ظاهرا للخروج الى الموصل والباطن ما تقدم^(١) ذكره . وكان حمدان
ابن ناصر الدولة من أشد الناس بمثاله على الشخصوص الي تلك البلاد وطمعا

(١) هو أبو المطاع وجيه الدولة ولى دمشق من قبل الحاكم صاحب مصر سنة

٤٠١ : كذا في تاريخ ابن الفلاني ص ٦٩

في التشفى من أبي تغلب فاستحلفه بختيار بنعموس الايمان بعد هرب ابراهيم على الثبات منه والنصيحة له وتمت العزيمة فخرج بختيار وسبكتكين الحاجب ومحمد بن بقية الوزير وذلك في شهر ربيع الاول من سنة ثلث
(ذكر الحال في هذه الخرجة وما آل اليه الامر)

وقع التدبير علي أن يخرج سبكتكين في الجانب الشرقي على المقدمة ويتلوه بختيار سائرا على أثره ويذهما مرحلة واحدة فاذا صاروا بازاء تكريت عبر بختيار وسار في الجانب الغربي واستمر سبكتكين سائرا في الشرق ففعلا ذلك وسبق بختيار الى الموصل وقد رحل عنها أبو تغلب الى سنجار بمسكركه كله وأخلاها من كل ميرة وكل كاتب ومتصرف ثم توجه من سنجار الى مدينة السلام وهو من الجانب الغربي . وتأخر سبكتكين بالحديثة وأظهر التشاغل بعبور السفن فاتصل خبر أبي تغلب وخروجه الى بغداد بختيار فكتب الى سبكتكين يرسم له العبور الى الجانب الغربي والمسير في أثر أبي تغلب وانفذ اليه شطر عسكره وحمدان بن ناصر الدولة وجمهور العسكر وانفذ محمد بن بقية في الطيارات والزباب راجعا الى بغداد بعد أن استخاف^(١٠٢) بحضرته محمد بن احمد الجرجاني . فسبق أبو تغلب وانتهى الى قرية تعرف بالفارسية علي نهر الدجيل بينها وبين بغداد نحو ثلاثة فراسخ فعسكر بها وعامل من اجتاز به من أهل السواد بالجميل ولم يأخذ منهم شيئا الا بالثمن الوافر وأظهر العدل والانصاف . وصارت طلائمه ترد الى بغداد وخرج اليه جماعة من عوام الناس وأوابشهم مستقبليين له . فظهرين السور بمقدمه وبرز أبو اسحق ابن معز الدولة وكان يخلف أخذ بختيار الى باب الشماسية وانتقل المطيع لله والدة بختيار وجماعة الحرم والاولاد الى القصر الذي بناه معز الدولة بباب

الشماسية على طريق التحصن وعقد أبو اسحق جسرا في هذا الموضع على دجلة وعبر بطائفة من الجيش الذي كان معه واطهر أنه يريد الحرب والمدافعة من غير عزيمة صحيحة وانما اراد التماسك الى أن يصل سبكتكين الحاجب . فتمجبل وصول محمد بن بقية سابقا في آلات الماء فشد من أبي اسحق وافتن الجانب الغربي وعاد العوام الى حمل السلاح والحرب وطلب الطوائل واستتر التجار وتعطلت الاسواق وعبر أهل النباهة من الغربي الى الشرقي ونزل سبكتكين باوانا بازاء عكبرا . فمدل أبو تغلب من موضعه راجعا اليه فنزل في قرية بينهما نحو نصف فرسخ^(٤٠٣) وتضاف العسكريةان ووقع الطراد بين سرعان الخيل وطوائف من الاعراب ثم تكافأ وجنحا الى الصلح

﴿ ذكر مكيدة جرت في هذه الحرب واجتماع من ﴾
 ﴿ سبكتكين وأبي تغلب على بختيار وحيلة بينهما ﴾
 (لم يتممها سبكتكين وضيع فرصته فيها)

كانت الموافقة في السر تجري بين أبي تغلب وسبكتكين على المودعة واطهار الخلاف الى أن يتمكن سبكتكين من القبض على الخليفة ووالدة بختيار وحرمة ومحمد بن بقية واطهار المصيان عند ذلك ثم يعود الى بغداد ويعود أبو تغلب الى الموصل قاصدا بختيار وهو في عدد قليل فيتمكن منه ويقلب دولته سريرا . ففكر سبكتكين في سوء السمعة ولم يقدم على حرم مولاه وعلى الخليفة وخاف عاقبة ذلك . وبادر محمد بن بقية من بغداد الى سبكتكين فاجتمع معه وحضرهما رسل أبي تغلب وتقرر الصلح على المبلغ الاول وزيادة ألف كرم من الحنطة في كل سنة وعلى أن يطلق أبو تغلب لبختيار ثلاثة آلاف

كر حنطة عوضا عن مؤونة سفره : وانكفأ أبو تغلب الى الموصل قاصدا
بختيار وهو في خف من عسكره فايقن الناس ان أبا تغلب لم يقدم على القرب
من سبكتكين الا على ثقة من أنه لا يحاربه وان ذاك الطراد الذي وقع بين
أوائل العسكرين انما كان تمويهها

ودخل سبكتكين وجميع^(١٠٤) العسكر بغداد وأسلم بختيار وقامت
القيامة على محمد بن بقية من ذلك وطالب سبكتكين بماودة المسير واللاحق
بصاحبه بختيار فتناقل عن ذلك واحتج بان الرجال لا يستجيون للعود ثم فكر
في العواقب فانكفأ على مضض ورحل وقد ظهر للناس ما كان هم به الا أنه
ما فعل ولو هم وفعل لكانت فرصة عجيبة وكان لا يتمتع عليه شيء من التدبير
الذي ذكرناه . ثم جد سبكتكين وابن بقية وسائر الجند في المسير مصعدين
وقد كان بختيار حين عرف خبر رجوع ابى تغلب اليه جمع اليه أطرافه وردة
قواده من النواحي التي كان ثروهم فيها وخاف خوفا شديدا وعي مصافه في
الموضع المعروف بالدير الاعلى من ظاهر الموصل وقرب أبو تغلب ونزل
أسفل الحصبا على حالة الالهبة والتعبية ولم يبق بينهما في المسافة الا طول
قصبه الموصل فقط وأحجم كل واحد عن صاحبه وعن المناجزة الا أن أبا
تغلب كان الاظهر لكثرة عدده وتعصب أهل الموصل له وخاض الناس
بينهما في حقن الدماء وتتميم الصلح الذي تقدم ذكره فاشتط أبو تغلب في
الحكم والتمس النقصان والخطيئة وطالب بتسليم زوجته بنت بختيار اليه وان
يلقب لقبيا سلطانا فأجابه بختيار الى ذلك كله تفاديا من اللقاء . وجرى كلام
في معنى حمدان وان يفرج عن ضياعه وأملا كه^(١٠٥) بغلاتها وعن القلعة
المفردة له المسماة وهي قلعة ماردين . وكانت هذه القلعة مسماة لحمدان

ومفردة له منذ أيام أبيه وقد رتب أخاه من أمه مع ثقات له فيها فاحتال أبو تغلب على هذا الاخ حتى رغب في مال يتمجله وخان أخاه وسامها . فامتنع أبو تغلب من ذلك كله ولم يدخل في شرائط الصلح شيئا منه وكان غائبا عن هذا الامر وحاصلا ينفذ مع سبكتكين الحاجب . فضعف بختيار عن الاستيفاء وكان غرضه المفاينة وان يفرج له أبو تغلب فخرج الى موضع يقال له قرن الآئل على خمسة فراسخ من معسكره في عرض الموصل بعد ان حلف كل واحد منهما لصاحبه يمينا أخذها عليهما أبو أحمد الموسوي وجماعة من السفراء والتحدر بختيار الى الحديثة وأهل الموصل يتبعونه باليمن ولدعاء عليه ويتبعون أصحابه ويتوثبون عليهم وذلك ان محمد بن أحمد الجرجرائي خليفة ابن بقية ظلمهم وعسفهم فكان انصرف بختيار عن هزيمة ظاهرة . فلما تحرك من موضعه والتحدر دخل أبو تغلب الموصل وظفر بجماعة كانوا مالوا الى بختيار من أصحابه وأهل الموصل فسمّل عيونهم . ووجد رجلا عقليا يعرف بابن العجاج كان استأمن من عسكره الى بختيار ولم يخرج عن البلد تعويلا على ما جرى من الصلح فضرب رقبة .

ولما وصل سبكتكين ومحمد بن بقية وحمدان والجيش واجتمعوا مع بختيار اضطرب حمدان من خروجه عن الصلح وأنف محمد بن بقية من المال التي انصرف عليها بختيار واتفقوا على ان يجعلوا ضرب رقبة هذا المقيّل وسمّل العمال^(١١٦) ووثوب أهل الموصل على حاشية بختيار واتباعه عذرا في الرجوع وحجة على أبي تغلب في الفسخ فعطفت الجماعة بجميع العسكر الى الموصل . فهرب أبو تغلب عنها الى ناحية يقال لها تل اغفر وردّ كاتبه المعروف بابني الحسن على بن عمرو بن ميمون برسائله الى بختيار يعاتبه

فيها على النقض وينسبه الى العدر فقبض محمد بن بقية عليه واعتقله وامتنه
واحتج عليه بما ذكرنا فجحد ان يكون ما جرى من القتل والسمل بامر أبي
تغلب وأحال فيه على بعض غلمانه ثم تقرر الامر بعد خطوب جرت على اتمام
الصلح وقومت الغلة وردت الى الورق ووضع عنه ما استخرجه بختيار من
الموصل وأعمالها ونجم الباقي على تعجيل وتأجيل وشرط الافراج عن ضياع
حمدان خاصة دون قلعة ماردين ودون ما أخذ منها ومن ارتفاع الضياع وان
يسلم القوم الذين قتلوا العقيلي وسملوا المال لينفذ فيهم بختيار حكمه فانفذهم
أبو تغلب اليه على ثقة بأنه لا يسىء اليهم لعلهم جميعا انهم مأمورون
(فمعا عنهم بختيار) وعلى ان يلقب أبو تغلب ويزف اليه زوجته وجددت
الايام والمهود على الفريقين وانصرف بختيار وتشاغل في طريقه بالتصيد
وكان وروده مدينة السلام لشرب خلون من رجب من هذه السنة وورد
كاتب أبي تغلب فأنجز له بختيار المواعيد وسأل المطيع لله في تلقيه فلقب
عدة الدولة وأخذ اليه^(١٧) خلع سلطانية ونقلت اليه زوجته ووقع البدار به
ليصح المال

وفي هذه السنة هلك محمد بن أحمد الجرجاني وتوفى في المصادرة

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان ابن بقية لا يبقى على أحد يتهمة أو يسبق الى قلبه منه شيء بل
يعاجله قبل التأمل ويقتله من غير تثبت وكان أهلك قوما من أهل الكفاية
والكتابة بالظن والتهمة وانهم سيصلحون لمكانه . ولما أفضت اليه الوزارة
وكان المتولى للبصرة على بن الحسين الشيرازي المدروف بابي القاسم المشرف
وكان يماديه ويعتمد انه ذو كفاية فاراد القبض عليه واستصفاه ماله واتلافه

فتدافع ذلك الى ابن عاد من الموصل فعمل على ان ينفذ محمد بن أحمد الجرجرائي في ذلك طلبا لابعاده عن الحضرة ولان حاله كانت تمهدت عند بختيار لتقدمه على ابن بقية في الاكتابة ولانه عقد بينه وبين قهرمانة بختيار التي يقال لها تحفة فكانت تحامى عليه وتتعصب له وكان مع ذلك يتكلم بالفارسية وابن بقية لا يعرف منها شيئا فتناول بهذه الاشياء على ابن بقية واستهان ببعض ما كان يأمره به ثم بلغه انه مهد لنفسه حالا عند بختيار أيام تفرده بخدمته بالموصل . فلما اجتمعت عليه هذه الاشياء أراد ابعاده عن الحضرة واخرجه في القبض على علي بن الحسين والنظر فيما كان ينظر فيه فلما خاطبه في ذلك تهر منه وأحس بتغير نيته له واجتهد^(٤٠٨) في ان يعفيه فلم يفعل فانحدر وقد نبا كل واحد منهما عن صاحبه . ولوصبر على ان يكون حامل البصرة لما خرج به ابن بقية الى ماخرج ولكنه لما رآه يأبى الالتئيب بالحضرة والنمسك بما كان ناظرا فيه دون ما سواه أتممه وازداد شكافيه . وكان ابن بقية قدّم كتابه الى صاحب له ينوب عنه بالبصرة يقال له عبد العزيز بن محمد الكراعى وهو من الاوغاد الاصاغر الذين ارتفعوا بارتفاعه وأمره يمرّ فيه نيته في علي بن الحسين ويأمره بالقبض عليه فانحدر الجرجرائي على ان يصادره وينصب مكانه ضامنا له أو عاملا غيره ويمود فلما استقر بالبصرة وافق على بن الحسين على مال التزمه وأضافه الى أصل ضمان البصرة وجدد ايقاع العهد عليه ورده الى عمله من غير استئذان لمحمد بن بقية وكتب اليه بان الصواب أوجب ذلك عنده وانه مصعد الى الحضرة فانتظار من فعله ورآه بصورة من يستهين به ويؤثر المقام بالحضرة فكتب الى عبد العزيز بن محمد الكراعى بالقبض عليه وعلى علي بن الحسين فعمل ذلك فلما

على بن الحسين فانه قرر أمره على بعض المقاربة ورده الى العمل بعد خطوب جرت فيه وأما الجرجرائي فانه أخذ خطه بمال ثقیل فصيح له بالبصرة شيء يسير واشترط لنفسه ان يحمل الى بغداد ليصح المال اذ كان وطنه بها وفيها نعمته وانما كان غرضه^(١) بالقرمانه التي كانت تغزه فسايقه محمد بن بقیة اليها فاشتره بخمسين الف درهم منها فاسلمته وخت بينه وبينه وكتب بحمله وتقدم الى عامله بواسط وهو محمد بن أحمد المكنى أبا غالب الصريفي بنان يتسلمه حتى يصل اليه ويتولى من أمره ما الله مسأله عنه . فتسلمه أبو غالب ومكث في يده أياما وأظهر انه اعتل ومات وحساب الجماعة على الله الحكم العدل

وفي هذه السنة بدأت فتنة الاتراك بالاهواز ثم عمت جميع العراق

﴿ ذكر السبب في هذه الفتنة كيف نشأت ﴾

قد كانت الاضافة في المال والتسحب من الرجال زاد على بختيار حتى نبت به الديار وتعذر عليه الاستقرار فكان وزراءه وكتابه يحتالون له فلا يجدون طريقا لمصلحة ولا يتجه لهم وجه الصواب وكلما أملاخاوا أو قصدوا عدواً نكبوا ونكصوا لان الابنية كانت توضع على أصول غير مستقرة وقواعد غير قوية فلا يبعد ان يتقوض فيعتاص عليهم المذاهب . فاعتقد بختيار ومحمد بن بقیة عند منصرفهم من الموصل بالخشية ان يخرجوا الى الاهواز فيستقصيا على بختكين آذرويه ويصرفاه عن البسا . ويملا له أعمالا ويطلباه بمال ويمرأ عليه النكبة ثم يفرقا الاتراك عن سبكنسكين ويخفقا عدد من يبقی منهم ببغداد^(١٠) ويحتالوا عليه من البعا . ليستريحامنه

(١) لعله سقط مثل « الاجتماع »

ويُحْضِرُ أَمْوَالَهُ وَأَقْطَاعَهُ وَنَعْمَتَهُ وَبِتَسْمَعَا بِذَلِكَ ، فَأَنحَدِرَا إِلَى الْاَهْوَازِ فِي
شَعْبَانَ سَنَةِ ٦٣٣ فَلَمَّا صَارَا بِوَسْطِ أَتَقَدَّ إِلَيْهِمَا بَخْتَكَيْنِ ثَلَاثُمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ثُمَّ
نَزَلَا الْاَهْوَازَ فَحَمَلَ إِلَيْهِمَا مَا يَحْمِلُ إِلَى الْأَصْحَابِ وَخَدَمَهُمَا وَبَدَلَ مِنْ نَفْسِهِ
الطَّاعَةَ فِي الْحَاسِبَةِ وَالْمُوَافَقَةَ . فَلَمْ تَمُضْ عَلَى ذَلِكَ أَيَّامٌ حَتَّى ثَارَتْ فِتْنَةٌ بَيْنَ
الْأَتْرَاكِ وَالْدِيْلِمِ فِي سَبَبِ صَغِيرٍ قَدْ كَانَ يَجُوزُ أَنْ يَسْتَدْرِكَ قَبْلَ أَنْ يَسْتَفْجَلَ
وَيَسْتَصْعِبَ فَاغْتَمَاهُ وَجَعَلَاهُ ذَرِيْمَةً إِلَى أَعْمَامٍ مَا كَانَا هُمَا بِهِ وَأَجْرِيَاهُ عَلَى
تَخْلِيْطٍ وَفَسَادٍ مِنْ غَيْرِ تَحْرُزٍ وَلَا احْتِيَاظٍ

﴿ ذَكَرَ الْخَطَأَ الْفَاحِشَ وَالتَّخْلِيْطَ الَّذِي اسْتَعْمَلَ ﴾

﴿ فِي التَّيْدِيْرِ حَتَّى انْعَكَسَ وَعَادَ وَبَالَآ ﴾

أَنْ بَخْتِيَارَ خَافَ بَغْدَادَ وَالِدَتِهِ وَأَخُوْتَهُ وَأَوْلَادَهُ وَحُرْمَهُ وَخَزَائِنَهُ
وَأَكْثَرَ سِلَاحِهِ وَقِطْعَةٍ مِنْ خَيْلِهِ فِي قَبْضِهِ سَبْكَتَكَيْنِ عَدُوهُ الَّذِي هُوَ فِي
طَرِيقِ التَّيْدِيْرِ عَلَيْهِ وَمَكَاشَفْتَهُ بِالْمَدَاوَةِ ثُمَّ أَخَذَ يَتَطَلَّبُ عَوْرَةَ الْأَتْرَاكِ الَّذِينَ
مَعَهُ وَيَتَهَنَّى الْفُرْصَةَ الضَّعِيفَةَ فِيهِمْ لِيَفْسِدَهُمْ عَلَى نَفْسِهِ وَيَنْبِيَهُ سَبْكَتَكَيْنِ عَلَى
تَّيْدِيْرِهِ عَلَيْهِ ، فَكَانَ مَبْدَأُ هَذَا الْفَسَادِ أَنْ غَلَامًا مِنَ الْأَتْرَاكِ نَزَلَ بِسُوقِ
الْاَهْوَازِ دَارًا تَجَاوَرَ بِمَضِ الدِّيْلِمِ وَكَانَ عَلَى بَابِهَا لَيْنٌ مُشْرِجٌ فَارَادَ أَنْ يَنْبِي
بِهِ مَعْفًا لِدَوَابِهِ وَاحْتِاجَ ذَلِكَ الدِّيْلِمِيِّ أَيْضًا إِلَى شَيْءٍ مِنْهُ فَوَجَّهَ غَلَامَهُ لِيَأْخُذَهُ
فَمَنَعَهُ غَلَامُ التُّرْكِيِّ فَلَمْ يَمْتَنِعْ وَخَرَجَا ^(١١١) إِلَى التَّنَازُعِ وَالتَّهَارُ فَخَرَجَ التُّرْكِيُّ
مِنْ دَارِهِ لِيَنْصُرَ صَاحِبَهُ وَبَنَعَ صَاحِبُ الدِّيْلِمِيِّ وَخَرَجَ أَيْضًا الدِّيْلِمِيُّ لِنَصْرَةِ
غَلَامِهِ فَأَرَبَى عَلَى التُّرْكِيِّ وَاسْتَطَالَ عَلَيْهِ فَرَكَبٌ فِي الْوَقْتِ وَاسْتَنْهَضَ الْأَتْرَاكِ
فَنَارُوا بِالْدِّيْلِمِ وَتَبَادَرُ الدِّيْلِمِ وَحَمَلُوا السِّلَاحَ وَاجْتَمَعُوا عَلَى بَابِ بَخْتِيَارِ
وَبِالْبَابِ سَاحَةٌ وَاسِعَةٌ قَدْ ضُرِبَ فِيهَا وَجْهٌ مِنْ وَجُوهِ الْأَتْرَاكِ مُضَارِبُهُ

وذلك لعزة المنازل فأحاطوا به وهو سكران وسمع الصياح فنهض وركب وعمل على أن يلحق برفقائه فعارضه أحد الديلم وشمته فثنى عنانه اليه وهو بغير جبة فرماه الديلمى فقتله فاستحكمت حينئذ الفتنة وطالبت الاتراك بئثار صاحبهم هذا ورهوا الديلم بنشاب كثير حتى قتلوا رجلا وجرحوا عدة وبرزوا بأسرهم عن البلد الى الصحراء وتبعهم غلمانهم وأتباعهم وقعد عنهم القواد والاكابر في منازلهم على طريق التوقف عن الفتنة والتمسك بالطاعة . واجتهد بختيار في تسكين النائرة فلم يمكنه ذلك بمداستها فاستدعى قواد الديلم وشاورهم وقد كانوا يعرفون اعتقاده في سبكتكين الحاجب والاتراك فقالوا : هذا أمر قد انتشر وفي نفسك منه ما فيها والصواب أن تقبض على رؤساء الاتراك المقيمين وتستولى على هذه البلاد التي كانت في يد بختكين وتنهض الى بغداد لتقام عنها^(١٢) سبكتكين وتستريح منه ومن الاتراك . وكانت عادة بختيار ان يسمع من كل مخاطب ويتحدث مع كل كاذب فتسرع الى قبول ما رآه ووجهه الى بختكين آذرويه وسهل بن بشر كاتبه وسباشى الخوارزمى وبكتيجور وكان حما لسبكتكين الحاجب فأحضرهم من منازلهم وقبض عليهم وقيدهم وأدخل يده في اقطاعات سبكتكين بالاهواز وصرف أسبابه عنها وكتب الى البصرة بالبدء في الاتراك والايقاع بهم فنودي فيهم ونهبت منازلهم وهربوا عنها .

﴿ ذكر حيلة احتالها بختيار فلم تتم له ﴾

كان بين بختيار وبين والدته اتفاق على أن تظهر عند بدمه عن بغداد الى الاهواز وخفة الاتراك المقيمين بحفرة سبكتكين ان بختيار قد توفى ليصير سبكتكين اليها معزيا ومشاركا في المصيبة ووافق أخاه أيضا على مثل

ذلك فاذا حضر أوقما به وقبضا عليه فكتب اليهما ساعة قبض على رؤساء
الأتراك على الاطيار بالعمل على ذلك الاتفاق . فاشاءا ورود نعيه وعلنا أن
سبكتكين لا يتأخر عنهما وكان أرزن وأرجح من أن يصير اليهما ولو صار
اليهما لما حضر الا على نهاية الاستظهار فان غلبت داره الممالك أربعمائة
سوى أتباعهم وسوي الديلم برسمه وسوى حجابيه ومن في جماعتهم .^(١٣)
وكان هذا الرأي من بختيار بعيدا من الصواب خائفا بالانتقاض فاقصر
سبكتكين على مراسلتهم بالمسئلة عن الخبر ومن أين صح وتوقف عن
الركوب الى أن وردت رسل أصحابه وكتبهم بشرح ما جرى على حقيقته
فجمع حينئذ الأتراك المقيمين ببغداد وأعلمهم ما عومل به رفقاؤهم وان
الستر قد انخرق وانتهك وان دماءهم قد أحات وأبيحت فدعوه الى
أن يتأمر عليهم ليطيعوه فتوقف عن ذلك وراسل أبا اسحاق ابن معز الدولة
يلمه ان الحال بينه وبين بختيار أخيه منفرجة انقراجا لا التئام له وان
أكثر الجيش نافر عنه وانه ليس يستحسن أن يعدل عن طاعة مولاه
وان عقوه وباينوه وانه يعقد الامر له ويجمع الأتراك على متابته وينقل
الديلم عن بختيار اليه ويتكفل له بالامر حتى يستقر عليه

﴿ ذكر انتقاض هذا التمدير بعد استمراره حتى ثارت الفتنة العظمى ﴾
لما قبل أبو اسحاق ابن معز الدولة هذا الرأي ودخل تحته علم أن
بختيار اما أن يصير جالسا في بيته مزاح العلل فيما يحتاج اليه أو يصير الى
حضره عمه ركن الدولة فذهب الى والدته وقص عليها القصة فمنعته
من هذه الحال واشفقت من أن يؤول^(١) الى هلاك احد ولديها . وصار اليها

من كان مقبلا بمدينة السلام من الديلم فاطمعوها في الاستقلال بمحاربة
سبكتكين^(١١٤) ومن معه من الأتراك فجمعهم إلى دارها بالسلاح وأصبح
سبكتكين وقد نقض عليه إبراهيم ذلك الاتفاق . فركب في يوم الجمعة لثمان
خلون من ذى القعدة من سنة ثلث مع جميع الأتراك قاصدا الحرب وناصبا
لها فبقى يومين يحاربهم تباعا فلما كان في الثالث أحرق جوانب الدار بعد أن
حاصرها ونفذ زاد من كان فيها واستسلم إبراهيم ووالدته وكذلك أبو طاهر
ومن كان معه وسألوه أن يفرج لهم عن الطريق لينحدروا إلى واسط ولا
يفضح حرم مولاة وأولاده فاستحيوا وتذمم فاجتمعوا جميعا في حديدى
وانحدروا وتفرق الديلم هارين في مرقعات إلى بختيار وأقامت منهم شرذمة
في طاعة سبكتكين

وكان المطيع لله أعد لنفسه حديديا استظهر به عند حدوث الفتنة فأنحدر
مع المنحدرين فانفذ سبكتكين عدة من الزبازب حتى ردهه إلى داره ووكل
به فيها توكيلا جيلا . واستولى على ما كان لبختيار بمدينة السلام من السلاح
والدواب والآلات والمنازل فنزل الأتراك في دور الديلم وتبعوا حرمهم
وودائعهم وسائر اسبابهم . وثارت العامة من أهل السنة ناصرة لسبكتكين
فقود من رؤسائهم القواد وعرف العرفاء ونقب النقباء وخلع عليهم وحملهم
على الدواب^(١١٥) واستصحبهم وبسطهم وصار له منهم جند

﴿ ذكر خلع المطيع وتسليم الامر إلى ولده ﴾

كان المطيع لله بمقبلة من الفاليج يسترها وقد ثقل لسانه وتمذرت
الحركة عليه فانكشف حاله لسبكتكين فدعاه إلى تسليم الامر إلى ولده الطائع

لله ففعل وعهد اليه فبريء من الخلافة وخلصها واشهد على نفسه سنة ٦٣ يوم الاربعاء لثلاث عشرة خلت من ذى القعدة^(١)

﴿ ذكر اسباب الفتن الهائجة بين العامة ﴾

(حتى أدت الى بوار بغداد)

لما انبسطت العامة الذين ذكرنا حالهم مع سبكتكين وهم الفرقة المعروفة بالسنة استضاءوا الشيعة وناصرهم الحرب وتحزب الفريقان وكانت عدة الشيعة قليلا فتحصنوا في أرباض الكرخ من الجانب الغربي واتصلت الحروب حتى سفكت الدماء واستبذجت المحارم وأحرق الكرخ حريقا ثانيا بعد الحريق الاول في وزارة أبي الفضل فاقتصر التجار وغلبيهم الميارون على أهوالهم وبضائهم وحرهم ومنازلهم واحتاجوا أن يتخفروا منهم وأى فريق كانت الخفارة له قصد الفريق الآخر . وانتثر النظام والنخلة السلطان وصارت العصبية بين هذين الصنفين في أمر الدين والدنيا بعد أن كانت في أمر الدين خاصة وذلك أن الشيعة ناروا بشعار بختيار والديلم وأهل السنة ناروا بشعار سبكتكين والأتراك^(١٦)

﴿ شرح الخال فيما تأدى اليه أمر بختيار بالاھواز ﴾

(وما دبر به أمره)

أدخل يده في اقطاعات جماعة الأتراك وظفر بذخيرة كانت لبختكين آزادرويه بجند يسابور واجتمع الأتراك المشغبون بسواد الاھواز ثم صار بعضهم الى سبكتكين وتالفي بختيار بعضهم

(١) وفي تاريخ الاسلام . فقال أبو منصور بن عبد العزيز العكبري : كان المطيع لله بعد أن خلع بسمي الشيخ العاضل

﴿ ذكر السبب في ضرورة بختيار الى استصلاح ﴾
(الانراك بعد استفسادهم)

استوحش غلمان دار بختيار منه واضطربوا عليه وقصده الانراك الذين هربوا من البصرة وعاتبود على ما ارتكب منهم من غير ذنب وقال له الديلم : انه لا بد لنا في الحرب من فرسان واثراك . فاضطرب بختيار في الرأي وترجع فيه ثم قرره على ان اطلق بختيار آزا ذرويه وجعله في موضع سبكتكين وسماه حاجب الحجاب وقدّر ان الانراك يأنسون به ويعملون عن سبكتكين اليه وكتب الى البصرة بايقاع النداء بانهم آمنون والآ يمرض لهم وان يُرد ما أخذ منهم وأطلق سبأشي الخوارزمي وأقر بكتيجور على جملة^(١) الاعقال لمصاهرته سبكتكين . وبلغه خبر والدته واخوته وعياله في انحدارهم الى واسط فدار اليها .

وكتب الى الحضرتين بفارس والري يشكوا ما نزل به ويسئل ان يكشف عنه وتابع المكاتبات وزاد في تأكيدها بحسب تزايد الفتنة وكتب الى أبي تغلب ابن حمدان فسأله ان يجاده بنفسه وعسكره وعمل على ان يتمم بمران بن شاهين فانفذ اليه خلعا وفرسا بمركب ذهب وتوقيعا باسقاط ما بقى عليه من مال الصالح الذي كان صالحه عليه^(١١٧) وخطب اليه احدى بناته وسأله ان ينفذ اليه عسكرا في الماء يستعين به على حرب الانراك وترسل اليه في ذلك حاجب له يعرف بابراهيم بن اسمعيل فلما أدى اليه الرسالة قال له : يا هذا قد جئتنا في أمور غير متوجهة عندنا ولا لائقة باحوالنا .

﴿ جواب عمران بن شاهين عن رسالته واتباعه ﴾

﴿ اياه بكلام وافق قدرا جفري كما قال وقدّر ﴾

أما هذا الدين المتروك فالتحمة علينا به مع علمنا بأنه ساقط باطل لا يحسن لكننا نقبل ذلك . وأما الوسلة فانا رجل لا أداخل أحدا من خلق الله الا ان يكون الذكر من عسدي والاثني من عنده وقد خطب الى الطالبين مع انهم موال فما أجبت أحدا منهم الى ذلك لان نفسي لا تسمع له ومؤلاء أولاد أخى هم أكفاء بناتى ما واصلت أحدا منهم ولكن ان شاء ان تصاهر على السبيل الاخرى فعات . واما الخلعة والفرس فاست من لباس لباسكم ولا أركب الخيل لان دوابى هذه السفن لكن أبا محمد ابني يقبل ذلك ولا يرده . وأما عسكري وناقذه فليس تسكن رجالى الى مخالطكم لكثرة من قتلوا من رجالكم على مر السنين والوقائع . ثم قال للرسول : قل له : ينبغي ان تتوفر وترزق ولا تستعمل هذه الخفة والنزق فقد قصدتني محاربا الى فرجت عنى منزما وقصصت الالهواز فرجت منزما على هذه الحال والصورة من الفتنة ^(١٨) وأنا أعلم ان أمرك سيتأدى الى ان تيجئني وتلوذ بى وتحصل عندي وساذرك هذا وتعلم حينئذ انى أعاملك بالجميل وبخلاف ما عاملتني به أنت وأبوك قبلك . فتمجّب الناس من موافقة كلام عمران هذا المقدور الكائن فان الحال يختيار آلت الى المصير اليه والحصول عنده مستجيرا به ومستندما على ما سذكّره ان شاء الله

﴿ جواب ركن الدولة عن رسالته اليه ﴾

فاما ركن الدولة فانه أجاب بجواب صدر عن نية صحيحة وشفقة عليه وهو ان قال : ان الفتق الذى اتفق عليه عظيم يحتاج الى رجال ومال

وسلاح وتدير وهيبة وطاعة وانه قد شاخ وثقلت عليه الحركة وانه بازاء
اشغال عاتقة وأور قاطعة ولكنه قد عول في هذه الحال على ابنه عضد الدولة
اذ كانت تلك الادوات التي عدتها مجتمعة له وحاصلة عنده وانه سائر من
فارس اليه مع جيش كثيف ويخرج الى نصرته من عنده الوزير أبو الفتح
ابن أبي الفضل ابن العميد . وإنما بنى ركن الدولة هذه الرسالة على ما كان
يكتبه به ابنه عضد الدولة فانه كان يعرف أخبار العراق يوما يوما ويطمع ان
يملكها لما يرى من سوء تدبير بختيار لها ولاضطراب الامور^(١) هناك
بسوء تأتي الوزراء وسقوط الهيبة وانتشار الحيل وفساد الرعية وكان مع
ذلك فاسد الرأي في بختيار مضطربا أشياء كان تقدم^(٢) بينهما من مناقشة
جرت في وقت ومنافسة في مرتبة ومنع مما كان ياتمه عضد الدولة منه
خاصة من دفاتر عزيزة كان يرضى بها بختيار وجوار صوانع محسنات كان
لا يسمح بها ومن خيل عراب كان يمنع من شرائها له ويجب ان يستبد بها
من البادية وكانت هذه الاشياء مجتمعة في نفس عضد الدولة فهو يجب ان
تستحكم الفتن ويستشري البلاء حتى يزول أمر بختيار ثم يقصد بنفسه
وخيله وأمواله ويدبر أمر تلك الممالك لنفسه ويضمها الى مملكته . فراسل
أباه ركن الدولة : بانك قد كبرت عن لقاء الحروب ولا مال عندك وعندي
منه كيت وكيت في القلاع والخزائن . وعظم عليه ما جمعه ولعمري لقد
كانت عظيمة وكانت له مع ذلك هيبة في أصحابه وتدابير مصيبة ولكنه
أحب ان يبذلها في خاصة نفسه لا في معاونة ابن عمه الذي يتصوره
بصورة التجلف وتضييع الامور واهمالها وتفويض الوزارة وتدابير المملكة

الى من لا يُرجع منه الى روية صادقة ولا تدبير صائب ولا صناعة قوية ولا ذكر بين الناس جميل وهو^(٤٢٠) مع ذلك يظهر له المنافسة ويمتنع من مطالبه وبغض من اقدار أصحابه الواردين عليه في مهماته . وكان يكاتب أباه ركن الدولة بمثل ذلك الظاهر الجميل الذي يجمع الشفقة عليه والمحاماة عنه وتقديته بنفسه ورجاله في نصرة ابن أخيه الذي هو ابن عمه وباطن رأيه ان ذلك الامر سيضطرب اضطرابا لا تبقى معه بقية الإباستصلاحه لنفسه دون غيره ﴿ جواب عضد الدولة عن رسالته اليه ﴾

قد كان حبس أباه ركن الدولة عن الحركة بنفسه وأطمعه في النيابة عنه وكفايته هذا الشغل فاجاب بختيار يشير عليه بان يقف حيث انتهى والا يزيد الامر فسادا ولا يبرح من واسط حتى يلحقه ويدبر نواحيه وأقبل بمأطله بالمسير وزحف اليه الأتراك ومن انحاز اليهم من سائر أنواع الجند فحصر وبلغ منه كل جهد . ولعمري لقد صبر لهم وطاولهم ولكن مصابة من يحتشمه عدوه ويبقى عليه وذلك أنه لما اشتد به الحصار وكان نازلا بين النخيل لا مجال لخيل الأتراك فيه وأصحابه ديلم ورجاله يستندون الى النخيل ويراوغون فيه ولا يخلو في خلال ذلك من موافق يصل اليه فيها التركي المداخل المصالت فاذا علم انه قد تمكن منه عدوه يذكره الله وبالنعمة^(٤٢١)

وانه صنيعته وصنيعة أبيه ويخاطبه بما يرق له القلب وتستحي منه العين فينصرف عنه التركي بعد اتمكن منه ويجب أن يجري قتله على يد غيره . فلم تزل هذه حاله من الصبر على الجوع والعري ونفاد السلاح والخوف من اقدام من لا يقيله ولا يحتشمه عليه ويكاتب عمه وابن عمه . وعضد الدولة يتوقف ويمد بالمسير مدافعة المماطل المنتظر به الهلاك وركن الدولة يضج من ذلك ويبعث ابنه

ويستبطئه الى ان لم يجد عضد الدواة من المسير بدا فصار من فارس وسار أبو الفتح ابن العميد من الري وكانت عدة أبي الفتح الوزير التي استصحبها يسيرة بالإضافة الى ما استظهر به عضد الدولة كثرة وقوة ومددا وذلك انه بالغ جدا ولم تبق بقية في الاحتشاد ولم تكن صورته في ذلك صورة من ينصر ابن عمه على طريق المعاونة والانجاد ثم الانصراف بل صورة من يجاهد ويدافع ويقيم بمد الظفر . ولم تخف على الناس هذه الحال منه اسكثرة ما استصحبه من آلات خيم المقيم التي يريد ان يستقر بها ويتمكن في كل بلد بالآلات المعدة لها من الفرش الكثير والزينة التامة التي لا يستعملها المتوجه الى معاونة المنصرف بعد الفراغ من نصرة من توجه لنصرته .

فاما جواب أبي تغلب ابن حمدان عن رسالته^(٢٢) فانه أجاب بالمسارعة والالعام وأنفذ أخاه أبا عبد الله الحسين بن ناصر الدولة الى تكريت في جمع من جيشه فأقام بها مدة طويلة انتظاراً بما يكون من انحدار الأتراك عن بغداد الى محاربة بختيار فيردها . ولما تمادى الامر وانحدر بعد ذلك سبكتكين كما سنحكيه سار أبو تغلب يجمع جيشه الى مدينة السلام ليوجب على بختيار الحجة فيما بذل له خطه من ابطال ما تقرر بالموصل وعمل ببغداد ما سنصفه ان شاء الله

(ذكر الرسائل التي تردت بين سبكتكين وبختيار)

ثم أن سبكتكين راسل بختيار : بانك قد جنيت على نفسك جنابة عظيمة بما ارتكبته ودبرته وان كل ما عمله وتصرف فيه خطأ وغلط وان الامر الآن قد خرج عن اليد فافرج لي عن واسط حتى تكون هي وبغداد في يدي بازاء أموال الأتراك التي قد حصلت على وتكون البصرة والاهواز

ونواحيها في يدك بازاء أموال الديلم واجعل أمرى وأمرى وأمرى واحداً ولا تدخلن
بيننا أحداً ولا تفتح للحرب باباً فلست من رجالها وأنا ناصح لك مشفق
عليك حافظ وصية مولاي فيك التي ما حفظت مثلها في. فعرض بختيار هذه
الرسالة على الديلم فانكروها وأكبروها واستخفوا بقائلها واتحمل^(١٢٣) لها
وردوه بالخيلة والمال بذة خد سبكتكين واستعد للحرب وقدم كتابا من الخليفة
إلى بختيار ينذره فيه وأجيب عنه بما ليس هذا موضعه ووصل جواب هذا
الكتاب الى الطائع لله والى سبكتكين وقد انحدرنا عن بغداد وانها الى
دير العاقول ومع وصوله توفي المطيع لله وكان انحدر مع ابنه الطائع لله
وحدث بسبكتكين علة الموت فمكث فيها بدير العاقول أربعة أيام وتوفي فحمل
الى مدينة السلام.

وتماسك الاتراك وثبتوا واجتمعوا على الفتكين مولاي معز الدولة وكان
يتلو سبكتكين عند معز الدولة وله رياسة في الاتراك وحشمة قديمة^(١) ولقاء
في الحروب للاعداء فمقدوا له الرياسة عليهم وعمل على اتمام العزيمة في اللقاء
وكان عبر بختيار الى جانب واسط الغربي وأخلى الشرقي وجمع السفن
والزواريق اليه ولم يترك من آلات الماء شيئا في الجانب الشرقي ونقل الشتاء
وطبقات الناس اليه وضرب مصافه في منازل واسط وعمل على المناجزة
الاتراك ولقاهم بالديلم اما المناجزة ان ثبتوا له واما مصابرة الي أن يأتيه
الغوث من الري وشيراز وكان استبشر بما اتفق على الاتراك من موت
زعيمهم وقدر انهم يضطربون وينتشر أمرهم ثم عرف انتظام أمرهم فتوقف^(٢)
عن الاصعاد . واجتمع الاتراك وزحفوا وعقدوا جسرا بسفن كانت معهم

من بغداد وكانت معهم أيضا زبازب كثيرة وجيش للماء وعلي مقدمتهم حمدان ابن ناصر الدولة فاستأمن حمدان الى بختيار بكل من معه وعبر من الجانب الشرقى الى الجانب الغربى فاكرمه بختيار ووصله

﴿ ذكر السبب في تسييرهم حمدان مقدمة والسبب ﴾
﴿ فى استئمانه الى بختيار ﴾

كان حمدان بن ناصر الدولة ببغداد عند حدوث هذه الفتنة فدعاه سبكتكين الى طاعته فاجابه وأخذ عليه العهود والمواثيق بالنصيحة والمواودة وانما سكن اليه للمداوة التى بينه وبين أبى تغلب ولان أبى تغلب حافظ على مودة بختيار وواصله ونصره وظاهره فانفذه سبكتكين على مقدمته . فلما توفي سبكتكين كتب اليه الفتكين يعرفه وفاته وانتصابه فى موضعه ويستدعيه اليه ليستأنفا ايقاع التدبير ويتفقا على المسير . فاعتقد حمدان حين وقف على هذا الكتاب أن أمر الاتراك قد اختل نظامه بوفاة سبكتكين وغزم على المصير الى بختيار وكان عرف أيضا مسير عضد الدولة وخيول ركن الدولة فانفذ كتاب الفتكين الوارد عليه الى بختيار وأعلمه انه سيعود الى الفتكين ثم ينحدر اليه واشترط شروطا واقترح اقتراحات . فورد ذلك على بختيار وقد عبر الى الجانب الغربى ولما اجتمع حمدان مع الفتكين رده ^(١٢٥) على مقدمته كما كان فى أيام سبكتكين . فوافى بمن معه من غلمانه وأسبابه وعبر مستأمنا الى بختيار فتلقاه وأكرمه وحمل اليه مالا كثيرا وثيابا فاخرة وعدة وافرة من الخيل والمراكب والبغال والجمال . وضعت نفوس الاتراك فتوقفوا يوما ثم زحفوا بأسرهم ونزلوا على دون الفرسخ من واسط وعبروا

على جسرهم وتقدموا الى مصاف بختيار فكانوا يواقعونه بنواب و اتصل
ذلك نحو خمسين يوما . وتجاسر العوام من الجانبين على استعمال المشاة
الفاحشة والمساواة المقدعة واتفق على حمدان انه حمل على الاتراك في بعض
هذه الايام فرموه ووقع بعض سهامهم في صماخ فرسه فرمى به ونهض
ليركب غيره وعليه الحديد فلم يتمكن من ذلك وعرفه الاتراك فاكبوا عليه
بالدبابيس حتي أثنوه وكاد يلف ثم أخذوه أسيرا لافضل فيه فوّلج وبرأ
الا انه لحقه عرج ظاهر من وركه الايمن وبقي على ذلك بقية عمره ثم من
عليه الفتكين وأطلقه وأخذ منه رهينة وأعادته الى حاله فشهد معه الحرب يوم
ديالي الي ان انهزم الاتراك وانحاز الى عضد الدولة .

ولم تزل الحرب بين الديلم والاتراك متصلة بواسط والاستظهار
للأتراك^(٤٢٦) وأشرف الديلم على الانكسار والمهرب دفعات وقتل من
الديلم خلق كثير لنقصان جنهم واستظهار الاتراك عليهم بالاسلحة واشتد
على بختيار الحصار وأحرق به وصار في مثل كفة الحابل وأحاط به الاتراك
من كل وجه وكانت صورته كما ذكرت فيما تقدم . واتصلت كتبه الى أبي
تغلب يسأله الانحذار والى عضد الدولة يسأله اللحاق ويُعلمه ان مملكته
قد خرجت من يده وانه أحق بها ممن غلب عليها حتى انه كتب اليه في
بعض كتبه البيت الذي كتب به عثمان الي أمير المؤمنين على صلوات
الله عليه :^(١)

فان كنت ما كولا فكن خيرا كل والا فادر كني ولما أمزق
نأما أبو تغلب فسار بجميع عسكره بعد ان كان قدّم أخاه الحسين كما

كتبنا خبره فيما تقدم وصار الى مدينة السلام فالفها مفتتنة بالعارين^(١)
فقمعهم وقتل جماعة منهم وحمل من بغداد الى الموصل أشياء كثيرة ظفر بها
من آلات فاخرة وأنقاض جليلة وذخائر وودائع
وأما عضد الدولة فإنه سار بعد ما ذكرته من التوقف والابطاء واجتمع
مع أبي الفتح ابن العميد بالاهواز

﴿ ذكر السبب في رجوع الفسكين الى بغداد ﴾

﴿ وهرب أبي تغلب عنها الى الموصل ﴾

لما سمع الفسكين بخبر عضد الدولة وحصوله بالاهواز نخب تلبه

(١٠) وفي تاريخ الاسلام انه في المحرم أوقع العيارون حريقا بالحشابين مبدؤه من
باب الشعير فاحترق أكثر هذا السوق وهلك شيء كثير واستفحل أمر العيارين بغداد
حتى ركبوا الخيل وتلقبوا بالقواد وغلبوا على الأمور وأخذوا الخفارة من الاسواق
والدروب . قال صاحب التكملة : وذكر أبو حيان في كتاب الامتاع والمؤانسة قال :
حصل ببغداد من العيارين قواد منعوا الماء أن يصل الي الكرخ وكان فيهم قائد يعرف
بالاسود الرند لانه كان يابى قنطرة الرند ويستطعم من خضر وهو شريان لا يتوارى
فلما فشا المهرج رأى هذا الاسود من هو أضعف منه قد أخذ السيف فطلب الاسود سيفا
ونهب وأغار وظهر منه شيطان في مسك انسان وصبح وجهه وعذب لفظه وحسن
جسمه وأطاعه رجال فصار جانبه لا يرام وحريمه لا يضام وظهر من حسن خاتمه مع شره
ولعنته وسفكه الدم وهتك الحرم وركوبه الفواحش وتمرد على ربه القاهر ومالسه
القادر انه اشترى جارية بالف دينار فلما حصت عنده حاول منها حاجته فزمته فقال :
ما تذكره مني . فقالت : أكرهك كما أنت . فقال : ما تحبين . قالت : أن تبعني . قال :
أو أفعل معك خيرا من ذلك . وحملا الى مسجد ابن رغبان فاعتقها بين يدي القاضي
ووهب لها الف دينار . فمجب الناس من نفسه وحمته وسماحته وصبره على خلافها
وترك مكافاتها على كراهتها . ثم صار في جانب أبي أحمد الموسوي فحماء وسيره الى
الشام فهلك بها .

ورأى ان يحصل ببغداد ويجعلها^(٢٧) وراء ظهره وتكون حربه على ديابي . قال صاحب هذا الكتاب : كنت في جملة السائرين من الرئي في صحبة أبي الفتح ابن العميد وما كان اشفاقنا ولا حذرنا كله الا من سبق الاتراك ايانا الى أسفل واسط الى الموضع المعروف بباذين وان يجعلوا النهر وراءهم مع المدينة والميرة وان يتركونا حتى نقطع اليهم . فغارة بنج وبنج ونلقاهم على اعياء وكلال وليس وراءنا عمارة ولا نجد ما ننزل عليه فان طاولونا اياما كان الهلاك وان ناجزونا حين ورودنا كانوا جامين مستريحين ونحن على حال تعب وضعف وكنا من كثرة العدد على ما وصفت فيما تقدم . فلم يوفق الاتراك لذلك وانصرفوا الى بغداد ورأوا من الصواب لهم ان يملكوا ببغداد ويجعلوها وراء ظهورهم وتكون حربهم على ديابي فكانت الخيرة لنا فيه ودخلنا واسط بغير مانع . وقد كان بختيار واخواه ومحمد بن بقية تلقوا عضد الدولة لما انصرف الاتراك عنهم وترجلوا له وأعظموه كما يستحق وسار عضد الدولة في الجانب الشرق وتقدم الى بختيار ان يسير بازائه من الغربي ممتدين الى بغداد

فاما الفتكين فانه لما توسط في مسيره الي بغداد أنفذ سرية في أربعمائة غلام من الاتراك لسكس أبي تغلب فارهقوه وشغب مع ذلك جنده عليه فحرب^(٢٨) الى الموصل هربا قبيحا وتقطع عسكره . وحصل الفتكين ببغداد في حصار شديد قد أهدقت به الخيول من كل وجه وذلك ان بختيار كاتب ضبة بن محمد الاسدي وهو رجل من أهل عين التمر كثير المشاير وقد جرت عادته بالتبسط بان يشن الغارات على أطراف بغداد ويمنع من جلب الميرة اليها ففعل ووجد الطريق الي بغيته فنهب السواد وقطع السبل . ثم أنفذ

في الجانب الشرقى ابن أخ لمحمد بن بقية وزيره يعرف بابى الحمراء وهو لقب غلب عليه مع طائفة من بنى شيبان ليتطرف بغداد ويحاصرها من ذلك الوجه وكانت خيول عضد الدولة والري وبختيار متوجهين اليه سائرين لحروبه وكان أبو تغلب من ناحية الموصل يمنع الميرة وينفذ اليه سراياه ورجاله فاشتد الحصار به وعزت الميرة وانحسرت مواردها وثارت الرمية فهبت الموجود في المدينة وامتنع الناس بالفتنة ان يتسوتوا في يمشوا وأعت الفتكين الحيلة في التماس ما يحتاج اليه وصار يتبع المواطن التي يظن فيها قوتاً أو بذراً أو عدة يتناول ذلك حتى انتهى به الامر الى ان ركب نفسه الى منزل بعض الاشراف فكبسه وأخذ مافيه

وسار عضد الدولة كما حكينا في الجانب الشرقى وبختيار بازائه في الغربي فلما صار بدير^(٢٩) العاقول عبى عسكره تعية اللقاء وجعل موكب خاصته في القلب وفي ميمنته أبا الفتح ابن العميد وجيش الري وفي ميسرته أبا اسحق ابراهيم بن معز الدولة ومحمد بن بقية وطائفة من عسكر بختيار ونزل المدائن على هذه الحالة من الترتيب . وورد خبر الفتكين بأنه برز الى دىالى ونزل عليه مستعداً للحرب وعقد عليه جسوراً ليعبر عليها واعتقد ان يلقى الساسكر في فضاء بين دىالى والمدائن وظن انه يتمكن بالجولان فيه مما يريد وذلك في^(١) سنة أربع وستين وثلاثمائة

(١) زاد صاحب التكملة . طوبأ أبو محمد ابن معروف ان يستحل يسم دار ولد أبي الحسن محمد بن أبي عمرو الشراىى حاجب الخليفة وكان أبوه قد مات والبائع لها وكيل نصيبه المطيع لله فامتنع وأغلق بابيه واستغنى من القضا (وفي تاريخ الاسلام انه عزل بحكومة ابنتى فيها وجه الله) فقد مكانه القاضي أبو الحسن محمد بن صالح بن أم شيبان الهاشمى بمد ان امتنع وأجاب على أن لا يقبل رزقا ولا خلعة ولا شفاعاة وان يدفع

وعبر الفتيان تلك الجسور ولم يقع في الظن أنه يعبر دياراً ولا أنه يترك
التحصن به والقتال من ورائه فسار عضد الدولة على تعبئة وهيئة حتى انتهى
إلى قرية هناك وتراءت مواكب الفتيان وقد عبأها كراديس واعترض
نهر صغير في هذه القرية فوق التشاغل به إلى أن عبرته العساكر وصاروا
مع تلك الكراديس في أرض واحدة

﴿ ذكر عجلة وقعت وحرص ظهر من جيش ﴾

﴿ يختار الذين كانوا في ميسرة عضد الدولة ﴾

(فكانوا يكسرون العسكر)

تقدم الجيش البختيارى المرتب في الميسرة مع أبي إسحق وابن بركة
زحفاً بغير أمر وفارق المصاف وخرج عن النظام حرصاً على اظهار فضل
وغناء وتشوقاً إلى اللقاء فراسلهم عضد^(٣٠) الدولة ونهاهم فلم يذهبوا على
ما اعتادوه من الاستبداد حتى لججوا واستجرهم الأتراك حتى صاروا بالبعد
من العسكر فمطف الأتراك عليهم وقتلوا خلقاً منهم وتابعوا الحملات عليهم
وأكثروا النكابة فيهم حينئذ عرفوا الخطأ الذي ركبوه وأنفذ عضد الدولة
طائفة من الرجال إليهم فلم يغنوا عنهم وحصلوا في مثل حالهم فلما رأى ذلك
زحف على نظامه وهيأته حتى اتصلوا بهم بعد أن أشرفوا على الهلاك فلما

إلى كاتبه من بيت مال السلطان ثلثمائة درهم (في كل شهر) ولحاجبه مائة وخمسون
درهماً وللقاضي في الفروض على باب مائة درهم ولخازن ديوانه وأعوانه سنهانة درهم وأن
يصل إليهم ذلك من الخزانة فأجيب وركب معه ابن بركة والوجه وتسلم عهده بمحضرة
المطيع لله فتولى إنشاءه أبو منصور أحمد بن عبيد الله الشيرازي صاحب ديوان الرسائل
بومئذ وقرى عهده في جامع المدينة . وفي سنة ٦٤٤ أعيد ابن معروف إلى قضاء القضاة
وصرف ابن أم شيان

قرب من جرة القوم ومجتمعهم حمل عليهم فلم يثبتوا واستأمن بعضهم وحكم
السيف في الباقي فقتل خلق منهم وأجانبهم الهزيمة الى تلك الجسور التي
عقدوها على ديايى فازدحموا عليها وأرهقهم الامر فهلك منهم ومن العيارين
الذين وازروهم بالقتل والفرق خلق كثير وركب عسكر عضد الدولة
أكتافهم وعبروا تلك الجسور على آثارهم فاستباحوا عسكرهم وسوادهم
وألقوا النار في خيمهم وخركاهاهم وأدركهم الليل فبات هؤلاء وهرب
أولئك لا يلوي أحدهم على صاحبه .

وأفند عضد الدولة في ساعة الفتح بشيرا الى بختيار وذلك يوم السبت
لاربع عشرة ليلة خلت من جمادى الاولى سنة ٣٦٤ وأقام على ظاهر^(٤٣١)
المدينة الى ان عرف خبر الاتراك ثم دخل المدينة في أحسن زى وعدة
وطواه متجاوزا الى باب الشمسية وبختيار يسير بازائه ويمسك بجياله وأقام
بموضعه الى ان بُد الاتراك وورد عليه خبرهم من تكريت وأنهم وصلوا
اليها على حال قبيحة من التقطع والتمزق واختلاف الكلمة فحينئذ انثنى الى
النزول في داره . واشتغل قلبه بالطائع لله وحصوله مع الاتراك وتصرفه على
ما يحبون والتنقل معهم فبث اليه رؤسائه وقد كان رساله قبل ذلك ولم يزل معه
بالتلطف والرفق حتى رده الى دار الخلافة وموطن الاثمة .

﴿ ذكر ما جرى بين بختيار وبين جيشه وما كان ﴾

﴿ من اعتزله اياهم وما كان من انكار ركن ﴾

﴿ الدولة لذلك وماتم من الحيلة عايه من ﴾

﴿ انتقاضه وعوده الي منزله وحالته ﴾

لماتم هذا الفتح لعضد الدولة لم يشك أحد ممن دنا وبُعد في انه

يستولي على هذه المملكة ويضيفها الى مملكته لضعف اختيار عنها واشتغاله بضروب اللهو واللعب وتجاسر الديلم والأتراك عليه ففكر في حديث الناس وعلم ان أباه ركن الدولة لا يصبر على ذلك ولا يحتمله له . فالتخذ دعوة دعا اليها بختيار واخوته ومحمد بن بقية وسائر عسكر بغداد وخلع عليهم ضروب الخلع على مقدار مراتبهم وجعل ذلك كالوداع وأظهر^(١٣٢) الرحيل الى فارس وأمر بأعداد الميرة في المنازل . ووافق في السر رؤساء الجند ان يثوروا بختيار ويشغبوا عليه ويطالبوه بان يطلق أموالهم وينير أحوالهم ويحس مجازاتهم عن صبرهم عليه وثباتهم معه وبذلهم الانفس في محاربة الأتراك دونه ففعلوا ذلك وبالعوا في الشعب والاقترحات وبختيار صفر اليد لا يملك ذخيرة ولا تصل يده مع خراب النواحي واتصال الفتن الى درهم واحد . فراسله عضد الدولة سرا ووافقه على مقابلتهم بالتشدد والغلظة والصدق عن الحال وانه لا يعدم بما لا يقدر عليه وان يفصح لهم بالاستعفاء عن الرياسة وانه قد بريء اليهم منها ووعدته أن يتوسط حينئذ بينهم ويقرره على ما يجب . فلم يجد بختيار عدولا عن ذلك ولا عرف وجه حيلة سوي ما أشار به عليه فبادر اليه واستمقام من رياسته وأغلق أبوابه وصرف كتابه وأسبابه وراسله في الظاهر بمقاربة القوم وتديبرهم فاجابه : بانى لست أميرا عليهم ولا معاملة بيني وبينهم فليظروا لانفسهم وليعقدوا لمن شاءوا . واتصلت هذه الرسائل ثلاثة أيام والشعب يزيد الى أن اعلنوا بالقيسح وكادوا يزحفون اليه ويأتون عليه فاستعاد بعض الدولة وطلب منه ما كان وعده به^(١٣٣) من التوسط فراسلهم عضد الدولة بما سكن منهم وأمرهم بالتفرق ووعدهم بالنظر في أمرهم . ثم استدعى بختيار الى داره وقد كان خائفا مرعوبا واستدعى أخويه

على طريق الاشفاق عليهم والحذر من أن ينصبوا أحدهما علماً للفتنة فيفتحوا به باباً الى الفرقة وراسلها بختيار أيضاً بمثل ذلك حتى حضرا جميعاً . ثم جمع الرجال وجماعة الجند وأعلمهم أن استيفاء بختيار من النظر واعتزاله اياهم وافق محبة منه للنظر في أمورهم وضمهم الى نفسه وأنه يخلطهم بعسكره ويشملهم باحسانه وأنه المتولي للامر وان بختيار انما كان خليفة له ولركن الدولة وأنه الآن قد استعفى فاعفي وبرى فأبرى فسكنوا وتفرقوا ووثقوا بوفائه وأنه من وراء ذلك . وأمر باستظهار على بختيار وأخويه ووكل بهم ثقته وذلك يوم الجمعة لاربع ليال بقين من جمادى الآخرة سنة ٣٦٤ وجمع بينهم وبين والدة

فاما الخليفة الطائع لله فانه كان نافرا من بختيار للحروب التي جرت بينه وبينه ولأن انتصابه في الخلافة جرى على يد غيره في غير أيامه وسكن الى عضد الدولة وذمامه . فلما اتصل به ما اختاره بختيار لنفسه من الخلم سكنت نفسه وهو حينئذ مع الاتراك وعند الفتكين بتكريت^(١) جرت بينه وبينهم مناظرات في الرجوع الى بغداد فسألوه الامتداد معهم الى الشام فلم يمكن ذلك لان القوم منهزمون وعلى حال اضطراب فوعدهم من نفسه اذا ثبتت أقسامهم وكان له قوة وفيهم منعة أن يحتال لهم ويعود اليهم أو يدبر لهم في الاجتماع معهم فاتفقوا على ذلك . وانكفأ الطائع لله الى داره ورحل الاتراك الى الشام^(٢)

وتقدم عضد الدولة بعمارة دار الخلافة وأطريتها وتجديد فرشها وآلتها وترتيب أسباب الخدمة فيها والتزم في ذلك مالا جليلا وأخرج الجيش اليه

(١) ليراجع التلخيص أبي يعلى حمزة ابن الفلاني ص ١١

مُتَلَقِّينَ وَاسْتَقْبَلَهُ بِنَفْسِهِ يَوْمَ الْخَمِيسِ لَمَّا خَلَوْنَ مِنْ رَجَبِ سَنَةِ ٦٤ وَكَانَ
أَوَّلَ اجْتِمَاعِهِمَا وَانْحَدَرَا مَعَهُ فِي حَدِيدِيٍّ كَانَ أَنْفَذَهُ إِلَيْهِ وَدَخَلَ بَغْدَادَ . وَكَانَ
طَرَحَ لِعُضْدِ الدَّوْلَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ كُرْسِيٍّ وَقَدْ كَانَ قَبْلَ عُضْدِ الدَّوْلَةِ الْأَرْضَ لَهُ
وَجَلَسَ عَلَى السُّكْرَسِيِّ وَأَطَافَتْ بِهِمَا الزَّبَازِبُ وَالطَّيَارَاتُ فِي الْمَاءِ وَسَارَ
الْجَيْشُ عَلَى شَاطِئِ دَجَلَةٍ وَدَخَلَ الْخَلِيفَةُ دَارَهُ وَاسْتَقَرَّ عَلَى سَرِيرِهِ . وَأَنْفَذَ
عُضْدُ الدَّوْلَةِ إِلَى خَزَائِنِهِ مَا لَا كَثِيرًا وَنِيَابًا وَفَرَشًا جَلِيلًا مِنْ جَمِيعِ الْأَصْنَافِ
وَعِدَّةٍ مِنَ الْخَلِيلِ وَالْمَرَاكِبِ وَالرَّقِيقِ وَالْآلَاتِ وَقَرَّرَ يَدَهُ فِي ضِيَاعِ الْخِدْمَةِ
الْمَرْسُومَةِ بِالْخُلَفَاءِ وَقَدْ كَانَتْ مُتَشَذِّبَةً قَدْ تَحِفُّهَا أَسْبَابٌ^(٣٥) مَعَزُ الدَّوْلَةِ تَمَّ
أَسْبَابُ بَخْتِيَارٍ فَهُمْ مِنْ تَغَابٍ عَلَى حُدُودِهَا وَمِنْهُمْ مَنْ اسْتَقَطَعَ الْخَلِيفَةُ بَعْضُهَا
وَمِنْهُمْ مَنْ ضَمَّنَ مِنْهَا مَا لَمْ يَنْصِفْهُ مِنْ نَفْسِهِ فِيهِ وَلَمْ يَسْهَلْ اخْرَاجَ يَدَهُ عَنْهُ فَرَدَّ
عُضْدُ الدَّوْلَةِ ذَلِكَ كُلَّهُ إِلَى حَقِّهِ . فَأَمَرَ الطَّائِعُ لَهِ بِأَنْشَاءِ السُّكُنْبِ عَنْهُ إِلَى النُّوَاحِي
بِاسْتِقَامَةِ أَحْوَالِ السُّلْطَانِ وَتَمَقَّى آثَارَ الْفِتْنَةِ وَتَأَلَّفَ الشُّمْلَ وَكَتَبَتْ وَفَرَقَتْ
فِي الْمَمَالِكِ كُلِّهَا

﴿ خَبَرُ عَصِيَانِ الْمَرْزَبَانَ بْنِ بَخْتِيَارٍ بِالْبَصْرَةِ ﴾

﴿ وَعَصِيَانِ ابْنِ بَقِيَّةٍ بِوَأَسْطٍ ﴾

أَمَّا الْمَرْزَبَانُ فَإِنَّ عُضْدَ الدَّوْلَةِ سَامَ بَخْتِيَارٍ أَنْ يَكْتُبَهُ بِالْأَصْبَادِ وَكَانَ مَتَوِيًّا
بِالْبَصْرَةِ لِيَرْضَى بِمَا رَضِيَ بِهِ أَبُوهُ مِنْ خَلْوِ الذَّرْعِ مِنْ تَدْيِيرِ الْجُنْدِ وَالرَّعِيَةِ
فَسُكَّاتِبٌ وَأَنْفَذَ كِتَابَهُ عَلَى يَدِ ثِقَةٍ مِنْ ثِقَاتِهِ يَعْرِفُ بِعَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ الْجَوْهَرِيِّ وَكَانَ
صَحْبَهُ مِنْ شِيرَازٍ وَوَصَاهُ بِمُؤَافَقَةِ مُحَمَّدِ بْنِ دُرْبَنْدٍ وَكَانَ اسْفَهْسَلَارَ جَيْشِ الْبَصْرَةِ
وَهُوَ قَرِيبٌ لِلْحُسَيْنِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ وَهُوَ مُتَقَدِّمٌ فِي جَيْشِ عُضْدِ الدَّوْلَةِ . وَلَمْ يَقَعْ
فِي نَفْسِهِ أَحَدٌ أَنَّ الْمَرْزَبَانَ يَمْتَنِعُ وَيُحَدِّثُ نَفْسَهُ بِالْعَصِيَانِ لِصِبَاهِ وَصُغُرِ سَنِهِ وَلَآنَ

جيشه من الديلم وهذا المدبر للجيش الذي ذكرناه يهوى هوى عضد الدولة ويرى رأيه . فلقى على بن محمد الجوهري في طريقه صاحب دواة لعز الدولة بختيار يقال له عيسى بن الفضل الطبري قد كان اصعد عن البصرة فعرفه الصورة واستعمل في اخراج هذا الحديث اليه غير الحزم والصواب^(٤٣١) فثنى وجهه عائداً اليه الي البصرة وسبق الي المرزبان بالخبر فاشعره الوحشة واعلمه أن أئامه مكرهة ولقنه العصيان . فلما ورد الجوهري على أثره البصرة بدأ بمحمد بن دربند وأوصل ما كان معه من الكتب اليه فصار به وبها الي المرزبان وتندهما انه غافل فوجده مستعداً للخلاف وقبض عليهما جميعاً وأظهر الخلاف وكتب ركن الدولة بالبكاء والنوح وأعلمه ما جري على أيه بختيار وعمومته وان جميع ما يكتب من جهة عضد الدولة ووزيره أبي الفتح ابن العميد عن بختيار انما هو تمويه وان الحيلة استمرت وتمت لهما على القبض على أيه وانه امتنع ثقة بتداركه اياه ومعه وأشد قاصدين عدّة بكتب متواليه

وكان لمحمد بن بقية خليفة بالاهواز من جنسه في الانسلاخ من صناعة الكتابة [ومن كل فضيلة] يقال له محمد بن عبدان الاهوازي فلما بلغه ماجرى احتوى على ما قدر عليه من المال وأثبت عدة من الرجال وصار الي البصرة داخلا في سوار أهل المصيبة فغلب على المرزبان وشجذ بصيرته في العصيان ودخل في وزارته ووعد الكفاية . وأما محمد بن بقية فقد ذكرنا حاله في البعد من كل فضيلة وكان يتموه أمره في أيام بختيار فاما في دولة عضد الدولة فما كان أبعد من أن يكون عريفاً من عرفاء الرجال ببابه فضلاً عن ان يختاط بوزرائه وكتابه ولكن أظهر مساعدة كثيرة^(٤٣٧) لعضد

الدولة فيما كان يدبره وخدمة فيما كان يراه وإنما فعل ذلك حذرا على نفسه وخوفا ان يُردَّ الي مرتبته وعلماً بان بختيار ان عادت يده في التدبير قبض عليه وطمع فيه وعامله بما عامل به وزراءه الكفاة عند حاجته الى المال وكره عضد الدولة ان يخلطه بوزرائه الكفاة مثل نصر بن هرون وكان معه في هذه الوقعة وهو شيخ الكتاب قد سُلِّم له صناعة الحساب خاصة فينسبه الناس الي قلة المعرفة بالرجال ونقصان الرعاية لاهل السابقة والتقدم في الكفاية وكره أيضا ان يصرفه صرفا قاطعا فيكون قد خيَّب ظنه وأكذب تأمليه فاستوزره لابنه أبي الحسين ابن عضد الدولة وعرض عليه ما يشاء ان يتقلده من الاعمال فاختر واسطا وتكريت وعكبرا واوانا وقاطع على هذه الاعمال ووفر على ما كان العمال يدخلون فيه زيادة عظيمة فأمر عضد الدولة ان يعقد عليه جميع ذلك . واقترح ابن بقية اقرار اللقب والتكنية السلطانية ولباس القباء عليه فأجيب الي ذلك وخلع عليه خلعا نفيسة وحمل على دواب بمراكب ذهب وأقطع خمسمائة ألف درهم ورسم له حضور مجالس المؤانسة والمنادمة ولم ينقصه من جميع عاداته الا اسم الوزارة لانه بالحقيقة لم يكن يتولاها على رسوم الوزراء فيخاطب بها فظهر سرورا عظيما وشكرا كثيرا ودعاء متصلا وكل ذلك على دحل^(٤٣٨) وغل قد أضمره وانحدر الي واسط .

وقد كان عمران صاحب البطائح مستوحشا فاحب ان يتعلق مع تجدد ملك عضد الدولة بذيمام فانفذ كاتبه يلتمس عهدا ومنشورا وعقدا وتقريرا فأجيب الي ذلك . والتمس أبو تغلب ابن حمدان صاحب الموصل مثل ذلك وضمن حمل المال الذي كان يحمله قديما الي بختيار فاجابه عضد الدولة الي

ماسأل وأعفاه من حمل المال لمكاتبة قديمة كانت بينهما ومودة سائلة
وعقدت أعمال الاهواز على سهل بن بشر النصراني وخلع عليه فشنخص اليها
وكان محبوبا في يد بختيار وقد جازفه وصادره . وفرت أعمال السواد على
العمال ودبر الامور كلها أبو منصور نصر بن هرون .

ولم يبق في نفس عضد الدولة شيء يتعلق به نفسه الا انتزاع البصرة
من يد المرزبان فلما حصل ابن بقية بواسطة خلع الطاعة وأظهر الخلاف
وقبض على من ضم اليه من القواد وأظهر انه امتنع لصاحبه بختيار وكان
هو المشير بجميع ما جرى متابعة لرأي عضد الدولة . ثم كاتب عمران بن
شاهين يستدعي منه المعاضدة ويحذره تدابير عضد الدولة وانه ليس ممن
يصبر له على محاورته : انك الحال فاجابه عمران الى ما سأل . وكاتب المرزبان
ابن بختيار يلتمس منه ان يمد به بالرجال والمال والسلاح فلم يجد عنده ما يجب
لتهمته بالانحراف عنه وعن أبيه^(٤٣٩) وعلم انه يريد ان يقيم سوقا لنفسه
واحجم ابن بقية عن المصير اليه لتقليد الاهوازي وزارته فبني أمره على انه
متى وقع الطلب له هرب الى عمران وقصد أعمال نهر الفضل فیتغلب عليها
وكتب الى سهل بن بشر ما أغواه حتي استجاب له وسلمك سبيل ارادته .
وقد كان عضد الدولة عزم على انقاذ عسكر المساء لفتح البصرة فلما عصي ابن
بقية جعل همه كله واسطا فانفذ اليه عسكرا قويا فخرج اليه في آلات الماء
فيمين أمد بهم عمران من رجاله

ووردت كتب ركن الدولة على المرزبان بان يماسك بالبصرة وشجعه
على مقاومة عضد الدولة ووعده بالمصير الى بغداد بنفسه لازعاجه وتمكين
بختيار وكذلك فعل في مكاتبة ابن بقية وأبي تغلب ابن حمدان فاضطربت هذه

النواحي على تعسف الدولة وضاق به الامر وتجاسر عليه الاعداء من كل وجهه وانقطعت عنه مواد فارس والبحر ولم يبق في يده الا قصبة بغداد وتجاسرت العامة عليه وأشرف على صورة قبيحة . فرأى ان ينفذ أبا الفتح ابن العميد الى آية ركن الدولة متحماً^(١٠٠) رسالة عنه يصدقه فيها عما جرى ويُعلمه فيه بعمده عن ممالكه وتضييعه الاموال التي أوقفها وانه قد خاطر مع ذلك بنفسه وجنده كما خاطر هو بوزيره وأكثر جنده وانه قد هذب مملكة العراق واستعاد الخلافة الى ممالكه وان يختار ليس ممن تستقر نظره دواة ولا تعتدل على يده مملكة وانه ان خرج عن العراق على تلك الصورة لم يبعد ان تضرب الممالك كلها ثم لا يمكن تلافيها ويسأله المدد والامساك عن نصرة من تفسد على يده مملكته وممالكنا معا وقال لابي الفتح ابن العميد انظر فان تيقظ للامر ونجح فيه هذا القول وأشباهه فاقصر عليه وان رأته : مقيماً على رأيه فزد في الرسالة وقل له : اني أقاطعك على أعمال العراق وأحمل اليك عنها ثلاثين الف الف درهم وانت فقير لا مال لك ولا عدة عندك لمثل هذه الحال ان عادت اليك وأنا أعجل لك من جعلتها عشرة آلاف الف درهم وأبعت بختيار وأخوته اليك لتجعلهم بالخيار فان شاؤوا أقاموا في أوساط ممالككم ومكنتهم من أي البلدان اختاروه وان شاءوا أن يصيروا الى فارس فيختاروا من أعمالها أي البلدان أحبوه الى ذلك ووسعت عليهم في النفقات وأرغدت عيشهم في أوساط ممالكنا . ولم تترك في هذه الديار التي استضعفه أهلها وعرف جنده سيرته^(١٠١) فيها وان الخلافة تخرج عن يده وأيدنا وهو يضعف عن سياسة جنده ويعتمد في التدبير على الجبابرة والمصادرات وتمكين من يرتفع له في الوقت على يده بما لا يقع موقفاً من حاجته ثم يضطر الى نكبته

واعتماد غيره على أن هذا الباب أيضا قد انسدّ ولم يبق فيه بقية مما عمله قديما وقد عرف ذلك من نفسه ولذلك استعفى من الامر . وان أحييت أن تحضر بنفسك المراق لتسلي التديير وتكون سائس الخلافة وبيت الملك ووليت الامر وترد بختيار الي الرّى فانصرف الى فارس كان ذلك وجهها من الرأى صحيحاً . وقال لابن العميد : وينبغي أن تتبسط في هذا المعنى فانك تجد فيه مقالا واسماً فان لأنّ لك وعرف صواب قولك والآن فزد في الرسالة فصلا ثالثاً تجهه به وهو : انك أيها الوالد السيد مقبول القول والرأى والحكم ولكن لا سبيل الي اطلاق القوم بعد مكاشفتهم والقبض عليهم واظهار العداوة لهم فانهم لا يصلحون لي أبداً ولا تقي جيوبهم ولا تصح نيابتهم وسيقالبوني بغاية ما يقدرون عليه فيضطرب الجبل وتتشرك كلمة أهل هذا البيت أبداً . وان أبيت أن تقبل أحدي الخصال التي عدتها لك وخيرتك فيها وحكمت بانصرافى على هذه الجملة فاني سأضرب أعناق هؤلاء ^(١١٢) الثلاثة الاخوة (يعني بختيار وأخويه) وأقبض على من اتهمه من حزبه وأخرج وأترك العراق شاغرة ليدبرها من اتفقت له

فقال له أبو الفتح ابن العميد : هذه رسائل صعبة لا يمكننى أن أتلقى ركن الدولة بها وأنا صاحبه ومدير أمره فاني أعرف نصرتي لمن ينصره من الغرباء وتصميمه عليه وبلوغه غاية جهده فيه فكيف ابني أخيه ! ولكن الصواب أن يتقدمنى اليه من يفرغ جميع ذلك في أذنه من جهتك ثم اتلوه شافما له ومتما ومشيراً . فنقرر الامر على ذلك ونفذ فيه من جهة عضد الدولة ^(١) ومن جهة أبي الفتح ابن العميد أبو الباس ابن بندار وكان الامير ركن

الدولة يأنس به قديماً فتوجهت الرسل وشخص ابن العميد على جازات عددها مائة يتلوها . فلما بلغ الرسولان الاولان الى ركن الدولة وشرعا في تأدية الرسالة وعرف الغرض الاخير . نهما لم يمكنهما من اتمام الرسالة ووثب الى الحربة التي تلى مجلسه فتناولها وهزها وهرب الرسولان احضاراً من بين يديه .

فلما سكن غضبه استعادهما وقال : قولوا لفلان (يعني عضد الدولة وسماه بنير اسمه) خرجت الى نصره ابن أخي أو الطمع في مملكته ؟ أما عرفت أنني نصرت الحسن بن الفـيروزان وهو غريب منى مراراً كثيرة أخرج فيها كلاماً عن^(٤٤٣) ما كى واخطر بنفسى وأحارب وشمكير وصاحب خراسان حتى اذا ظفرت وتمكنت من البلاد ساءمتها اليه وعدت من غير أن أقبل منه ما قيمته درهم فافوته طلباً للذكر الجليل ومحافظة على الفتوة ؟ تريد ان تمتن أنت على بدرهمين اتفقتهما على وعلى أولاد أخى ثم تطمع في ممالكهم ! وخرج هؤلاء الرسل لا يملكون أرواحهم اشفاقاً مما رأوا منه ومما ظهر من غيظه وغضبه .

وبلغ ابن العميد الرى وهو الوزير المقرب والامين المتمكن وعند نفسه أن صورته كما كانت فحُجِبَ عن دار الامارة ورُدَّ عنها أقبج رَدَّ وروسل : بانك خرجت من عندنا ناصراً لبختيار ومدبراً عسكرياً وعسكر فناخسره حتى يستقيم أمر أولاد أخى ثم تأتيني الآن في صورة قبج تحمل رسالة فناخسره فيما يهواه حتى يكون مكان أخى وأولاده ويطمع منى في أن ارخص له في القبض عليهم وازالة نومهم ويتهددنى بالعصيان ! أما أنت فقد عرفت انك اخترته على وسوّلت لك نفسك ووزارة العراق ونزهة دجلة ارجع

اليه على حالك فوالله لاصلبن أمك وأهلك على باب دارك ولا يبدن عشيرتك
ومن يتصل بك عن وجه الارض ولا تركبك وذلك الفاعل (يعني ابنه)
تجهدان ثم لا أخرج اليكم الا بنهـي في ثلاثمائة جـازة لا يصحني الا من
عليها^(١١١) من الرجال ثم ابدتوا لي ان شئتكم . وحلف ركن الدولة محلوقة :
اني اذا بلغت بعض طريق في قصدي اياكم لا يبق معكم رجل واحد الا
تلقاني وحصل عندي وانه لا يتقرب بك وبعضد الدولة الا اخص أوليائك
وأوثق عبيدك في انفسك وانما أتركك الآن وانت في يدي لتعود الى
موضعك وتعيد رسالتك وكلامي وتنتظر صحة وعدى ووعدى . وأمر من
هذا الكلام ما هذا جملة وان كان اكثر من هذا وأشنع .

وكان ركن الدولة قبل هذه الحال وعند سماع حال أولاد أخيه من
القبض عليهم رمى بنفسه عن سريريه وأقبل يترغ ويبد ويتبع من الاكل
والشرب أيما ومرض من ذلك مرضا لم يستقل منه باق حياته وكان يقول :
اني أرى أخي معز الدولة مثملا ازاى يعص على أنامله ويقول « يا أخي هكذا
ضمنت لي ان تخلفني في أهلي وولدي ! » وكان ركن الدولة يعز أخاه عزّا
شديدا فيراه بصورة الولد لانه رباه ومكنه مما تمكن منه .

وتوسط الناس بينه وبين أبي الفتح ابن العميد يشفعون له ويقولون
انه لم يرد فيما ظننته وانما احتال في الخلاص من عضد الدولة بتحمن رسالته
وغرضه ان يجتمع معك لتدير الامر بما تراه و[هو] يضمن ضمانا يدخل
في تبعته انه يقرر الامر على رضائك بعد ان تسمع كلامه وتمضي له بما يعمل
به في هواك . فأذن له^(١١٢) حينئذ وجرى بينهما خطاب طويل تقرر على
ان يعود ويفرج عن بختيار واخوته ويقرر الملك في أيديهم وينصرف كل

واحد من عسكر الري وعسكر فارس الى مركزه وموضعه على صورة جميلة وعلى أكثر مما يمكن ان يعمل من الحيلة في مثل هذه الحال فأذن له حينئذ ورجع الى عند عضد الدولة بخلاف ما خرج وخلا به وعرفه حقيقة الامر وانه ليس ممن يطمع في اصلاحه من جهة ركن الدولة فلما رأى عضد الدولة انخراق الامر عليه من كل وجه ونفذ ما صحبه من الاموال ولم يصل اليه شيء من ممالكه اضطر الى الخروج الى فارس والافراج عن بختيار وأخويه قفل ذلك . وتوسط ابن العميد بينه وبين بختيار وخرج من دار عضد الدولة بعد ان خلع عليه وقبل بساطه وشرط عليه ان يخلفه في تلك الاعمال ويخطب له وخلص على أبي اسحق ابن معز الدولة على ان يلى أمر الجيش وذلك لما كان اعتقده الجند من ضعف بختيار وسوء تديره لهم وزوال هيئته مرة بعد أخرى عن قلوبهم فلما خرجوا من داره وأصعدوا الى منازلهم في طياره خلعوا الطاعة من غير انتظار ساعة . واجتمع الى بختيار جيشه وعوام البلد والميأرون وأناروا الفتنة وارتفع عياطهم وصياحهم وقد كان عضد الدولة (حفظ) عليهم خزائهم وجميع ما وجد^(٤٤٦) لهم من الدواب والاثاث فما شذ منها شيء حتى تساموها كهيئتها يوم فارقوها . وبرز عضد الدولة يوم الجمعة لخمس ليال خلون من شوال سنة ٣٦٤ عن مدينة السلام قاصداً أعماله بفارس ووافق ابن العميد على المسير في أثره والا يقيم ببغداد بعده أكثر من ثلاثة أيام .

﴿ ذكر ما جناه أبو الفتح ابن العميد على نفسه وميله ﴾

(الى الهوى واللعب حتى تأدى أمره الى الهلاك)

لما خرج عضد الدولة الى فارس طابت بغداد لابي الفتح ابن العميد

وأحب الخلاعة والدخول مع بختيار في أفانين لهوه ولعبه ووجد خلوة ذرع من أشغاله وراحة من تدبير أمر صاحبه ركن الدولة مدة وحصلت له زبازب ودور على الشط وستارات غناء محسنات وتمكن من اللذات . وعرف بختيار له ما صنع من الجميل في بابه ^(١) وانه خلصه من مخالب السبع بعد أن اقترسه وان سعيه بين ركن الدولة وبينه هو الذي رد عليه روحه وملكه فبسطه وعرض عليه وزارته وتمكنه من ممالكه على رسمه والا يمارضه في شيء يدبره ويراه فلم يجبه الي ذلك وقال : لي والدة وأهل وولد ونعمة قد رببت منذ خمسين سنة وهي كلها في يد ركن الدولة ولاستطيع مفارقتها ولا يحسن بي أن يتحدث عني بمخالفته ولا يثم أيضاً لك ذلك مع ما عاملك به من الجميل ولكني ^(٢) أعاهدك اذا قضى الله على ركن الدولة ما هو قاض على جميع خلقه أن أصير اليك مع قطعة عظيمة من عسكره فانهم لا يخالفوني وركن الدولة مع ذلك هامة اليوم أوغد وليس يتأخر أمره . واستقر بينهما ذلك سرّاً لا يطلع عليه الا محمد بن عمر العلوي فانه توسط بينهما وأخذ عهد كل واحد منهما على صاحبه ولم يظهر ذلك لاحد حتى حدثني به محمد بن

(١) زاد صاحب ارشاد الارب ٥ : ٣٧٣ : لأنه كان قد جرد الفعل والقول في رد عضد الدولة عن بغداد بعد أن نشبت فيها مخالفة وتملكها وقبض على بختيار واستظهر عليه نخلصه واعاد ملكه عليه وصرف عضد الدولة عن بغداد فكان يراه بختيار بصورة من خالصه من مخالب الاسد بعد الخ

.. وقال صاحب التكملة : ورد ابن بقية بغداد في ذي القعدة ومسلماً عين ابن العميد بالهدايا وقال في بعض الايام : لا بد أن أخلع عليه . فلما أكل وقعدا على الشرب أخذ ابن بقية يده فرجية ورداء في غاية الحسن والجلالة ووافي بها الى ابن العميد وقال : صرت يا استاذ جامدارك فانظر هل ترضيني لخدمتك . فطرح الفرجية عليه فاخذ الرداء منه ولبسه .

عمر بعد هلاك أبي الفتح ابن العميد . واسكن الغلط القبيح من أبي الفتح كان أنه أقام مدة طويلة ببغداد وطمع في أملاك امتنا هناك واقطاعات حصلها وأصول أصلها على العود اليها . ثم التمس لقبا من السلطان وخلا وأحوالا لا تشبه ما فارقه عليه عضد الدولة ثم استخلف ببغداد بعض أولاد التناء بشيراز يعرف بابي الحسين ابن أبي شجاع الارجاني من غير اعتبار له ولا خلطة قديمة تكشف له أمره فلما خرج كانت تلك الاسرار التي يئذه وبين بختيار والتراجم بينهما تدور كلها على يده ويتوسطها ويهدي الى عضد الدولة جميعها ويتقرب اليه بها . فلما عرف عضد الدولة حقيقة الامر ومخالفة أبي الفتح ابن العميد له ودخوله مع بختيار فيما دخل فيه مع اللقب السلطاني الذي حصله وهو ذو الكفائتين ولبسه الخلع وركوبه ببغداد مع ابن بقية في هذه الخلع عرف مكاشفته اياه بالعداوة^(٤٤٨) وكنتم ذلك في نفسه الى أن تمكن منه فأهلكه كما سنذكره في موضعه ان شاء الله .

(ذكر ما يجري عليه أمر ابن بقية)

كان محمد ابن بقية مستوحشا من بختيار لما يعرف من سوء معتقده له فتوقف بواسط وترددت بينهما كتب ورسائل على يد ابي الحسن محمد ابن عمر العلوي وأبي نصر ابن السراج فاستحلفا كل واحد منهما لصاحبه فاصعد حينئذ وامتن على بختيار بأنه انما استعصى على عضد الدولة بسببه ومن أجله قتل منه وزاد في اكرامه وتجددت بين ابن بقية وبين أبي الفتح ابن العميد مودة ومهادنة .

وفي هذه السنة لقب أبو الحسن علي بن ركن الدولة نخر الدولة ولقب المرزبان بن بختيار اعزاز الدولة ولقب عمران بن شاهين معين الدولة ولقب

محمد بن بقية نصير الدولة مضافاً الى لقبه الاول ولقبه أبو الفتح ابن العميد
ذا الكفائتين وخلع على من حضر من هؤلاء من جهة أمير المؤمنين وأنفذت
الخلع الى من غاب .

وبني محمد بن بقية أمره على تمكين الوحشة وتوكيد العداوة بين بختيار
وبين ابن عمه عضد الدولة وأكثر من التسوق والتنفق والبسوخ والتبجح
وأطلق لسانه اطلاقاً من لا يترك للصلح موضعاً واثارت الفتن بين العامة
وزالت السياسة التي أسسها عضد الدولة من قمع العيارين وظفر ابن بقية
بالمعروف بابن [أبي] عقيل صاحب الشرطة الذي كان من قبل سيكتكين^(١)
وكان من أهل السنة وقد قتل طائفة من أهل الشيعة فأمر بقتله فقتل
في وسط الكرخ بين العامة فزادت ضراوة العيارين وعاد الفساد وخاف
التجار على أنفسهم وأموالهم . وأخذ ابن بقية في خدمة الطائع لله ومناصحته
وعقد مصاهرة بينه وبين بختيار^(٢)

وتجددت لبختيارية في الخروج الى الكوفة على أن الظاهر فيه زيارة
المشهد بالقرى والباطن التصيد فشخص اليها وصحبه الحسين بن موسى النقيب
ومحمد بن عمر العلوي وأقام محمد بن بقية ببغداد وقد كان تنكر لمحمد بن عمر
وقبض عليه لينكبه فلم يطلق ذلك بختيار ولم يتركه في يده الا ساعة من النهار
حتى انتزعه منه فلما دخل الكوفة نزل على محمد بن عمر وفي ضيافته نخدمه

(١) قال صاحب تاريخ الاسلام في ترجمة بختيار انه تزوج الخليفة الطائع بابنته شاهناز
على مائة الف دينار وخطب وقت المقد الفاضل أبو بكر بن قريمة وذلك سنة ٦٤ .
والفاضل هو محمد بن عبد الرحمن البغدادي ولاء القاضي أبو السائب قضاء السندية وغيرها
من اعمال بغداد وكان مختصاً بالوزير أبي محمد المهدي توفي سنة ٣٦٧

ولأطفه وجرت بينهما مؤانسات وخلوات واتصل ذلك بمحمد بن بقیة وقيل له « قد سعى بك ووافق بختيار على ان يكتبك » فاستوحش ابن بقیة واستعد للانحدار الى واسط على سبيل المقاطعة والمخالفة وساعده على ذلك بعض الجند فشرعت والدة بختيار في اصلاح الحال وكوتب بختيار بالصورة ففني وجهه مبادراً الى بغداد وقدم امامه كسبه ورسائله مع الحسين بن موسى الموسوي بالتلافي وانكار كل شيء بلغه عنه واخذ لكل واحد منهما على صاحبه يمينا على التصافي والتراخي فخرج حينئذ محمد بن بقیة متلقياً له عائداً الى طاعته .

واتصل ^(٤٥٠) بمحمد بن بقیة وبختيار أن عضد الدولة يريد العود الى العراق فخرج ابن بقیة الى واسط لجمع المال واعداد زاد وعتاد واستعمل ضرباً من القيسح في الكلام والمجر ومنع شذآت كانت هناك من الاجتياز وواطأ عمران على منع أجازتها وغير ذلك من ضروب الجمل وذلك للحين المتاح له والشقاء المصوب عليه حتى تأدي أمره الى اقبح صورة في الهلاك بأنواع العذاب والمثلة كما سذكروه في موضعه ان شاء الله . ونجدت بينه وبين بختيار وحشة أخرى بعد عوده الى بغداد واقتضت الحال القبض على سهل بن بشر النصراني ضامن الاهواز وفكبته التي تأدت الى القتل

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان ابن بقیة لا يثق ببختيار على تصرف كل حال ولا يدع التحرز منه ونصب العمون عليه وأشد ما يكون نفوراً منه اذا حلف ووثق له فانهمك في استمالة الجنود ومتابعة الخلع عليهم والصلوات لهم ونصب الموائد وعمل

الدعوات وأمر أن يحمل المال الى خزائنه . ووافق بختيار على شيء يُقيم له وصار كالحاجر عليه فمضى طالبه بزيادة على ذلك بعث الجند على مطالبته وأحالهم عليه . فضاق ذرع بختيار به وخاطب جماعة من حاشيته وشيوخ قواده في تدبير يوقعه عليه حتى يتمكن من نكبته ويستكتب سهل بن بشر وسهل يومئذ في عمله بالاهواز فاخرج اليه جماعة من كبار قواده فيهم الحسن بن أحمد بن بختيار والحسن بن فيلسار وتكيدار الجيلي^(١) وجماعة مثلهم وراسله على أيديهم بإيقاع الخيلة عليه . فلما وصل اليه هؤلاء القواد برسائل بختيار وعلاماته تقرر الرأي على أن يفصل الجيش عنه الذين يبعثون ويظهر سهل ومن معه بالاهواز الشعب عليه وترك الرضاء به . وورد الخبر بذلك الى بغداد وقد ضعف بختيار عن امضاء تلك العزيمة وقد استصلى ابن بقية الجند وملك الامر فظهر حينئذ ما في نفسه وعاب بختيار ووبخه وذكره الايمان التي لا زال يحلفها ثم يعود ناقضا لها وتغاضب عليه وتناقل عنه فرق بختيار في يده وأنكر أن يكون ما جرى اليه الاهوازيون بأمره وعلمه فقال : فاطلق يدي فيهم . فاجابه الى ذلك وأمضى حكمه عليهم فالزمه أن يقبض على سهل بن بشر ويسلمه اليه وأن ينفي القواد الذين أظهروا ما أظهروه ففعله واتخذ ابراهيم ابن اسماعيل الحاجب الى الاهواز وأمره أن يحتال على سهل بن بشر حتى يقبض عليه ويأمر به الى الحضرة فمضى مسرعا ووصل الى الاهواز واحتال حتى حضر سهل بن بشر في منزل أحد القواد فقبض عليه وعرفه فساد جميع الامر الذي كان خائضا فيه وحمله للوقت فسلمه الي ابن بقية . وقد كان الحسن بن فيلسار سبق الى مدينة السلام فتلافي محمد بن بقية واستصلى نيته وأما الحسن بن أحمد بن بختيار وتكيدار فإنه استدعاهما فلما

قربا من بغداد طردا وبقيبا عن^(١٥٢) العسكر فعاد الحسن الى بلده ولحق
تأكيدا بعصا الدولة . وجد محمد بن بقية في مطالبة سهل بن بشر بالاموال
وبسط عليه المكاره واستخرج منه كل ما أمكنه ثم قتله بالعذاب مع جماعة
من الناس سئد كرم .

وفي أثر القبض على سهل بن بشر قلد بختيار أخاه أبا اسحق أعمال الاهواز
وأنفذه اليها مع طائفة من الجيش وذلك بسفارة محمد بن بقية لانه كان
استمان بابي اسحاق ووالدته على بختيار فاعاناه وبلغاه ما أحب فقضى حقهما
بهذا التقليد

وقبض ابن بقية على صاحبه أبي نصر السراج وعذبته حتى قتله
﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

هجمت على ابن بقية علة من حرارة فقصد منها في اليوم الثاني فسا
أمسى الا ذاهب العقل مسجي بخور خوار الثور ولا يسبخ طعاما ولا شرابا
ولا يسمع كلاما ولا يحير جوابا وظهرت في فيه رغبة واختلج وجهه وعلا
نفسه ولحقه القواق الشديد واجتمعت فيه أعراض الموت التي لارجاء معها .
وقد كانت لابن نصر السراج نعمة فاتسعت في أيامه وعظمت بالدخول في
الامور المذكورة وضروب الشر والسعايات واعداؤه كثيرون . وكان ابن
بقية اصطنع رجلا يقال له الحسن بن بشر الراعي وكان في الاصل نصرانيا
من رأس عين فصحب بني حمدان بالموصل فدخل في الاسلام لشىء ظهر
منه وخاف فاسلم ثم خاف خوفا ثانيا فهرب الي بغداد وانصل بمحمد بن بقية
وحظي عنده فقرب^(١٥٣) منه ورفعته من حال الى حال حتى قلدته واسطأ ثم
استدعاه الى بغداد فقلده خلافته . وتولدت بينه وبين أبي نصر السراج

منافسة ومضاغنة فلما وقع اليأس من محمد بن بقية استتر ابن الراعي وبادر أبو نصر ابن السراج الى بختيار فضمن له من جهة أسباب ابن بقية أموالاً عظيمة وكتب اسماء إقاربه وأصحابه وكتابه وسائر أسبابه فركب بختيار الى ابن بقية حتى شاهده في علته .

﴿ ذكر اتفاق ظريف في سلامة ابن بقية من علته ﴾

﴿ ثم من قبض بختيار عليه ﴾

ان بختيار أدركته رقة شديدة له مع اجتهداه كان في هلاكه وتبره به لاستبداده بالاموال والمساكر فأشار عليه ابن السراج بالقبض على الجماعة قبل ان يستروا فتوقف عن ذلك وألح عليه إلحاحاً شديداً فلم ينفعه ذلك وأحس عيال ابن بقية وأسبابه بما فعله ابن السراج فخذروا منه ثم تماسك محمد بن بقية في اليوم الرابع من علته بعد ان تردد اليه بختيار دفعتين في كل يوم في مدة الحذر عليه وسكنت أطرافه ورجى رجاء ضعيفاً وتزايد ذلك الرجاء الى أن أفاق وهو ساكت ووضت أيام يسيرة فنهض وتراجع الى عاداته . وظهر ابن الراعي صاحبه واجتمع أسبابه المتحققون به فصدقوه عن فعل ابن السراج وضمنه ابن الراعي منه بمائة الف دينار فقبض عليه فصيح من أهواله وودائمه وأثمان غلاته والمأخوذ من^(١٤٤) أسبابه أكثر مما ضمنه ابن الراعي ثم بسطت عليه المكاره وأصناف العذاب وحبس في صندوق ومُنِع الطعام حتى مات أتمج ميتة .

وفي هذه السنة اضطربت كرمان على عضد الدولة

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان في أعمال كرمان خلق من الرجالة الجرومية لهم بأس شديد وهم

متمسكون بالطاعة وأحد وجوههم رجل يقال له طاهر بن الصيمّة وكان واسع الحال والمعاملة فدخل في ضمانات ضمنها وتمار ابتاعها فحصلت عليه أموال طمع فيها وشره الى كسرهما . وكان عضد الدولة قد سار الى العراق للايقاع بالأتراك وخرج وزيره أبو القاسم الطاهر بن عبد الله الى عمان فلم يبق بفارس من العساكر الا شيء يسير نفلح طاهر بن الصيمّة الطاعة وجمع الى نفسه هؤلاء الرجالة بالاسلحة التامة واستكثر من عددهم . واتفق ان كان في نواحي خراسان أمير وجيه من أمراء الأتراك السامانية يقال له يوزتمّر عظيم المنظر جبار البنية معروف بالبأس والشدة وقد استوحش من محمد بن ابراهيم بن سمجور صاحب جيش خراسان وقرر منه فكتبه طاهر ابن الصيمّة وأطمعه في أعمال كرمان فسار اليه وصاراً بدأ واحدة في الاستيلاء الا ان الامارة ليوزتمّر . فبعد مدة شغب الرجال الجرومية فاتهم طاهر انه ^(١٠٠) "بهم على الهيج ففسدت الحال بينهما وزاد الفساد حتى اقتتلا قتالا شديداً فظفر به يوزتمّر وأخذه أسيراً وقتل خلقاً من رجاله . واتصل ذلك ببعض أولاد الياس وهو الحسين بن محمد بن الياس وهو في بعض أعمال خراسان وطمع في الاستيلاء على كرمان وجمع جمعاً وصار اليها وانضم هؤلاء الرجال الجرومية اليه وأمثالهم من كل ضرب من الدعار . وقد كان الطاهر بلغ من إصلاح عمان ما أراد وفتح جبالها وأوقع بالشرارة وانكفأ راجعاً الى ارجان عاملاً على المسير الى حضرة عضد الدولة بالعراق فورد عليه الامر بالمسير الى كرمان ليتلافى تلك الحادثة فعاد الى شيراز وبرز عنها لتسع ليال بقين من رجب سنة ٦٤٠ وسار لطيفته مسير السرايا لا يلوي ولا ينشئ فأوقع بكل من وجد في طريقه من أهل التهمة وقتل وصاب وسملى العيون ومثل

بكلّ مشقة وبالع في القسوة اقامة للهيئة وأسرع السير حتى انقضّ على يوزنم فلم يعرف خبره الا مع وصوله فبرز اليه وواقعه فانهم الى البلدة وهو بهم وتحصّن في قلعة وسطها حصينة خاضره فيها مطهر الى ان أعطى بيده واستأمن وأحضر معه طاهر بن الصحة أسيراً قتله المطهر ثم أمر به فشنه ونودي عليه ثم ضرب عنقه وأغناق^(١٠١) جماعة يجرون مجراه وأنشد يوزنم الى بعض القلاع فاعتقه بها وكان آخر العهد به .

ثم خرج المطهر في طلب الحسين بن محمد^(١٠٢) بن الياس وكان قد جمع عشرة آلاف رجل في أساحة تامة مستعدين للقتال فلما أثرف عليهم استكثر سدّتهم وهاله أمرهم ولم يجد من الحرب بداً فناصرهم الحرب على باب جيرفت فحملوا عليه حملة ثبّت لها ثم حلت ميمته فأثرت فيهم وألجأتهم الى سور المدينة واختل نظامهم فأكب العسكر عليهم بالنشاب ولم يجدوا مهرباً فقتلوا بأسرهم وهرب الحسين وطلب نجى به أسيراً ولم يعرف خبره بعد ذلك وتطهرت كرمان منه .

﴿ ودخات سنة خمس وستين وثلاثمائة ﴾

قد ذكرنا مرض ركن الدولة وسبب ذلك وحكي انصراف عضد الدولة من بغداد على الحال التي وصفناها واستيحاشه من أبيه لما كان منه في مكاشفته ونصرة بني أخيه ورأى تجاسر الاعداء عليه واختلال هيئته في صدور أوليائه ولم يأمن ان يموت ركن الدولة على تلك الحال فينتشر منكم ولا يجتمع له ما يجب . فراسل أبا الفتح ابن المسيد وكان قطع مكاتبة أبيه استيحاشاً منه ونجياً عليه وسأله ان يتوسط بينه وبين أبيه حتى يعود له كما

كان وتلطف مع ذلك في أن يجتمعا ويمهدا اليه ويشهر ذلك في ممالكه وبين
 وجوه الديلم والجنود . وكان أبو الفتح ابن العميد متمكناً من ركن
 الدولة ومن الجنود أيضاً فكان يحب أن يتلافى قلب عضد الدولة لما كان
 منه اليه وهو مع ذلك لا يأمنه ويخشى بادرته ومكايده فخاطب ركن الدولة
 وأعلمه ما يخشى من اضطراب الجبل وفساد ما بين أهل بيته بأية حاش
 عضد الدولة وحذره من ترك هذه الصورة حتى تستمر وتمكن من
 النيات والقلوب ولم يزل به حتى رق ولان وعرف صلاح حال أولاده
 وممالكه وممالك بني أخيه فيما دغاه اليه ثم أشار عليه بأن يأذن له في الورود
 عليه حتى يجتمع معه ويراه فقد كان فارقه صديقاً ويشاهده الجنود بحضرته
 ويزول ما خامر قلبه وقلوب الناس من اعتراض الوحشة ويجعله ولي عهده
 اذ كان أكبر أولاده وأنجبهم وأوسمهم مملكة وأكثرهم مالا وعدة
 ورجالا . فأجابه ركن الدولة بأن هذا رأى صواب ولكن ليس في خزائنه
 ما يتسع لعضد الدولة ومن يرد معه من الخيل والقواد والغلمان وان لم يلاطف
 الجماعة بأقامة الانزال واتخاذ الدعوات وافاضة الخلع والحملات والهدايا على
 الجماعة اقتضح وتهجن فقال له أبو الفتح : فتسير أنت اليه لتجدد النظر في
 تلك الممالك التي طال عهدك بها وتشاهد أولئك العسكر^(٤٥٨) الذين رتبهم
 قديماً وحديثاً فيها ويلتزم عضد الدولة لك ولجنودك وجميع حاشيتك
 ما أشفتك من التزامه لهم وتقيم السياسة التي لا بد لك من إقامتها بين
 أولادك وممالكك فقال له : هذا يقبح في الاحدوتة وعند ملوك الاطراف
 وفيمن يأتي بعدنا من الامم ان يتحدث الناس ان فلاناً أوحش ابنه في أمر
 رأى يحاشه به وتأديبه فيه ثم قصده يترضاه . فسكرت عضد الدولة

بجميع هذه الفصول فكتب : ان هاهنا خلة أخرى يسلم فيها من جميع هذه الاشياء التي يشكرها وهو ان يتصد اصبهان فانها من أعماله وأنقض أنا من فارس فاقصده لخدمته وعيادته من مرضه ويلزمه حينئذ تفقد أسبابه وحاشيته ولا يلزمه لى ولا لاحد من يصحبنى شيء ولا يتحدث بأنه تصدني أو زارني . فتقرر الرأي على ذلك وتشمر أبو الفتح ابن العميد له حتى تمت المزيمة ونهض ركن الدولة مع ضيفه ومرضه وحضر اصبهان واستدعى الأمير نغر الدولة وهو ابنه على وكان مؤيد الدولة في ولايته مقياً باصبهان وهو ابنه بويه وحضر عضد الدواة وخرج ركن الدولة في تلقبه فلما قرب من البلد وقف على نشز من الارض حتى ترجل له عضد الدولة ابنه وقبل الارض مرات ثم تقدم اليه فقبل يده^(١١٠) ثم تتابع القواد والامراء وكبار الحاشية بتقبيل الارض والخضوع له . فرأى لنفسه منظرآ يسر مثله الاباء في أولادهم ثم سار حتى نزل ونزل كل واحد حيث رسم له ونزل عضد الدولة معه في دار الامارة في الابنية التي كان استحدثها مؤيد الدولة . ثم دعا أبو الفتح ابن العميد دعوة جمع فيها ركن الدولة وجميع أولاده ووجوه الامراء والقواد والحاشية وخاطبهم ركن الدولة بأن عضد الدولة ولّى عهده وخليفته على ممالكه وان مؤيد الدولة ونغر الدولة خلفاؤه في الاعمال التي رتبهم فيها . ولزمت أبا الفتح مؤونة عظيمة وحمل الى كل واحد من ركن الدولة والامراء من أولاده وقواده وحاشيته ما يليق به وكان في جملة ما خلع على الخواص من الديلم ومن يجري بمجرهم الف قباء والف كساء .

وانصرف القوم وقد ثقرت الرئاسة من بين أولاد ركن الدولة على

عضد الدولة واعترف له . مؤيد الدولة ونفر الدولة به وخدمه بالريحان على
الرسم المعروف لهم وخدمه بعدهما كل أمير وقائد ممن حضرو كتب بذلك .
عهد قرى وكتب فيه القوم خطوطهم

وكان بختيار سبي الظن شديد الحذر مما تقدم له ولجندة من مكاشفة عضد الدولة
فهو يجب ان يصلح أمره معه فتتابع كتبه الى ركن الدولة ويسأله ان يعصمه من
الحال التي خافها^(١٦) وأخذ اليه عيسى بن الفضل صاحب دواته ووافق
ذلك هذا الوقت الذي كنا في ذكره من اجتماع الجماعة بأصبهان فتكلم
ركن الدولة في ذلك وأظهر عضد الدولة في الحال الاغضاء عنه وشرط
عليه ان يقلع عما يوحشه من بعد ولا يعاود شيئاً مما ذمه منه فعلا وقولا
وكان بختيار سكن قليلا الى ذلك الا ان محمد بن بقیة مقيم على خوفه
وحذره ويحمل بختيار على مكانه سهلان بن مسافر وكان وجهه عسكر
نفر الدولة وحسنويه بن الحسين انيرزيكاني وكان مجاوراً لأعماله ومصاهراً
له ويحمل أيضاً على استمالة فخر الدولة حتى يدخل في مناظرة أخيه عضد
الدولة فترددت الرسل بينهم فتأكدت العمود بينهم واستعدوا جميعاً
للمعونة واتفقوا على التعاضد والتوازر ان نابت أحداً منهم نائبة . وحضر
كتاب لهم وجرت موافقة في أمور مشهورة ظهر منها تقليد كل واحد من
فخر الدولة وسهلان بن مسافر ما في أيديهما من الاعمال رئاسة من قبل
السلطان وكتب لهما العهد ولقب سهلان عضمة الدولة وكتبى وأنشدت
انخلع الى الجهتين ووعد حسنويه بمثل ذلك اذا سار فلما وردت عليهم هذه
الجلسة أحجموا عن لبسها وتوقفوا عن اظهار المناظرة لعضد الدولة فبكت

الخلع مع الرسل مطرّحاً لا بلبس^(١) ولا يتلقب سهلان ولا يتبكنى وجرى الامر على غاية الاخلاوة والفضيحة .

وواصل بختيار وابن بقية عدة الدولة^(٢) أبا نغاب ابن حمدان ومعين الدولة عمران بن شاهين وقطعت الخطبة ببغداد وجميع منابر العراق عن اسم عضد الدولة وزعم بختيار أن الرئاسة له بمد ركن الدولة . وشرع ابن بقية في تلقيب ثان مضاف الى لقبه الاول وأن ينشأ كتاب عن الخليفة بالزيادة في المقاطعة والمكاشفة وأشيع ذلك على المنابر وأطلق للناس الكلام القبيح وعظم بختيار وانزل منزل ركن الدولة بالعراق والممالك المجاورة له وزعم أنه ينس تلك المنزلة من عضد الدولة ومن دونه وتلاه ابن بقية في هذه المراتب ووجد من جهال الجند مساعدة له ورغبة في حطام يتناولونه منه ويأكلون عده واسراراً للبراءة منه واسلامه . وكان يظن أنه ان بلغ ما يحب بالندبير الذي دبره فقد فاز وان انعكس عليه كان بختيار المهالك وهو الناجي فيظن ظنا خطأ لأن من سلك مسلكه لم ينج ولم يخل من ورطة يقع فيها تكون سبب هلاكه^(٣)

﴿ ودخات سنة ست وستين وثمانمائة ﴾

وفي هذه السنة تحرك عضد الدولة نحو العراق ورحل من فارس فجند محمد بن بقية وبختيار في مكتبة الجماعة المذكورة . وكان حسني بن الحسين الكردي خاصة يفر بختيار من نفسه ويطمعه في أنه سائر اليه لمعاوته^(٤) بنفسه وأهل بيته ومن يطمعه من الاكراد وكان يجب أن يشتت الالفة ويفرق

(١) يريد مطرحة لا تلبس (٢) وقال صاحب تاريخ الاسلام : وفي رجب عمل

مجلس الحكم في دار السلطان عز الدولة وجلس ابن معروف وحكم لان عز الدولة التمس ذلك ليشاهد مجلس حكمه كيف فيها هو

السكامة لان نظام أمره كان في انتشار أمر هؤلاء الملوك
وكان بروز بختيار وابن بقية يوم الاثنين ليلة بقيت من جمادي الاولى
يريدان الزيارة والتصيدهم الانقلاب الى واسط قاصدين الاهواز على نية
المحاربة فانتهما الى واسط في اسلأخ جمادى الآخرة ووقت بينهما وبين
عمران بن شاهين مصاهرات وتزوج بختيار بابنة عمران بن شاهين وتزوج
الحسن بن عمران بابنة بختيار

وفي هذا الوقت أهلك ابن الراعي بأمر ابن بقية خلقا ممن كان بينهم
فيهم المعروف بابن عروة وهو ابن أخت أبي قرة وكان من وجوه العمال
وفيهم على بن محمد الزطى وكان اليه شرطة بغداد ومنهم المعروف بابن العروقي
وكان أيضا اليه الشرطة بواسط وجماعة يجرون مجراهم وهم يقتل صاعد بن
ثابت وكان قبض عليه ونكبه وسكنه سلم من القتل

وراسل بختيار من واسط الطائع لله وراسله ابن بقية يستلأنه الانحدار
اليهم والمسير معها فامتنع من ذلك وترددت المسكآتبات في ذلك الى أن
قرر عنده أنه إنما يستلأ تجشم العناء للصالح والالفة فحينئذ انحدر الى واسط
وسارت الجماعة عنها الى الاهواز . والمسكآتبات تتردد في خلال ذلك (٤٦٣)
بين القوم وبين حسنويه بن الحسين وهو يمد بالمسير . فينماهم كذلك اذ ورد
خبر عضد الدولة في نزوله ارجان في جميع عساكره فاضطربت القلوب
وكتب عن الخليفة كتاب في معنى الداء الى السلم والكف عن الحرب
وانفذ الكتاب مع خاد من خدم بختيار على أنه من خدم الخليفة (٤٦٤) وكان

(١) زاد فيه صاحب التكملة : فقال عضد الدولة للخادم . قل لولانا أمير المؤمنين
« لا يمكنني الجواب الا اذا مثلت بمحضرتك » ولم يجب على الكتاب .

الطمع في الصلح في هذا الوقت محالاً . فاستقرّ الرأي بعد مناظرات بين
بختيار وأصحابه على أن تكون الوقعة بالاهواز والتحصن بالنهر المعروف
بسوراب والقتال من ورائه فبرزوا وضربوا مضاربهم على شاطئ سوراب
ونفذ أبو اسحق ابن معز الدولة في طائفة من الجيش الى عسكر مكرم
اضبطها وحفظت المعابر على السرقة وجردت المساكن من الاعراب
والاكراد وغيرهم الى رامهرمز وذلك أن المقيم كان بها والضامن لها وهو
الحسن بن يوسف استأمن الى عضد الدولة . ولما رأى الطائع لله ان الحال
أفضت الى الحرب امتنع من المقام وبرز متوجها الى بغداد فاجتهد بختيار وابن
بقية الجهد كله في أن يقيم فابی ذلك وسار الى دجلة البصرة وأصعد فيها الى
مدينة السلام مجتازاً في أعمال البطيحة

ثم ورد خبر نزول عضد الدولة رامهرمز وهزيمة ذلك العسكر الذي
نفذ اليها فزاد قلوب القوم ضعفاً وانتفض^(١٦٤) عليهم رأيهم في لزوم شاطئ
نهر سوراب فرجعوا منهزمين الى أفنية سوق الاهواز وقطعوا قطرة اربق
وكوتب ابراهيم بن معز الدولة بالعود من عسكر مكرم فعاد واجتمع جيشهم
واتصل ببختيار أن سار بن باعد الله سُرخ هو مع جماعة من وجوه قواده
وجماعة أخرى عاملون على أن يستأمنوا ويفضوا عسكره وأشير عليه بالقبض
عليهم وتقييدهم وحملهم الى واسط فضمعت نفسه عن ذلك وخشى اضطراب
باق عسكره وضعف عن المحاربة بالاهواز وعمل على أن يرجع الى واسط
موفوراً فيجعل الحرب فيها فتنة ابن بقية وجميع القواد عليه والزموه المقام .
وطالبه العسكر بالمال فظهرت خلته وفاته وابتدأ ابن بقية بمصادرة أهل
البلد وكسر بخيار أوافى الذهب والفضة من الخلى والمراكب وضربت عينا

وورقا فضعت آمال جنده . وعقد على دجيل جسرأ ضيقا ضعيفا في أسفل
البلد وعلى طريق لا يصلح للمساكر عدة للهرب

ووردت أخبار عضد الدولة باستظهار شديد ومال كثير وكراع وسلاح
وجمال موفرة بالازواد والآلات وعدة فيول مقاتلة وكان على ثقة من استئمان
جماعة من البخيارية اليه منهم سلال سرخ الذي ذكرناه وذلك أن كتبه وصلاته
كانت متصلة اليهم . وقدم عضد الدولة اقامة أبا الوفاء طاهر بن محمد بن
ابراهيم وضم اليه جماعة فيهم المعروف ^(١٦٥) بالكاروى الاهوازي مع جيش
من رجاله القمص وغيرهم فوردوا الباسيان وجمعوا السمن وصاروا بها الى
الناحية المعروفة ... ^(١٦٦) فعمدوا جسرا وورد عضد الدولة فمبر عليه وجميع
مساكره والاخبار ترد مع ذلك على بختيار وابن بقية فلا يكون فيهما فضل
الممانعة عن العبور ويثبتان ثبات التحيين وذلك أن من عجز عن رد بعض
المساكر عن العبور والرحف في المواضع التي يمكن فيها الممانعة كيف يثبت
لجميع المساكر في القضاء

وتمسك عضد الدولة بالمساء فنزل على شاطئ النهر لان الوقت كان
مدخل تموز فنزل من القوم على نحو الفرسخ وبكر يوم الاحد لاحدى
عشرة ليلة خلت من ذى القعدة سنة ٣٦٦ على تعبئة ونظام وعدة واستظهار
واحتياط وصافه بختيار مصافاة مضطربة وجميل الفرسان أمام الرجال
(وهذا شيء ما فعله أحد قط ولا تجهله عوام الناس حتى لعاب الشطرنج)
فاستأمن سلال سرخ والحسن بن خر امذ ونيباك بن شبرك وهو من أشد

(١) يابض في الاصل وفي النكلة : كانت الحرب بناحية يقال لها فشان من

الديلم وشجعانهم وعدد كثير من الخواص وكان ديس بن عفيف رئيس
بادية بني أسد في ميسرة بختيار فاستأنوا وانهزم جيش بختيار وتبعهم الاعراب
والاكراد بالنهب والسلب والقتل والاسر^(١٦٦) واستأنوا تحت السيف
خلق وانهزم الفلّ يطلبون الجسر الذي وصفناه ففرقوا كثيرهم بالمضايقة
والمزاحمة. وأقلت بختيار وأخوه أبو اسحق ووزير ابن بقية وعبروا دجيلا
واختلفت بهم المذاهب فلم يعرف بعضهم خبر بعض حتى التفتوا بمطارا وكان
بختيار التي سلاحه عن نفسه وتلم وفيه عدة طعنات بالزويينات فاما أخوه
وابن بقية وجماعة من كبار قواده فانهزم وردوا الحوزة نصف الليل في نحو
خمسمائة رجل وباتوا فلحق بهم تمام الاف على صورة قبيحة من الاختلال
ولما أمسوا ساروا نحو نهر الامير ومن هناك الى مطارا واجتمعوا مع
بختيار. وقد كان ابن بقية عبر بصاحبه ابن الراعي مع خزائنه وخزانة بختيار
وعدة كانت معه الى المأمونية التي بازاء سوق الاهواز وعول في حفظه على
بعض بني أسد فذهب جميعه.

فانفذ عمران بن شاهين ابنه الحسن وكاتبه وقواده في عدة زواريق
وآلات الى بختيار وحمل اليه والى ابن بقية مالا وثيابا وحمل المرزبان بن
بختيار الى أبيه من الابل وقد كان برز اليها مالا وثيابا وصارت الجماعة الى
الابل في الماء بعد أن تأثثوا وتزودوا الى واسط. وصادف بختيار وابن بقية
البصرة مفتتة بالحروب بين ربيعة ومضر^(١) فان مضر كانت^(١٦٧) داخلة
في طاعة عضد الدولة بتدبيرات دبرها وأصول قدمها وأما ربيعة فاقامت على
طاعة بختيار ولا لرغبة فيها ولكن مضاغطة لخصومهم من مضر فاتصلت الفتن

(١) روى الطبري (٢ : ٤٥٠) ان مضر كانت تكثر ربيعة بالبصرة

ودامت الثورة واحرقت المحال وانتهت البضائع^(١) ودخل ابن بقية الى
البصرة لتسكين هذه الفتنة فزادها اشتعالا وفسادا وأحرق بمض خطط
المصريين وانصرف والشر باق . واشفقت الجماعة من أن يسير عضد الدولة
الى واسط فيحصل بها فيفوتهم الحرب ان أرادوه فاصعدوا في الماء واخترقوا
البطائح فتلقاهم عمران بن شاهين في عسكره وآلاته وقبل يد بختيار وتطاول
بختيار له وعطف به الى دار ابنه الاكبر وهو أبو محمد الحسن فانزله فيها
للاصلة بينهما ولانها كانت أحسن دار بالطبيعة وأنزل محمد بن بقية عليه
فاداموا عنده اضيافاً ثلاثة أيام فمجب الناس من موافقة ذلك ما كان عمران
سبق اليه بالحكم كما حكيناه فيما تقدم . ثم رحلوا ورحل الحسن بن عمران
معه الى واسط .

وفي هذه الحال هرب المرزبان بن بختيار من البصرة الى واسط لاحقا بابه
في الشذات والزبازب والسفن بكليته وحرمه وأسبابه

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

ظهرت مضر على^(٤٦٨) ربيعة وضعت نفوس ربيعة بهزيمة بختيار
وانخزل المرزبان وخاف أن يؤخذ فبادر الى واسط موفورا وحينئذ كتب
وجوه البصريين الى عضد الدولة بانفاذ من يتسلم البصرة فانفذ أبا الوفاء
طاهر بن محمد فدخلا

ولما حصل بختيار بواسط تنكر لابن بقية وذم مشورته وندم على

(١) زاد فيه صاحب التكملة : وورد أبو بكر محمد بن علي بن شاهويه صاحب
الفراسة السكونية في الف رجل منهم وأقام الدعوة بها وبسورا وبالجامعين والنيل
لعضد الدولة

قبوله منه وقال : قد كنت عملت على الانصراف عن الاهواز قبل الحرب
بجيش كثيف وأمر مستقيم وعسكر وآلة وسلاح فان تمكنت من المقام
بواسطة أو ببغداد ولحقتني المعونات التي انتظرها من سائر الجهات والا كان
أقل ما في يدي ان أنصرف عن هذه البلاد بمسكر لم يثلم ولم ينكب فلم
يتعذر على ان أغلب على غيرها فايت الا اخراجي من جميع نعمتي ومملكتي
وافساد ما بيني وبين أجل أهلي . فثبت ابن بقية وقال : قد ينال الملوك مثل
مانالك وأعظم منه فيمأسكون وعلى أن أصلح أمورك وأبذل نفسي دونك
ومساعدة الجند على ذلك . وتراجع الى بختيار كثير من الديلم والأتراك
واستدعى كراغا كان له ببغداد واستجد سلاحا وخيما وخركاهاات وصار
اليه من كان بالبصرة وبغداد من الجند وأحوالهم جامعة فصار في عسكر
قوى . ووردت عليه كتب حسويه بن الحسين السكردى يغره غرورا انيا
ويعتذر اليه في^(١٦) التأخر عنه ويمده بان ينفذ اليه أولاده واحدا بعد آخر
ثم يصير اليه بنفسه في جميع رجاله . وعادت المسكابة بينه وبين فخر الدولة
على بن ركن الدولة وأبي تغلب ابن حمدان ورجع ابن بقية الى ذخيرة كانت
له بواسطة فتاوت منها وجرى على عادته في استمالة الجند وبذل الخلع حتى
مالوا اليه وآثروه على بختيار

يؤذ كر بلوى بلى بها بختيار في تلك الحال ﴿

﴿ حتى أسلم بقية ملسكه ﴾

من عجائب ما اتفق على بختيار في تلك الحال انه كان أسره في الوقعة
بالاهواز غلام تركي يعرف ببايتكين لم يكن من قبل يميل اليه ولا تظهر منه
حبة له فجن عليه جنونا وتسلي عن كل شيء خرج عن يده الا عنه وحدث

له من الحزن عليه ما لم يسمع بمثله فامتنع من الطعام والشراب والقرار والسكون وانقطع الى النحيب والشهيق والعيول وأحتجب عن الناس اخلاذا الى البكاء وتضجر بالجيش وتبرّم بحضورهم وأطرح التدبير وزعم ان فجيئته بهذا الغلام فوق فجيئته بالمملكة والانسلاخ منها ومن النعمة . ثم اذا كان وصل اليه وزيره وكتابه وقواده وخواصه في المهم قطعهم عن ذلك بالشكوى بما حل به والبوح بما في نفسه ونقصت أوقاته ومجاسه بهذا^(٤٧٠) الخطب الجليل عنده دون ما سواه وامتنع من الجلوس في الدست ومن استعمال التمهيد بالخناد وما أشبه ذلك فخفف ميزانه عند الناس وسقط من عيونهم فلم يبال بذلك . وصار القواد يجتمعون الى ابن بقية ويقولون : دبر أنت أمورنا فانا ملك ومطيعوك . فاستهان به ابن بقية واستعجزه وجاهر بذلك بعد ان كان يستره وعدل الى الاخذ بالحزم لنفسه وأما بختيار فانه أسقط التجميل في أمر هذا الغلام عند كل أحد حتى كتب الى عضد الدولة والحرب قائدة بينهما وهو يطلب ملكه ونفسه يسئله رد هذا الغلام عليه وكتب الى جماعة خواصه المطيفين به وبخدمته يسألهم معاوئته فيما رغب فيه اليه فاستزاد بذلك فضيحة في المساكر والامصار وعائبه الاقارب والاباعد . فما ارعوى بل تمادى وأنفذ أبا أحمد الحسين بن موسى الموسوي رسولا اليه في هذا الباب وبذل له على يده في فدية الغلام جارين عوادتين محسنيتين كانتا عنده ولم يكن لهما نظير في الخدق والبراعة وقد كان أبو تغلب ابن حمدان بذل باحديهما مائة الف درهم فابى ان يبيعهما . وقال له : ان وقف عليه الامر في هذا القداء فزد أبدا ولا تفكر في شيء مما بيني وبينه فقد رضيت^(٤٧١) ان آخذه وأمضى الى أقصى الارض وأسلم اليه ما في يدي .

فشخص وأدى الرسالة وقد وجد ذلك الغلام قد اختلط مع غيره من رفقاءه
 المأسورين يوم الوقفة ولم ير له فضل ولا ميم من بينهم وأنفذوا الى شيرزاد
 هدية للامير أبي الفوارس ابن عضد الدولة . فلما أدت الرسالة وعرف الملك
 ما عند بختيار من الفجعة به عجب كل العجب وأمر برد الغلام الى حضرته
 فردّ ثم أعاد أبا أحمد الموسوي بجواب الرسالة وضم اليه أبا سعد بهرام بن
 أردشير السكاك رسولا وأعلمه انه يجب له الى ما سأل وأرشدته مع ذلك
 الى بعثه على الطاعة وحمله رسائل آخر أمرها أن يؤديها الى بختيار سرا
 عن ابن بقية وعلى غير مشهد منه ولا من أحد . فلما وردا امثلا الامر وطويا
 عنه ما حضرا فيه وأدياه الى بختيار وحده على انفراد به فاستوحش ابن
 بقية استيحاشا شديدا واتهم انه التمس القبض عليه وتسليمه اليه عوضا عن
 الغلام وان بختيار يفعل ذلك لشغفه به فهم بالقبض على الرسولين جميعا
 ومكاشفة بختيار وان يظهر العصيان . وكان نازلا من واسط في الجانب
 الغربي ومعه المال والسلاح والثياب والآمال متعلقة به ^(١٢) وبختيار في
 الجانب الشرقي خال من ذلك كله وانما كان ابن بقية يجري عليه قوته
 ويعوله كما يمال من لا أمر له وعمل على ان يرأسه باعتزال التدبير وان
 يصعد الى بغداد ويحلى بينه وبين الحرب فان فعل والا جاهره وطرده وكان
 ذلك ممكنا منه لو أمضاه فمعدل بختيار الى تلافيه والرفق به وأظهره على
 الرسالة المطوية عنه وسكنت نفسه وطيب قلبه وأراه انه راجع الى رأيه
 ومتدبر بتدبيره وغير خارج عن ارادته الى ان تم له القبض عليه

﴿ ذكر السبب في قبض بختيار على ابن بقية ﴾

كان ابراهيم بن اسمعيل صاحب بختيار تمسك منه ووثق به صاحبه

وكان نقيبا خطملا فتقدم عنده الى ان استجيبه وذلك بعد رحيل عضد الدولة الى فارس . ولما اطلع على الحال التي عليها ابن بقية من التسكر أعلم بختيار انه على خطر من وثبة يلعبها عليه اشفاقا على نفسه وانتمزا لفرصته مع تمكنه من الجند والمال فقال له بختيار : «اني أخاف شغب الجند وان يستنفذوه من يدي ويطالبوني بالاموال . فتضمن له الا يجري شيء من ذلك وان جرى كان عليه ان يسكنهم ويرضيهم بما يوجد من أموال ابن بقية وأسبابه وأطمعه في كثرتها وفي ان تسفر الحال في القبض عليه فيما بينه وبين عضد الدولة ويصير ذلك طريقا الى انعطافه وصلاحي رأيه وأشار عليه الا يستوزر وزيرا بعده»^(٧٣) وان يقر الكتاب على أعمالهم ودواوينهم ويخرج أبا العلاء صاعدا بن ثابت [النصراني] من محبسه فيرد إليه استخراج الاموال والاستيفاء على العمال من غير وزارة . فقبل بختيار مشورته واطلع بختكين آزادرويه عليها فاستصوبها وكان في ضنك شديد حتى انه احتاج الى الثلج فالتمس من ابن بقية ثلجا فحمل اليه ثلاثين رطلا ووجد في خزانة شرابه يوم القبض عليه ستة آلاف رطل كان أعدها اسماط بتخذه للجند .

فلما كان وقت العصر من ذي الحجة سنة ٣٦٦ هجرية ابن بقية في زبزه الى بختيار فوجه في الوقت جماعة قبضوا على الحسن بن بشر [المعروف] بابن الراعي صاحبه فحين حصل في أيديهم أمر بالقبض على ابن بقية من غير ان يصل اليه وقبض على جميع ما وجد له من مال وكراع واستخلص أبا العلاء صاعدا بن ثابت من محبسه وكان أمر ابن الراعي بقتله في الليلة المقبلة فكفاه الاجل والمقدار . ووُجد في حبس ابن بقية صاحبه المعروف

بالكرزاهي وكان صادرة ولم يبق فيه بقية فاطلقه بختيار وسلم اليه ابن الرأعي ليطالبه ثم أخذه من يده فاستوحش الكراعي وهرب الى البطيحة . فتحرك الجند بعد أيام يسيرة من القبض على ابن بنية وطالبوا بأموالهم وعرضوا بذكره والتأسف عليه فهم^(٤٧٤) بختيار بقتله في الوقت فلما تفرق الجند عنه أنفذه في الليل مقيداً الى بغداد موكلأ به وأخرج معه أبا الغلاء صاعد بن ثابت ليطالبه ولم يكن الاحتياط وقع على أقاربه لان بختيار عاجله كما حكيت ثم كتب على الاطيار الى مدينة السلام بتحصيلهم فسبق أحد الاطيار وحمله صاحب البرج الى أسباب ابن بنية على الرسم في خدمة الناس لهم فوقفوا عليه وأنذر بعضهم بعضاً فهرب من هرب واستتر من استتر فالتجأ أخوه وابن أخيه المعروف بأبي الحمراء مع جماعة منهم الى بني شيخان ثم الى بني عقيل وأقاموا في البادية

﴿ تمام خبر بختيار وما عمله بواسط الى ان صاعد الى بغداد ﴾
كان قبضه على ابن بنية قبل رده أبا أحمد النقيب وبهرام بن أردشير الرسولين الى عضد الدولة فشهدا ذلك عياناً ثم أنقذهما وأنقذهما الجاريتين ليفتدي بهما غلامه بايتكين ووافق أبا أحمد الملوي على ان يبذل جميع ملكه ان دعه الى ذلك حاجة . فجرت خطوب استقرت على ان تسلم الجاريتان ويسلم الغلام وتوارت البشائر بحصول الغلام بالبصرة فأظهر بختيار السرور العظيم بذلك وانه جرى عنده مجرى الظفر بجميع خيرات الدنيا والآخرة واستشعر ان نعمته قد عانت اليه وهم بالعود^(٤٧٥) الى بغداد على ما شرط عليه عضد الدولة . وجاء ابراهيم بن اسمعيل حاجبه وأشرف عليه في اللوم والتقريع وأشار عليه ان يقيم بواسط للمقارعة والمدافعة وجاءه عبد الرزاق

ابن حسنويه ثم أخوه أبو النجم بدر بن حسنويه في نحو ألف فارس ووردت كتب حسنويه بأنه سائر على أثرهما فأظهر المقام بواسطة على مبانة عضد الدولة . فأتصل ذلك به وأنه نقض الشرط فبادر برسله الى أبي أحمد النقيب [العلوي] يرسم له أن يتوقف بالبصرة مع الغلام الى أن يرحل بختيار عن واسط ويتمسك بالشرائط التي شرطت عليه فوردت كتب العلوي بذلك فاضطرب واجتهد وكاتب وراسل فلما لم ينفعه شيء من ذلك أمر بتقديم سواده وعمل على الاصعاد ليلا وأعلم عبد الرزاق وأبا النجم انه قد رأى ان تكون الحرب ببغداد لان أبا تغلب ابن حمدان صائر اليه لمعاوته وسألها الاصعاد معه ففعلا ذلك على استضعاف الرأي فيه وقد كانا اطلعا على حديث هذا الغلام فكتبنا الى أبيهما حسنويه يصدقانه عن الصورة فلما حصل عبد الرزاق بجرجرايا رحل منصرفا وتوقف أبو النجم بدر على سبيل التذم والحياء . وتلوّم بختيار في طريقه حتى لحقه أبو أحمد العلوي وبهرام بن أردشير^(١٧٦) ومعهما بايتكين فسلماه اليه فتمم المسير الى بغداد

وقد كان ابن بقية والمعروف بابن الراعي أظهرًا التبليغ في المطالبة بعد مكاره عظيمة لحقتهما والتمس ابن بقية كتب الامانات لاهله الهاريين فكتب وحضروا . وتجدد لابن بقية طمع في أن يخطب الوزارة ويبدل لبختيار ثلاثمائة ألف دينار يصححهما من جهات كتابه وأسبابه وذويه ومن البقايا في النواحي وان يردّ الى مرتبته ليقوم بأمر الحرب ويدبر العسكر فبلغ ذلك أصحاب بختيار والقواد الذين أشاروا بالقبض عليه فاضطربوا واجتمعوا الى بختيار وأعلموه انه انما يحتال بما يبذله للخلاص وان يتمكن من الانسلاخ ثم يثير الفتن التي لا تتلافى

وفي هذه السنة قبض على أبي الفتح ابن العميد بالري
﴿ ذكر السبب في ذلك ^(١) ﴾

﴿ ^(١٧٧) ودخلت سنة سبع وستين وثلثمائة ﴾
﴿ ذكر السبب في المثلة بابن بقية وابن الراعي ﴾
(وسمل عيونهما)

كان بهرام رسول عضد الدولة يخاطب بختيار في تسليم ابن بقية اليه
ليجعله الى عضد الدولة ويموضه عنه ، الا من خزائمه واتصل ذلك بهؤلاء
القوم أعنى القواد فحضرُوا عند بختيار وأقاموا في نفسه انه ان سلمه اليه
صحيحاً لم يؤمن ان يصطنعه ويبقى عليه فيكون قد حصل له بحضرته عدو من
قبله وكثر المشيرون بقتله والراحة منه فتقرر الرأي على سمله وتسليمه
مسمولاً . فسمل ليلة الجمعة لثلاث ليال خلون من شهر ربيع الاول سنة ٦٧
وجد أبو اسحق ابن معز الدولة في إلحاق صاحبه المعروف بابن الراعي به
لشيء كان في نفسه عليه ولم يكن له شافع لما كان ارتكبه من مكاره ^(١٧٨)
الناس فسمل أيضاً

وترجع الرأي ببختيار بين الدخول في طاعة عضد الدولة وبين المقام
على معصيته ومحاربه وكان الرسولان مع جماعة من نصحاءه يشيرون عليه
بطريق السلامة ويمرّفونه عجزه عن مقاومته وقلة عدته من المال والرجال

(١) يياض في الاصل وأما نكبة أبي الفتح ابن العميد ليراجع ترجمته في ارشاد

وكان جماعة أخرى من قواده وخواصه فيهم الحسن بن فيلسار يشيرون عليه بالثبات والمقارعة ثم تقرر الامر واختار السلامة والطاعة من طريق الضرورة فدخل في الطاعة وحلف عليها وأعطى صفة يمينه بها ولبس خلع عضد الدولة وعبر الى الجانب الغربي على ان يسير الى الشام ويثبت على أعلامه وراياته اسم عضد الدولة ويقبض الخطبة له في أي بلد دخله ولما فعل ذلك انصرف عنه بدر بن حسنويه أيساك منه ولحق بأبيه . وبذل له عضد الدولة مالا جليلا على ان يقيم في كنفه ويلقاه ثم يسير الى حيث يختار فلم يفعل ذلك ولم يسكن اليه فاشتراط عليه شروطا كثيرة كان فيها الا ينادى أباً تغلب ولا يعرض له الا بقدر الاجتياز في أعماله فقط لمراسلة كانت بينه وبين عضد الدولة ولمقامه على العهد القديم وأطلق لبختيار مالا وقاد اليه جمالا ودواب معونة له على نهضته^(١٧٩) ووقع النداء بمدينة السلام برجوعه الى طاعة عضد الدولة وانه يسلم غير محارب وخرج نحو الموصل .

فاول ما تقض من شروط عضد الدولة ان اعترض على أبي تغلب ابن حمدان وعمل على لقائه ومحاربه ودفعه عن الديار

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان حمدان بن ناصر الدولة خرج معه وسار بمسيره فلما صار الى عكبرا ذكرهم أمر نفسه ووعد به أموال ابني ناصر الدولة وما جمعه في القلاع وما خلفه لهم ناصر الدولة وكان بالحقيقة كثيراً جداً وزعم انه لا يلبس مملكة هي أسهل شوكة من مملكة أبي تغلب وانه يتولى حربه ويشق بمصير خلق من رجاله اليه وكذلك من اخوته وأسبابه فعاهد حمدان على انه يمنعه من جميع ما يمنع نفسه ذباً وحماية وحاف له بأيمان البيعة وجرت

بينهما شروط التزماها ودخلا فيها . فلما صار بتكريت صار اليه علي بن عمرو كاتب أبي تغلب بهدايا يسيرة وانزال من قضيم وطعام وسار معه الى الحديثة وخلا به ودعاه الى القبض على حمدان وتسليمه الى أبي تغلب على ان يجتمع معه وينفق أمواله ويبدل سلاحه وآلاته وذخائره وعسكره ورجاله ويعود معه الى بغداد ويستخلص له ملكه من يد عضد الدولة . فالتوى بختيار واضطرب وذكر انه لا يستجيز ذلك مع ما حصل لحمدان في عنقه^(١٨٠) من اليمين النعوص ومع ما عليه من عهد عضد الدولة فلم يزل يعاوده ويستعين عليه بوالدته وأخيه أبي اسحق وحاجبه ابراهيم بن اسمعيل وبجماعة من استولى عليه من أسبابه . واستولى كاتب أبي تغلب هذا أعنى أبا الحسن علي بن عمرو على بختيار وتسمي بالوزارة وجمع لنفسه كتابة بختيار مع كتابة أبي تغلب واستخلف عليه ابنه . واجتهد في أمر حمدان واسلامه وذلك ان أبا تغلب وأخته المسماة جميلة كانا طالين عنده بشار أخيهما أبي البركات .

وأقام بختيار على الامتناع الى ان صار أبو اسحق الى الموصل واجتمع مع أبي تغلب وتقرر الامر بينهما على القبض على حمدان من حيث لا يدخل بختيار في ذلك لئلا يحنث في يمينه فرجع الى الحديثة . وعسف بختيار في المخاطبة وأعلمه انه متى لم يفعل ذلك قصده أبو تغلب وحاربه ولم يقاومه وانه ان ساعده صافاه وواخاه وأعادته الى بغداد وأنفق أمواله وذخائره واستدعى الرجال الى ذلك من كل وجه مع ما عنده من الاستقلال بعسكره ورجاله . فضعف بختيار في يده على رسمه في ضعف العزيمة واين المريكة فقبض على حمدان وأسلم الى خصومه وحبس في قلعة وهرب ابنه المسكني

أبا السرايا الى عضد الدولة . وجمع أبو تغلب الرجال وفتح قلاعهم واجتمعوا
وبالغ واجتمع مع بختيار على ظهور الدواب فتحالفوا وتعاهدوا فلما فرضا من
الاستعداد انحدروا من الموصل وكانت عدة أصناف^(٤٨١) الرجال معهما
خمسة وعشرين ألف رجل . وبالغ عضد الدولة أخبار الجماعة ولم يكن ممن
تخفى عليه أمور أعدائه وأوليائه يوماً فبرز عن مدينة السلام في جيوشه
المنصورة وقدم مقدمته مع أبي القاسم سعد بن محمد الحاجب الى تكريت .
وكان أولئك أنفذوا اليها جيشاً مع ابراهيم بن اسمعيل حاجب بختيار
فأوقع به أبو القاسم وقتل كثيراً من رجاله وكاد ابراهيم يؤخذ أسيراً الا
انه نجا الى تكريت واستتر عند بعض أهلها ثم هرب منها ولحق بأصحابه .
وفي هذا الوقت قتل ابن بقية وصاب ببغداد

﴿ ذكر الحال في ذلك ﴾

كان حمل مسمولاً على ما ذكرناه الى عضد الدولة عند نزوله بالزعفرانية
فتقدم بأن يشهر في العسكر على حمل ثم طولب بالمال فلم يذعن بشيء منه
فطرح بحضرة العسكر بباب حرب الى القيلة وأضررت عليه فقتلته شر قتلة
وصلب لوقته على شاطئ دجلة في رأس الجسر بالجانب الشرقي وذلك في
يوم الجمعة لست خلون من شوال سنة ٣٦٧ ثم نقل الى الجانب الغربي
فصلب بازاء ذلك الموضع^١ من الشرقي وبقي فيه .

وعاد الحديث الى تمام خبر الوقعة بين بختيار ومن جمع

وبين عضد الدولة بقصر الجص^(٤٨٢)

انصل بمضد الدولة ان القوم أجمعوا على ان يشرفوا بعد عبور النهر
المعروف بالاسحاقي يأخذوا في عدة وجوه الى بغداد فسار بجميع عساكره

الى قصر الجص حتى نزل فوق الغاية التي عزموا على ان يتفرقوا منها وذلك بعد ان استخلف وزيره أبا القاسم المطهر بن عبد الله في جيش كثيف يعداد والتقى القوم غداة يوم الاربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شوال واشتدّت الحرب وثبت القوم بعضهم لبعض وتصابر الفريقان من الديلم فحمل عضد الدولة حملة صادقة فانهزموا وتبعهم الجند يقتلون ويأسرون وقد كان بختيار عمل على الهزيمة فتمعه أصحابه وخاف من الحصول في الاسر أو التسل فلما تحققت الهزيمة ظفر به بعض الاكراد من العسكر فأخذ سلبه وهو لا يعرفه ثم عرفه غلام تركي يقال له ارسلان كورموش فضربه بلسه وأراد ان يثني عليه فتعرّف اليه باسمه واستأمر له وقال : اهلني الى حضرة ابن عمي وخذ جائزتك . ولحقه في الحال تركي آخر فحملاه الى القرب واستأذناه فتوقف وكان أبو الوفاء طاهر بن ابراهيم حاضراً فأشار بالتمراغ منه فلم تطب نفس عضد الدولة به ولحقته دهشة وأراد استبقاءه فألح عليه أبو الوفاء وقال : ما تنتظر به ان يعود ثالثاً والى متى يثير علينا هذه الفتن التي لعلنا نكون من صرعاة في بعضها^(٤٨٣) افرغ منه ! وعلا صوته وأظهر من النصيحة في هذه الباب والمراجعة الشديدة ما لو قصر فيه لجاز . فرفع عضد الدولة [يده] الى عينه يمسحها من الدموع وقال : انتم أعلم . وكان هناك أبو القاسم سعد الحاجب حاضراً فبادر اليه مع صاحب له واحتز رأسه وكان قد جهده العطش حتى كاد يأتي عليه الموت لو ترك لحظة .

وقتل في هذه الوقعة خاق كثير من القواد والامراء ومن واساه بنفسه وفيهم ابراهيم بن اسمعيل صاحبه وحاجبه وأسر خلق كثير سوى من قتل . ولحقت أبا تغلب ضربة في منهزمه ولم يكن باشر الحرب بل

طلب تالعة بالقرب فوقف عليها وكان دبر عسكره بأن يقفوا كراديس فكلما حمل منها كردوس وأبلى وتمب عاد وحمل كردوس آخر وغره كثرة القوم وكان بختيار عبى خيله تعمية الديلم ليلقى بنفسه ويياثر الحرب وتلقه المعونة من كل وجه فجري الامر على ما ذكرت .

ومن عجيب ما جرى قبل ذلك ان أحد الامراء من عسكر بختيار يعرف بالحسن بن فيلسار أشار عليه وهو ببغداد ألا يخرج عنها ولا يسلمها الا بحرب وابلاء كثير فأبى عليه بختيار فاعتزله وشخص الى جسر النهر وان مع طائفة كانوا يرون رأيه فلما اجتمعوا هناك عقدوا له الرئاسة على أنفسهم وحدث نفسه بالمسير الى جهة شعبانا^(١٨٤) أو طرف من الاطراف فبلغ عصفد الدولة خبره فلما بلغ الى القرب من بغداد جرد خلقه خيلاً فلحقوه ووقف للحرب فانجلت عنه أسيراً وبه ضربات فلبث يسيراً ومات وأمر كثير من أصحابه وانقض ذلك الجمع

فأما عضد الدولة فإنه لما فرغ من وقعة قصر الجص تم المسير الى الموصل فلما وصلها وسائر ما يتصل بها من الاعمال والديار وظن أبو تغلب أنه يلبث فيها يسيراً ثم يضطر الى العود الى بغداد على سيرة من كان قبله . وذلك ان رسم الحمدانية اذا ضعفوا عن مقاومة من يقصدهم ان ينقلوا الثلث واليرة وسائر الاموال والذخائر الى فلاعهم وينقلون الكتاب والدواوين أيضاً اليها ويخرجون في أصحابهم الى حول الموصل متفرقين في أعمالها فاذا حصل بالموصل عدوهم المتغلب عليهم لم يجد بها شيئاً غير ما عند الرعية فيضطرون الى العوافات والمير ويخرج من يخرج في طلبهم وينقضون عليهم من أمكنة غريبة وطرق لا يعرفها الغرباء من العساكر فيأخذون

بنالهم وجالهم ويقتلون ويأسرون من يمانهم فاذا صبروا على ذلك أليماً
يسيرة وجهدوا ولم يجدوا حيلة ولا معيناً من كاتب بلدى ولا غيره طلبوا
الصلح وقاربوهم للضرورة التي ذكرتها وانصرفوا عنه فيعودون الى
ممالكهم . ولم يكن عضد الدولة ممن يسلك هذه السبيل بل احتاط ونقل
من الميرة والعلوفة والازواد ما تمكن منه وحمل من رجال الموصل وكتابها
الموجودين^(١٨٥) ببغداد وبتكريت وسائر الاطراف من يرشد ويخدم
وكذلك كتاب بغداد كان فيهم من أقام بالموصل وعرف وجوه الاعمال
فصبر وأقام الى ان صار أبو تغلب الى الشام بعد نواب نابتة وقتل هناك
كما سنشرح أمره ان شاء الله .

وفي هذه السنة خرج الطائع لله مع عضد الدولة لمشاهدة الحرب
بينه وبين أولئك الذين قدّمنا ذكرهم أعني بختيار وأبا تغلب وكان بروز
عضد الدولة الى معسكره بباب حرب من أعلى الجانب الغربي يوم الاثنين
لليّتين خلتا من شوال سنة ٦٧ وبرز الطائع لله يوم الخميس لخمس خلون منه
فلما انهزم بختيار وأبو تغلب من الوقعة بحضرة قصر الجص عاد الطائع لله
الى منزله ببغداد^(١) وسار عضد الدولة كما ذكرنا فيما قبل الى الموصل
فنزل بظاهرها يوم الاربعاء العاشر من ذى القعدة ودخل الدار يوم الجمعة

(١) قال صاحب تاريخ الاسلام : نفلع الطائع على عضد الدولة خلع السلطنة
وتوجه بتاج مجوهر وطوقه وسوره وقلده سيفاً وعقد له لواءين بيده أحدهما مفضض
على رسم الامراء والآخري مذهب على رسم ولاية اليهود ولم يعقد هذا اللواء الثاني
لغيره قبله ولقب تاج الملة وكتب له عهد بحضرتيه فقرأ بحضرتيه ولم تجر العادة بذلك إنما
كان يدفع العهد الى الولاية بحضرة أمير المؤمنين فاذا أخذه قال أمير المؤمنين : هذا
عهدي اليك فاعمل به .

الثاني عشر .

وترددت الرسل من أبي تغلب الي عضد الدولة في التماس المصلح وحمل مال فامتنع عضد الدولة وقال : انا اذا ملكنا ناحية بالسيف وبعد الحرب والمقارعة لم نصلح عليها . وتشدد في ذلك حتى صرح لرسله بأن الموصل وديار ربيعة أحب اليه من العراق وأنه ليس يبيعها أبدا . وكانت الموصل وأكثر أعمالها ملكا لابي محمد ناصر الدولة وكان رسمه أن يضايق أصحاب المعاملات من التناء وأصحاب العقار من أهل البلد ويخاشنهم ويتأول عليهم حتى يلجئهم الى البيع ويشترى^(٤٨٦) أملاكهم بأوكس الاثمان وطالت حياته وامتدت أيامه حتى استولى على الناحية ملكا وملكاً فلما صار جميع ذلك في قبض عضد الدولة لم يفرج عنها وطالب أبو تغلب وأسريت اليه السرايا فلم يمكنه المطاوعة ولا ان يسير بسيرته التي حكيناها فيما تقدم فسار الى نصيبين وسير عضد الدولة خافه أبا الوفاء طاهر بن محمد على طريق سنجار . وكان في جملة من انهزم معه الرزبان بن بختيار ووالدة بختيار وابناها أخوا بختيار ومن أفلت من وقعة قصر الجص فلما لحقهم أبو الوفاء نهضوا منهزمين الى ميفارقين ثم افترقوا فاما والدة بختيار وأخواه وابنه ومن نهض معهم من أسبابهم وبقية الديلم والأتراك المرسومين بهم فانهم ساروا الى دمشق لا ئذين بالفتكين المعزي وهو الذي نحارب عضد الدولة بديالى وانهزم من بين يديه فلما بلغه سير أولاد . ولواء وجرمه وأسبابه اليه تلقاهم وقضى حقوقهم . وظن انه يتكثر بهم ويزيد في عدته بمكانهم ويتقوى بهم فجري الامر بالضد وذلك انه لما انهزم من العراق الى دمشق وتغلب عليها تماسك فيها نحو أربع سنين ودفع جيش المغرب عنها وثبت لمساكر صاحب مصر

التي جهزها اليه واستولى استيلاء قويا وهاباُ العرب وطار اسمه هناك . فلما صار اليه هؤلاء المنزموون قصصته عساكر مصر على الرسم متضاعفة على العدة التي تقدمت فصار اليها الى الرملة ومعه الجماعة للحرب^(١٨٧) والمقارعة فحين توافقت الفرقتان استأمن . المرزبان بن بختيار فظهرت المغاربة على الفتيكين وكثروه بعددهم فانهمزموه وقتل أبو طاهر ابن ممر الدولة واستأمن أبو اسحاق بن ممر الدولة في آخر الامر . ووقع الطالب على الفتيكين فاحقه المنرج بن دغفل بن الجراح الطائي وجاء به أسيرا : وكان صاحب مصر (قد) عرف منه ومن الاتراك الذين معه على طول الممارسة بأسا وشدة فأبقى عليهم وعليه وأحسن اليه واليهم واتخذهم عدة وصاحبه ثم اشترى منه ولأه وصار كالعبد له وحصل أصحابه محصل الجند وأحسن اليهم^(١) وأما أبو تغلب فانه أقام بميفارقين ومعه أخته جميلة وكانت وحدها شريكة له في الامر والنهي وسائر اخواته الباقيات وحرمه وعياله معه فلما بلغه مسير أبي الوفاء اليه قدم الحرم والعيال والاموال والسواد الى حصن بدليس وتوجه بنفسه لاحقا بأسبابه ووصل أبو الوفاء الى ميفارقين وهي مغلفة دونه ولها سور وثيق من حجارة سود لا يمل فيها الحديد وهي من حصون الروم وأبنيتهم القديمة فطواها أبو الوفاء طالبا أبا تغلب وانتهى أبو تغلب الى أرزن ونزل على نهر يعرف بخويبور ثم عدل من هناك الى ناحية الحسنية ووصل الى قلاعه واستنزل منها مالا على سبيل المخالسة فماد الشيخ أبو الوفاء الى ميفارقين لما نزلتها وافتتاحها . واتصل بضد الدولة مخالفة^(١٨٨) أبي تغلب الى قلاعه وأخذه مأخذا منها فنرض من الموصل

(١) لراجع تاريخ ابن القلانسي ص ١٨ - ٢١

بنفسه وهرب أبو تغلب من بين يديه وفارقه جمهور عسكره وأعيان
رجاله مستأمنين الى عضد الدولة منهم بختكين آذرويه وبقايا الغلمان
المعزية والغلمان السيفية فعاد الى الموصل وقد ترك أبا تغلب مسلوب القوة
والعدّة

وسلك أبو تغلب في هزيمته هذه طريق الجزيرة فجرد عضد الدولة
في أثره أبا حرب طغان الحاجب وأمره باتباعه ومناجزته فتنكب أبو تغلب
الطريق وتعمد الرجوع الى بدليس وظن أنه لا يتبع فكاتب طغان
باتباعه وجرّد أبو سعد بهرام بن أردشير في عسكر مدد له فصار خلفه
فهرب من بدليس ودخل بلاد الروم قاصدا ملك الروم المعروف بورد
الرومي ^(١) وهذا رجل تملك على الروم ثم اختلف الجيش عليه بقسطنطينية
ونصبوا أخوين من أولاد ملوكهم وافترقت كلمة الروم وطالت الحرب
والمنازعات بين الفريقين وكان وزد هذا قد صاهر أبا تغلب وواصله واعتضد
به على خصومه فانعكست الحال بان صار أبو تغلب هو اللاجئ اليه
واتفق لأبي تغلب ان كان مسيره في مضائق بين جبال ولحقه عسكر
عضد الدولة هناك

﴿ ذكر غلط اتفق بجنابة جناها أبو سعد بهرام على العسكر ﴾
(حتى كسر وهزم بعد التمكن من أسر أبي تغلب)
(والظفر به وبمن معه ^(١٨١))

كان عسكر عضد الدولة على نهاية الحرص على الظفر بسواد أبي تغلب

(١) هو المعروف بالسقلاروس والملسكان هما باسيل وقسطنطين ابنا رومانوس
وأما هما هي ثاوفانو

واشتد طمعهم فيه لعلمهم بما معه من المال الصامت الذي أخرجه من القلعة
وانه لم يترك ذخيرة هناك من جوهر نفيس أو در ثمين أو متاع أو عين
يخف حملها الا وهو معه ورأوا الصناديق بعينها التي وصفت لهم انها محمولة
من القلعة فحمل الأتراك وفرسان المسكر ومن يوثق بفرسه وسلاحه
متسرعين الى غنيمة تلك الاوال . فناداهم أبو سعد بهرام : يا فتيان المسكر
احفظوا تلك الصناديق فانها لمولانا . وكرر ذلك وتابيه فانكسر القوم
فقتلوا في الطالب ونظر اليهم أعداؤهم منخزيين وهم لا يعرفون السبب
فحمل عليهم أبو تغلب في عسكره فانهزموا ووقع بعضهم على بعض فقتل منهم
خلق كثير . وضرب طغان ضربات تعطل منها كثير من أعضائه وأفادت
مع أبي سعد وقد أشرفوا على الهلاك بعد ان أشرفوا على الغنيمة والظفر .

وذلك عند دخول سنة ثمان وستين وثلثمائة

ثم ان أبا تغلب بعد كسره طغان وأبا سعد أمن وصار الى حصن زياد
وأقام . وكانت جيوش قسطنطينية قد سارت الى ورد^(١) فشغل عنه نفسه
وأخذ اليه ميرة كثيرة وأشار عليه بأن يلحق به ليجتمعاً على حرب خصومه
فاذا انهزموا واستظهر عليهم عاد فنصره . ولم تسكن نفس أبي تغلب الى أن
تلقاه فاتخذ^(٢) اليه طائفة من عسكره على سبيل النجدة والمعونة وأقام

(١) قال يحيى بن سعيد الانطاكي في تاريخه (ولسخته موجودة في كتيبة
باريس : ٢٩١) ان أبا تغلب خاف على نفسه فاخذ طريق الجزيرة وكتب الى بردس
السقلاروس وكان السقلاروس قد واصله واعتضد به على منازعة باسيل واتفق ان كتبه
وردت عليه وقد توجهت جيوش باسيل الملك مع بردس الفوقاس فشغل السقلاروس
عن أبي تغلب بنفسه وأخذ اليه الخ

بمحض زياد ينتظر فالتقى الجيوشان من الروم وانهزم ورد^(١) واتصل ذلك بأبي تغلب فيئس منه وعاد الى بلاد الاسلام ونزل بآمد شهرين الى أن فتحت ميفارقين

﴿ شرح الحال في ميفارقين وفتحها ﴾

قد كنا ذكرنا تجاوز أبي الوفاء ميفارقين طالبا لأبي تغلب فلما هرب الى بلاد الروم وتفرّد أبو حرب طعان الحجاب بطلبه والمسير في أثره عاد اليها فبرز اليه هزارمرد على أن يواقعه فلم تكن له به طاقة فعاد الى التحصن في المدينة . فاقضى الرأي عند أبي الوفاء أن كر الى أرزن فحاصرها ثلاثة أيام وضعف من فيها عن المقاومة ففتحوها له ودخلوا في أمانه وطاعته ولم يزل بسائر الحصون المقاربة لها حتى استغرقها وانكسأ حينئذ الى ميفارقين وناصبه من فيها الحرب ثلاثة أشهر وكسرا وهجم البرد عليه وسقطت الثلوج فاحتله وصبر . ونصب عليه وعلى عسكره من داخل السور منجنقات فثبت لها وقاباها بمنجنقات مثلها ورماع بالنار والحجارة وهو في خلال ذلك يفتح الحصون المقاربة لها ويستأمن أهلها ومن فيها من غلمان أبي تغلب المرتبئين حتى قضى الله وفاة هزارمرد فكوتب أبو تغلب بذلك فكتب بأن ينصب مكانه غلام من الحمدانية كان مضموما اليه يقال له مونس . وكان بالبلد قاض جاهل متهور ليس^(١١) فيه من أدوات القضاء شيء يقال له أبو الحسين المبارك بن ميمون ويعرف بابن أبي ادريس^(٢) فاستولى على تدبير

(١) وفيه أيضا أن ذلك يوم الاحد لثمان بقين من شعبان سنة ٣٦٨

(٢) قال ابن الازرق الفارقي صاحب تاريخ ميفارقين : كانت ميفارقين من سنة ٣٣٣

نحت حكم القاضي عبد الله بن الخليل بن المبارك بن ميمون عند غيبة سيف الدولة

أمر مونس هذا وجمع كلمة أهل البلد ومن كان فيه من المطوعة وحملة السلاح على الثبات والمدافعة فكتبه أبو الوفاء ودعاه الى الطاعة وبذل له الرغائب فأبى الا المناد . وكان يصعد الى برج من أبراج السور فينادي العسكر ويسمى القواد وصاحب العسكر ومن يلي أمرهم ويشتمهم ويبالغ في ذكرهم بالقيح ويتجاوز ذلك الى مالا يحسن ذكره فعدل أبو الوفاء عنه الى مكاتبة شيخ من ميفارقين كان وجيها ومطاعا فيها يقال له أبو الحسين أحمد بن عبيد الله^(١)

﴿ ذكر الحيلة التي تمت لابي الوفاء في فتح ميفارقين ﴾

وجد أبو الوفاء لابي الحسين احمد بن عبيد الله خارج البلد غلاما كان مقيما في ضيعة له فراسله به ويرفق بالذلام ووصله ثم جعله وليجة الى صاحبه ولم يزل به حتى استجاب للطاعة فأخذ العهد والميثاق على أهل البلد سرا فمضى خبره الى القاضي الذي ذكرناه فسمى في الفتك به وكاد يتم له ذلك لولا أن أهل البلد حاموا عليه ومنعوا منه ولم يزل أمره يقوى وأهل البلد يجتمعون اليه وقد ملوا الحصار والضيق حتى استظفروهم^(٢) . فلما كان يوم الجمعة لليلتين خلتا من جمادى الاولى سنة ٣٦٨ ثاروا مشغبين^(٣) على أصحاب أبي تغلب

الى ان مات ومات بعده القاضي وولى موضعه أبو الحسين محمد بن علي بن المبارك ابن ميمون وكان هذا البيت يعرف ببيت ابن أبي ادريس

(١) وقول أيضا : وكان أحمد هذا صهر القاضي وكان الناس يرجعون الى كلمته

(٢) وزاد صاحب تاريخ ميفارقين : ثم أنه من الغد حضر عند القاضي وكان بينهما وحشة ومصاددة ومه جماعة من الناس فشكوا ما هم عليه من المضايقة والحصار فقال القاضي : وآين صبركم وجلدكم وبسند ما كاتم السكالب ولا أكرم أولادكم ولا مات منكم مائة في يوم واحد .

فالتجأ مونس ومن معه الى منازلهم وقبض احمد بن عبيد الله على القاضي ابن أبي ادريس وعلى جميع من كان في حصن ميفارقين من أصحاب بختيار وحاشيته وفيهم غلام أهوج . مرروف بالتهور والجهل كان قد داخل بختيار على طريق المنادمة التي تليق بمثله يعرف بابن الطبرى فساعد القاضي على سيرته وجهله في ذكر الملوك وبسط اللسان فيهم ووجه الى مونس الحمداني يلتبس مفاتيح الباب منه ويهدده متى أخرها وساعده الجماعة على ذلك فانفذها والتمس الامان فكتب احمد بن عبيد الله الى أبي الوفاء يعرفه ماعمله ويلتمس الامان لمونس ومن معه من الحمدانية فأمنه واستثنى بهذا القاضي والمعروف بابن الطبرى وأنفذ أبا الفتح المظفر بن محمد الحاجب في قطعة من الجيش فدخل الى البلد وملكه وأحسن أبو الوفاء الى أهله وفرق فيهم أموالا وتصدق على ضعمائهم بإمر عضد الدولة أيامه . وحمل الى حضرته القاضي وابن الطبرى فأمر بضرب رقابهما وصلبهما من السور على البرج الذي كان يظهر منه ويسمى أدبه فيه

﴿ فتح آمد ﴾

كان أبو الوفاء أنفذ اليها في أول الامر أبا علي التميمي الحاجب لافتتاحها فتعذرت عليه لحصانتها ووثاقه سورها الذي هو أشد من سور ميفارقين فرجع عنها ثم عاد اليها أبو تغلب من بلاد الروم على ما^(١٣) ذكرنا وظن انه يقيم فيها ويمتنع بها فلما فتحت ميفارقين علم ان الجيش سائر اليه وانه لا يثبت مع الحصار ومع ما استمر عليه من الجوائح فأنقذ أخواته سوى جميلة مستأنات الى أبي الوفاء وتبين أصحابه ضعفه فالتفتوا عليه فهرب الى الرحبة ومعه أخته جميلة ومن بمسه أمره من حره . وقعد عنه المعروف

بأنجوتكين وهو من نجباء الأتراك المعروفين بالشدة والثبات في المعارك وله قوة على حملات له ثقل يعجز عنه غيره وإذا حمل به لم يثبت له أحد وقعد معه جماعة من الأتراك وقصدوا حضرة عضد الدولة مستأمنين إليه ثم تتابع الناس الذين كانوا مع أبي تغلب من الغلمان والجند والكتاب والولاة والاتباع . وسلك حينئذ أهل آمد بعد انصراف أبي تغلب عنها سبيل أهل ميافارقين ففتحوها سدا وظوعا .

واشتمل أبو الوفاء على ديار بكر بأسرها وعاد الى الموصل ومعه الاسارى بعد ان رتب في الحصون من يحفظها من ثقات عضد الدولة ورتب في البلدان عمال الخراج والمعاون

﴿ ذكر ما عمله أبو تغلب بعد مسيره من آمد ﴾

لما انصرف من آمد وقصد الرحبة أنفذ من طريقه أبا عبد الله الحسين ابن ناصر الدولة وسلامة البرقيدي وهو من كبار الحمدانية الى عضد الدولة برسالة تتضمن الاستعطاف ويسأله الصلح والاصطناع ووصل الى الرحبة^(١٤) وأقام بها على انتظار الجواب . فورد أبو عبد الله وسلامة البرقيدي الموصل وأدّى أبو عبد الله ما تحمله فتلقاه عضد الدولة بالجميل وقبل منه تنصله وبذل له اقطاعا وفضلا على ان يطاء بساطه ويدخل في ذمامه وتبين أبو عبد الله حزم عضد الدولة وذلك انه مع احسانه اليه وتوسعته عليه منع أخذا من الوصول اليه فلم يشاهد بعينه الا الموكلين به فقط وعرف من أخيه انه لا يستجيب لما دعاه اليه عضد الدولة فأخذ بالحزم لنفسه وتلقى بمصمة باطنية اختص بها واعتقد ان يفارق أخاه ويعود الى حضرة عضد الدولة فمضى اليه فأعاد الجواب عليه . فكان الامر على ما ظنه من مخالفة

أخيه لمرسوم عضد الدولة فتوجه الى الشام لاجئاً الى صاحب المغرب
وسار معه أخوه الحسين الى بعض الطريق ثم فارقه قبيل تدمير على غير
استئذان فأنفذ خلفه من يتبعه فشئت سواده ولم يلحقه في نفسه فنجبا
وحصل بحضرة عضد الدولة على حال جليلة

﴿ فتح ديار مضر ﴾

كان الوالي عليها سلامة البرقيدي فأنفذ اليه سعد الدولة وهو ابن
سيف الدولة جيشاً لينزله عنها فجرت بين الفريقين حرب . وكان سعد
الدولة هذا قد كاتب عضد الدولة وعرض نفسه^(١٥) وتلق منه بعصمة
فأنفذ عضد الدولة أبا أحمد الموسوي النقيب اليها فسلمها بعد حرب ودخل
أهلها في الطاعة . ولما استولى عليها سلطان عضد الدولة استصفي منها الرقة
وأعمالها خاصة وفوض باقيها الى سعد الدولة وجرت مجرى سائر ما في
يده من أطراف الشام .

ثم فتح الرحبة فنفرد لفتح قلاع أبي تغلب وهذه القلاع هي في جانب
دجلة الشرق وهي عدة كثيرة فنها أردمشت ومنها الشعباني وقلعة اهرور
وقلعة مليصى وقلعة برقي وكانت أردمشت خاصة مملوءة بالامعة الفاخرة
من أصناف الثياب والفرش والجواهر والصياغات والحلي وسائر أصناف
العدد وكان أبو تغلب رتب فيها رجلا من الأكراد بينه وبينه قربى من جهة
والدته فاطمة بنت أحمد الكردية يعرف بابن بادويه وضم اليه مملوكا له
كان من غلمان أبيه يثق به يقال له طاشتم فأنفذ اليه عضد الدولة أبا العلاء
عبيد الله بن الفضل بن نصر النصراني لمنازاة القلعة والاحتياي في فتحها
وأنفذ أبو القاسم سعد بن محمد الحاجب الى الشعباني وأنفذ صاحباً لابي نصر

خرشيد يزديار الخازن الى اهرور فعرف أبو العلاء حال أقارب لابن بادويه السكردى خارج القلعة فدعاهم الى خدمة عضد الدولة^(١) ورغبهم فيها وعرفهم اضمحلال أمر أبي تغلب ووقوع اليأس منه وكاتبهم عضد الدولة بمشورة أبي العلاء فرغبوا في الخدمة وصاروا على ثقة مما وعدوا به ثم حملوا على مكاتبة صاحب القلعة وأشاروا عليه بالقبض على طاشتم وتسليم القلعة وذلك ان طاشتم كان شديد الطمع في عود صاحبه ويجب أن تظفر أمانته عنده فعمل ابن بادويه ذلك وبذل للحراس وسائر من يحفظ القلعة البذل الكثير وحكموا فتم القبض على طاشتم والتقييد وحصات القلعة بما فيها^(٢) وظهرت نجابة أبي العلاء واجتهاده وحسن تعلقه وكان قيمة ما في القلعة على ما حررناه (وكنت فيمن أخرج اليها لنقل ما فيها مما يصلح للخزانة) ومع ما يباع وتبقى ما يبقى في القلعة نحو عشرين الف الف درهم قال صاحب هذا الكتاب : كان عضد الدولة أمرني أن أصير مع خواشاده^(٣) الى هذه القلعة وأحضر احصاء ما فيها ثم تسلم طاشتم مقيدا وأحمله على بسل باء كاف مجردا لا وطاء عليه ومعه أصحابه الذين قيدوه وسلموا القلعة بالخلع والدواب والمراكب التي حملوا عليها وبين أيديهم البدار والسياب التي حبوا بها ثم أطوف به تحت القلاع الممتنة التي لم تفتح بعد لينظر من فيها الى حال طاشتم فيحذروا مثلها ويروا أحوال الباقين فيطمعوا

(١) وفي طاشتم هذا ايراجع ما في كتاب الفرج بعد الشدة ١ : ١٣٦
(٢) وفي خواشاده هذا قال ياقوت في معجم البلدان (٢ : ٢٥٥) قرأت في كتاب بغداد تصنيف هلال بن الحسن الصابي : حدثني خواشاده خازن عضد الدولة قال : طفت دار الخلافة (يعني بغداد) عامرها وخرابها وحريمها وما يجاورها ويتأخرها فكان مثل شيراز

في مثلها ^(١٧) ففعلت ذلك وتحملت رسائل الى أصحاب تلك القبلاع .
وجرت أحوال يطول شرحها الا ان جملتها ان القوم لما نظروا الى هيئة
طاشتم وأصحابه دخلهم الرعب من جانب وتجددت لهم الرغبة من جانب
وكانوا قبل ذلك لا يصدقون الرسل بان هذه القلعة التي كان فيها طاشتم
فتحت فلما رأوه عيانا وخاطبوه عرفوا وهاء أمر أبي تغلب وقوة عضد الدولة
وسلموا القلاع بمد مدة .

ورأيت أنا من طاشتم هذا في طريقي حصافة واقبالا على الصلوات
ودعاء كثيرا (وقد كان أومن على روحه فقط) فسألني في الطريق المعونة
وحسن المحضر عند عضد الدولة فلما عدنا الى الموصل وفرغنا من استقراء
القلاع على ما وصفت ثبت عن طاشتم هذا بحضرة عضد الدولة وعرفته
سداده وانه يصلح لخدمته فقال : هو كما تقول ولكن السياسة لا توجب
اصطناعه . فقلت : وكيف ؟ قال : لانه مانعنا ثم تقرب به الينا غيره فان وقع
احسان اليه سويتا بينه وبين من خدمنا بالقبض عليه فخبثت نيات من
يخدمنا في أعدائنا وظنوا انا لا نتميز في الاحسان بين الولي والعدو وبين
الحبيب والممتنع ومع ذلك فان بين أيدينا قلاعا ما فتحت بمد وان بلغ أصحابها
المتنعين فيها احساننا الى هذا زالت الرهبة عن قلوبهم وطمعوا في مثل
حاقبة هذا بمد حصولهم ^(١٨) في أيدينا ان حصلوا وسلامتهم في مواضعهم
ان سلموا . ثم قال : ولان لي فيه رأيا وهو ان أنقذه الى صاحبه أبي تغلب
فانه سيؤمّوه على صاحب مصر به وبقلته ويدعي انها في يده وفيها ذخائره
وثقاته وان ماله في هذه القلاع ينفي بمؤنته ان أمدا بالرجال ولا تزال
مخاريقه مشتبهة وجائزة هناك الى ان يطلع عليه هذا وتتقدمه الاخبار بما

جرى عليه فحينئذ تبطل تمويهاته وتظهر فاقته وانه طريقه سيوفنا وانما أقلت بحشاشته وليس وراءه عُدّة ولا ذخيرة ولا قلعة . فلما سمعت هذا الجواب علمت انه صواب في سياسة الوقت وان معارضته فيه خطأ فأمسكت . وبلغ طاشتم ما عزم عليه من تسيره الى صاحبه . قيدا بحالته تلك فقلق جدا وراسلني يستلني المصير الى محبسه فصرت اليه تديما فوجدته كثير البكاء لا يستقرّ على الارض قلقا فقلت : ما شأنك ؟ فقال : ان الملك كان آمنني على نفسي وأراه الآن قد بذلني لمن لا يبقى على . وأطال هذا المعنى وسألني معاودة عضد الدولة ومخاطبته في الامان الذي معه فحملت نفسي على معاودته فلم يرجع عن رأيه الاول وقال : انما آمنته على نفسه مني والا أصيبه بتركوه وأنا له على ذلك ولست أضمن الا يصيبه صاحبه بتركوه . وتبرأ مما يجري عليه من صاحبه وتقدم^(١١) بالاسراع به . فلما بلغ أبا تغلب خبره من موضع يقرب منه تلقاه بمن قتله والله أعلم بصحة ذلك الا ان موته شاع بعد زمان قليل .

﴿ ذكر ما دبره عضد الدولة من أمر هذه الممالك ﴾

﴿ وعوده الى بغداد ﴾

خلف أبا الوفاء بالموصل لتهديب المعاملات وترتيب العمال في الاعمال وتقنين القوانين وتدوين الدواوين وعاد الى مدينة السلام يوم السبت انسلاخ ذى القعدة سنة ٣٦٨ . وخرج الطائع لله في تلقيه مع جماعة الجيش والمقيمين وسائر الخوّاص والعوام ودخل يوم الاحد الليلة خلت من ذى الحجة واجتاز في الجانب الغربي على تعبئة من الجيش وبعد ان ضربت له القباب متصلة منتظمة بين عسكره من باب حرب وبين الموضع الذي

ينزله من آخر البلد وهو البستان المعروف بالنجمي وعبر في يوم الاثنين له الى داره فاستقر فيها .

﴿ [ذكر] ما أكرم به عهد الدولة من جهة الطائع لله ﴾

خرج أمر الطائع لله الى خلفائه على الصلاة في جوامع مدينة السلام بان يقيموا لعهده الدعوة تالية لاقامتها له على منابرهما وتنفذت به الكتب اليهم ورسم ان يضرب على بابه بالدبابد في أوقات الصلوات . وهذان الامران من الامور التي بانها عهد الدولة واختص بها دون من مضى من الملوك على ^(١) قديم الايام وحديثها ^(٢)

﴿ ودخات سنة تسم وستين وثمائة ﴾

وفي هذه السنة ورد الحضرة أخ إسقلاروس الرومي المعروف بوارد وقد ذكرنا خبر هزيمته عن جيوش قسطنطينية وكان صار الى ديار بكر وأنفذ أخاه هذا الى عهده الدولة مستنجرا ومستنجدا وبأذلا من نفسه الطاعة والمعاهدة ^(٣) ولما كان الملاك الاخوان اللذان بقسطنطينية عرفا

(١) قال صاحب تاريخ الاسلام : وقد كان مع الدولة أحب ان يضرب له الدبابد بمدينة السلام وسأل المطيع لله ذلك فلم يأذن له قات : وماذا الا لضعف أمر الخلافة .
(٢) قال يحيى بن سعيد الانطاكي : وأما إسقلاروس فانه بعد هزيمته أخذ معه أخاه قسطنطين وولده رومانوس وصار الى ديار بكر وأنفذ أخاه قسطنطين ابي عهده الدولة يلتمس منه النجدة والمعونة وبذل له الطاعة والموالة وتطول مقامه واتفق الى الملك باسيل حاله فاتفق الى عهده الدولة كاتبها له وجيها يسمى قففور ويعرف بالاورانوس (وهو الذي باخره ماحسپرس ووالى انطاكية) مترسلا عنه فيما يفسد على إسقلاروس ما شرع فيه مع عهده الدولة ومالا واسعا يستعين به على قصده ورسم له بان يرغب عهده الدولة بما بذله له فيه ويعد اخراج كل أسير في بلد الروم وان يتلطف باحضار

ما فعله أنقذا رسولا وجيها الى عضد الدولة لتفض مائسرع فيه ورد واجتمع هذان الرسولان على بساطه خاضعين يتنافسان فيه ويتزايذان في التقرب اليه ويستبقان الى التماس الذمام منه ولم ينصرفا الى ان انسلخت سنة تسع وذلك مالم يكن مثله قط. وهو من مآثر عضد الدولة

وفيها توفي عمران بن شاهين صاحب البطيحة بخاة يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة بقيت من الحرم وكان ركب في غداة هذا اليوم للتنزه على عادة كانت له فلما عاد الى داره تشكى دون ساعة وفاطت نفسه بعد ان نصبت له الارصاد أربعين سنة وأتقت على حروبه الخرائب وبعد ان أذل الجبابرة وأرباب الدول وطواهم أولا أولا وقدمهم أمامه على غصص يتجرعونها

السقلاروس اليه ولو باتباعه وابتياح من معه من الروم ويضحن له انه يؤمنهم ولا يسيء الى أحد منهم . وأوعز عضد الدولة الى صاحبه المقيم بميفارفين سرا بان يقبض على بردس السقلاروس فظهر عضد الدولة الانكار للحال والفضب على صاحبه لما فعله وكاتبه بان يحمله الى بغداد وحمل معه ولده رومانوس وسائر أصحابه وكان عددهم تقديرا ثلاثمائة نفس . ولما وصل السقلاروس أنزله عضد الدولة دارا خلعت له ووسم عليه الجراية مديدة واعتقله واحتاط عليه ووعدده باطلاقه ونجريد عسكر معه . وارسل عضد الدولة الى باسيل الملك صاحب الحيرف بابن شهرام في معنى السقلاروس وقصده وما يبذله من الموالة فانه قد شرط على نفسه اذا ظفر بسلم اليه حصونا مما اقتنجه الروم وانتزعه من أيدي المسلمين ويستدعي منه أن يسلم اليه تلك الحصون والا هو يعد السقلاروس بالمساكر ويضده على ما انمسه منه فأعلمه باسيل الملك قلة غنائه به وان ذلك مما ينزعج منه . ورفق الي عضد الدولة ان تقفور رسول باسيل الملك الوارد في طلب السقلاروس مجتهدا عند اياسه من أن يسمه ويبيته ايكني صاحبه أمره فوكل به أيضاً واعتقل فقبض على جميع ما ورد معه من المال والمتاع . واعتل عضد الدولة وشغل عنه وعن غيره بنفسه ومات وبقي جماعتهم معتقلون ببغداد مدة ثمان سنين الي ان صدر أهام ولده صاحب الدولة وانهى أمرهم الى ما سنشرحه مستأنفا .

وذحول يتحملونها وهو ممنوع الحريم محصن الساحة محمي من غوائلهم
ومكايدهم فلما أطرقه^(١١) الله لم يكن له مستقدم ولا مستأخر
وفيها جرّد عضد الدولة جيشا مع صاحبه وثقته أبي القاسم على بن
جعفر الواذاري وضم اليه أبا العلاء النبراني لطلب بني شيبان
﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كانت هذه القبيلة أعنى بني شيبان مستعصين قد تعودوا النهب
والغارة والتلصص وأعتيت الخيلة في طلبهم وذلك ان لهم خيولا جيادا
يعولون عليها في الحرب اذا طلبوا فكانت سراياهم تبلغ في الليلة الواحدة
ثلاثين فرسخا وربما زادوا على ذلك فيمسون بموضع ويصبحون على هذه
المسافة البعيدة وكذلك يصبحون في مكان ويمسون منه على مثل ذلك ولا
يصح للسلطان خبرهم ولا يتأتى له طلبهم . وكان لهم رئيس يعرف^(١٢)
وكانوا مع ذلك قد عقدوا بينهم وبين أكراد شهرزور المتغلبين عليها
مصاهرات وأدّمة وشهرزور هذه لم تزل ممتعة على السلطان لا يدعن أهلها
لحصانة المدينة ولا منهم في أنفسهم عتاة ذوو بأس وجلد . فاراد عضد الدولة
أن يبدأ بشهرزور ليقطع بين اعراب بني شيبان وأكرادها فاتفق شيوخ
أبي القاسم الواذاري وهو عقيب علة طالت عالية ولحقته نسكسة في طريقه
فمات وورد خبره على عضد الدولة وكاتب أبا العلاء وأقامه مقامه وأمره
باستكمال الخدمة فيما توخاه . ففعل ووفى وظهرت نجابته المعروفة منه ونهض
نحوها كفى المهم به وشفى الصدور ولما وصل الى شهرزور وعسكر على
ظاهرها فتحت له فدخلها في عدة يسيرة على موادعة لاهلها وقبول^(١٣)

الطاعة منهم ولم يكن القصد الاول اليهم ولا المراد بلدهم . فهرب بنو شيبان في البر مضطرين الي نواحي الزوابي على رسمهم في الاجفال اذا طلبوا .

﴿ ذكر ما دبره أبو العلاء من أمرهم حتى ظفروهم ﴾

سار أبو العلاء الى دقوقا وأقام بها أربعة أشهر وكسرا يعمل ضروبا من الحيل والمكايد والمكاتبات المتصلة بضروب من الاستمالة والرفق والاطماع حتى سكنوا اليه وأنسوا به ولم يعجل مع ذلك حتى قربوا باحيائهم منه فأسرى حينئذ اليهم وأوقع بهم ودية عظيمة أتت علي نفوسهم وأموالهم وذرائعهم وأعزتهم وغنم غنيمة عظيمة وقتل من مقاتلتهم خلقا كثيرا وانصرف بمائتي رأس من رؤوس القتلى وثمانمائة رجل من الاسرى فيهم جماعة من وجوههم ورؤسائهم . فدخل بغداد يوم الخميس ثمان خلون من رجب وشهر رهؤلأ الاسارى على الجبال بالبرانس الطوال والثياب الملونة لاربعة عشرة ليلة خلت منه وأودعوا الحبوس والمطابق وتفرق أوئسك الذين نجوا منهم في الاطراف البعيدة وطفئت جمرتهم وزالت عن أعمال بغداد والسواد مضرتهم .

وفيهما قبض على أبي أحمد الموسوي نقيب الطالبين وعلى أخيه أبي عبد الله وعلى قاضي القضاة أبي محمد عبيد الله بن أحمد بن معروف وأنفذوا الى فارس وقلد قضاء القضاة أبو سعد بشر بن الحسين وهو شيخ كبير مقيم بفارس^(١) واستخلف له ببغداد أربع خلفاء على أربع بغداد وهم أبو بكر

(١) قال صاحب تاريخ الاسلام : هو قاضي قضاة شيراز توفى في رءضان سنة ٣٨٠ وكان اماما في مذهب داود (يعني من أهل الظاهر) فصرف عن القضاء في سنة ٣٧٢ بموت عضد الدولة . واما خليفته ابن صبر قال أيضا إنه حنفي ولي القضاء بمسكن المهدي

محمد بن عبد الله^(٥٠٣) المعروف بابن صبر وكان خليفة على الجانب الشرقي من حد المخرم والى الطرف الاعلى منه وأبو الحسن عبد العزيز بن أحمد الحرزى وصير خلفته على ما بقى من الجانب الشرقي من حد المخرم الى الطرف الاسفل وأبو محمد عبد الله بن محمد المعروف بابن الاكفاني^(١) خليفة على مدينة أبي جعفر المنصور وما يتصل بها من الجانب الغربي الى طرفه الاعلى وأبو محمد عبد الرحمن بن محمد العماني خلفته على المدينة التي

ومات سنة ٣٨٠ وكان معتزليا مشهورا به رأسا في علم الكلام سمي أبو بكر الخطيب أبا عبد الرحمن وأما هو محمد بن عبد الله بن جعفر بن محمد بن الحسين بن فهم المعروف بابن صبر وكان بصيرا بكلام أبي هاشم الجبلي خيرا بالتفسير وله كتاب في الرد على اليهود وكتاب عمدة الأدلة وكتاب التفسير وما أتمه . وأما الحرزى وهو شيخ أهل الظاهر أخذ عن قاضي القضاة بشر بن الحسين وقدم من شيراز في حجة السلطان ضد الدولة وتوفي سنة ٣٩١

وقال أيضا أن أبا هاشم الجبلي هو عبد السلام بن عبد الوهاب بن أبي علي البصري كان هو وأبوه من رؤس المعتزلة وكتب الكلام مشحونة بمذاهبها . قال ابن درستويه النحوي : اجتمعت مع أبي هاشم فالتقي على ثمانين مسألة من غريب النحو ما كنت أحفظ لها جوابا . ولأبي هاشم تصانيف وتلازمة وكان يصرح بخاق القرآن كآييه ويقول بخلود انما سبق في النار وإن التوبة لاتصح مع الاصرار عليها وكذا لاتصح مع العجز عن العقل فقال : من كذب ثم خرس أو من زنا ثم جب ذكره ثم تاب لم تصح توبتهما . وأنكر كرامات الاولياء توفي في ثامن عشر شعبان سنة ٣٢١ هو وابن دريد في يوم واحد ودفنا بمقبرة الخيزران . وإبراهيم ما قال فيه أبو سعد السمعاني في كتاب الانساب : ص ١٢١ وابن دريد ترجمة في ارشاد الاربيب ٦ : ٤٨٣

(١) قال فيه صاحب تاريخ الاسلام رواية عن التنوخي : قال لي أبو اسحق الطبري : من قال ان أحدا أثنى على أهل العلم مائة الف دينار فقد كذب غير أبي محمد الاكفاني . وانه جمع له في سنة ٣٩٢ جميع قضاة بغداد وتوفي سنة ٤٠٥ .

تعرّف بالشرقية وهى على غربي دجلة الى طرفه الاسفل وقسمت نواحي
السواد على هذه الحصص بينهم
وفي هذه السنة ورد الخبر بقتل أبي تغلب فضل الله بن ناصر الدولة . بالرملة
﴿ ذكر شرح الحال في قتله وحرقة ﴾

كنا قد ذكرنا خبره في توجهه من الرحبة الى دةشق وكان بانته ان
عضد الدولة كاتب سعد الدولة بن سيف الدولة وجميع البوادى هناك من
بني كلاب وغيرهم بمارضته في مسيره وأخذ وحمله الى حضرته فاستوحش
وعدل عن نهج الطريق وأوغل في البرية فثالته مشقة عظيمة ووصل الى
دةشق من ورائها فوجد فيها من اهمل رجلا يقال له قسام^(١) قد تحصن بها
وغلب عليها وخالف صاحب المغرب فلم يتمكن من دخولها فنزل في
ظاهرها وأنفذ كاتبه على بن عمرو الى مصر يستدعى من صاحب المغرب
النجدة . ووقعت بين أصحابه وبين أصحاب^(٢) قسام هذا ثورة فرحل
الى موضع يقال له نوى وفارقه من ههنا ابن عمه أبو الفطريف مستأمنا الى
عضد الدولة وعيد عيد انقطاع بنوى وورد عليه كتاب من كاتبه من مصر بان
صاحب المغرب تقبله ووعدته بكل ما أحبه وأنه التمس منه ان يسير اليه
زائرا فامتنع أبو تغلب من ذلك وترددت المراسلات والمكاتبات بينهما .
فرحل عن نوى الى منزل يقال له كفر عاقب على بحيرة طبرية وفارقه من
هناك أخوه أبو طاهر ابن ناصر الدولة على اتفاق واستئذان مستأمنا الى
عضد الدولة . وكان صاحب المغرب أنفذ وجها من وجوه غلمانه يقال له
الفضل الى دةشق ليحتال على قسام ويفتح البلاد نصار الى طبرية وقرب

من أبي تغلب وتراسلا في الاجتماع فسار الفضل اليه وتلقاه أبو تغلب وتفاوضا في الموكب ووعدوه عن صاحب المغرب بكل ما أحب وبذل له أبو تغلب المسير معه الى دمشق لفتحها . ففكره ذلك للنفرة التي كانت جرت بينه وبين قسام لثلاث يوحشه . وكان يسلك في أمره اللطاف والحيلة لا طريق الخوف والمقارعة فافترا وعاد كل واحد منهما الى موضعه ثم رحل الفضل الى دمشق فلم يتم له ما قدره فيها . وكان بالرملة دغفل بن المقرج بن الجراح الطائي وهو رجل بدوى استولى على هذه الناحية وأظهر طاعة صاحب المغرب من غير ان يتصرف على أحكامها واستفعل أمره وكثرت البوادي معه فسار الى احياء عقيل المقيمة بالشام ليواقعها "" ويخرجها عن تلك البلاد فلجأت الى أبي تغلب وسأله نصرتها ومثت اليه بالرحم النزارية وكتب ابن الجراح اليه يسأله الا يفعل ذلك ومثت اليه بالحلف الذي وقع قديما في الجاهلية بين ربيعة واليمن فتوسط بين الجهتين على التكاف الى ان يرجع الى صاحب المغرب ويمثل ما يرد منه في الامر الذي شجر بينهما . ورحل فنزل في جوار عقيل على انه مانع لها المسير والابتداء بالشر فآوحت ذلك ابن الجراح والفضل صاحب صاحب المغرب وخافاه وظنا ان اجتماعه مع بني عقيل لتدبير على أعمالهم فسار الفضل عن باب دمشق على طريق الساحل الى الرملة . وضجر أبو تغلب من طول مقيل واتصال كسب كاتبه اليه بالتسويق والتنايل فسار الى الرملة مع احياء عقاق وذلك في المحرم سنة ٣٦٩ هجرية . فهرب ابن الجراح والفضل من بين يديه هما بعد وكتب الفضل يستنجد ويجمع الى نفسه جيوش السواحل وولاهم وجمع أيضا ابن الجراح الرجال واحتشد فتوافت اليهما طوائف كثيرة

واستأمن الى أبي تغلب ممن كان معهما اسخسكين التركي المغربي وغيره من الاثراك وقطعة من الرجال الاخشيدية والمغاربة وعطف اليه الفغسل وابن الجراح فيمن جمعا فوقمت الوقعة على باب الرملة يوم الاثنين ليلة خلت من صفر^(١) سنة ٣٦٩ فلما عاينت عقيل كثرة الناس انهرمت فضعف^(٢) أمر أبي تغلب وفارقه اسخسكين المغربي طالبا العراق ومستأمنا الى عضد الدولة وعاد باقى المستأمنة من المضريتين الى الفغسل والى ابن الجراح ولم يبق مع أبي تغلب الا نحو سبعمائة رجل وهم غلمان الحمدانية فانهزموا وانهزموا ولحقهم الطالب فقتلوا وجوههم يحامون عن نفوسهم بالكفاح والمجادة فضرب بعض الصماليك أبا تغلب على رأسه وعرقب آخر فرسه فسقط الى الارض وبادر اليه ابن عم لابن الجراح يقال له مشيع الطائي وقتل بعض غلمانه وأسر أكثر أصحابه وحصل أبو تغلب في عشية تلك [الليلة] فى يد ابن الجراح فبكر مر تخلا باحيائه وعسكره وسيره بين يديه على ناقه وقد شد رجليه بسلسلة الى بطنها واعتقد ان يأتي عليه ولا يبق فبلغ ذلك الفغسل فبكر ليأخذه من يد ابن الجراح فالفاه قد سار فانبه فلما قرب خاف ابن الجراح ان يتسلله منه وبصير به الى مصر فيجربى معه مجرى الفغسلين فى اصطناع صاحب المغرب له واستصحبه اياه وقد وزره بالحرب والاسر وأماخ الناقة وضربه بيده ضربتين بالسيف فسقط قتيلاً وأخذ رأسه وقطع بعض الشيوخ من العرب يديه ورجليه لانه كان ضرب يد ابن له عند ممانعته عن نفسه فأطنها . ولحق الفضل وقد قضى الامر فأخذ رأسه وأنقذه الى مصر ثم صلب جثته ثم أحرقت .

وقد كان خلف أخته جميلة وزوجته وهي بنت سيف الدولة^(٥٠٧) في احياء بنى عقيل فلما قُتل حملوها^(١) مع سائر عياله الى حلب فأخذ سعد الدولة أخته اليه وأخذ جميلة الى الرقة وحدها منها الى عانة وعُدل بها من عانة الى الموصل وسلمت الي أبنى الوفاء فكانت في يده الى ان انحدر الى بغداد فحدها معه وحصلت معتقلة في الدار في بعض حجرها مع جواري عضد الدولة ونسائه^(٢).

﴿ ذكر تلافي بغداد بالعمارة بعد الخراب ﴾

وفي هذه السنة أمر عضد الدولة بعمارة منازل بغداد وأسواقها وكانت مختلة قد أحرق بعضها وخرب، البعض فهي تل وابتدأ بالمساجد الجامعة وكانت أيضا في نهاية الخراب فانفق عليها مالا عظيما وهدم ما كان مستهدما من بنيانها وأعادها على أحكام وشييدها وأعلاها وفرشها وكساها وتقدم بإرزار أرزاق قوامها ومؤذنيها والائمة والقراء فيها واقامة الجريات لمن

(١) الصواب « حملوها » (٢) قال صاحب تاريخ الاسلام في ترجمة سنة ٣٦٩ ان فيها حجت جميلة بنت ناصر الدولة بن حمدان ومعا أخوها ابراهيم وهبة الله فضرِبَ بحِجَّتِها المِثْلُ فانها استصحبَت أربع مائة جمل وكان معها عدة محامل لم يعلم في أيها كانت وكسب المجادرين ونثرت على الكعبة لما رأتها عشرة آلاف دينار وسعت جميع أهل الموسم السويق بالسكر والتلج (كذا قال أبو منصور النعماني فمن أين لها تلج) وقيل أخوها الواحد في الطريق وأعتقت ثلثمائة عبد ومائتي جارية وأعتقت المجادرين بالاموال. قال أبو منصور النعماني: خاضعت على طبقات الناس خمسين ألف ثوب وكان بها أربع مائة عمارية لا يدري في أيها كانت ثم ضرب الدهر ضربانه واستولى عضد الدولة على أموالها وحصونها وممالك أهل بيتها فاضت بها الحال الى كل قلة وذلة وتكشفت عن فقر مدقع وقد كان عضد الدولة خطيبها فامتنعت ترفعا عليه فحقد عليها وما زال يعنف بها حتى عراها وهتكها ثم أزمها ان تختلف الى دار القعاب فتكسب ما تؤديه في إصايرة فلما ضاق بها الامر غرقت نفسها في دجلة.

يأوى اليها من الغرباء والضعفاء وكان ذلك كله مهما لا يُفكر فيه . ثم أمر بعمارة ما خرب من مساجد الاربابض المختلة وأعاد وقوفها وعوّل في هذه المصالح على عمال ثقات أشرف عليها نقيب العاويين ثم ألزم أرباب المقارنات التي احترقت ودثرت في أيام الفتنة ان يعيدوها الى افضل احوالها في العمارة وفي الحسن والزينة فن قصرت يده عن ذلك اقترض من بيت ماله ليُرْتَجِع منه عند الميسرة ومن لم يوثق منه بذلك أو كان غائبا أقيم عنه وكيل وأطلق له ما يحتاج اليه فعمرت ببغداد^(٥٠٨) وعادت كأحسن ما كانت .

ثم وقع التتبع على الدور والمساكن التي على جانبي دجلة فبنيت مساكنها وجددت رواشنها بعد ان كان الخراب شاملا لها وتقدم الى من سميت له دار على الشط من كبار الاولياء والخاصية ان يجتهد في عمارتها وتحسينها . وكان السبب في خراب هذه الدور والقصور على الشط ان بختيار كان نقض دار أبي الفضل العباس بن الحسين الشيرازي التي كانت على الصراة ودجلة حين قبضها عنه ولم يكن لها نظير ببغداد في الاتساع والحسن وكان اتخذ فيها بستانا نحو سبعة أجرة مملواً بالنخل والاشجار والياحين والانوار وطرائف الفروس الفريسة وأنشأ فيها المجالس البهية والمساكن الفسيحة فارتفع له من أثمان النقض جملة استكثرها واستطاب بعد ذلك بيع الانقاض فهدم المنازل الجليّة التي لا يمكن أو يصعب اعادتها . فأمر عضد الدولة برفع سنة الاخراب وبيع الانقاض واعادة عمارة بستان عرصّة دار العباس بن الحسين وكذلك عمارة البستان بالزاهر المتوسط الشرقي من بغداد فعمل ذلك فامتلات هذه الخرابات بالزهر والخضرة والعمارة بعد ان كانت مأوى

الكلاب ومطارج الجيف والاقذار وجلبت اليها الفروس من فارس
وسائر البلاد.

وكان يبنّى أهرام كثيرة مثل نهر العبادة ونهر مسجد الانباريين ونهر
البرازين ونهر الدجاج ونهر القلايين ونهر طابق وميزابها الى دجلة^(١٠١)
والصراة ونهر عيسى ونهر بناحية الحربية يأخذ من الدجيل وكان منها
مرافق للناس لسقى البساتين واشرب الشفة في الاطراف البعيدة من دجلة
فانفذت مجاريها وعقدت رسومها ونشأ قرن بعده قرن من الناس لا يعرفونها
واضطر الضعفاء الى أن يشربوا مياه الآبار الثقيلة أو يتكفوا حمل الماء من
دجلة في المسافة الطويلة فأمر بحفر عمدانها ورواضعها وقد كانت على عمدانها
الكبار المعروفة بنهر عيسى والصراة والخندق قناطر قد تهدمت وأهمل
أمرها وقل الفكر فيها فربما انقطعت بها السبل أصلاً وربما عمرتها الرعية
عمارة ضئيفة على حسب أحوالهم وعلى حسب الاقتصاد والترجبة فلم تكن
تخلو من أن تجتاز عليها البهائم والنساء والاطفال والضعفاء فيسقطون فبنيت
كلاهما جديدة وثيقة ونعمت عملاً محكماً . وكذلك جرى أمر الجسر ببغداد
فانه كان لا يجتاز عليه الا المخاطر بنفسه لا سيما الراكب لشدة ضيقه
وضمفه وتراحم الناس عليه فاخترت له السفن الكبار المتقنة وعرض حتى
ماركاشوارع الفسيحة وحُصّن بالدرابزينات ووكل به الحفظة والحراس .
فأما مصالح السواد فلما قلّت الامناء ووقع الابتداء بذلك في السنة
المتقدمة لهذه التي نحن في ذكرها فقلبت الزيادات وجمعت العدد من
القصب والتراب وأصناف الآلات^(١٠٢) وأعيد كثير من قناطر أفواه
الانهار والمناياض والآجر والنورة والحصن وطواب الرعية بالعمارة مطابقة

رفيقة واحتيط عليهم بالتبعية والاشراف وبلغ في الحماية الى أقصى حد ونهاية
وأخر افتتاح الخراج الى النبروز المعتضدي^(١) وكان يؤخذ سلفا
قبل ادراك الغلات وأمضيت للرعية الرسوم الصحيحة وحذفت عنها
الزيادات والتأويلات ووقف على مظالم المتظلمين ومهلوا على التمديد
ورفعت الجباية عن قوافل الحجيج وزال ما كان يجرى عليهم من القبايح
وضروب العسف وأقيمت لهم السواني في مناهل الطريق وأحفر الآبار
واستفيضت النيايح . وحملت الى الكمية الكسوة المستعملة الكثيرة
وأطلقت الصلات لاهل الشرف والمقيمين بالمدينة وغيرهم من ذوى الفاقة
وأدرت لهم الاقوات من البر والبحر وكذلك فعل بالمشهدين بالفري
والخائر على ساكنهما السلام وبمقابر قريش فاشترك الناس في الزيارات
والمصليات بعد عداوات كانت تنشؤ بينهم الى أن يتلاعنوا وتوافقوا

(١) قال صاحب كتاب العيون انه في سنة ٢٧٩ أحدث المعتضد النوروز الذي
يقع في اليوم الحادي والعشرين من حزيران
وفي تأخر الخراج قال أبو هلال العسكري في كتاب الاوائل (والنسخة موجودة في
كتبخانة باريس ٥٩٨٦ ص ١٣٨) ان أول من أخرج النبروز المتوكل فانه كان يرى ما أضر
بالناس افتتاح الخراج والزرع أخضر وهم بقرضون ويستلفون وأحضر ابراهيم بن العباس
المعولي فوق العزم على تأخير النبروز الى سبعة وعشرين يوما من حزيران فكتب
الكتاب على ذلك وهو كتاب مشهور في رسائل ابراهيم وفيه وجد البلاذري خطأ
(وردت القصة في ارشاد الاربيب ٢ . ١٢٨) وانه قتل المتوكل قبل دخول السنة الحديدة
وولى المنتصر فاحتاج الى المال فطوبى به الناس على الرسم الاول وانتقض ما رسم
المتوكل فلم يعمل به حتى ولى المعتضد . فوقع حسابه في اليوم الحادي عشر من حزيران
فأحكم أمره على ذلك وأثبت في الدواوين . وإنما احتدى المعتضد بالله ما فعله المتوكل
الا أنه قد قصره في احدى عشر يوما من حزيران

وخرست اللسان التي كانت تجر الجرائر وتشب النوار بما أظلمها من السلطان القامع والتدبير الجامع . وبسطت رسوم للفقراء والفقهاء والمفسرين والمتكلمين والمحدثين والنسايين والشعراء والنحويين والعروضيين والاطباء والمنجمين والحساب والمهندسين وأفراد في دار عضد الدولة لاهل الخصوص والحكاماء من الفلاسفة موضع يقرب من مجلسه وهو الحجرة التي يختص بها الحجاب فكانوا^(١) يجتمعون فيها للمفاوضة آمنين من السفهاء ورعاع العامة وأقيمت لهم رسوم تصل اليهم وكرامات تتصل بهم^(٢) فعاشت هذه العلوم وكانت مواتا وتراجع أهلها وكانوا أشتاتاً ورغب الاحداث في التأديب والشيوخ في التأديب وانبعثت القرائع ونفقت أسواق الفضل وكانت كاسدة وأخرج من بيت المال أموال عظيمة صرفت في هذه الابواب وفي غيرها من الصدقات على ذوى الحاجات من أهل الملة وتجاوزهم الى أهل الذمة . وأذن للوزير نصر بن هرون في عمارة البيع والديرة واطلاق الاموال الفقراءهم .

وكنا بمرض الزيادة من هذه البركات الى ان أتى أمر الله الذي

(١) وبشبه هذا حكاية أوردها جعفر بن قدامة في كتاب الخراج : أخبرني سنان ابن ثابت بن قرة ان المعتضد بالله (وكفى به من الملوك فضلا وحزما) أنه لما أراد بناء قصره في أعلى بغداد على الموضع المعروف بالشمسية استزاد في الذرع بعد ان فرغ لها من تدبير جميع ما أراد له للقصر فسئل عما يريد ذلك له فذكر أنه يريد لبنى فيه دورا ومساكن ومقاصير ترتب في كل موضع منها رؤساء كل صناعة ومذهب من مذاهب العلوم النظرية والعلمية ويحجري عليها الارزاق السنية ليقتصد كل من اختار علما أو صناعة رئيس ما يختاره فيأخذ عنه ولو مد له في العمر حتى يفعل هذا لظفر فضل هذه الامنة على جميع الامم

لا يدفع وانما شرحناها لينظر فيها من يأتي بعدنا ويقرأها الملوك أو تقرأ بين أيديهم فيعملون بمثل ذلك ويسرون بها لينشر ذكركم بالجليل ويطلع الله عز وجل على نياتهم فيمكن لهم ويحسن معونتهم فلو لا خلال كانت في عضد الدولة يسيرة لاستحسن ذكركم مع كثرة فضائله لبلغ من الدنيا مناه ورجوت له من الآخرة رضاه والله ينفعه بما قدمه من العمل الصالح ويفقر له ما وراء ذلك .

وفي هذه السنة شخص المطهر بن عبد الله عن مدينة السلام الى أسافل واسط لطلب الحسن بن عمران فاقام على منازلته والثالث عليه أمره فقتل نفسه .

ذكر شرح الحال في قتل المطهر نفسه

لما توفي عمران بن شاهين وفرغ عضد الدولة^(٥١٢) من الاعداء السكبار وقتل بخيار وأبو تغاب وبملك ديارهم ورجالهم وحصل بمدينة السلام وكانت نفسه تنازع الى مصر خاصة والى ديار الكفر بعد ذلك من الروم وما والاها كره أن يجاوره النبط مستصية ويطاوله صغار أصحاب الاطراف ومن يلوذ بالتصعب والغياض والآجام ولا يستأصله فمرّض في مجلسه بذكر الحسن بن عمران والبطيحة وطاب من يكفيه هذا الخطب فانتدب له أبو الوفاء والمطهر وأظهر كل واحد منهما كفاية فيه . وتقرر الرأي على اتفاق المطهر فجرد معه عسكريا فيه أخصاف من الرجال وأزاح غلته في السلاح والاول والوال والسد والالات وضم اليه أبا الحسن محمد بن عمر العلوي الكوفي وكان في هذا الوقت بها فانقلب منها الى واسط حتى اجتمع معه بها فغرام على المطهر وأكرم وسار يوم السبت للثصف من صفر واستخلف

له عضد الدولة على الوزارة وتدير الاعمال وجمع الاموال أبا الريان حمد بن محمد الاصمبغاني وذلك لدربته لاهنئاعته ولانه عرف بطول الممارسة موارد الامور ومصادرها وكان واسطة بين عضد الدولة ووزرائه وكان كالشريك لهم فيما يعمدونه ويمضونه من أوامره . فلما استقر المطهر بالبريوني من أعمال الجامة شاور الناس ومحض الرأي فتقرر الامر على تدبير فاسد قد كان جربه من درج قبله . راداً فلم ينتفع به وهو ايقاع السدود على أفواه الانهار لتكشف البطيحة التي يلجأ اليها^(١١٣) عسكر النبط وأنشأ مسناة يسلك عليها بالاقدام الى نفس معانلم فأطلقت في ذلك أموال ضاعت وانقطعت المسالك في دجلة وبطل ارتفاع الكمار ولزمت مؤن الحصار واثبات الرجال وجاءت المدود فحملت على السدود . وتوصل الحسن بن عمران الى بعض تلك السدود فبثها فامتلات البطائح بالمياه وكان المطهر اذا سدها جانباً انثلست عليه جوانب واذا حفظ وجهاً أتاه الخلل من وجوه واتفق مع ذلك ان جرت بينه وبين الحسن بن عمران وقعة في الماء فلم يتم له ما قدره من اصطلامه . وكان المطهر قد ألف فيما كان بأشهره من الحروب المناجزة واعتاد المفاصلة ولم يدفع الى مصابة قط ولا مطاولة فشق ذلك عليه وبلغ منه وكان يتهم أبا الحسن محمد بن عمر العلوي بمراصة تجرى بينه وبين صاحب البطيحة وهدايا وملاطفات في السر منه وانه يطلعه على أسرار التدبير عليه ويهديه الى مصالحه . وكانت أخلاق المطهر معروفة بالشراسة والخشنة وكانت أفكاره سيئة فأوجس في نفسه خيفة واستشعر وحشة وتوهم أن استصعاب ما استصعب عليه من هذا الامر عائد عليه بانخفاض منزلة وانحطاط عن رتبة الوزارة وان أبا الوفاء يجد مساعداً للطن عليه واظهار

معايه لما كان بينهما من العداوة والمنافسة في المرتبة واختار الموت على تسلط الاعداء عليه وتمكنهم منه . فلما كان يوم الثلاثاء لاحدى عشرة ليلة خلت من شعبان جلس في مجلسه من عسكره ودخل اليه الكتاب والقواد وحنقات الناس^(٥١٤) مسامين عليه فتقدم اليهم بالتخفيف والانصراف ونهض الى خيمة كان يخالو فيها واستدعى طيبيه وأمره بان يفصده وظن انه اذا انصرف الطيب حل شدة الفصد واستنزف دمه الى أن يتاف وكان قريب العهد باخراج الدم وشرب الادوية المسهلة من أجل علة نالته قبل حركته من الحضرة فاعلمه الطيب انه غير محتاج الى الفصد فزجره وطرده ثم صرف من كان واقفا بين يديه من غلمانه حتى خلا بنفسه وأخذ سكين دوانه فقطع بها شرايين ذراعيه جميعا وأدخلها الى باطن ثيابه فخرج نفسه في مقاتله ودخل اليه فراش كان يختص به فرأى دسنة الذي كان جالسا فيه مملوا دما فصاح وتوافي اليه الناس فادركوه وبه رمق وظنوا أن انسانا أوقع عليه ثم تكلم بما بان لهم^(٥١٥) انه تولى ذلك من نفسه وحفظت عليه الفاظ يسيرة منها ان محمد بن عمر العلوي حمله على ما ارتكبه من نفسه وكلمات يسيرة في هذا المعنى وغيره ومات من ساعته وحمل الى بلدة بكارزين من أعمال فارس فدفن هنالك . وكانت هذه الحادثة من عجائب الزمان اذ قتل هذا الرجل بنفسه خوفا من تغير صاحبه له ونشل الله التوفيق والعصمة والستر الجليل برحمته .

وأثناء عضد الدولة عبيد الله بن الفضل الى معسكر المطهر لحفظ أسبابه وتقرير أمر صاحب البطيحة على أمر في العاجل من حمل مال

(١) لعله سقط « منه »

وموادعة له الى أن ينظر في أمره وكان ذلك عقيب عودته من الايقاع بيني
شيبان^(١٥) فأنحدر ووفي بما أمر وحمل مالا من قبل الحسن بن عمران
وتسلم منه رهينة وانكفأ بجميع ذلك ودخل الحضرة يوم الاربعاء للنصف
من ذى القعدة

وفيهما انفرد نصر بن هرون بالوزارة لان أصل الوزارة كانت له ثم
شورك بينه وبين المطهر فلما مضى المطهر لسبيله وتفرّد نصر بن هرون
بوزارته وكان مقبلاً بفارس يدبر أعمالها استخاف له عضد الدولة أبا الريان
حمد بن محمد .

وفيهما ورد رسول لصاحب المغرب برسائل أذاها وكان دخوله في شعبان
وانصرفه في ذى القعدة ورد معه القاضي أبو محمد الهامى لتأدية الجواب .
وفيهما توفي حسني بن الحسين في قلعة المعروفة بدمرج .

وفيهما قبض على محمد بن عمر العلوي بالطيعة وأُتخذ الى فارس وكان
السبب فيه ما حفظ من كلام المطهر قبل وفاته فيه^(١٦) وانفذ أبو الوفاء طاهر
ابن محمد الى السكوفة لقبض أمواله وأملأه فوصل الى شيء عظيم
يستكثر من المال والسلاح وضروب الذخائر التي لا يظن بتمتله انه
يجمعها ودخلت اليد في ضياعه وكانت كثيرة تشتمل على جل سقى الفرات
بل قد تجاوز ذلك الى غيره من أعمال السواد واصطنع أخوه أبو الفتح أحمد
ابن عمر وقلد الحج بالناس واقطع اقطاعا سنيا .

(١) قال ابن الصابي انه سمع منه كلام يفهم منه الشكابة من الشريف فقبض
عليه عضد الدولة ونقله الى فارس ودخلت اليد في أملاكه وأسبابه : كذا في عمدة الطالب
طبع بمكة ١٣١٨ ص ٢٨٤

وفي هذه السنة أخذ عبد العزيز بن محمد المعروف بالكراعي أسيرا
وشهر بالبصرة وبمدينة السلام ثم قتل وصلب الى جانب صاحبه .^(٥١٦)
(شرح الحال في الحيلة التي تمت عليه حتى أسر وقتل)

كان هذا الرجل وضيعا ساقطا طبخته عن كل رتبة واستخدم في وقت
في تفرقة قضيم الكراع ولذلك عُرف بالكراعي ثم وصل بمحمد بن بقية
وجمعتهما عاهة النقص ومناسبة السقوط فارتفع معه حتى قابله خلافة
بالبصرة وجعله مستوفيا على العمال فأثرى وتمول وكان منه في أيام عصيان
ابن بقية بواسط سوء أدب كثير وذكر الملوك بما لا يليق بالملوك بعضهم
في بعض . ثم تنكر له ابن بقية فقبض عليه ونكبه فلما قبض بختيار على ابن
بقية استخدمه ولما عزم بختيار على الحرب منهزم ما هرب منه وصار الى
البطائح وكان هناك يجري على سوء عادته في سوء الادب . فدبر عضد الدولة
تديرا ثم شطره عليه ولوقبل جميعه لم أيضا على صاحب البطيحة ما يستغنى
معه عن محاربة ومكافحة وذلك انه ووقف جماعة من أهل البصرة ووجوها
ان يخدموا عضد الدولة في مكاتبة يوقعونها الى هذا الكراعي ويوهمونه
انهم يوالونه ويضافرونه فاذا قربوا منه أثاروا الفتنة بمواطاة من سلطان
البصرة ثم سلموا اليه البصرة حتى اذا اغترأ استدعى الحسن بن عمران
ليتقوى به فاذا صار في دجلة حيل بينه وبين الرجوع الى البطيحة وحاشته
الكمياء من أعلى وأسفل . وأخذ فبلغ به الجهل ان صدق بهذا الوعد
وعجل فخرج وأخرج معه الحسن بن عمران وسائر عسكره وقال : لي
بالبصرة أولياء واخوان قد كاتبوني والبصرة في أيدينا . فاغترأ به الحسن
ابن عمران^(٥١٧) وخرج مع عسكره فلما صاروا بمطارا نار بهم من كان فيها

من الرجال وقتلهم . وأخطأوا لان تمام التدبير كان في ان يتركوهم حتي يُوغلوا الى البصرة فاقام القوم يقاتلونهم ثم ظفر بالسكراعي وانهزم الحسن ابن عمران بعد ان مُلِكت عليه قطعة وافرة من سفنه ورجاله . وحمل السكراعي الى البصرة فشهر وعوثب وطواب بالمال ثم أُنقذ الى بغداد فشهر منصوبا على ثنق في سفينة وعلى رأسه برنس وذلك يوم الخميس لعشر ليال بقين من شعبان فلما كان يوم الجمعة لليلتين خلتا من ذي الحجة طُرح الى القيلة فخطته وصلب الى جانب ابن بنية .

وفي هذه السنة نفذ عسكر الى عين التمر في طلب ضبة بن محمد الاسدي (وقد مرّ ذكره) وانه ممن يسلك سبيل الدعار ويسفك الدما ويُخيف السبل وينهب القرى ويبسح الاموال والفروج) واتّك حرمة المشهد بالخائر فلما أظّل عليه العسكر المجرّد هرب بحشاشته الى البادية وأسلم أهله وحرمة فحصل أكثرهم في الاسر ومُلِكت عين التمر

وفيها دبّر عضد الدولة ان يقع بينه وبين الطائع لله وصلة بابتته الكبرى ففعل ذلك وعقد المقد بحضرة الطائع لله وبمشهد من أعيان الدولة واقصاة على صدق مائة الف دينار^(١) وبني الامر فيه على ان يرزق ولداً ذكراً منها فيولّى المهدي وتصير الخلافة في بيت بني بويه ويصير الملك والخلافة مشتملين على الدولة الديلمية^(٥١٨)

وفي هذه السنة سار عضد الدولة الى الجبل وأعمالها ودوّخ همذان

(١) زاد فيه صاحب تاريخ الاسلام : وكان الوكيل عن عضد الدولة أبو علي (الحسن بن أحمد بن عبد الغفار) الفارسي النحوي والذي خطب القاضي أبو علي الحسن ابن علي القنوجي .

والدينور ونهاوند لافتتاح قلاع حسنويه بن الحسين الكردي وتدير
فخر الدولة في قصده ومقابلته على ما كان منه في مكاشفته والاجتهاد في
تشتيت شمل الدولة وتفريق الكلمة ومعاضدة بختيار وابن بقية وقد كان
أظهر مباينة مؤيد الدولة وكاتب قابوس بن وشمكير .

ولما هلك حسنويه بن الحسين أمثل عضد الدولة ان يكون الشيطان
الذي نزع بينه وبين اخوته قد زال وأتخذ آبا نصر خرشيد يزديار الخازن
رسائل الى مؤيد الدولة والى فخر الدولة والى قابوس بن وشمكير اما الى
مؤيد الدولة فبإحاده على طاعته التي ما غيرها ولا كدرها واما الى فخر
الدولة فبالعناية والمدارة والزيادة في الاخذ بالحجة واما الى قابوس بن
وشمكير فبالمشورة عليه بحفظ الذمة التي تعلق بها وحفظ نعمته وترك
التمرض لما يورطه ويهلكه . فأما مؤيد الدولة فانه أجاب جوابا سديدا
وانه واقف على حدود طاعته وتابعد له في رضاه وغضبه . واما فخر الدولة
فاجابه جواب النظير الذي لا يرى لرتبة الملك زينة ولا ليكبر السن وعهد
الاب فضيلة ولا في المعاودة الى جميل الطاعة نية . وأما قابوس فاجاب
جواب المتهيب المحجج المراقب .

وافترق أولاد حسنويه فرقا واختلفت بهم المذاهب وهم أبو العلاء
وعبد الرزاق وأبو النجم بدر وعاصم وأبو عدنان وبختيار^(١٩) وعبد الملك
فطائفة منهم انحازت الى فخر الدولة مظهرة لبشاقة عضد الدولة وطائفة
وردت . حضرته فاما بختيار من بينهم فانه نافر اخوته وكان مقيما في تلعة
سرماج ومعه الاموال والذخائر فابتدأ بمكاتبة عضد الدولة وبذل تسليم
ذلك اليه وذ كرغبته في الاعتصام به والدخول في كنفه ثم تلون ولم

ف . فتشوف عضد الدولة للمسير الى الجبل وتهذيب أعمالها فابتدأ فقدم
 هاكره يتالو بعضها بعضا فجرد أبا الفتح المظفر بن محمد الحجاب
 وأبا نصر خواشاذه وأبا الوفاء طاهر بن محمد وبرز عن داره الى المسكر
 بالمصلي من الجانب الشرق بعد ان أقر أبا الريان بالحضرة على جلته من
 خلافة الوزارة ولكن زاد في منزلته وناط به جميع أمور المملكة وطال مقامه
 بالمسكر الذي برز اليه الى ان أوغلت تلك الجيوش السائرة على مقدمته . وقد
 كان أبو نصر خواشاذه وطأ الامور عند خروجه لتأدية الرسائل فواتف
 القواد والوجوه أن يخدموا عضد الدولة ببناتهم فاذا سار استأمنوا اليه وضمن
 لهم الاقطاعات السنية وحمل الى بعضهم الهايا والالطاف في السرفلما سار
 تلقته في طريقه البشائر بدخول جيشه همدان واستئمان السدد الكثير من
 قواد^(١٢) نخر الدولة ورجال حسنويه وتلقهم رايته منحازين اليها وتلقاه أبو
 الحسن عبيد الله بن محمد بن حمدويه وزير نخر الدولة ومعه جماهير حاشيته
 وبقية قواده وغلمانهم فأنحل أمر نخر الدولة واحتاج الى مفارقة موضعه
 واللاحاق ببلد الديلم فضى ونزل دارا كان بناها من الدولة بهوسم ولجأ الى
 الداعي العلوي المستولى على ذلك الصقع وعرج عضد الدولة الي نهاوند
 وافتتح قلعة سرماج واحتوى على ما فيها وملك غيرها من قلاع تلك البلاد
 وألقت اليه الحصون مقابليدها وأخرجت الارض أثقالها .

ولحقته في هذه السفرة علة عاودته مرارا وكانت شبيها بالصرع وتبعه
 مرض في الدماغ يعرف بليترغس وهو النسيان الا انه أخفى ذلك
 ويقال ان مبدأ ذلك به كان بالموصل الا انه لم يظهر أمره لاحد^(١٣)

(١) قال صاحب تاريخ الاسلام في ترجمة سنة ٣٦٩ : وسأل عضد الدولة الطائم

وهذا آخر ما عمله الاستاذ أبو على أحمد بن محمد بن
يعقوب مسكويه رضى الله عنه
والحمد لله وصلواته على محمد النبي وآله أجمعين وحسبنا الله ونعم الوكيل
فرغ من اتساخه محمد بن على بن محمد أبو طاهر البلخي في
منتصف شهر ربيع الاول سنة ست وخمسمائة
نقله وقابله على بن خنظلة سنة عشرين وخمسمائة
فرغ من نقله الحسن بن منصور في مستهل الحرم سنة
ثمان وثلاثين حامدا لله ومصليا على نبيه
فرغ ابنه محمد بن الحسن في ربيع الاول سنة اثنين وخمسين وخمسمائة

ان يزيد في لقبه « تاج الملة » ويجدد الخلع عاد . ويأبسه التاج فاجابه وجلس الطائع على
المرير وحوله مائة بالسيوف والزينة وبين يديه مصحف عثمان وعلى كتفه البردة
ويده القضيب وهو متقلد سيف النبي صلى الله عليه وسلم وضربت ستارة بعثها عضد
الدولة وسأل ان تكون حجابا للطائع حتى لا تقع عليه عين أحد من الجند قبله ودخل
الامراء والديلم وليس مع أحد منهم حديد ووقف الاشراف وأنحباب المراتب من
الجائين ثم أذن لعضد الدولة فدخل ثم رفعت الستارة فقبل عضد الدولة الارض .
فارتاع زياد القائد لذلك وقال بالفارسية : ما هذا أيها الملك أهذا هو الله عز وجل ا
فالتفت الي عبد العزيز بن يوسف وقال له : فهمه فقل له « هذا خليفة الله في الارض »
ثم استمر يمشي ويقبل الارض سبع مرات فالتفت الطائع الى خالص الخادم فقال :
استدنه . فصعد عضد الدولة فقبل الارض دفتين فقال له : أدن الى أدن الى . فدنا وقبل
رجله وثني الطائع يمينه عليه وأمره فجلس على كرسي بعد ان كرر عليه « اجلس »
وهو يستغنى فقال له : أقسمت لتجلس . فقبل الكرسي وجلس فقال له : ما كان أشوقنا
اليك وأشوقنا الي ، ففاوضتك . فقال : عندي معلوم . فقال : نيتك موثوق بها وعقيدتك

مسكون إليها . فأومأ برأسه ثم قال له الطائع : قد رأيت أن أفوض اليك ما وكل الله إلى من أمور الرعية في شرق الأرض وغربها وتديرها في جميع جهاتها سوي خاصي وأسبابي فتولّ ذلك مستخيراً بالله . قال : يعينني الله على طاعة مولانا وخدمته . وأريد وجوه الفواد أن يسمعوا لفظ أمير المؤمنين فقال الطائع : هاتوا الحسين بن موسى ومحمد بن عمرو بن معروف وابن أم شيبان والزينبي . فقدموا فاعاد الطائع لله القول بالقبول . ثم التفت إلى طريف الخادم فقال : يا طريف تقاض عليه الخلع ويتوج . فنهض إلى الرواق وألبس الخلع وخرج فأومأ ليقبل الأرض فلم يطق لكثرة ما عليه فقال له الطائع : حسبك حسبك . وأمره بالجلوس . ثم استدعى الطائع تقديم أوليته فقدم لوائين واستخار الله وصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم وعقدها ثم قال : اقرأ كتابه . فقرأ . فقال له الطائع : خار الله لك ولنا وللمسلمين آمرك بما أمرك الله به وأنك عما نهاك الله عنه وأبرأ إلى الله مما سوى ذلك أنقض على اسم الله . ثم أخذ الطائع سيفاً كان بين المحدثين فقلده به مضافاً إلى السيف الذي قلده مع الخلع . وخرج من باب الخصة وسار في البلد .

وأما عضد الدولة وعلته فليراجع في ذلك حكاية أوردها ابن سعدون في التذكرة وهي : حدث القاضي أبو علي المحسن بن علي التنوخي قال : حدثني عضد الدولة أبو شجاع فناخسرة بغداد وذلك في سنة ٣٧٠ قال : حدثني أبي رحمه الله أنها ولدت للأمير ركن الدولة ولداً قيل كناه أبا داف وعاش قليلاً ومضى لسبيله (قالت) فحزنت عليه حزناً شديداً أسفاً على فقدته واشفاقاً من أن ينقطع ما بيني وبين الأمير بعده فسلاً في مولاي وسكني وأقبل على وقرني ومضت الأيام وتناول العهد وسلوت ثم حملت بك باصفهان فحفت أن أجيء بينت فلا أرى مولاي ولا يراني لما أعرفه من كراهته للبنات وضيق صدره من وطول أعراضه عنهن ولم أزل على جملة القلق والجزع إلى أن دخلت في شهرى وقرب ما أرقبه من أمرى وأقبلت على البكاء والدعاء ومداومة الصلاة والادعية إلى الله في أن يحمله ولداً ذكر اسوياً محظوظاً (أو كما قال عضد الدولة) ثم حضرت أيامي وانفق أن غلبني النوم فمت في مخاذي ورأيت في منامي رجلاً شيخاً نظيف البرة ربعة كك اللحية أعين عريض الأكتاف وقد دخل على وعندي أنه مولاي ركن الدولة فلما تبينت صورته ارتعت منه وقت : يا جوارى من هذا الهاجم علينا فتسعين إليه . فزبرهن وقال : أنا من أبي طالب . فنهضت إليه وقبلت الأرض بين يديه فقال : لا لا . وقت : قد ترى مولاي ما أنا فيه فادع الله لي بأن يكشفه ويب لي ذكراً سوياً محظوظاً . فقال : يا فلانة

(وسأني باسمي وكذا كنى الملك عضد الدولة عن الاسم) قد فرغ الله مما ذكرت
وستندين ذكرًا سويًا نحيبًا ذكيًا عاقلًا فاضلاً جليلاً القدر سائر الذكر عظيم الصولة
شديد السطوة يملك بلاد فارس وكرمان والبحر وعمان والعراق والجزيرة الى حلب
ويسوس الناس كافة ويقودهم الى طاعته بالرغبة والرغبة ويجمع الاموال الكثيرة ويقهر
الاعداء . ويقول بجميع ما أنا فيه (يقول الملك ذاك) ويبعث كذا وكذا سنة لعمري
طويل أرجو بلوغه (ولم تبين للملك قدره) وملك ولده من بعده فيكون من حالهم كذا
وكذا لشيء طويل هذه حكاية لفظه قل الملك عضد الدولة : وكما ذكرت هذا المنام
وتأملت أمرى وجدته موافقاً له حرفاً بحرف ومضت على ذلك السنون ودعاني عمى عماد
الدولة الى فارس واستخلفني عليها وصرت رجلاً ومات أُمى

وحدث أبو الحسين الصوفي يقول الملك هذا (وأبو الحسين حاضر يسمع حديثه) واعتلت
علة صعبة أبست فيها من نفسي وأيس الطبيب منى وكانت سنقى المتحولة فيها سنة ردية
الدلائل موحشة الشواهد وبلغت الى حد أمرت فيها بان يحجب الناس عنى حتى الطبيب
لضيقى هم وتبرمي بأمورهم وما احتاج الى شرحه لهم ولا يصل الى الا حاجب التوبة
ويبدأ أنا على ذلك وقد مضت فيه ثلاثة أيام أو أربعة ولا شغل لى الا البكاء على نفسي
والحسرة من مفارقة الحياة اذ دخل حاجب التوبة فقال : أبو الحسين الصوفي في الدار
منذ القد يسأل الوصول وقد اجتهدت به في الا مراف فابى الا القعود ورك القبول
ولن يقول « لا بد لي من لقاء مولانا فان عندى بشارة ولا يجوز أن يتأخر وقوفه عليها
وسمعه اياها » فلم أحب أن أجده في المنع والصرف الا بعد المطالعة وخروج الامر .
فقلت له على مضض غالب وبصوت خافت : قل له كاني بك وأنت تقول « قد بلغ
الكوكب الفلاني الى الموضع الفلاني » ونهذى على في هذا المعنى هذياناً لا يتسع له
صدري ولا يحتمله قايي وجسمى وما أقدر على سماع ما عندك فانصرف . فخرج الحجاب
وعاد متعجباً وقال : اما ان يكون أبو الحسين قد اختل واما ان يكون عنده أمر عظيم
فاننى أعدت عليه ما قاله مولانا فقال : ارجع وقل له « والله لو أمرت بضرب رقبتى
لما انصرفت أو أراك ومتى أوردت عليك في معنى النجوم حرفاً فحكمتك ماض في .
واذا سمعت ما أحدثك به عوفيت في الوقت وزال ما تجده » فميجت من هذا القول
عجباً شديداً مع علمي بتمثل أبى الحسين وشدة تحقيقه وقلة تحريفه وتطلعت نفسى الى
ما عنده فقلت : هاته . فلما دخل قبل الارض وبكى وقال : أنت والله يا مولانا في عافية
ولا خوف عليك اليوم بل وتستقل ومعنى دلالة على ذلك . قلت : وما هي . ولم أكن

حدثته من قبل بحديث المنام الذي رآته أمي ولا سمعته أحد مني فقال : رأيت البارحة في منامي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عم والناس يهرعون اليه ويجمعون عليه ويفاضونه أمورهم ويسألونه حوائجهم وكان قد تقدمت اليه وقلت له : يا أمير المؤمنين أنا رجل في هذا البلد غريب ركت نعمتي وتجاري بالرى وتعلقت بخدمة هذا الأمير الذي أنا معه وقد بلغ في علمه الى حد آيس فيه من عافيته وأخاف أن أهلك بهلاكه فادع الله له بالسلامة . قال : تعنى فناخسره بن الحسن بن بويه . فقلت : نعم يا أمير المؤمنين . فقال امض اليه غدا وقل له « أنسيت ما أخبرتك به أمك عني في المنام الذي رآته وهي حامل بك ألم أخبرها مدة عمرك وانك ستمتل اذا بلغت كذا وكذا سنة علة يابس فيها منك أهلك وطبك ثم تبرأ منها وفي غد يتدى برؤك ويزايد الى أن تركب وتعود الى عادتك كلها في كذا وكذا يوما ولا قاطع على أجلك الى الوقت الذي أخبرتك به أمك عني » قال الملك عضد الدولة : وقد كنت أنسيت أن أمي ذكرت ذلك في المنام وأني اذا بلغت هذه السنة من عمري اعتلت هذه العلة التي ذكرها فذكرت ذلك عند قول أبي الحسين ما قاله فحين سمعت ما سمعته حدثت لي في الحال قوة نفس لم تكن من قبل وقلت : اقم دوني . فجاء الغلمان وأجلسوني فلما استعالت على الفراش قلت لأبي الحسين : اجلس وأعد الحديث . فجلس وأعاد وتولدت بي شهوة الطعام واستدعيت الطيب فاشاروا بتناول غداء عمل في الوقت وأكلته ولم يصرم الوقت حتى أحسست بالصلاح الكثير وتدرجت العافية فركبت وعادت عادتي في اليوم الذي قاله أبو الحسين .

وكان الملك يشرح هذا الشرح وأبو الحسين حاضر يقول : كذا والله قلت لمولانا وأعيذه بالله فما أحسن حفظه وذكره . ثم قال لي : بقي في نفسي من هذا المنام شيء قلت : يبلغ الله مولانا آماله ويزيله من كل ما يهوله ويصمر عنه كل ما يخشاه . ولم أتجاوز الدعاء لعلمي بأن سؤاله عن ذلك سوء أدب فلم ما في نفسي وقال : وقوفه على أنني أملك حلب ولو كان عنده أنني أتجاوزها لقال حتى أنه لما ورد الخبر بإقامة ابن شيخ الدعوة لي بها ذكرت المنام فتفنن على أمرها اشفاقا من أن تكون آخر حدود مملكتي من ذلك الصقع . فدعوت له واتقطع المجلس

TAJÄRUB AL - UMAM

BY

AHMAD IBN MUHAMMAD, KNOWN AS
MISKAWAYH

(DIED 421 A. H.)

EDITED,

BY

H. F. AMEDROZ,
BARRISTER ATLAW,

Volume II

DEALING WITH THE EVENTS OF 40 YEARS:

329 - 369 A. H.

